المملكة المغربية

الرابطة المحمدية للعلماء



منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث

سلسلة نوادر التراث (٣)

بلوغ أقصى المرام

في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام

للعلامة أبي عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي الفاسي (ت 1214هـ)

دراسة وتحقيق

د. عبد الله رمضاني

بلوغ أقصى المرام
في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام

تصنيف أبي عبد الله محمد بن عمر الحضرمي التادلي (ت ٨٤٤ هـ)



الكتاب: بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام

المؤلف : محمد بن مسعود الطرنباطي

تقديم وتحقيق: ذ. عبد الله رمضاني

الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008م

سلسلة: نوادر التراث (4)

تخضع إصدارات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث قبل نشرها للتحكيم، وجميع الآراء التي تتضمنها لا تمثل بالضرورة رأي المركز.

الإيداع القانوني: 2008/1825

ردمك : 9981-0-3004-X

توزيع : دار الأمان للنشر والتوزيع

الطباعة والإخراج الفني:

مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث

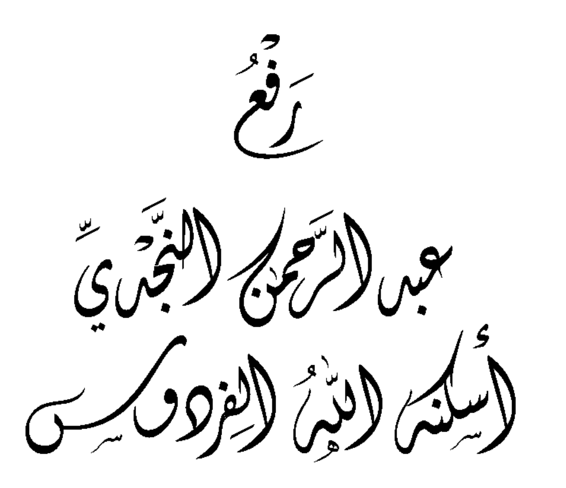
شارع لعلو، لوداية - الرباط - المغرب

ص. ب: 1320 البريد المركزي - الرباط

هاتف: 48 57 70 37 (212+)

فاكس: 49 57 70 37 (212+)

البريد الإلكتروني: almarkaz@arrabita.ma



هذا الكتاب في أصله أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه في جامعة عبد المالك السعدي بتطوان تحت إشراف الدكتور عبد السلام شقور، وتولى مراجعتها وإعدادها للطبع الدكتور بدر العمراني الطنجي بتنسيق مع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث.

رَفْعُ

المملكة المغربية
الرابطة المحمدية للعلماء


منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
سلسلة نوادر التراث (4)

بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام

للعلامة أبي عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي الفاسي (ت 1214هـ)

دراسة وتحقيق
د. عبد الله رمضاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد حظي موضوع التربية والتعليم باهتمام العلماء قديما وحديثا، فصنفوا فيه العديد من التصانيف القيمة، والمؤلفات النافعة؛ التي تدل على انخراطهم في التفكير في المنظومة التعليمية وحملهم همّ إصلاحها في عصورهم المختلفة، ونذكر من هذه الكتب على سبيل المثال كتاب آداب المعلمين لمحمد بن عبد السلام المشهور بسحنون(ت256هـ)، وأخلاق العلماء، لمحمد بن الحسن الآجري(ت360هـ)، والرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، لأبي الحسن علي بن محمد القابسي(ت403هـ)، وجامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي(ت463هـ)، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي(ت463هـ)، وتعليم المتعلم طريق التعلم، للنعمان بن إبراهيم بن الخليل الزرنوجي(ت640هـ أو 645هـ)، وتذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لبدر الدين ابن جماعة(ت733هـ) وغيرها كثير.

ومن المصنفات في هذا الباب التي كُتب لها القَبول والذيوع في بلاد المغرب؛ كتاب بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام، للعلامة الفقيه الأديب النحوي الصالح أبي عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي الفاسي المتوفى سنة (1214هـ) الذي نشرف اليوم بتقديمه إلى القراء، وهو كتاب كثر تداوله في هذه الربوع منذ أن فرغ منه مؤلفه أواخر القرن الثاني عشر الهجري سنة (1184هـ)، بل هو ثالث ثلاثة أشهر كتب مغربية تناولت هذا الموضوع بالتفصيل في فترات زمنية متقاربة، فقبله نجد كتاب القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم، لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي(ت1102هـ)، وبعده نجد كتاب الأزهار

الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر، لأبي عبد الله محمد الطالب بن الحاج السلمي(ت1273هـ)، والملاحظ أن هذه الكتب الثلاثة وإن كانت لا تحمل على مستوى المضمون إضافات كثيرة على الكتب الأمهات في هذا الباب ككتاب ابن عبد البر وكتاب ابن جماعة؛ إلا أنها تحمل روح عصرها، وبصمة مؤلفيها، وتشهد بسعة علومهم، وقدرتهم على استئناف طرح هذا الموضوع للنقاش، في ظل أوضاع لم تكن دائماً مشرقة قد عرفها حقل التعليم في زمنهم، وبالرجوع إلى واقع التعليم وحال الفقهاء في زمن المؤلف، نجد نضوبا في الفكر الاجتهادي، وانكباب الفقهاء إلاَّ من استثني على المختصرات والمنظومات التعليمية، وبعض الشروح، والحواشي، والتقريرات، يقتصرون في الأغلب عليها ولا ينطلقون للبحث في غور المصادر الأصيلة والرجوع إلى الأمهات، كما أنهم غلّبوا دراسة الفقه واللغة على علوم أخرى جليلة أيضاً كعلم التفسير والحديث، وفي ظل هذا الوضع انتشرت سلوكات تعليمية منافية لأحكام العلم وآدابه المعروفة، مما حدا بالمؤلف إلى تأليف كتابه هذا بطلب من بعض أحبائه كما يذكر ذلك في المقدمة متوخياً بتصنيفه انبعاث النفوس إلى طلب العلم، وبذل الوسع في تحصيله، والتحلي بآدابه. ولعل هذا الكتاب وقبله كتاب القانون للعلامة أبي الحسن اليوسي مهدا لإطلاق السلطان محمد بن عبد الله العلوي رحمه الله مشروعه الكبير لإصلاح منظومة التعليم وإصداره منشورا سنة1203هـ، رسم فيه قوانين جديدة لإعادة هيكلة الحقل التعليمي، دعت في مجملها إلى الاعتماد على الأصول، وتشجيع تدريس الحساب والتوقيت، والابتعاد عن التوغل في دراسة بعض العلوم التي تفرق وحدة الأمة وتفسد عقيدتها، بل إن هذا السلطان رحمه الله أسهم في إثراء هذا الموضوع حينما وضع تأليفا وجيزا سماه «مواهب المنان فيما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان».

وبالجملة فالدرس الذي نستخلصه حين وضع هذا الكتاب في سياقه المعرفي والزمني هو أن موضوع التعليم، وإصلاح مناهجه، وصيانته من العطب، موضوع حيوي متجدد في

تراثنا الإسلامي، تتم إثارته ومعالجته الحين بعد الآخر؛ لرفع الجهل عن الأمة، وتذكيرها بوجوب صمودها في مصاف الأمم العالمة والمتقدمة.

وفي إطار إحياء التراث المغربي الهادف في مجال العلوم الإسلامية، يأتي إدراج هذا الكتاب ضمن سلسلة منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، وهو كتاب يطيب لي أن أشيد بالجهد الكبير الذي بذله فيه السيد عبد الله رمضاني حيث صدّره بدراسة وافية، معتمدا في ضبط نصه على ثمانية نسخ مخطوطة، منها نسخة يترجح لديه أنها مبيضة المصنف، كما اهتم بتوثيق نقوله، والتعليق عليه، ووضع فهارسه، ولا يفوتني أن أشكر هنا فضيلة الدكتور بدر العمراني الذي تفضل بمراجعة هذا العمل وتنقيحه، وكذا السيد مصطفى عكلي الباحث بالمركز الذي تولى تصحيح الكتاب وإعداده للطبع، وفي الختام أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله في سجل الأعمال الخالدة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أدام الله له النصر والتأييد، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أحمد عبادي

الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء

مقدمة

الحمد لله الذي علم وألهم، و وفق وأنعم، وهدى من أذعن وأسلم، والصلاة والسلام على الرسول الأكرم، سيدنا محمد المربي الأعظم، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، أولي الفضل والشمم.

أما بعد،

فإن العلم فرض من فروض الدين، وركيزة أساسية لدعم مجال التربية و التعليم، ولذلك أشاد به الرسول الكريم، عليه أزكى الصلاة و التسليم، ورغّب فيه عبر أحاديث كثيرة، أشهرها: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]، ولأجل هذا الترغيب والتنويه هرع العلماء إلى ضبط المجال بتقنين قواعده، و وضع آدابه، وترتيب أحكامه، تذكيرا للعلماء أنفسهم، وتعليما للطلبة في دائرة تكوينهم.

فتوالت الكتابات، وتنوعت من حيث المعالجة و الترتيب، فمنهم المختصر، ومنهم المطول، ومنهم المستوعب، ومنهم المقتصد، وهكذا حتى زخر التراث العربي بِكَمٍّ هائل من الكتب والتواليف في هذا المجال.

وخلال تتبعي لهذا التراث، ومحاولتي لرصد خباياه و خفاياه، ظفرت بكتاب **«بلوغ أقصى المرام، في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام»** لأبي عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي (ت 1214 هـ) بتحفيز من بعض أساتذتنا الفضلاء.

---

(1) سيأتي تخريجه ضمن النص المحقق مع أحاديث أخرى في الموضوع.

ففرحت به واغتبطت، وشمرت على ساعد الجد لخدمته، واستكناه مضمونه وجدته، عبر الخطوات الآتية:

القســـم الأول: الدراســـة

- **الفصل الأول:** جهود المغاربة في التأليف التربوي التعليمي.
- **الفصل الثاني:** عصر المؤلف وحياته.

المبحث الأول: عصر المـؤلف.

المبحث الثاني: حياتـــه.

- **الفصل الثالث:** دراسة تحليلية للكتاب.

القســـم الثـــاني:

نص: «**بلُـــوغ أقـصـى المـرام في شـــرف العلـــم وما يتعلـــق بـــه مـــن الأحكـــام**» مـحـقـقـا.

- **فهارس عامة.**

في **الفصل الأول** من القسم الأول حاولت أن أتحدث بشكل مقتضب عن إسهامات بعض المغاربة في التأليف التربوي، مركزا على نماذج منها مخطوطة ومطبوعة، قصد إبراز الحضور المغربي في هذا الميدان، وتقديم صورة أو فكرة تختزل أهم مضامينها ومحتوياتها. وبعد ذلك الخلوص إلى تبيين أبرز الخصائص المشتركة التي يتميز بها هذا الفكر التربوي من خلال هذه المؤلفات.

وتـحدثت في **الفصل الثاني** منه عن عصر المؤلف لكن دون التوغل في تاريخيته، فذلك لـه مقـام آخـر لـيس مـن اختـصاصي، وإنمـا حاولـت في خطـوط عريـضة أن أرصـد أهـم

الإصلاحات السياسية والاقتصادية والقضائية والتعليمية التي قام بها السلطانان سيدي محمد ابن عبد الله ومولاي سليمان، ثم حاولت حسب ما توافر لدي من وثائق ومعلومات أن أبرز مدى تفاعل الطرنباطي مع هذه الأحداث في هذا السياق الإصلاحي.

وخصصت المبحث الثاني من هذا الفصل للحديث عن مصادر ترجمته، واسمه، ونسبه، وولادته، وأسرته، ونشأته، وإبراز بعض جوانب من شخصيته تمس مواهبه ومكانته العلمية والدينية. ثم عرضت آراء العلماء فيه، وتقييمهم لشخصيته. كما قمت بجرد لأهم الأعمال الفكرية التي أنتجها المؤلف. وقد حاولت في هذا الأثناء أن أقدم لمحة وصورة مجملة عن أي كتاب معروض باستثناء ما تعسر علي الوصول إليه. وقد استعنت في التعرف والاهتداء إلى هذه الأعمال بما حوته كتب التراجم التي عرفت به وأشارت إلى مؤلفاته ثم كتب الفهارس.

وفي الفصل الثالث خصصت المبحث الأول منه لدراسة الكتاب دراسة تحليلية حيث بينت فيه دلالة العنوان، و وثقت الكتاب، وأثبت نسبته إلى صاحبه، ثم حددت الدوافع التي دعت الكاتب إلى تأليفه. وبعد ذلك حاولت قدر المستطاع إبراز أهم المظان المصدرية أو المرجعية التي شكلت مادة الكتاب، والتي عاد إليها المؤلف بشكل مباشر أو غير مباشر.

وتلا ذلك عرض مفصل لمحتويات الكتاب، فذكرت أبوابه وموضوعاته، وبينت مضمونه وفحواه، وذلك بأسلوب تحليلي نقدي. كما حاولت أن أبرز في هذا الصدد الرؤية التربوية عند الطرنباطي من خلال مؤلفه.

وبعد ذلك قمت بتحديد معالم منهجية المؤلف في كتابه، وإبراز قيمته الثقافية والدينية والتربوية والأدبية. كما حاولت أن أبين بعض خصائص الكتاب الفكرية، والأسلوبية.

وبعد ذلك عرفت بالنسخ التي وقفت عليها بالمكتبات العامة والخاصة، ثم قمت بوصفها، كما بينت النسخة الأم في التحقيق، والنسخ التي كان لها دور الاستعانة والاستفادة خلال هذه العملية.

ومن جانب آخر حاولت أن أبين كذلك عملي في التحقيق والمنهج الذي سلكته في إخراج النص وتحقيقه بأمانة علمية.

وأخيرا جاء القسم الثاني يحمل بين طياته نص «**بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام**» محققا، راجيا من الله العلي القدير أن أكون موفقا فيه، والكمال لله الواحد القهار.

وفي نهاية البحث عملت على وضع مجموعة من الفهارس قصد تيسير التداول العلمي لمعطياته ومحتوياته.

وقبل الختام، أود أن أشكر أستاذي الفاضل الدكتور عبد السلام شقور الذي فتح لي صدره وفكره، ورحب بالموضوع الذي اقترحته عليه، ودعا لي بالتوفيق، ووعدني بأنه سيكون دوما كعادته في خدمة طلبته وعونا لكل من قصده، وقد وجدته فعلا كذلك.

فقد كان لا يتأخر عن تقديم أية مساعدة كنت أحتاج إليها، مضحيا بوقته، وراحته، وفي بعض الأحيان يكون ذلك على حساب صحته. كما كان حريصا على الرفع من همتي، وتقوية عزيمتي وإرادتي على مواصلة البحث والدراسة، وعدم التقاعس والانطواء.

فالله أسأل أن يرزقه الصحة والعافية وطول العمر، ويحفظه لأولاده وأسرته الكريمة.

كما لا يفوتني في هذا الصدد أن أشكر أستاذي الكريم الدكتور عبد الله الترغي الذي دلني على هذا الموضوع وحفزني إلى البحث فيه ودراسته. فقد كان عونا لي بتوجيهاته السديدة، ونصائحه القيمة، وأفكاره المفيدة.

فأنا جد ممتن بفضلهما وجميلهما الذي لا ينسى.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

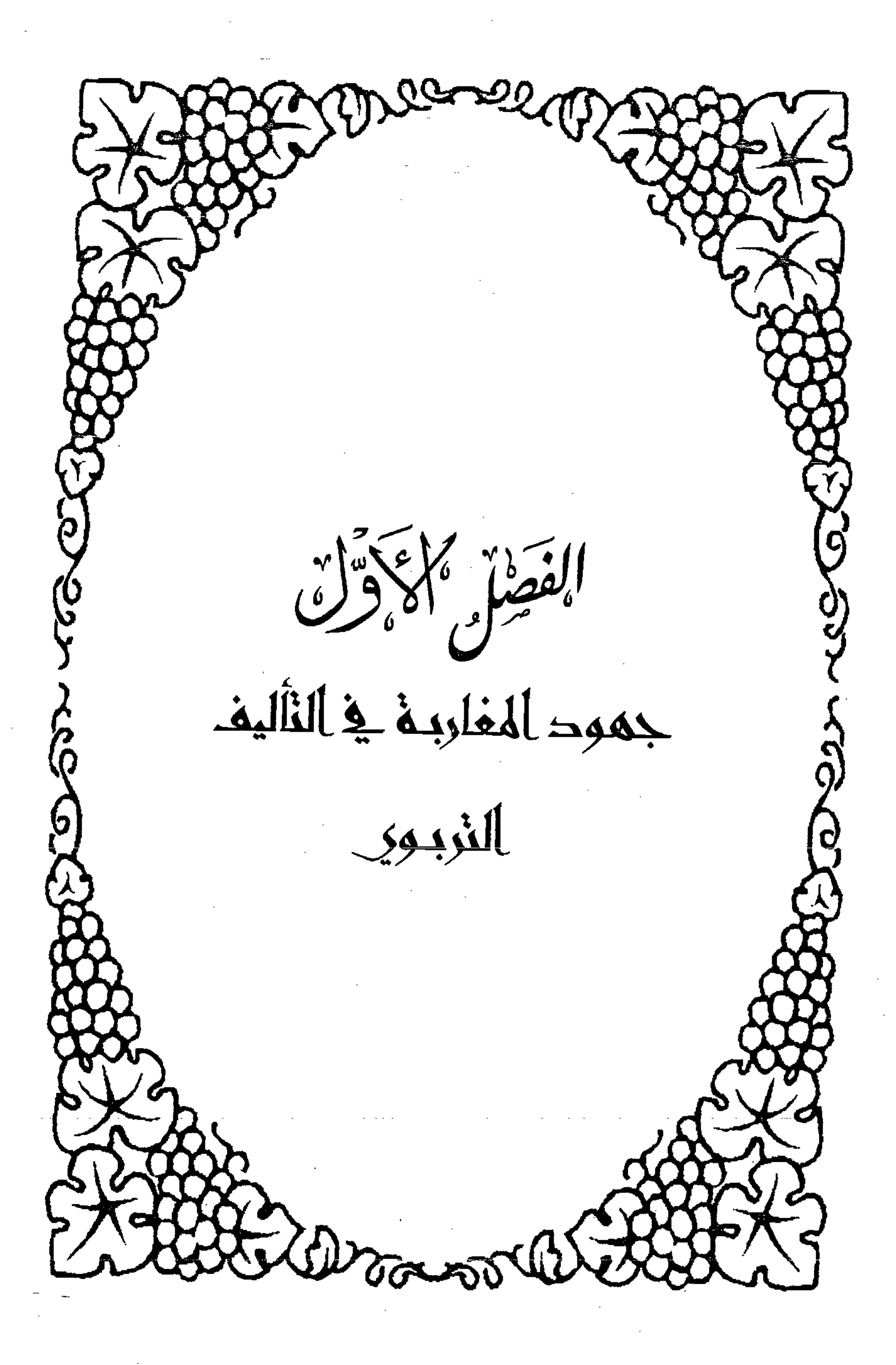
القسم الأول

الدراسة

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس



الفصل الأول

جهود المغاربة في التأليف التربوي

إن التربية هي أساس كل مجتمع، وهي الركيزة التي ينبني عليها صرح كل حضارة؛ فالأمة بدون مقومات تربوية، وقيم أخلاقية مآلها إلى الدمار والخراب، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

وقد تنبه العلماء والمفكرون المسلمون الأوائل إلى هذا الدور الذي تقوم به التربية، حيث كانوا على وعي كامل بأهميتها في الحياة العلمية والاجتماعية للعالم والمتعلم سواء. لذا اهتموا بهذا الأمر اهتماما كبيرا، إذ أخذ مساحة كبيرة من انشغالاتهم العلمية والفكرية. فقد كانوا حريصين أشد الحرص على تكوين الفرد المسلم تكوينا تربويا وأخلاقيا وفكريا، يجعله يتشبث بقيمه، ومبادئه العليا، ويحافظ على هويته ودينه.

لذلك نجدهم يخصصون في أعمالهم العلمية والفكرية مباحث قيمة، تناولوا فيها بشكل فريد من أشكال التناول أحكام العلم وضوابطه، وآداب العالم والمتعلم، حيث تكاملت رؤيتهم بين ما هو روحي نفسي، وما هو سلوكي عملي، وما هو فردي، وما هو اجتماعي.

ولعل في استعراضنا لبعض النماذج من تآليف المفكرين والعلماء المسلمين في الحقل التربوي ما يعكس ذلك الاهتمام الكبير الذي أولوه للتربية والتعليم.

نذكر من هذه التآليف: «آداب المعلمين»[1] لمحمد بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب المشهور بابن سحنون (ت 256 هـ)، و «أخلاق العلماء»[2] لمحمد بن الحسين الآجري(ت360 هـ)، و «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين

---

(1) أول من نشر هذه الرسالة حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1931، ثم ألحقه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني في كتاب «التربية في الإسلام» ط. 2 القاهرة دار المعارف. كما تعرض لها الدكتور أسعد أطلس في كتابه «التربية والتعليم في الإسلام» بيروت، دار العلم للملايين 1957، والدكتور عبد الله عبد الدائم في كتابه «التربية عبر التاريخ» بيروت، دار العلم للملايين، ط.4، 1981.

ينظر: الدكتور عبد الأمير شمس «الفكر التربوي عند ابن سحنون و القابسي» ط.1، 1985، بيروت – دار اقرأ.

(2) قدم له وعلق عليه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

والمتعلمين»[1] لأبي الحسن علي بن محمد القابسي (ت403 هـ)، و «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»[2] لأبي علي أحمد بن يعقوب مسكويه (ت 421 هـ)، و«أدب الدنيا والدين»[3] لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450 هـ)، و«جامع بيان العلم وفضله»[4] لأبي عمر يوسف بن عبد البر (ت 463 هـ)، و «أيها الولد»[5] لأبي حامد محمد بن أحمد الغزالي(ت505هـ)، و«تعليم المتعلم طريق التعلم»[6] للنعمان بن إبراهيم بن الخليل الزرنوجي (ت 593 هـ ـ 620 هـ)، و«رسالة آداب المعلمين»[7] لأبي جعفر نصير الدين الطوسي (ت672 هـ)، و «تذكرة السامع و المتكلم في أدب العالم والمتعلم»[8] لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن جماعة(ت 733هـ)، وغيرها من التآليف التي تعكس هذا الاهتمام التربوي.

ويجب ألا ننسى في هذا السياق الجهود التي بذلها علماء الغرب الإسلامي في هذا المجال، فقد ساهموا بدورهم بمحاولات إبداعية تأصيلية قيمة في ميدان الحقل التربوي، ويكفي دليلا على ذلك أن يكون محمد بن سحنون والقابسي من رواد هذا المشروع التربوي، ويكفي أن يكون من بين المهتمين به أمثال أبي بكر بن العربي الذي ينسب إليه كتاب في الموضوع بعنوان

---

(1) دراسة وتحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع - ط.1. جانفي 1986.

(2) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. ط.1، 1981.

(3) دراسة وتحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق - بيروت - ط.3/ 2002.

(4) تحقيق أبي الأشبال الزهيري - دار ابن الجوزي، السعودية - ط.5 / 1422 هـ.

(5) سلسلة رسائل العلماء، دار الاعتصام - 1983.

(6) طبع هذا الكتاب مرات عديدة، وقد أعاد صلاح محمد الخيمي تحقيق الكتاب فنشرته دار ابن كثير ـ بيروت. ينظر: دعوة الحق. ع.355/ 356، ص: 72 - سنة 2000.

(7) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ـ ط.1 ـ 2003.

(8) تحقيق وتخريج وتعليق عبد السلام عمر علي، دار الضياء لتحقيق التراث طنطا ـ مصر ـ ط.1/ 2002.

«آداب المعلمين»[1]. كما أن ابن الجزار القيرواني[2](ت369 هـ) قد أفرد بابا سماه «في الأمر بتأديب الأطفال» ضمن كتابه المسمى «كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم»[3] للحديث عن كيفية التعامل مع الطفل.

وقد أورد ابن خلدون فصولا قيمة في «مقدمته» تحدث فيها عن أهمية التعليم، وأنواع العلوم وأصنافها ومنازلها، وطرائق التعليم وأساليبها[4].

وفي نفس الاتجاه سار صاحب «العقد الفريد» حيث خصص درة من درر عقده الخمس والعشرين للحديث عن العلم والأدب و قضاياهما[5].

وقد تنبه علماء المغرب هم الآخرون إلى الدور الخطير الذي تقوم به التربية في تنشئة المجتمعات، فأولوها عناية شديدة وفائقة، حيث كانوا يدركون تمام الإدراك كسابقيهم أن قوام كل مجتمع لا يتم ولا ينهض إلا بالتربية.

ويمكن أن نميز في هذا الإطار بين نوعين من التآليف التربوية التي أسهم بها العلماء والمفكرون المغاربة:

---

(1) دعوة الحق، ع - 355/ 356 ص: 74 سنة 2000.

(2) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم خالد المعروف بابن الجزار والمسمى عند الأوربيين باسم Algizar وهو من عائلة وطيدة الصلة بالثقافة والطب.توفي سنة 369هـ، تنظر ترجمته في معجم الأدباء 2/ 136 ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء 2/ 58 -61.

(3) تحقيق وتقديم الدكتور محمد الحبيب الهيلة، ص: 113 - ط.2 ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت لبنان - 1984.

(4) المقدمة. ص: 476، 477 وما بعدها، ص: 589 وما بعدها.

(5) العقد الفريد، فرش كتاب الياقوتة في العلم والأدب. 2/ 177 وما بعدها.

فبالنسبة للتآليف العامة، فهي كثيرة، وهي في جملتها تختزن قضايا تربوية وتعليمية قيمة، ككتب الفقه، والحديث، والتصوف، وكتب النوازل...

- تآليف عامة.
- تآليف خاصة.

ومن هذه التآليف كتاب «المدخل»[1] لمحمد بن الحاج العبدري الفاسي أصلا المصري وفاة(ت:737هـ) حيث تناول صاحبه في بعض فصوله طلب العلم وآداب المتعلم[2].

وقد كتب ابن عرضون[3](ت 992 هـ) فصولا ضمن كتابه «مقنع المحتاج فيما يتعلق بآداب النكاح ومعاشرة الأزواج ورياضة الولدان»[4] عالج فيها قضايا تربوية هامة: أوصاف المعلم، وخصائصه، مواد التدريس طريقة التدريس.

وقد كتب الشوشاوي[5](ت 899 هـ) الباب السادس من كتابه «الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة»[6] تناول فيه الحديث عن أحوال المعلمين والمتعلمين وأحكام التعليم بصفة عامة[7].

وقد عالج الونشريسي في كتابه المعيار[8] عددا من القضايا التربوية وردت في سياق النوازل الفقهية، أملاها الواقع الاجتماعي المعاش، وقد كانت مسألة أخذ الأجرة على

(1) المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات... طبع في أربعة أجزاء.

(2) المدخل (1/ 14 - 63 - 197) تنظر فصول الأجزاء المتبقية.

(3) ستأتي ترجمته لاحقا.

(4) ينظر الباب الثاني: فيما يتعلق بتعليم المعلمين الولدان 108 – 102. طبعة حجرية 1319.

(5) هو أبو علي الحسين بن علي بن طلحة الشوشاوي، من أعلام القرن التاسع الهجري، توفي سنة 899 هـ.
تنظر ترجمته في: درة الحجال 1/ 131، نيل الابتهاج (ص: 163)، الإعلام بمن حل بمراكش 3/ 148.

(6) طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتحقيق إدريس عزوزي (1409 هـ 1989).

(7) الفوائد الجميلة (ص: 277).

(8) عنوانه كاملا: «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل الأندلس والمغرب» لأبي العباس أحمد ابن يحيى الونشريسي المتوفى سنة 914 هـ. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الرباط. 1401 – 1981.

التعليم[1]، والعقاب البدني[2] مطروحة بحدة، تصدى لها الفقهاء والعلماء بالإفتاء، وإصدار الأحكام في شأنها.

أما باقي القضايا الأخرى فقد تناولت المواضيع التالية:

- هل يفتقر تعليم الصبيان إلى الإجازة ؟[3].
- العدل والمساواة بين التلاميذ[4].
- صفات المعلم[5] وتحديد أقسام العلماء[6].
- المفاضلة بين العبادة والعلم[7].
- تحديد مفهوم الحذقة وحكمها[8].
- حكم الاشتغال بالكيمياء من المعلمين والطلبة[9].
- إجبارية التعليم[10]. كيف يتم توقيت التدريس بمؤسسة ما[11]؟.

---

(1) المعيار لمعرب للونشريسي: 8/ 236، 247، 252، 259 - 11/ 16، 255.

(2) المصدر السابق: 2/ 267، 269 - 8/ 242، 245، 247، 250، 255، 256، 257.

(3) نفسه: 10/ 49 - 12/ 259، 361.

(4) نفسه: 8/ 247.

(5) نفسه: 8/ 250، 257.

(6) نفسه: 12/ 317، 320.

(7) نفسه: 11/ 220، 298، 299 - 12 / 357، 358.

(8) نفسه: 8/ 240، 248.

(9) نفسه: 10/ 155.

(10) نفسه: 8/ 249.

(11) نفسه: 7/ 347، 356.

- تحديد أماكن التدريس[1].
- ضرورة انفتاح المؤسسة التعليمية على الأسرة وإطلاعها على سلوك أبنائها[2].
- كيفية قراءة الكتب ودراستها[3].
- العلاقة بين العلماء ورجال السلطة[4].

وغيرها من المواضيع الهامة.

وعموما، فالكتاب تناول بالمعالجة، والدرس، عددا من المسائل التربوية تستحق - في تقديري - الوقوف عندها، وتحليلها، وتفصيل الكلام في شأنها، وهي مسائل كما قلنا آنفا تمخضت نتيجة تفاعل عدة عوامل مختلفة داخل المجتمع، كما تعتبر صورة صادقة تعكس طبيعة المشاكل الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية، التي كانت تعيشها البلاد على عهد المؤلف.

إن حضور المادة التربوية في هذه المصنفات المغربية له أكثر من دلالة ومعنى.

وفيما يخص النوع الثاني من التآليف، فيقصد به مجموعة من الكتب التي أفردت للحديث عن آداب العالم والمتعلم بصفة خاصة دون غيرها من الموضوعات، وهذا النوع بعضه مطبوع، والآخر ما يزال مخطوطا لم ير النور بعد.

---

(1) المعيار المعرب للونشريسي: 7/ 36، 83.

(2) نفسه: 8/ 257.

(3) نفسه: 11/ 229- 230.

(4) نفسه: 2/ 480- 481.

وسوف أقتصر في هذا السياق على إيراد بعض التآليف التي تشكل في نظري نماذج قيمة للدرس التربوي، ثم أحاول إعطاء فكرة مجملة عن مضمونها وأهميتها.

من تلك التآليف التربوية:

* **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان**[1] **للمغراوي (ت 930هـ)**[2]

تتجلى أهمية هذا الكتاب في كونه يكشف لنا عن سمات المجتمع المغربي خلال القرن التاسع، وعن العوامل التي ساعدت في إبراز الخصائص الفكرية في ذلك العصر. كما حاول أن يصف لنا بشكل غير مباشر الوضع الأخلاقي الذي كان سائدا وقتذاك، وأن يقدم لنا معلومات قيمة عن طرائق التعليم ومنهاجه، وموضوعاته انطلاقا من القيروان إلى المغرب الأقصى.

بالإضافة إلى ذلك فقد تضمن الكتاب مادة غنية تتمثل في الأحكام الفقهية المتعلقة بالمعلمين وصلاتهم بأولياء المتعلمين وما يتصل بذلك من مقتضيات.

ولا تقتصر أهمية الكتاب في هذه الجوانب فحسب، بل تكمن كذلك في العناصر والمسائل الدقيقة التي عالجها، وهي في نظر بعض الدارسين والباحثين «تطرح حلولا لبعض المشاكل التي يتخبط فيها المشرفون على أجهزة التربية في بلادنا»[3].

والكتاب يشتمل على ثلاثة أبواب.

---

(1) تقديم وتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج طبعة أولى (1407/ 1986).

(2) تنظر ترجمته في: دوحة الناشر ص: 38، 125، جذوة الاقتباس 1/ 246، سلوة الأنفاس 3/ 178.

(3) عبد الهادي التازي. مقدمة تحقيق جامع جوامع الاختصار والتبيان. ص: 25.

وقد استهل المغراوي كتابه بمقدمة تبرز لنا عن دواعي تأليفه لهذا الكتاب سيرا على نهج سابقيه كالقابسي في رسالته[1]، فنراه يقول بعد الإشادة بالتعليم وفضله: «أما بعد، فقد سألني بعض الإخوان أن أضع له جامعا مختصرا مفيدا في أحكام المعلمين والمتعلمين وآبائهم وحقوق بعضهم على بعض، وأمر الحذقة، وأجرة الشهور والأعوام والحذاق وسائر ما هو عرف لهم وعليهم في مواسم المسلمين؛ ليرتفع بذلك بينهم الشقاق مما ورد في ذلك من أنقال أئمتنا المالكية وفتاويهم وآرائهم على اختلاف أو وفاق معتذرا بتفرق ذلك عليه في الشراح والأمهات، بما يصعب حصره مع ضيق الأوقات....فأجبت سؤاله قاصدا ثواب الله الجزيل...»[2].

وبعد هذه المقدمة، صدر المغراوي كتابه بباب ذي عنوان طويل وهو: باب حكم الحذقة وما موضعها من القرآن؟ وهل هي محدودة أو موكولة إلى العرف؟ ولمن تعطى من المعلمين إذا تداولوا صبيا؟ ومتى يستحقها المعلم؟ وهل له ذلك إن عاود الصبي القرآن أم لا؟

وقد تحدث المغراوي هنا، عن حكم الحذقة وحق المعلم في تقاضي الأجرة، و أورد الأقوال في تقاضي الأجرة شهريا أو سنويا بناء على عقد يعبر عنه بالشرط وله ضوابطه[3].

ولعل هذا الباب ينص بوضوح إلى رفض مبدأ مجانية التعليم كما يشير إلى بعض الحالات التي تبدو على بعض المتعلمين[4].

---

(1) «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين و أحكام المعلمين والمتعلمين» دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية، أحمد خالد - الطبعة الأولى جانفي 1986.

(2) المغراوي «جامع جوامع الاختصار والتبيان». ص: 62.

(3) مجلة دعوة الحق، ع: 355 - 356 ، ص: 74 سنة 2000.

(4) عبد الهادي التازي، مقدمة تحقيق جامع جوامع الاختصار والتبيان. ص: 26.

ويبدو المغراوي من خلال معالجته لهذه المباحث وما عقده فيها من مقارنات فقهية، وما تميز به من دقة في مسائل تصفية الحساب بين المعلمين و الأولياء ذا قدم راسخة في العلوم الشرعية، وذا باع طويل...

ويلي هذا الباب، باب واسع العنوان أيضا وهو: باب حكم الإجارة على تعليم القرآن والأصل فيها، وهل يقضى بما يعطى للمعلم في المواسم؟ وحكم آداب الصبيان وتعليمهم وتسريحهم، وقبول هديتهم.

لقد تناول المغراوي في هذا الباب موضوعات كثيرة، فتحدث عن التأديب والعقاب وعلاقة المعلم بتلامذته، وفصل القول في العطل وفي أيام الدراسة[1].

كما ناقش مسألة التعليم المختلط، وكيفية استخدام المدرسين المدرسة فيما بينهم.

ويأتي بعد هذا الباب، باب جامع أثار فيه عددا من القضايا منها[2]:

- حكم إحضار الوالد ولده إلى المكتب وهو كاره.
- حكم مطالبة التلاميذ بإحضار الطعام.
- ضرورة العدل بين التلاميذ.
- حكم رشوة الصبي على التعليم.
- حكم شهادة المعلم بحضرة القاضي في أوقات العمل.
- حكم تعليم أولاد الكفار القرآن الكريم.
- حكم تعليم خط المسلمين للكفار.

---

(1) جامع جوامع الاختصار والتبيان. ص: 82 وما بعدها.

(2) المغراوي، جامع جوامع الاختصار والتبيان، ص: 94 وما بعدها.

إلى غير ذلك من القضايا القيمة التي كان يفرضها واقع المؤلف ومجتمعه في ذلك العهد.

ثم ختم المغراوي كتابه بفصل عجيب وطريف وممتع، قدم فيه ثلاث عشرة رُقْيَة يساعد بها المعلم متعلميه، وَ رُقْيَتَيْن لفائدة المعلم في خاصة نفسه، وكأنني به «يتحدث عن الصيدلة التي تشدد اليوم القوانين الحديثة على وجودها في إدارة المدرسة...»[1].

ويلاحظ هنا، أن المغراوي قد اعتمد في بعض هذه الرقى على رسالة صغيرة في الطب للشوشاوي، كما ورد ذلك في فصول كتاب «الطب النبوي » لابن القيم الجوزية[2].

ويعتبر هذا الفصل أصدق تعبير عن الواقع الاجتماعي الذي كان يعيشه صاحب الكتاب منذ خمسة قرون أو أكثر... وهو من ناحية أخرى دعوة غير مباشرة للمعلمين في عصرنا، كي يكون لديهم وعي بهذا الجانب الصحي، حتى يتمكنوا من تقديم العلاج المناسب لمتعلميهم على المستويين: المادي والروحي.

ويبقى ما أوردناه من قضايا ومسائل نبعا من فيض مما عالجه المغراوي في كتابه الذي يستحق «التتبع لاسيما وقد اعتمد على مصادر فيها ما لم ينشر بعد، واعتمد على شخصيات ما يزال بعضها مغمورا أو محل بحث. علاوة على الثروة الفقهية الجليلة التي تضمنها الكتاب، وكذلك الفائدة الأدبية التي قدمها إلينا هذا الرجل الذي كان أوثق آصرة تعبر عن وحدة بلاد المغرب وتلاحم أهلها وأبنائها عبر التاريخ وفي شتى المجالات »[3] .

---

(1) عبد الهادي التازي مقدمة تحقيق كتاب جامع جوامع الاختصار والتبيان، ص: 52.

(2) المصدر السابق، ص: 27 و 52.

(3) نفسه ص: 53.

القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم[1] لليوسي (ت1102هـ)[2]

وهو كتاب تعليمي قيم، درس فيه اليوسي عددا من القضايا التربوية التعليمية التي تعتبر في غاية الأهمية.

ويشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب رئيسية:

- عالج المؤلف في الباب الأول أحكام العلم موزعة بين خمسة عشر فصلا وخاتمة.
- وتناول في الباب الثاني أحكام العالم في ستة عشر فصلا وخاتمة.
- وجاء في الباب الثالث يدرس أحكام المتعلم في سبعة عشر فصلا وخاتمة.

وقد حاول اليوسي في فصول الباب الأول أن يشرح ماهية العلم لغة وعرفا[3] ثم تحدث عن حقيقة العقل[4]. وأثناء حديثه عن أنواع المعلومات بالغ في الرد على منكري المعلومات الحسية[5].

وبعد ذلك انتقل إلى بيان مدارك العلم، فحددها في ثلاثة: الإحساس، والخبر، والنظر[6].

---

(1) تحقيق وتقديم حميد حماني. مطبعة شالة، الرباط – ط.1. 1998.

(2) تنظر ترجمته في: «فهرسته» مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم: 2810 د، التقاط الدرر للقادري (ص:258)، نشر المثاني 3/ 25، مجلة المناهل عدد 15 يوليوز 1979.

(3) القانون لليوسي، ص: 106.

(4) المصدر السابق، ص: 109.

(5) نفسه، ص: 124.

(6) نفسه، ص: 134.

أما فيما يتعلق بتعريف العلم بحسب المعلوم[1] فقد قام اليوسي من خلاله إلى تقسيم العلوم حسب تصوره إلى علوم فلسفية، وعلوم شرعية، وعلوم لسانية.....

وبخصوص العلوم الإسلامية فقد حصرها اليوسي في أربعة عشر علما «منها ستة: علم أصول الدين، وعلم الفقه، وعلم التصوف، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم أصول الفقه، والمستعان به غير ذلك.

والمهم منه في الجملة ثمانية: علم اللغة، وعلم الإعراب، وعلم التصريف، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم الطب، وعلم الحساب، وعلم المنطق»[2].

وفي الفصول الأخيرة من هذا الباب تطرق اليوسي إلى بيان فضل العلم ومنزلته من الشرف، وتحديد النافع منه[3].

وتضمن البابان التاليان توجيهات تربوية قيمة تهم المعلمين والمتعلمين على السواء. فتناول أولا أحكام العالِم ويقصد به المعلم، فتحدث عن آدابه في نفسه[4] وأثناء التدريس[5] وفي الإفتاء[6] والتصنيف[7]. وفي هذا الصدد ينصح اليوسي

---

(1) القانون لليوسي ، ص: 145.

(2) المصدر السابق ، ص: 177- 178.

(3) نفسه، ص: 302، 305.

(4) نفسه، ص: 326.

(5) نفسه، ص: 330.

(6) نفسه، ص: 338.

(7) نفسه، ص: 341.

المدرسين بإتقان صناعة التدريس، وحسب تعبيره «رب محصل لفن لا يحسن هذه الصنعة فيقع في تخليط وتشتيت»[1].

وبعد ذلك تحدث عن آفات العلم فذكر بعضها قائلا: «فمن أعظمها أن يبقى العالم لا يؤخذ عنه حتى يموت بعلمه... ومن آفاته النسيان... ووضعه في غير محله»[2].

وفيما يخص أحكام المتعلم فقد أورد اليوسي مجموعة من الآداب تقتضي من طالب العلم أن يلتزم بها.منها آداب المتعلم مع نفسه[3] كأن يبادر شبابه قبل فوات الأوان و آدابه مع شيخه[4] وأن يصبر على جفوة شيخه وشراسته، ويلتزم الآداب معه في كل الأحوال، دخولا، أو جلوسا، أو مخاطبة، أو مناولة، أو مماشاة...

ثم يدعو اليوسي المتعلمين إلى التحلي بالأخلاق المثلى مع معلميهم في حلقات الدروس وخارجها[5].

وللاستزادة من العلم يحث اليوسي المتعلمين على شد الرحال في طلبه اقتداءً بالسلف الصالح، وقد استقصى في هذا المجال عددا من الآثار والحكم كلها تحفز المتعلمين وتقوي عزائمهم طلبا للعلم[6].

---

(1) القانون لليوسي، ص: 335.

(2) المصدر السابق، ص: 350 – 351.

(3) نفسه، ص: 374 وما بعدها.

(4) نفسه، ص: 381 وما بعدها.

(5) نفسه، ص: 392.

(6) نفسه، ص: 405.

ويرى اليوسي في هذا السياق أن الإقبال على تعلم العلم في سن مبكر يكون أجدى وأنفع لصاحبه[1]، لذا نراه لا يذخر جهدا في تذكير المتعلمين بفضل الدوام على تعاطي العلم من المهد إلى اللحد والصبر على ذلك[2].

ومن جهة أخرى يحذر اليوسي طالبي العلم من العوائق التي تصدهم عن طلب العلم: كطول الأمل، والاغترار بالزمن المستقبل... والاشتغال بالدنيا وتحصيلها... وغيرها، لأن ذلك في نظره يعتبر من آفات العلم وقواطعه. لذا فينبغي على كل متعلم ملحاح أن لا يركن إلى كل ما يشغله عن تحصيل العلم والدرس[3].

ولم يفت اليوسي وهو يتحدث عن آداب المتعلم أن يرسم له منهاجية مطالعة الدروس ومراجعتها، ويحدد له آداب إعارة الكتاب و النساخة لها، وكيفية فحصها عند اقتنائها وكيفية ترتيبها عند وضعها بالرفوف[4].

وعلى العموم فقد جاء كتاب «القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم» (أوفى من غيره من الكتب السابقة عليه وأكثر منها مادة علمية)[5].

كما يمكن اعتبار الكتاب له صلة وثيقة «بالدراسات التاريخية المغربية وخصوصا في موضوع سير التربية التعليمية بمغرب الأمس»[6].

---

(1) القانون لليوسي، ص: 409.

(2) نفسه، ص: 410.

(3) نفسه، ص: 423.

(4) نفسه، ص: 436 وما بعدها.

(5) دعوة الحق، ع.355 - 356 - ص: 75 سنة 2000.

(6) المنوني، المصادر العربية 1/ 202.

مواهب المنان[1] للسلطان سيدي محمد بن عبد الله

لم يقتصر التأليف في مجال التربية والتعليم على صنف الفقهاء والمحدثين بل ساهم في هذه العلمية الملوك والأمراء.

فالأمر لم يكن يشغل اهتمام العلماء فحسب، بل شاركهم كذلك هذا الهم التربوي ثلة من الملوك، خاصة ملوك الدولة العلوية، وأخص بالذكر في هذا المقام السلطان سيدي محمد بن عبد الله. وانعكس هذا الاهتمام بالفعل التربوي أو بالقضايا التربوية على مستوى التأليف، إدراكا منهم بخطورة التربية في المجتمع، ودورها في توطيد سياسة البلاد، وفيما تحققه من تنمية على جميع المستويات.

إن هذا النوع من الكتابة يحمل في طياته مدى حرص الملوك المغاربة على تربية النشء. ولعل هذا له أكثر من دلالة:

- اجتماعية: خلق مجتمع متماسك البنيان، متراص الصفوف، يعمل على نشر أسباب التواصل والتلاحم بين أفراد المجتمع.
- نفسية: غرس الثقة في نفوس الناس، وتحسيسهم بقدراتهم، وقدرتهم على العطاء وأنه باستطاعتهم مسايرة الركب العلمي، وتجاوز كل أسباب التخلف، والأزمات النفسية.
- فكرية: تكوين عقول مفكرة، قادرة على العطاء، والإبداع، والتجديد، وتحجيم الفكر الاتكالي الخرافي المتحجر.

---

(1) مواهب المنان فيما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان، قابله وصححه على النسخة الأصلية، الأستاذ أحمد العلوي عبد اللوي – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1417/ 1996.

- دينية: ربط المجتمع بتعاليم دينه، ومبادئه، ومحاربة البدع، والضلالة والفساد، ومحاصرة أسباب الفتنة والانقسام.

- **أخلاقية**: إعداد الفرد الصالح الغيور على دينه وبلاده.

ونتناول في هذا الموضوع كتابا تربويا يعد من أهم المؤلفات التربوية التي كتبها الملوك، وهو للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. أما عنوانه فهو «مواهب المنان فيما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان» ويشتمل الكتاب على مقدمة وستة أبواب وخاتمة.

وهو يعطي صورة واضحة عن آراء السلطان سيدي محمد بن عبد الله حول مسألة التعليم ومناهجه ومحتوياته، مضمنا إياه برنامجه لإصلاح نظام التعليم، الذي يجب على ضوئه وسننه أن يسير المدرسون بالجامعات والمدارس العتيقة والمساجد الجامعة(1).

وعندما نتصفح مقدمة الكتاب نجد المؤلف يكشف فيها عن الأسباب التي دفعته إلى وضعه حيث يقول: ((وكنت لقيت حال سفري من مكناسة إلى مراكش سنة ثلاث بعد المائتين والألف من الأساتيذ الجم الغفير، وألفيت كل من اختبرت منهم لم يتمسك من علم دينه بقطمير، وحملني ذلك لما انطوى عليه الفؤاد من حب النصح للمسلمين، أن أجمع لهم مسائل مهمات من علم أمور الدين... وسميته «مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان»(2)).

من خلال هذه المقدمة يشير المؤلف إلى أن قصده من التأليف يتحدد في توعية مدرسي الكتاتيب القرآنية عقيدة وشعيرة، والنهوض بالمؤسسات التعليمية والهيئة التدريسية التي اعتراها الضعف والفتور العلمي.

---

(1) انظر في هذا الموضوع «الدرر الفاخرة» لابن زيدان ص: 60، **«النبوغ المغربي» لعبد الله كنون 1/ 276 - 277.**

(2) سيدي محمد بن عبد الله، مواهب المنان، ص: 28.

وتدور أبواب الكتاب وفصوله حول هذا الهدف الذي حدده السلطان محمد بن عبد الله من وراء تأليفه له. وهي بالجملة تتناول ما يجب تعليمه للصبيان من أمور الدين: من حفظ للقرآن، وصلاة، وزكاة وحج.... فدور المعلمين يكمن في الإشراف الفعلي على ممارسة العمل التربوي التعليمي.

ويمكن تحديد مهمتهم تجاه الصبيان فيما يلي:

- تحفيظهم ما تيسر من كتاب الله.
- تعليمهم عقيدة الشيخ ابن أبي زيد.
- تعليمهم الطهارة و أحكامها.
- تعليمهم الصلاة و أحكامها.
- تعليمهم الصيام و أحكامه.
- تعليمهم الحج وأحكامه.

ويمكن توضيح ذلك من خلال المقدمة التي ساقها المؤلف فيما يتعين على المعلمين الأخذ به في تعليم الصبيان، وما يتأكد عليهم من ذلك وهي كالتالي: «... **أنه يجب على معلم صبيان** المسلمين بأن يعلم من أتاه منهم أولا الفاتحة وحزب سبح... **فإذا حفظ ذلك، فليعلمه عقيدة** الشيخ ابن أبي زيد حتى يحفظها و تترسخ في ذهنه... **ثم بعد ذلك يبين له أن الماء على ثلاثة أقسام**... فليبين له أحكام الطهارة... على حسب ما هو مذكور في **كتب الفقه... ثم يعلمه** أحكام الصلاة... وأن يعلمهم الآذان...وكذلك الإقامة... **ثم أن يحضهم على الاستقامة...** ويبين لهم أن الدواوين ثلاثة:

- ديوان لا يغفره الله، وهو الإشراك بالله والعياذ بالله.
- **وديوان لا يترك الله منه شيئا وهو ما بينك وبين أخيك المسلم.**

- وديوان لا يعبأ الله به، إن شاء عذب وإن شاء غفر، وهو ما بين العبد وبين ربه»[1].

وعموما فالكتاب هو خطاب ديني، تعليمي، تربوي، يختزن فوائد علمية قيمة، وتوجيهات تربوية بيداغوجية مهمة، تنير سبيل هيئة التدريس، والطلاب على السواء. وهو بذلك يعتبر ثورة في إصلاح نظام التعليم وتقويم مناهجه.

كما يعكس الكتاب من جهة أخرى مدى الاهتمام البالغ الذي كان يوليه السلطان سيدي محمد بن عبد الله لقطاع التعليم و إصلاح مناهجه وبرامجه.

سراج طلاب العلوم[2]

وهو منظومة تربوية تعليمية، من إبداع مغربي أصيل، ألفها أحد أعلام القرن الثاني عشر هو العربي بن عبد الله المساري[3] وقد كان معاصرا للطرنباطي.

وتنطوي المنظومة على فوائد جليلة، وتوجيهات منهجية وتربوية قيمة، ومفيدة للمعلمين والمتعلمين. «وهي شبه دليل للطالب. نظمها في أسلوب منطلق منمق، وضمنها كثيرا من الأمثال والحكم المقتبسة من الأحاديث النبوية»[4].

---

(1) السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي «مواهب المنان...» ص: 33- 34.

(2) مخطوط بخزانة المرحوم عبد الله كنون الخاصة رقم 10376 ضمن مجموع، وتشتمل على 199 بيتا.

(3) هو أبو حامد العربي بن عبد الله بن أبي يحيى المساري وقيل المستاري، فقيه كبير وأديب قدير، وقاض نزيه، من الآخذين عن الشيخ التاودي بن سودة وغيرهم. شهر بأرجوزته المسماة «سراج طلاب العلوم في آداب طلب العلم والتعلم والتعليم». توفي سنة 1240 هـ.

تنظر ترجمته في: «شجرة النور الزكية» ص:438، الابتهاج بنور السراج للبلغيثي ص:3، الحياة الأدبية للأخضر ص: 378.

(4) محمد الأخضر «الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية» ص: 378.

وقد قام بشرح هذه المنظومة أحمد بن المامون البلغيثي[1] في كتاب تحت عنوان «شرح الابتهاج بنور السراج» وهو يقع في جزءين من الحجم الكبير، الأول في 293 صفحة والثاني في 233 صفحة.

وقد حاولت منظومة المساري أن تعالج العملية التربوية التعليمية من «أساس المتعلمين في أخلاقهم وسلوكهم ورغباتهم، وظروف حياتهم الطلابية وكذا في تصرفاتهم واستعداداتهم، وأماكن سكناهم الدراسية، والتحسيس بواجبات طلبة العلم اتجاه أنفسهم واتجاه الآخرين. ومعرفة حقوقهم وواجباتهم، وما لهم أو ما عليهم في ذلك»[2] طبقا لتعاليم الإسلام ومبادئه الأخلاقية.

كما حاولت أن توجه طلاب العلم إلى كيفية تعلم القراءة والاستفادة من أوقات الفراغ وأيام العطل.

وتشتمل منظومة المساري على مقدمة وتسعة أبواب وخاتمة.

وقد استهل منظومته التعليمية بالحمدلة والتصلية قائلا[3]:

حمدا لمن يسر أنواع العلوم ... تفضلا منه لأرباب الفهوم

ثم صلاتنا على خير البشر ... ما شاع مدحه في الأرض وانتشر

والآل والصحب وكل تال ... ما غرد القمري في الآصال

---

(1) هو أحمد بن مامون البلغيثي، العالم المشارك، الأديب المتفنن. كانت حياته مليئة بالنشاط العلمي والأدبي. توفي سنة 1348. تنظر ترجمته في: شجرة النور الزكية ص: 437، الوافي بالأدب العربي، لابن تاويت 3/ 940 وما بعدها.

(2) مجلة دعوة الحق، عدد 362 سنة 2001.

(3) المساري، سراج طلاب العلوم، ص: 1.

ثم حدد الهدف الذي دفعه إلى نظم هذه الأرجوزة[1]:

وبعد، فالقصد بدا المنظوم ... تنبيه عين طالب العلوم

وذاك أنني رأيت القوما ... في بحرها لا يحسنون عوما

إلى أن قال[2]:

فتقت إذ ذاك لهذا النظم ... قصدي به خدمة أهل العلم

بعد ذلك عرف بأرجوزته قائلا[3]:

سميته سراج طلاب العلوم ... تجلى به عنهم حنادس الوهوم

وفي مقدمة منظومته تحدث عن الآداب التي يجب على الطالب الالتزام بها أثناء طلبه للعلم من أهمها[4]:

الصبر، والمكابدة، والرحلة في طلب العلم، والإخلاص والتواضع، والعمل بالعلم، واختيار صديق صالح يعينه على ما هو مقبل عليه.

ويأتي بعد هذه المقدمة الباب الأول: (باب ما يبتدأ به من العلوم)[5] وتضمن هذا الباب العلوم التي ينبغي لطالب العلم أن يهتم بتحصيلها. وأول هذه العلوم علم التوحيد ومعرفة فرائض الإسلام ثم مدارسة مدونة الشيخ خليل.

---

(1) سراج طلاب العلوم، ص: 1.

(2) نفسه، ص: 1.

(3) نفسه، ص: 1.

(4) نفسه، ص: 1، 2.

(5) نفسه، ص: 2.

بعدها ينتقل الطالب إلى الإقبال على إتقان علوم الآلة من نحو وبيان، فهذه العلوم يعتبرها المساري مفاتيح لفهم مقاصد الشريعة كما تفيد طالب العلم في ضبط اللسان، وتصحيح النطق والكتابة، وتخلق فيه الذوق الأدبي وتولد لديه الإحساس بالمتعة الأدبية.

ولا يفوت المساري أن يوصي طالب العلم بأن يهتم بقراءة أصول الفقه وعلم المنطق، ثم علم الحديث وعلم التفسير دون أن يغفل التصوف باعتباره الرابط الأساسي.

وبعد هذا السرد لهذه الأنواع من العلوم نرى المساري يلح على طالب العلم بأن يكون ملما بجميع هذه العلوم، وأن يحصل على أكبر قدر منها، إضافة إلى اختصاصه؛ لأن هذه العلوم في نظره بعضها مرتبط ببعض.

وكن مشاركا بكل علم   من غير ما ذكرت يا ذا الفهم[1]

وفي باب إعارة الكتب والنساخة يعقد الناظم مجموعة من الآداب تقتضي من طالب العلم أن يلتزم بها. ومن هذه الآداب: الحفاظ على الكتاب وصيانته، والحرص على نظافته، وترتيب صفحاته، وعند عملية النسخ يطالب باختيار المداد الجيد وتحسين الخط وترك الفسحة بين الأسطر وغيرها من الشروط.

وإن أعارك كتابه خليل   فصن كما يصان درهم البخيل[2]

وجود المداد إن نسختا   وحسن الحروف ما استطعتا

والسطر قوم وانظر المناسبات   فليس خط الشرح خط الأمهات

---

(1) سراج طلاب العلوم، ص: 2.

(2) المصدر السابق، ص: 3.

ولعل هذه العناية البالغة التي أولاها المساري لتجويد الخط تنطوي على مدى إدراكه للأهمية القصوى التي يحظاها الخط في الميدان التعليمي، لأنه في نظره من أهم وسائل التعبير الكتابي. وهي مرتبطة بما يسمى في التربية الحديثة بالجانب الحسي الحركي عند الطفل.

وحتى لا يحس الطلبة بالتعب والسأم خلال أيام الدراسة، أفرد المساري الباب الرابع للحديث عن برنامج يوم العطلة الأسبوعية و ما يتعلق بهذا اليوم من الآداب. و ألح في هذا الصدد على أن يستغل الطلبة هذا اليوم للترويح عن أنفسهم، وذلك بالخروج إلى الرياض النضرة، والاستمتاع بمناظرها الطبيعية، وممارسة بعض الألعاب المباحة كالكرة، و الشطرنج، وإنشاد الأشعار، وغيرها من الأشياء التي تدخل السرور في أنفسهم، وتجدد نشاطهم، وتهيئهم للتحصيل[1].

وقد كان المساري مدركا لقيمة اللعب ودوره في الحياة الدراسية والتعلمية، فهو في تصوره متنفس طبيعي ومحطة أساسية يتوقف عندها للتزود بالطاقة.

ولعل هذا المنظور يتماشى مع التربية الحديثة، التي تعتبر أن اللعب له أهمية كبيرة في حياة المتعلم بصفة خاصة، والطفل بصفة عامة؛ لأنه يساهم بشكل كبير في تنمية قدرات الطفل المعرفية، والحركية، والوجدانية.

وتناول المساري في الباب الرابع الحديث عن آداب المدارس المعدة لسكنى الطلبة، فذكر في هذا الشأن شروطا ومبادئ أخلاقية، يحث طلبة العلم الالتزام بها وعدم تجاوزها، من أهمها: اختيار المدارس القريبة وتعظيمها، واحترام جيرانها والإحسان إليهم، والاتصاف بالاستقامة والوقار، ثم تجنب الجلوس على قارعة الطريق بباب المدرسة وغيرها من الشروط[2].

---

(1) سراج طلاب العلوم، ص: 4.

(2) المصدر السابق، ص: 4.

وبعد هذا الباب ينتقل الناظم إلى معالجة مسألة أخرى تتعلق بالرتبة التي يأخذها طالب العلم، فهي في نظره تدخل ضمن دائرة الاضطرار، قد يلجأ إليها طالب العلم عند الضرورة القصوى، وقد شبهها الناظم بأكل الميتة لمن اضطر إليها.

وقد وضع المساري للرتبة آدابا وأحكاما على طالب العلم الأخذ بها والعمل بمقتضاها[1].

ولكي يكون طالب العلم ناجحا في حياته التعليمية يوصيه الناظم في باب آداب كيفية القراءة بالجد والاجتهاد والربط بين الحفظ والفهم، ومداومة النظر فيما يتلقاه من الدروس.

ثم يحثه على التحلي بالأخلاق الإسلامية في حلقة الدرس، وذلك بأن يحسن الإصغاء والتركيز ويقبل بهمة ونشاط، ولا يقاطع شيخه بالأسئلة، فإذا أشكل عليه شيء فليتلطف في طرح السؤال وليختر الوقت المناسب لذلك[2].

نصابك المقروء فانظر واجتهد	وافهم وإن تركت ذا لم تستفد
وراجع النظر فيه ثانيا	وثالثا تبلغ مكانا عاليا
حتى إذا وقت القراءة قرب	حسن وضوءك وخذ تلك الكتب
واجمع ذهنيك ودع كل كسل	وعن عويصة المسائل فسل
ولتسألنه بلطف و أدب	دون تعنت بلفظ منتخب
بعد تمام لتقرير المقال	عسى تنال منه من غير سؤال

(1) سراج طلاب العلوم، ص: 5.

(2) نفسه، ص: 5.

ولا ينسى الناظم أن ينصح طالب العلم بأن يصحب دواته وقلمه إذا أراد حضور مجلس الدرس، حتى يتسنى لـه تسجيل ما قد يـشرد عن الذهن. ثم يـحـذره من السكـوت على الجهل[1]:

واصحب دواتـك و قيـد مـا شـرد	هـذا الـذي عـن المشايـخ اطـرد
وإن سكـت لـحيـا أو كـبـر	تبـق علـى جهلـك طـول الـعمـر

وفي باب آداب كيفية الإقراء حاول الناظم أن يتوجه بالخطاب إلى الشيخ المـدرس وأن يحدثه عن طرق التدريس وعن منهج الشرح، فهو يرشده إلى آداب المدرس في تدريسه[2].

ومـن هـذه الآداب والطـرق التربويـة التـي يجـب عـلى المـدرس مراعاتها أثنـاء عمليـة التدريس[3]:

- تحضير الدرس وإعمال النظر فيه.
- الجمع بين الحفظ والفهم.
- إخلاص النية في التعليم.
- التمهيد المناسب للدرس الجديد.
- التدرج في شرح المتن.
- تجنب الإطالة المملة والتسلح بعلوم الآلة.
- مـخاطبة التلاميذ حسب عقولهم، وذلك بلغة مفهومة وأنيقة وسلسة.

(1) سراج طلاب العلوم، ص: 5.

(2) دعوة الحق، ع. 362، ص: 122 – سنة 2001.

(3) سراج طلاب العلوم، ص: 6– 7.

- مراعاة الفروق الفردية لدى المتعلمين، دون المساس بشخصية أي أحد منهم.
- الإجابة عن أسئلة المتعلمين يجب أن تكون واضحة.
- أن يلتزم قول لا أدري فيما لا يدري.
- أن يجعل المتعلمين يقبلون على الدرس والتحصيل بحيوية ونشاط وذلك بإدخال عناصر التشويق على دروسه.

ونستنتج من هذا، أن التدريس عنده بالإضافة إلى أنه علم ومعرفة، فهو كذلك فن ومهارة[1].

ويوصي الناظم في «باب آداب التلميذ مع الشيخ» طالب العلم بمجموعة من المبادئ الأخلاقية، ويحضه على الالتزام بها، والسير على هداها في حياته التعلمية. من ذلك أن يختار القراءة على شيخ يتصف بالذكاء والورع، متيقظ البصيرة، وأن يكن له كل التبجيل والاحترام، ويتفانى في خدمته، ويداوم الثناء عليه في كل المجالس حتى يحظى برضاه وبركته[2].

وفي الباب الأخير من المنظومة خصص المساري خاتمة كلامه، في آداب الشيخ مع نفسه فتحدث عما ينبغي أن يكون عليه من مثل وأخلاق وقيم عليا[3].

ومن جملة ذلك دوام مراقبة الله في السر والعلانية، والترفع بعلمه عن شهوات الدنيا، وتطهير النفس من الصفات المشينة كالكبر والنفاق والرياء،

(1) سراج طلاب العلوم، ص: 7.

(2) المصدر السابق، ص: 8.

(3) نفسه، ص: 8- 9.

والعجب، وغيرها من الأخلاق الفاسدة. والمحافظة على الفرائض والنوافل، والعمل على نشر العلم، وعدم كتمانه، والحرص على الاستزادة في العلم، والإخلاص في العمل والظهور بمظهر الشاكر الحامد لله، والعزوف بالنفس عن سفاسف الأقوال ومحقرات الأفعال.

وهكذا، نرى أن منظومة المساري «عبارة عن تشريع جامعي ومدرسي شامل، يمكن الإفادة منه في تنظيم العملية التعليمية وتوجيهها نحو الأغراض التثقيفية القائمة على القواعد الأخلاقية المنشودة»[1].

وهناك مؤلفات أخرى ذات طبيعة خاصة، فهي وإن كانت لا تعالج قضايا تربوية تعليمية على غرار المؤلفات السابقة، إلا أنها تبدو قريبة من هذا المجال في بعض جوانبها. وقد اجتهد أصحابها أن يفردوا لها أبوابا وفصولا، مفرغين فيها جهودهم قصد إيصال المعرفة لطالبي العلم، وإفادتهم بما لديهم من علم ومعرفة.

وسأكتفي في هذا المقام الحديث عن نموذجين من هذه المؤلفات:

الأول:

الاقنوم في مبادئ العلوم[2]: للشيخ أبي زيد عبد الرحمن الفاسي (ت1096هـ).

---

(1) مجلة دعوة الحق، عدد 262، سنة 2001، ص: 127.

(2) لايزال الكتاب مخطوطا في عدة نسخ يتخلل بعضها بياض.

خمسة منها توجد بالخزانة الحسنية، تحمل الأرقام التالية: 485 – 1095 – 1802 – 2323 – 6585.

ونسختان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 15 ك – 21 ك.

ويضاف لهذه النسخ واحدة توجد بالخزانة العامة بتطوان رقم: 79.

وقد حلل الشيخ محمد عبد الحي الكتاني هذه الأرجوزة في كتابه المسمى «التراتيب الإدارية» فحدد ما به من الأبيات، وأحصى ما تشتمل عليه من العلوم.

ينظر: التراتيب الإدارية 2/ 195، المصادر العربية لتاريخ المغرب للمنوني 1/ 202، الحياة الأدبية في المغرب للدكتور محمد الأخضر ص: 119 – 121، مجلة دعوة الحق عدد 368، يوليوز2002–ص:83، مقالة بعنوان: ازدهار حركة التأليف في فجر الدولة العلوية: عبد الرحمن الفاسي نموذجا.

وهو يتناول مبادئ العلوم في نظم رجزي مطول، يشتمل على أكثر من مائتين وخمسين علما، دون أن يتم نظمه، فيتخلل تحليل عدد من العلوم إشارات مهمة تفيد الباحثين مثل واقع المواد التالية:

علم العقائد ـ علم الخط ـ علم آداب القراءة ـ علم التاريخ ـ علم فرض النفقات ـ علم الحسبة ـ علم النظارة ـ علم نظم المواريث ـ علم الأنساب ـ علم أنساب الشرفاء ـ علم عروض المولدين ـ علم المعاملات ـ علم التأليف، إلى غير ذلك من العلوم.

وقد اقتفى فيه المؤلف أثر السيوطي في رسالته المسماة بـ «النقابة» إلا أنه توسع أكثر من سابقه.

وقد افتتح المؤلف أرجوزته على عادة العلماء والفقهاء قائلا[1]:

الحمد لله مدر لسحب ... الخير وبحر العطاء الرحب

ومنهل الشرائع السلساله ... لطالب العلم لكي يناله

وبعد هذا الاستهلال راح المؤلف يذكر الأسباب التي دفعته إلى نظمها مبرزا الاسم الذي اختاره لها[2]:

وطالما أبدعت في المنظوم ... والنثر أنواعا من العلوم

منها المجيد الفائق اشتمالا ... والموجز المسهل احتمالا

فقرّ لي جمع الذي تشتمل ... عليه ها هنا إذا ما سهل

جمعت منها الموجز القريبا ... لكي يرى في جمعه عجيبا

من كل مدخل إلى علوم ... ونظمه أسميه بالأقنوم

---

(1) الأقنوم في مبادئ العلوم. ص: 24.

(2) المصدر السابق، ص: 25.

جئـت بـه في قـصدهـا تتميمـا ... كـي مـا يكـون جامعـا عظيمـا
وذاك لمـا أن رأيـت الاعتنـا ... منهـا علـى مـا قـل منهـا ودنـا
وددت لـو لم تخـل مـن فنـون ... تزيـد والحديـث ذو شجـون
فرقّـت نفـسي في المنـى لـو يتحـد ... ولـن تجـد نفـس بغيـر مـا تجـد

يختتم المؤلف هذا المطلع بقوله(1):

فـالله يقـضي بـصلاح الحـال ... في العقـل والمقـال والمـآل
وهـا أنـا فيمـا أروم أسـرع ... ترتيبـه كيـف يـسوغ يـودع
وأسـتمد الله أن يهـديني ... فيمـا أرومـه لأهـدى سـنن

وبعد ذلك شرع الناظم في تفصيل الكلام حول كل علم على حدة من أنواع العلوم التي اشتملت عليها الأرجوزة، مخصصا لها أبوابا تندرج تحتها، وهي في مجموعها - الأبواب والفصول - كثيرة، إذ لا يمكننا الحديث عنها جميعا في هذا المقام، لأن ذلك يخرجنا عن الهدف الذي نصبو إليه من خلال هذا المدخل؛ لذا أكتفي بنماذج قليلة منها لها صلة بالسياق العام الذي ورد فيه الكتاب.

ومن المسائل التي تضمنتها أبواب الأرجوزة - وأرى في تقديري تفيد طالب العلم - مسألة العلم، حيث نجد المؤلف يعطي أهمية قصوى للعلم، إذ يجعله رأس كل شيء، وهو في نظره الغنى والقوة، وملاك الأمر، وحصن للنفوس، وغذاء للعقول(2):

والعلـم رأس كـل خيـر ومـواد ... والفـرق بـين الحيـوان والجمـاد

---

(1) الأقنوم، ص: 26.

(2) نفسه، ص: 328.

فائــــدة الحيـــاة علـــى العبـــد	إلـــى المنافـــع أخـــاه يهـــدي
ويمسك النفـــوس عـــن أهـــواء	والجـسم يقتـات كمـا الغـــذاء
مـن لا لـــه علـم ضـعيف وفقيـر	لـــو ملـك التأييـد و المـال كثيـر
ومبلـــغ القـــوة بالمـــشقه	ينـــال بالراحـــة منـــه حقـــه

وفي موضع آخر من الأرجوزة ينصح المؤلف طالب العلم بأن يحفظ لسانه من الزلل، ويلزم حسن الاستماع قائلا[1]:

القلـــب للـــسان هـــو الإمـــام	إن زاد عقـــل نقـــص الكـــلام
فقلـــل الكـــلام للأفـــضال	ولتبـــسط الكـــلام للجهـــال
واســتعملن حـــسن الاستمـــاع	كحـــسن تحـــديثك في اجتمـــاع

ثم يحذره من أن يغتر بحطام الدنيا الزائل، ويرتمي في أحضانها المنفوشة، ويوصيه بالتسلح بالعلم، فهو الدواء الناجع في دنياه، ومفتاح النجاة في أخراه، كما يحثه على تحري الصواب، واتباعه حيث ما كان، إذ هو السبيل إلى قهر أهواء النفوس وشهواتها[2]:

لا تفرحـــن بالمـــال والـــسلطان	إنهمـــا ظـــلان زائـــلان
لكـــن بالعلـــم وبالدرايـــة	فـــافرح ففـــي الـــدارين ذو عنايـــة
وحيثمـــا الـــصواب قـــد أخفـــاكا	فاقـصد إلى البعيـد عـن هـــواكا
فقلمـــا يكـــون نفـــع فـــي الهـــوى	وقلمـــا يكـــون الحلـــو فـــي الـــدوا

(1) الأقنوم، ص: 331.

(2) نفسه، ص: 330.

وفي إطار تنظيم العلاقات الاجتماعية يرسم المؤلف لطالب العلم المنهج الذي على ضوئه يتعامل مع الأصحاب والخلطاء، فنراه يقول[1]:

وصحبة الكريم في الهوان أفضل من سواه في إحسان

واغفل عن الهفوة والمعاتبة فربما استملت المصاحبة

لا تلتمس غلبة إن كل ما أو حجة تفسد ما قد علما

وخالط الناس على مقدار عقولهم واجنح إلى افتقار

واجزع على مصائب الإخوان واصبر لنفسك على الامتحان

وفي باب تخير المعيشة، يدعو المؤلف طالب العلم أن يتحرى الوسطية والاعتدال في مطعمه، ومشربه، وملبسه، ومنكحه، ونومه. ومن جانب آخر يحثه على اختيار ما لذ من الطعام وكثر نفعه، ولعل هذا في نظر المؤلف لا يتحقق إلا بالعلم، إذ به تعرف قيمة كل شيء[2]:

ثم اعتدال مطعم ومشرب وملبس ومنكح وتعب

وراحة ويقظة ونوم أصل وعزة بهذا العلم

فضل الطعام من تمام نفعه وقلة الضرر وحسن صنعه

ولذة الطعام ذكاه الرائحة قرب وجوده انتخب مصالحه

وخذ من النوم قليلا وسطا واستعمل الصمت كثيرا مفرطا

---

(1) الأقنوم، ص: 328.

(2) المصدر السابق ص: 328.

الثاني:

مختصر الأفاريد[1]: لمؤلف مجهول الاسم من تازة، كان حيا عام 1070هـ.

وهو كتيب وجيز، وغريب في اختياره، فهو يتناول حياة جماعة من الطلاب المجاورين بالمدارس السكنية القديمة، وهم الذين يسميهم بالأفاريد.

فيتحدث عن آداب سلوكهم العامة، سواء في حياتهم اليومية، أو مع الرفقاء، أو مع المدرسين، أو مع عامة الناس.

ويستهل المؤلف كتيبه بما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله.

أما بعد:

فإني قد سئلت مختصرا في أحوال الأفاريد، فأجبت إلى ما طلبت به بعدما... استخرت قاصدا كيفية التعبير، وصناعة الاختصار، وسلوان خاطر الطلبة الأخيار، ليكون به من حظ الأدب، فيستثقله الغبي، ويستحسنه اللبيب...

وهو الله أسأل الغفران لما قلته واستنبطته، وأن يضاعف لمن دعا لنا أو علينا أضعاف فائدة... ويكفينا شر من إلينا سعى»[2].

وبعد ذلك ينتقل المؤلف إلى الحديث عن الحياة المرحة للطالب، مخصصا لذلك بعض الأبواب والفصول تبعا للموضوعات الآتية:

---

(1) الكتاب تكرر نشره بالمطبعة الحجرية الفاسية، وتحمل الطبعة الأولى تاريخ 1300هـ ويقع في 12 صفحة من الحجم المتوسط. ينظر المصادر العربية لتاريخ المغرب 1/ 201.

وقد اعتمدت في هذا الموضوع على نسخة مصورة من هذا الكتاب في ملك الدكتور عبد السلام شقور.

(2) مختصر الأفاريد، ص: 1.

- ألعاب طلابية[1].
- أنظمة لعب الكرة[2].
- نزهة شعبانة[3].
- طريقة اللعب بالشطرنج[4].
- التعريف بأصول الطبوع للموسيقى الأندلسية[5].

وقد احتذى المؤلف في عمله هذا «المختصر الخليلي في تعبيره وإيجازه، وتلميحاته، وبهذا جاء ضعيف الديباجة غير أنه ـ في مضمونه ـ يفيض فكاهة ونكتة ومرحا»[6].

بعد هذا الجرد المتواضع لبعض إسهامات الأعلام المغاربة في التأليف التربوي، نخلص إلى مجموعة من الأهداف التي تشترك فيها جميع هذه الأعمال، ويمكن إجمالها في الآتي:

- التركيز على التنشئة الدينية، وحفظ أخلاق المتعلم.
- بناء الفرد المسلم.
- تعليم الأولاد من المواد ما يخدم هذا الغرض.
- اعتبار العلم فريضة على كل مسلم.
- تحسيس الأولاد بأهمية العلم، وقيمة التعلم، وفضل العلماء.

---

(1) مختصر الأفاريد، ص: 7.
(2) المصدر السابق ، ص: 8.
(3) نفسه، ص: 9.
(4) نفسه، ص: 10.
(5) نفسه، ص: 11.
(6) المصادر العربية لتاريخ المغرب للمنوني 1/ 201.

- التأكيد على ضرورة ربط العلم بالعمل.
- مراعاة الشرع والدين في العلاقة بين المعلم والمتعلم.
- توظيف الطرائق التربوية الهادفة والبناءة في العملية التربوية/ التعليمية.
- ضرورة مراعاة الظروف العامة للمتعلمين في مباشرة العملية التربوية/ التعليمية.
- إخلاص النية في نشر العلم وبثه للمتعلمين.

إن هذه الأهداف المشتركة بين هذه الجهود التربوية، انبثقت من فلسفة إسلامية متشبعة بالروح الدينية الخالصة، والقيم الأخلاقية العليا.

وتعد هذه الأعمال ذخيرة من ذخائر الفكر التربوي عند المغاربة والعرب سواء، ويحق لنا أن نفخر بها، فهي تؤكد الجذور العربية لمعظم ما ندين به اليوم من قيم تربوية.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

الفصل الثاني

عصر المؤلف وحياته

المبحث الأول: عصر المؤلف

عاصر الطرنباطي أوضاع المغرب في أطوارها مدا وجزرا، من خلال تعاقب ثلاث ملوك من الدولة العلوية على الحكم، هم: السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757/ 1790) والسلطان المولى يزيد (1790/ 1792) والسلطان المولى سليمان(1792/ 1822).

وقد تميزت أوضاع البلاد طيلة المرحلة التي عايشها الطرنباطي بالتقلب والاضطراب وعدم الاستقرار.

وسوف أقتصر هنا، على ما يتصل بالإصلاحات التي عاصرها المؤلف خاصة في عهدي السلطانين: سيدي محمد بن عبد الله، ومولاي سليمان، تحقيقا للغرض المنشود، وتجنبا للإطناب في التأريخ الذي له مقام آخر غير مقامنا هذا.

عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 / 1790):

تولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله حكم البلاد في ظروف عصيبة مر بها المغرب بأزمة كبيرة قبل توليه الملك.

وقد استغرقت هذه الأزمة ثلاثين سنة (1139/ 1169 – 1727/ 1757) حيث تعاقب خلالها على حكم المغرب سبعة ملوك، بل إن أباه عبد الله بن إسماعيل خلع عن العرش أربع مرات من قبل فرقتي البخاري و الودايا. ولعل هذا يكفينا دليلا على شدة هذه الفترة.

وبعد وفاة أبيه تقلد زمام الأمور، وتمكن من تجاوز حال الفتنة التي تسبب فيها عبيد البخاري والودايا، واستطاع أن يعيد إلى المغرب بشكل من الأشكال استقراره ووحدته وهيبته، بل إنه أحدث تغيرا في المجال الاقتصادي، كما أنه اهتم بربط علاقات خارجية بالدول الأوروبية مع المغرب، بالإضافة إلى ذلك، قام بإصلاحات ملموسة في قطاع التعليم وجهاز القضاء.

ولمزيد من التوضيح، سيتم تركيز حديثنا عن هذه التجربة الإصلاحية التحديثية على المحاور التالية:

- أولا: إعادة بناء سلطة الدولة.
- ثانيا: الإصلاح الاقتصادي.
- ثالثا: العلاقات الخارجية.
- رابعا: مبادرات إصلاحية في قطاع التعليم والقضاء.

لنبدأ بالمحور الأول: إعادة بناء سلطة الدولة

كانت الفترة الفاصلة بين موت السلطان المولى إسماعيل وبيعة حفيده السلطان محمد ابن عبد الله (1727/ 1757م) صورة صادقة للحالة المأساوية التي مر بها المغرب، وقد كان لعبيد البخاري اليد الطولى في هذه الأزمة فهم الذين قاموا بإذكاء نار الفتنة في البلاد، وذلك بتقويض سلطة الدولة / المخزن وتفكيكها.

لذا، سنرى السلطان سيدي محمد بن عبد الله يسارع إلى توطيد حكمه وشرعيته استنادا إلى مبدأين متينين:

- مبدأ فرض الهيمنة والقوة وذلك بمحاصرة كل أسباب الفساد والفتنة، وملاحقة كل المتآمرين والتنكيل بهم، ويأتي عبيد البخاري في طليعة من حاصرهم، وقوض قوتهم، ونكل بهم بعد أن استدرجهم وأوقعهم في حبال شباكه، ويروي لنا الناصري هذه الواقعة كما يلي:

«... ثم تقدم إلى قبائل الغرب، وبني حسان وأمرهم أن يسيروا إلى العبيد، ويعسكروا عليهم، وأحاطوا بهم إحاطة بياض العين بسوادها. قدم السلطان ودعا رؤساء القبائل فحضروا عنده، فقال لهم: إني أعطيكم هؤلاء العبيد بأولادهم وخيلهم وسلاحهم وكل

مالهم، فاقتسموا الآن، وكل واحد منكم يأخذ عبدا وأمة و أولادهما؛ فالعبد يحرث والأمة تطحن، والولد يرعى الماشية، فخذوهم وتقلدوا سلاحهم، واركبوا خيولهم، والبسوا كساهم، بارك الله لكم فيهن، فأنتم عسكري وجندي دونهم. فلما سمعت قبائل الغرب وبني حسان هذا الكلام من السلطان، وثبوا على العبيد من غير أن تكون لهم وقفة، واقتسموهم بأسرع من لحس الكلب أنفه، وتوزعوهم شذر مذر، وصيروهم عبرة لمن اعتبر»[1].

أما بالنسبة لجيش الودايا فقد عمل السلطان على تكسير شوكتهم، وإضعاف نفوذهم، ومصادرة أموالهم، وإلقاء القبض على رموز الفتنة[2].

* وفي المبدأ الثاني انصبت جهود السلطان في إنشاء جيش نظامي محترف مكون من قبائل الحوز و عبدة و الرحمانة[3].

ونهج سياسة مغايرة لسياسة جده المولى إسماعيل تجاه القبائل التي تشكل تهديدا لحكمه، وتميز هذا التعامل باستعمال أسلوب اللين والمهادنة و «مراعاة الواقع وأخذ قواه الجاذبة والنابذة بعين الاعتبار»[4].

ومن جهة أخرى اهتم السلطان ببناء قوة بحرية متمثلة في امتلاك أسطول بحري تعينه على تحرير الموانئ المغربية المحتلة.

---

(1) الناصري، الاستقصا 7 / 48.

(2) إبراهيم بوطالب، سيدي محمد بن عبد الله 1757/1790، استحالة النهوض بالملاحة، مذكرات من التراث المغربي 4/ 115.

(3) الزياني، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، مخطوط.خ.ع. رقم 1577 د. ص:82-102.

(4) المناهل، عدد 69 / 70 - يناير 2004، ص: 197 .

وفي هذا الصدد يذكر لنا الناصري أن السفن المغربية في هذا العهد بلغت خمسين، منها عشرون باخرة كبيرة، كما بلغ عدد ربابنة السفن 60، وجيش البحرية ألف من المشارقة، وثلاثة آلاف مغربي، بالإضافة إلى رماة المدفعية[1].

وقد كانت تركيا والسويد وانكلترا مزودين رئيسيين للمغرب بالتجهيزات التقنية لهذا الأسطول، وكان يتم ذلك عن طريق التجار الأروبيين[2].

إن عناية السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتطوير الأسطول البحري لها عدة دلالات، فعلى مستوى التنظيم العسكري، حاول أن ينشط الواجهة البحرية ويوسع دائرة مهمة القوة العسكرية، فلا تكتفي بالتحكم في الوضع الداخلي، بل باستطاعتها القيام بتنفيذ المخططات السياسية والاقتصادية المرتبطة بالعالم الخارجي.

المحور الثاني: الإصلاحات الاقتصادية

في ظل الظروف الصعبة التي تولى فيها السلطان سيدي محمد بن عبد الله الحكم، كانت خزينة الدولة آنذاك تمر بأزمة خانقة، بسبب الخراب الذي لحقها، فكان من الضروري أن يستأثر هذا المجال باهتمام بالغ من لدن السلطان، باعتباره قطاعا حيويا في البلاد، ودعامة أساسية في توطيد حكمه وسياسته من جهة أخرى.

من هنا برزت حاجة السلطان الملحة إلى بناء ركيزة مالية صلبة تعتمد عليها هذه الدولة الحديثة، وتستجيب لحاجيات المخزن من جراء احتدام الصراع مع أروبا الذي كلف مصاريف مرتفعة من أجل التزود من بعض بلدانها من الأسلحة النارية[3].

---

(1) الاستقصا 8/ 70.

(2) إبراهيم بوطالب، سيدي محمد بن عبد الله، مذكرات من التراث المغربي 4 / 118.

(3) الناصري، الاستقصا 8/ 7.

فلم يجد السلطان بدا إلا أن يعمل على توظيف المكوس على الأبواب، والأسواق، والسلع، والمنتجات الفلاحية، واستصدر لذلك فتوى من فقهاء فاس وغيرهم[1].

ويوضح المنوني هذا الوضع الضريبي فيما يلي:

«وفي هذه السنة ترتب على فاس من الأمكاس نحو ألف مثقال عن كل شهر، ووظف ذلك على الموازين، والأسواق، وأبواب المدينة، وكان قبل ذلك على القشينة، والجلد، والكبريت، ثم صار عاما على كل شيء، حتى أن أهل الوزيعة بسوق الخميس جعل عليهم المكس»[2].

وقد لقي هذا الإجراء ردود فعل من قبل التجار والحرفيين في الحواضر الذين عارضوا هذه الضريبة المستحدثة، كما ظلت هذه المكوس تشكل مثار الجدل الحاد بين الفقهاء والمخزن، لأن شرعيتها لا تستند على مرجعية دينية قطعية[3].

ولتخفيف حدة هذا النظام الجبائي على السكان، أقدم السلطان على خطوة غير متسبوقة تتمثل في «توجيه مداخيل الدولة / المخزن للاعتماد أساسا على عائدات التجارة الخارجية بدل الضرائب التقليدية أو المستحدثة»[4].

ولتحقيق ذلك اختط السلطان مدنا تجارية ساحلية لاستقرار التجار والقناصل المسيحيين من أجل تنشيط التبادل التجاري.

ومن أهم هذه المدن على وجه الخصوص مدينة الصويرة التي سعى السلطان سيدي محمد ابن عبد الله من وراء بنائها إلى جعلها مرفأ دوليا.

---

(1) إبراهيم بو طالب، سيدي محمد بن عبد الله، مذكرات من التراث المغربي 4/ 118.

(2) محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث 1/ 297.

(3) إبراهيم بو طالب، سيدي محمد بن عبد الله، مذكرات من التراث المغربي 4/ 117.

(4) المناهل، العدد السابق ص: 198.

وفي هذا السياق سجل الضعيف ما يلي:

«وفي سنة ثمان وسبعين و مائة وألف، أمر السلطان ببناء الصويرة. ولما أكملها، أمر أهل فاس أن يعمروها بالإدالة من عام إلى عام: ثلاثمائة رجل من أهل الصنائع على الأصناف حتى أضرت بهم الغاية»[1].

وأما صاحب الاستقصا فيأتي بشهادتين في هذا المعنى حيث يقول:

«وما ذكره غير الغزال أن الباعث للسلطان المذكور على بناء الصويرة هو أن حصن أكادير كانت تتداوله الثوار من أهل السوس مثل الطالب صالح وغيره، ويسرحون وسق السلع منه افتياتا، ويستبدون بأرباحها، فرأى أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر أقرب إلى تلك الناحية، وأدخل في وسط المملكة من أكادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته فلا يتشوف أحد إليه، فاختط مدينة الصويرة، وأتقن وضعها، وتأنق في بنائها، وشحن الجزيرتين الدائرتين بمرساها كبرى وصغرى بالمدافع، وشيد برجا على صخرة داخل البحر، وشحنه كذلك. فصار القاصد للمرسى لا يدخلها إلا تحت مرمى المدفع من البرج والجزيرة معا. ولما تم أمرها، جلب إليها تجار النصارى بقصد التجارة، وأسقط عنهم وظيفة الأعشار ترغيبا لهم فيها، فأهرع إليها من كل أوب، وانحدروا إلى مرساها من كل صوب، فعمرت في الحين، واستمر الترخيص لهم فيها مدة من السنين»[2].

ويستفاد من هذا أن إرادة السلطان من بناء مدينة الصويرة كانت تسعى إلى فتح المغرب على التجارة الخارجية وربط مداخيل الدولة بفائدتها و «التقليص من الاستقلالية التي

---

(1) الضعيف «تاريخ الدولة السعيدة» ص: 172.

(2) الناصري، الاستقصا 8/ 20 – 21.

كانت المؤسسات التجارية الأجنبية تتمتع بها»[1] بالإضافة إلى «تدعيم سلطة المخزن المركزي وتقوية نفوذه في جنوب البلاد »[2].

فلقد مارس السلطان سيدي محمد بن عبد الله من أجل إعمار مدينة الصويرة سياسة ذات اتجاهين: «فمن جهة، إرغام طوائف سكانية بأكملها على الانتقال للعيش في المدينة الجديدة، إما بصفة دائمة - أهل أكادير - أو بصفة مؤقتة ومتداولة - أهل فاس - ومن جهة أخرى، فتح أبواب الترغيب والإغراء لمن يريدون - أو يحلمون - بالثراء، وهؤلاء الأخيرون نوعان:

تجار النصارى الذين أسقطت عنهم الأعشار، والتجار المخزنيون، وهم طائفة من المسلمين والإسرائليين »[3] الذين أصدر السلطان في شأنهم «أمره بمعاملتهم بالأموال المخزنية بضئيل من الربح وكانوا يعينون بظهائر مولوية»[4].

إن هذا التصور التحديثي الذي كان يحمله السلطان محمد بن عبد الله جعله يقبل بضرورة مهادنة العدو المسيحي، حيث أبرم عدة معاهدات مع الدول الأوروبية في المجال التجاري والاقتصادي، بإنشاء شركات تجارية في المغرب، وتحقيق مصالحها بالبلاد وكان المستفيد الأول في هذه العملية الاقتصادية هم الأوروبيون لأنهم كانوا يعيشون في فترة ازدهار الرأسمالية التجارية.

إن سياسة الانفتاح التي أقدم عليها السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت لا تلقى قَبولا وترحيبا لدى القوى الاجتماعية بالبلاد، لأن ذلك كان يمس بمصالحها بشكل مباشر،

---

(1) المناهل ، العدد السابق ص: 200.

(2) نفسه ، ص: 200.

(3) مجلة المناهل، العدد السابق ص: 201.

(4) محمد بن سعيد الصديقي، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة 1/ 26.

ولأن ضغط الطلب كان يولد ارتفاعا مستمرا في الأسعار. بالإضافة إلى ذلك كان أهل البلاد يعتبرون التعامل مع الأروبيين خطرا يهدد الدين وقيم المجتمع.

وفي هذا الصدد يقول صاحب نشر المثاني:

«وفي هذه الهدنة ـ أي الهدنة مع الفرنسيين سنة 1776 ـ التي وقعت مع النصارى دمرهم الله وخذلهم، وفلل أمرهم، وأفسد أحوالهم ورأيهم، قدموا إلى مدن المغرب من تطوان والعرائش وسلا، ويسلكون فجاجها، ويشترون ما يحتاجون إليه من الطعام وغيره، من غير أن يعارضهم أحد، بل ربما كانت كلمتهم أعلى من كلمة المسلمين، وحصل للناس من هذا الأمر غم عظيم، وكرب جسيم، من أجل تطلعهم على عورات المسلمين بمخالطتهم في بيعهم، وشرائهم، ومعرفة أحوالهم ومسالك أراضيهم وبلدانهم من جميع نواحي المغرب، والحول والقوة بيد الله»[1].

وقد كان للفقيه العلامة أحمد الورزازي (ت 1179/ 1756) موقف صريح من هذه السياسة حيث وجه للسلطان سيدي محمد بن عبد الله وهو بمراكش خطابا شديد اللهجة قائلا: «لا يحل لك من الله أن تسكن النصارى في مدائن المسلمين، يرفعون فوق ديارهم العلامات وفيهن التصاوير»[2].

المحور الثالث: العلاقات الخارجية

تميزت سياسة المغرب الخارجية في هذه المرحلة بالانفتاح والمرونة، وكان في هذه العملية أكثر مبادرة وأوسع آفاقا، بحيث نراه «يفتح ترابه للسفارات والقنصليات والبعثات الأجنبية، والشركات الأروبية، ويكثر من البعثات الدبلوماسية، ويتعامل بلباقة، ويحرص على صداقة د

---

(1) القادري، نشر المثاني 4 / 172.

(2) الضعيف، «تاريخ الدولة السعيدة» ص: 172.

الآخرين. ولكنه في كل الظروف يضع قضية الإسلام فوق كل اعتبار سواء بالنسبة للوطن أو للخارج »[1].

وبوجه عام فإن السياسة الخارجية المغربية في عهد سيدي محمد بن عبد الله، كانت تتجه في محورين اثنين، وهو دائما كان «يرغب في الحفاظ على حسن المودة مع جيرانه وسائر الدول التي تتبادله نفس الروح الودية... حتى لقد استغلت بعضها هذه الواقعية بخبث بعد هذه المرحلة، فتطاولت على سيادة البلاد التي أضعفتها تدريجيا حتى النهاية »[2] إلا أن هذه السياسة الانفتاحية كما رأينا سالفا لم تكن تحظى بالرضى والقبول لدى الأوساط الاجتماعية لأسباب يفرضها الدين، وأخرى تمليها عادات وتقاليد المجتمع المغربي وقد تجسد ذلك واضحا في مواقف بعض العلماء والفقهاء[3].

المحور الرابع: مبادرات إصلاحية في قطاع التعليم والقضاء

إن الحديث عن هذه المبادرات الإصلاحية يقتضي - في تصوري - التطرق ولو في عجالة إلى الفلسفة أو التصور العام الذي شكل الفكر الإصلاحي لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله في هذا المجال.

قبل الخوض في ذلك، يجب أن نشير هنا إلى أنه لا يمكن الفصل بين النشاط الإصلاحي وطبيعة السياسة التي نهجها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، أي أن عملية الإصلاح كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بشكل السياسة التي أرسى بها السلطان حكم البلاد.

فإذا كان همّ السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالدرجة الأولى هو توحيد البلاد، وجمع شمله، وتمتين كيانه، ومحاربة كل القوى التي تريد تجزيئه وتشتيته، وزرع بذور الفتنة في

---

(1) إبراهيم حركات، «المغرب عبر التاريخ» ص: 3 / 107.

(2) نفسه، ص: 3/ 107.

(3) «تاريخ الدولة السعيدة» للضعيف، ص: 172.

أوساطه، فإنه بديهيا سيلجأ إلى البحث عن مذهب مناسب قلبا وقالبا، يخدم مسيرته الإصلاحية من جهة، ويعمل على توحيد صفوف المغاربة من جهة أخرى.

إذن، إن فلسفة الإصلاح ستنطلق من اختيار المذهب الذي يضمن تمثيل هذه الجهود الإصلاحية على أرضية الواقع.

من هنا، نرى السلطان سيدي محمد بن عبد الله يصرح في كتابه «الفتوحات الإلهية الكبرى» أنه مالكي مذهبا وحنبلي اعتقادا[1] ويبرر هذا الاختيار بقوله: «وذلك أن الإمام أحمد ثبت الله بثبوته سد طريق الخوض في علم الكلام»[2] ويضيف قائلا:

«فطريق الحنابلة في الاعتقاد سهلة المرام، منزهة عن التخيلات والأوهام»[3].

وعلى ضوء هذا التصور المذهبي سار يحض الناس على الاعتصام بمذهب السلف الصالح المتمثل في المذهب المالكي، والاقتصار على العقيدة المأخوذة من الكتاب والسنة دون تأويل، وذلك على طريقة الإمام أحمد بن حنبل التي ترفض الخوض في علم الكلام باعتباره من البدع المحدثة في الدين.

وفي هذا السياق يقول الأستاذ المرحوم عبد الله كنون:

«فأراد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يمثل دور يعقوب المنصور الموحدي في القضاء على علم الفروع، وعلم الكلام معا، والعناية بنشر كتب السنة وتعويضها من كتب الفقه.... إلا أنه لم يشتط في ذلك اشتطاط يعقوب المنصور الموحدي، فلم يحرق الكتب التي أمر بنبذها، ولم يحرم النظر في كتب الخلاف عموما، وإنما أمر بالرجوع إلى الأمهات التي منها

(1) سيدي محمد بن عبد الله، الفتوحات الإلهية، ص: 457.

(2) المصدر السابق، ص: 457.

(3) نفسه، ص: 458.

الاستمداد، وعليها الاعتماد مع عدم الاقتصار عليها و الإعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله اللذين هما المرجع الأول والأخير لأحكام الشريعة»[1].

وقد أسهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله بنفسه في عملية الإصلاح حيث «اهتم فيها بتأليف وترتيب الأحاديث النبوية الشريفة حسب فهم خاص به يواكب مخططاته وبرامجه ومشاريعه التي كان لها تأثير كبير»[2].

ويؤكد هذا المعنى قوله في خاتمة كتابه «الجامع الصحيح الأسانيد المستخرجة من ستة مسانيد»: «اشتغلت بعلم الحديث، فاعتكفت على قراءة صحيح الإمام مسلم... ومراجعة صحيح البخاري... فقرأته حتى ختمته والحمد لله، ثم بعثني الحديث الوارد عن الرسول ﷺ فيمن حفظ على أمته أربعين حديثا من أمر دينها على تأليف جملة من الأخبار»[3].

وقد تميزت تآليفه الحديثية هذه بالجدة والابتكار و اتباع نهج جديد لم يسبق إليه، ومن أمثلة ذلك كتابه «الفتوحات الإلهية الكبرى» الذي يقول عنه في آخر كتابه «الجامع الصحيح الأسانيد المستخرجة من ستة مسانيد»: «وسلكت فيه مسلكا لم أسبق إليه، ونسجتها على منوال لم أر من نسج عليه وسميته **«الفتوحات الإلهية» فجاء بحمد الله كتابا بديع التصنيف»**[4].

ويبين ذلك في مقدمة «الفتوحات الإلهية الكبرى» قائلا:

---

(1) عبد الله كنون، النبوغ المغربي 1 / 275.

(2) آسية الهاشمي البلغيتي «المجالس السلطانية» 1 / 312.

(3) الروضة المقصودة 1/ 84. وكذا ينظر في الموضوع: النهضة الحديثية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ـ مقالة لأحمد العمراني ـ دعوة الحق عدد 347 - 1999ص: 130.

(4) مجلة دعوة الحق، ع.347 ص: 137 ، سنة 1999.

«ثم سقناه المساق الأبدع، ونظمنا جواهرها على نسق أرفع، فذكرت ما اتفق عليه الأئمة الستة، ثم ما اتفق عليه خمسة، ثم ما اتفق عليه أربعة، ثم ما اتفق عليه ثلاثة، ثم ما اتفق عليه اثنان»[1].

وغيرها من المؤلفات، وكلها تتميز بالجدة والابتكار والتجديد. ولم تقتصر همة سيدي محمد بن عبد الله بما هو سائد من كتب الحديث ببلاده، بل تاقت نفسه وتطلعت إلى ما هو موجود خارج مملكته، فاختار لهذه المهمة كاتبه أبا القاسم الزياني، حيث كلفه باقتناء عدد من الكتب أثناء رحلته الثانية إلى اسطنبول سنة 1200هـ/ 1735، يقول الزياني في هذا الشأن: «ولما قضيت الغرض واشتريت الكتب التي أوصاني بشرائها أمير المؤمنين، وهي مسند أبي حنيفة النعمان ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، والطريقة المحمدية المختصرة من «الإحياء» اقتصر فيها على ما هو مشهور، وتأليف «الدرر» المتداول عندهم في الفقه الحنفي كخليل عند المالكية، وشرحه المسمى «بالغرر على الدرر» في سفرين كالزرقاني»[2].

وكانت مجالسه الحديثية تضم كبار العلماء والفقهاء من جميع أنحاء البلاد فمنهم الملازمون له بصفة رسمية كمحمد بن عبد الصادق الدكالي (ت1175 هـ/ 1761م)[3] وعبد الرحمن المنجرة (ت 1179هـ/ 1766م) ومحمد بن المير السلاوي (ت1220هـ/ 1806م)[4] وغيرهم.

ومنهم من كان يحضر مجالسه بشكل دوري أمثال، التاودي بن سودة (ت1209هـ/ 1795م)[5]، ومحمد بن قاسم جسوس وعمر الفاسي[6] وغيرهم[7].

---

(1) مجلة دعوة الحق، ع.347 ص: 137، سنة 1999.

(2) الزياني، الترجمانة ص: 126 - 127.

(3) تنظر ترجمته في: سلوة الأنفاس 1/ 273، إتحاف المطالع 1/ 15، **شجرة النور الزكية 354**.

(4) تنظر ترجمته في: الإعلام 5/ 159 - 160، شجرة النور 376، 371.

(5) تنظر ترجمته في: فهرسته، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط 2018 د. **الروضة المقصودة لسليمان الحوات**. سلوة الأنفاس 1/ 112. فهرس الفهارس 1/ 185. إتحاف المطالع 1/ 78.

(6) ستأتي ترجمتهم لاحقا.

(7) تنظر: الترجمانة الكبرى ص: 63، الاستقصا 1/ 68.

ولقد كانت لإسهامات السلطان سيدي محمد بن عبد الله في التأليف الحديثي ومجالسه العلمية أهمية كبيرة في إصلاح نظام التعليم، وإصلاح جهاز القضاء.

1) إصلاح نظام التعليم

لقد كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله على وعي تام بالوضعية المزرية التي يمر بها نظام التعليم بالمغرب، حيث أصبح هذا النظام التعليمي يهتم بعلوم الفروع، ويعتمد في الدراسة على المختصرات والمنظومات المعقدة قصد حفظها واستظهارها. وبذلك كثرت المنظومات التعليمية، والشروح، والحواشي، والتعاليق، على الرغم من الانتقادات التي تعرضت لها هذه الأساليب التعليمية من قبل بعض كبار العلماء كالأبي، والمقري وابن خلدون وغيرهم...

وقد كان لهذا الوضع أثر سلبي على الثقافة المغربية، حيث نضب الفكر الاجتهادي، وانحصرت دائرة الاهتمام التعليمي في مجالات محددة على حساب علوم أخرى. فعلم الحديث مثلا لم يكن يحظى بنفس المرتبة والعناية التي حظي بها الفقه، علما بأن «دراسة الحديث كانت لمجرد التبرك به لا قصد تدبره، وفهم معانيه، واستنباط الأحكام منه»[1].

أما التفسير فكانت «دراسته مهجورة، وشاعت حول تدريسه الشائعات المنفرة من تعاطي تدريسه»[2].

والفقه نفسه لم يسلم من الجمود، حيث انحصر اهتمام الفقهاء في هذه الفترة على مختصر خليل، وتصدروا لتدريسه وقضوا في ذلك أوقاتا طويلة.

---

(1) دعوة الحق، عدد 273 ص:251، سنة 1989.

(2) المرجع السابق.

وما قيل عن العلوم السابقة يقال عن العلوم الأخرى كالنحو، واللغة، والبيان، والحساب، والتصوف، وعلم الكلام، والمنطق، وغيرها، فكلها تأثرت بالجمود الفكري، وقد تحدث سليمان الحوات عن هذه الوضعية و «ذكر المواد الدراسية التي كانت تدرس بهذا العهد، ويأسف لعدم اعتماد الدراسة على كتب أمهات ومؤلفات أصيلة»[1].

إن هذه الحالة التي آل إليها الواقع التعليمي بالمغرب في تلك الفترة استرعت اهتمام السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فكان لابد أن يفكر في إصلاح هذا الوضع التعليمي.

وانطلاقا من «مجالسه العلمية الرشيدة وضع برامج ومناهج تربوية تعليمية شاملة لإصلاح نظام التعليم »[2] وأصدر في هذا الشأن منشورا[3] سنة 1203 افتتحه بما يلي: «وليعلم الواقف على هذه الفصول المذكورة في هذا الكتاب، أننا نأمر باتباعها والاقتصار عليها، ولا يتعداها إلى ما سواها»[4].

يلاحظ من خلال هذه الافتتاحية أنها كانت صريحة في مرماها ومؤداها، فهي تلزم كل المطلعين على هذا المنشور بتنفيذ بنوده وتعليماته.

والمتأمل في فصول هذا المنشور يرى أنها تحدد صراحة الكتب التي يجب تدارسها، والكتب التي يمنع تداولها وتدارسها.

ففي الفصل الثالث مثلا، نجد المنشور ينص على ما يلي: «في المدرسين في مساجد فاس إننا أمرنا ألا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، ومن كتب الحديث المسانيد والكتب المستخرجة منها، والبخاري ومسلما، و غيرها من الكتب الصحاح، ومن كتب

---

(1) دعوة الحق، العدد السابق، ص:251.

(2) آسية الهاشمي البلغيثي، المجالس السلطانية 1/ 325.

(3) ينظر نصه في النبوغ المغربي للمرحوم عبد الله كنون 1/ 276.

(4) عبد الله كنون، النبوغ المغربي1/ 276، ابن زيدان، الدرر الفاخرة ص: 60.

الفقه المدونة، والبيان والتحصيل، ومقدمة ابن رشد، والجواهر لابن شاش، والنوادر، والرسالة لابن أبي زيد، وغير ذلك من كتب الأقدمين»[1].

في المقابل، يمنع المنشور تدارس كتب المختصرات، ولاسيما مختصر خليل وابن عرفة، يقول الناصري في هذا الموضوع: «كان يرى ـ السلطان سيدي محمد بن عبد الله ـ اشتغال طلبة العلم بقراءة المختصرات في فن الفقه وغيره، و إعراضهم عن الأمهات المبسوطة الواضحة تضييع للأعمار في غير طائلة، وكان ينهى عن ذلك غاية... ولا يترك من يقرأ مختصر خليل، ومختصر ابن عرفة وأمثالها، ويبالغ في التشنيع على من اشتغل بشيء من ذلك حتى كاد الناس يتركون قراءة مختصر خليل»[2].

ولعل هذا الرأي طالما تردد عند كبار العلماء أمثال أبي بكر بن العربي وأبي إسحاق الشاطبي، وأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون وغيرهم، وكلهم أكدوا على أن «سبب نضوب ماء العلم في الإسلام ونقصان ملكة أهله فيه، إنكباب الناس على تعاطي المختصرات الصعبة الفهم، وإعراضهم عن كتب الأقدمين المبسوطة المعاني الواضحة الأدلة التي تحصل لمطالعها الملكة في أقرب مدة»[3].

وتدعيما لبرنامجه الإصلاحي شجع السلطان تدريس بعض العلوم كالحساب والتوقيت، وفي ذلك يقول: «وكذلك الفقهاء الذين يقرأون الإسطرلاب، وعلم الحساب، يأخذون حظهم من الأحباس لما في ذلك من المنفعة العظيمة والفائدة الكبيرة لأوقات الصلاة والميراث، وعلى ذلك العمل إن شاء الله»[4].

---

(1) ابن زيدان، «الدرر الفاخرة» ص: 60.

(2) الناصري، «الاستقصا...» 8/ 67.

(3) المصدر السابق.

(4) «الدرر الفاخرة» ص: 61.

وفي موضع آخر من المنشور ينهى السلطان عن الخوض في علم المنطق والكلام والتصوف إذ يقول: «فأما علم المنطق فقد قال العلماء إنه علم خبيث يفسد أذهان أهل السنة، وعلم الكلام، فالسلف الصالح كلهم جيل بعد جيل، حذروا من الخوض فيه»[1].

وينتهي المنشور بهذا التهديد الصريح: «ومن أراد أن يخوض في علم الكلام والمنطق وعلوم الفلاسفة، وكتب غلاة الصوفية فليتعاط ذلك في داره مع أصحابه الذين لا يدرون بأنهم لا يدرون»[2].

وقد واكب جامع القرويين هذه الإصلاحات واستفاد منها، حيث أصبح نظامه التربوي يستقي تعاليمه وأساليبه وبرامجه من الأسس المذكورة آنفا في المنشور.

أما بالنسبة لعلم التصوف فقد تقاعست همم أهل المغرب «عن التعلق بموضوعاته ما كان من مسائل اقتطفها ابن عطاء الله من الكتاب والسنة، وكلام القوم، ونسخها في قوالب الحكم، وعدت من جملة كتب الفن، أما الكتب المتضمنة لموضوع الفن على سند أهله ووفق مصطلحهم، فقد طارت بها عنقاء مغرب عن جميع أقطار المغرب»[3].

إن هذا البرنامج الإصلاحي الذي أتى به سيدي محمد بن عبد الله أثار ردود فعل من طرف بعض الفقهاء، وعلى رأسهم شيخ الجماعة بفاس التاودي بن سودة[4].

وفي هذا الإطار لا نملك دليلا ملموسا يبين لنا موقف الطرنباطي من هذه الإصلاحات، وكيف تعامل معها، علما بأنه يعد رجل المرحلة، حيث عايش هذه الأحداث و التغييرات عن كثب.

---

(1) محمد داود «تاريخ تطوان» 3/ 33.

(2) المصدر السابق «النبوغ المغربي» لعبد الله كنون 1/ 277.

(3) سليمان الحوات «الروضة المقصودة» 1/ 238.

(4) ينظر في هذه القضية «تاريخ تطوان» 3/ 34.

إذن، فكيف استطاع الطرنباطي أن يوفق بين هذه الإصلاحات، وبين ما يحمله من ثقافة ومعرفة شملتها هذه الإصلاحات؟

وفي إطار إصلاح برامج ومناهج التعليم وضع السلطان سيدي محمد بن عبد الله تأليفا صغيرا سماه «مواهب المنان فيما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان» الذي يعد «ثورة في مجال التعليم بالنسبة لعصره وقبل النهضة الحديثة بقرن ونصف القرن، مساهما بذلك في تطوير مناهج التعليم والتصنيف على السواء»(1).

بناء على ما سبق، يتضح أن التخطيط للتعليم في هذا الظرف يعتبر قفزة نوعية سابقة لأوانها رغم ما فيه من ملاحظات، بحيث ندرك أن سيدي محمد بن عبد الله قد كانت لديه إرادة قوية وقدرة جريئة لمحاصرة كل أسباب التخلف والجمود والانحطاط الذي مني به العالم الإسلامي شرقا وغربا من جراء النكبات والمصائب التي تعطفت به، وعلى ضوء هذه المقررات الدراسية نستشف أن التعليم لم يكن اعتباطيا، بل كان نظاما ومنهاجا تربويا محكما يقوم على أهداف تربوية هادفة تسهر عليها خلية مختصة في البرامج والمواد العلمية، ولعل هذا ما يشبه اليوم بوزارة التربية الوطنية.

2) إصلاح جهاز القضاء

تأثر الجهاز القضائي بالروح الإصلاحية والتنظيمية التي واكبت عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، حيث صدرت في هذا الشأن نصوص تشريعية في شكل ظهائر متتابعة تحدد التزامات السلطات القضائية والتنفيذية ومسطرة الحكم في مجموعة من المعاملات الأساسية(2).

---

(1) آسية الهاشمي البلغيثي، المجالس السلطانية 1/ 329.

(2) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ 3/ 105.

وقد كانت هذه المراسيم الإصلاحية تتضمن قضايا حيوية تهم القضاء والمتقاضين، وفي هذا المعنى يقول ابن زيدان: «ونظم العدلية الشريفة بإيالته أصدر في ذلك أولا منشورا إليك نصه:

بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله:

هذا ظهير كريم يجب أن يتلقى بالتبجيل والتعظيم، صدر بأمرنا المطاع بعلم منه أننا نأمر سائر القضاة، بسائر إيالتنا أن يكتبوا الأحكام التي يوقعونها بين الناس في كل قضية، ولا يهملوا كتابة الحكم في شيء من القضايا. وليكن المكتوب رسمين، يأخذ المحكوم له رسما يبقى بيده حجة على خصمه إذا قام عليه يوما، ويأخذ المحكوم عليه رسما ليعلم أن القاضي حكم عليه بالمشهور، وعلى كل قاض من القضاة أن يعمل بموجب ما ذكرناه ويقف عندما رسمناه، لكونه حكما شرعيا، ومنهاجا بين قضاة العدل مرعيا، ومن خرج عما ذكرناه بأن حكم ولم يكتب حكمه، أولم يشهد عليه العدول، فهو عندنا معزول، وتناله من العقوبة التامة. ونأمر الواقف عليه من عمالنا، وولاة أمرنا أن يقفوا في هذا الأمر حتى يجري عمل القضاة، ولا يهملوه إلا في المحقرات التافهة المقلات»[1].

نستنتج من هذا الظهير أن القضاة أصبحوا ملزمين بتنفيذ هذه المسطرة القضائية الجديدة، والسير على هديها، وذلك خدمة للقضاء من جهة، وحماية لحقوق المواطنين من جهة أخرى، ويعتبر هذا الظهير سابقة ايجابية في هذا المجال.

وإذا كان الهدف من هذا البرنامج الإصلاحي النهوض بالعدل الذي يصون حقوق الفرد والجماعة، فإننا نرى السلطان سيدي محمد بن عبد الله يتوعد كل سلوك قضائي فاسد بالزجر والعقوبة، ويتجلى ذلك من خلال قوله في الفصل الأول من المنشور في أحكام القضاة:

---

(1) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس 3/ 198 .

«فإن القاضي الذي ظهر في أحكامه جور أو زور، أو ما يقرب ذلك الفتاوى الواهية، فان الفقهاء يجتمعون عليه ويعزلونه عن القضاء، ولا يحكم على أحد أبدا»[1].

كما لم تكن تتهاود السلطة المركزية مع الخارجين عن القانون العام للبلاد من العمال والولاة، فقد نكب كثير منهم، كنكبة القائد الحبيب المالكي[2].

وفي إطار النهوض بالجهاز القضائي عمل السلطان سيدي محمد بن عبد الله على «تكوين القضاة، بأن نظم لهم تكوينا مستمرا بالتداريب الدورية، إذ كان يوجه الفقهاء والقضاة المبتدئين إلى الصويرة للتدريس بها ستة أشهر قبل أن يوليهم القضاء»[3].

وقد كان الطرنباطي من جملة العلماء والفقهاء الذين شملتهم هذه التداريب الدورية التكوينية في سلك القضاء[4]، كما تولى مناصب قضائية أخرى في مدينتي سجلماسة وحاضرة فاس على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله[5].

وقد كانت خطة القضاء تطرح على أصحابها عدة مشاكل، لشدة حساسيتها، وجسامة خطورتها، ونتائجها الوخيمة. لذا نجد الطرنباطي نفسه يعلن صراحة عن صعوبة تحمل هذه المسؤولية، وما ينجم عنها من مخاطر وعواقب جسيمة قائلا: «...خطة القضاء التي توليتُها من أعظم الفتن لهذا الغرض ـ أي الشهرة والظهور ـ إلا أن هذا مقام كثير الخطر، ربما يقع فيه

---

(1) الدرر الفاخرة ص:61، النبوغ المغربي 1/ 276.

(2) المغرب عبر التاريخ 3/ 105 – 106.

(3) المجالس السلطانية 1/ 324.

(4) محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس 2/ 268.

(5) سلوة الأنفاس 2/ 268 – 269.

الزلل ولا يميزه إلا من ساعده التوفيق، لأن النفس أمارة بالسوء، فربما تعدل عن طلب الاقتداء إلى طلب الرئاسة، لأن من شأنها الركون إلى حظوظها العاجلة»[1].

ويبدو من المبادرات الإصلاحية التي قام بها السلطان سيدي محمد بن عبد الله في هذا المجال كانت تتجاوز أن تكون «مجرد التقنين لأحكام قضائية محددة إلى التأسيس لها داخل طرح منظور إصلاحي مذهبي عام»[2] وتتمثل القاعدة التأسيسية العامة هنا في «القول بوجوب استمداد الأحكام الفقهية من مؤلفات قادة المذهب المالكي، والتماسها من مظانها الأصلية، عوضا عن الاقتصار على ما يقول به الشيخ خليل، وتورده الجمهرة الكثيرة من شرحه على نحو ما يعمل به غالب القضاة»[3]؛ ولذلك نجده يقول صراحة في إحدى منشوراته: «من أخذ الفقه من مختصر خليل وشروحه، وترك كتب الأقدمين كمن أهرق الماء واتبع السراب»[4].

لقد كانت هذه التجربة الإصلاحية التي قام بها سيدي محمد بن عبد الله تجربة متميزة في تاريخ المغرب الحديث، كما كانت متميزة على المستويين العربي والإسلامي، إذ استطاعت أن تسبق التجربة الإصلاحية العثمانية زمن حكم السلطان سليم الثالث (1789/ 1807م) والتجربة الإصلاحية المصرية خلال حكم محمد علي 1805م.

وبوفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة (1204هـ/ 1790م) سيعرف المغرب تراجعا على مستوى سياسته الإصلاحية.

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص:345.

(2) المناهل، عدد 69/ 70، ص: 209 - يناير 2004.

(3) المرجع السابق.

(4) النبوغ المغربي 1/ 277.

عهد السلطان المولى يزيد (1790/ 1792م):

لم تدم هذه الفترة طويلا، فقد كانت بمثابة «فاصل مليء بالأحداث السيئة: قنبلة مدينة طنجة من طرف الاسبانيين، ثورات وقمع في جنوب المغرب، إخفاق محاولة استرجاع سبتة، على أن مولاي اليزيد لقي حتفه وهو يحارب أخاه مولاي هشام الذي كان ينازعه ملك والدهما سيدي محمد بن عبد الله»[1].

كل هذا جعل المغرب خلال هذا العهد يمر بمنعطف خطير، مليء بالقلاقل والاضطرابات والفتن.

عهد السلطان مولاي سليمان (1792/ 1822م):

إن المدة التي عاشها الطرنباطي في هذا العهد لم تكن طويلة، إذ لم تتجاوز ثمان سنوات(1206/ 1214هـ) وبالتالي لم يكتب له البقاء ليشاهد كل ما حصل في هذه الفترة من تغيرات وتحولات على جميع المستويات، إذ كان من بين ضحايا الطاعون الذي اجتاح المغرب سنة 1214 هـ.

وبالرغم من ذلك، فقد كان للطرنباطي موقف سياسي شجاع من الأزمة التي مرت بها البلاد بعد وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، حيث كان من جملة هيأة العلماء الذين بادروا إلى مبايعة السلطان مولاي سليمان سنة 1206 هـ، قصد محاصرة هذه الفتنة، وإخماد نارها التي كادت أن تأتي على الجميع[2].

وقد حاول السلطان مولاي سليمان، أن يتغلب على عدة مشاكل التي واجهته خلال فترة حكمه، بما عرف عنه من حكمة وفطنة ومشورة. فهو لم يكن يتصرف في شؤون دولته كملك،

---

(1) الأخضر، «الحياة الأدبية» ص: 275.

(2) أورد الناصري اسم الطرنباطي ضمن هيأة علماء أهل فاس التي بايعت مولاي سليمان سنة 1206 هـ. ينظر نص البيعة في الاستقصا 8/ 89- 90.

بل كعالم، حيث كان يلجأ إلى مجالسه العلمية للبث في مختلف القضايا والمشاكل التي تتخبط فيها البلاد.

ومن المعلوم أن السلطان مولاي سليمان لم يكن يهتم كثيرا بالشؤون السياسية قدر اهتمامه بالأمور الدينية حتى قيل عنه أنه «بويع مطلوبا لا طالبا»[1].

فقد كان ذا ثقافة واسعة، حيث كان «متضلعا في جميع العلوم وخاصة في الفقه والفتوى، وعلوم القرآن، حامل لواء الشريعة وارثا للأنبياء»[2] ويزيد الناصري قائلا:

«ولا يعرف مقدار هذا السلطان إلا من تغرب عن الأوطان وشاهد سير الملوك في العباد، ولا يتحقق أهل المغرب بعدله إلا بعد غيبته وفقده»[3].

وقال عنه "هوفر" أحد المؤرخين الأجانب: «كان من أحسن ملوك دولة الأشراف... ملازما لتعاليم الإسلام التي يتشبث بها»[4].

أعماله الإصلاحية:

لم تكن سياسة السلطان مولاي سليمان تسير على نفس الخط الذي نهجه أبوه محمد الثالث، بل سلكت منهجا وتوجها آخر مخالفا لمنهجه ولمذهبه.

ومن جملة القضايا الجوهرية التي خالف فيها مولاي سليمان والده، قضية المكوس، حيث عمل على إسقاطها باعتبارها غير شرعية، وفي هذا يقول الناصري: «ومن وفور عقله وعدله

(1) الناصري، الاستقصا 8/ 112.
(2) المصدر السابق 8/ 169 - 170.
(3) نفسه 8/ 169 - 170.
(4) المغرب عبر التاريخ 3/ 173.

إسقاط المكوس التي كانت موظفة على حواضر المغرب في الأبواب والأسواق وعلى السلع والغلل وعلى الجلد وعشبة الدخان»[1] وحصر الضرائب والمداخيل في الموارد الشرعية.

وقد كانت هذه المكوس في عهد والده تشكل صائر الجيش النظامي وتجهيزه ورواتبه وسلاحه وكسوته. كما عمل السلطان مولاي سليمان في هذا الاتجاه على تضييق الخناق على المصنوعات الأجنبية خاصة الثياب، والاكتفاء بالمنتجات المحلية.

ولعل هذا يدخل ضمن سياسته الاحترازية التي تقوم على أساس التخفيف من التعامل مع دول أوروبا، يقول الناصري: «وأما المسلمون فقد منعوا من التجارة بأرض العدو ولئلا يؤدي ذلك إلى تعشير ما بأيديهم أو المشاجرة مع الأجناس»[2].

ولتدعيم هذه السياسة أمر السلطان مولاي سليمان بمراقبة عملية التصدير والاستيراد قدر الإمكان ومعاقبة الأطراف المتهمة بالتهريب[3].

وفي الميدان الديني، نلاحظ أن السلطان مولاي سليمان لم يلتزم نفس النهج والتوجه الذي سار عليه والده، في العودة إلى أصول الشريعة وحدها، بل عمل على تشجيع الفروع، ودراسة المختصرات لاسيما مختصر خليل.

بالإضافة إلى ذلك حض السلطان الناس إلى الرجوع للمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية.

وبذلك تراجع التأليف في علم الحديث عما كان عليه سابقا. ولعل في كلام صاحب الروضة المقصودة من خلال ترجمته للعربي بن سودة، ما يؤكد هذا التوجه الفقهي للسلطان

---

(1) الناصري 8/ 170.

(2) الناصري، الاستقصا 8/ 169.

(3) المغرب عبر التاريخ 3/ 157.

مولاي سليمان: «وكان أكثر إقرائه لمختصر خليل...لأن الفقه هو المقصود اليوم على الإطلاق، والعاقل يلبس لكل عصر ثوبه»[1].

كما فتح لهم باب الاشتغال بعلم الكلام، و قراءة الكتب المتعلقة بهذا العلم وتدريسها ذلك لأنه كان «معجبا بعلم الكلام، وبكل من يحسن التكلم على مذاهب المتكلمين، ولا يعترف بالعالم ولا يزكيه إلا إذا كان متضلعا في علم الكلام، وغيره من علوم الرأي و المعقولات...»[2].

أما التصوف فقد حظي هو الآخر باهتمام كبير من لدن السلطان مولاي سليمان بعدما كاد هذا العلم أن يدرس وتطمس معالمه.

وفي هذا الاتجاه أمر السلطان بصرف الهمة لإحياء عدد من كتب التصوف وجعلها متداولة بين الناس حتى يتسنى الانتفاع بها.

ومن أبرز هذه الكتب التي تم إحياؤها من جديد كتاب "الإحياء" للغزالي الذي صار في زمانه «يقرأ على مر الأيام والليالي»[3].

بالإضافة إلى ذلك انتعشت في عهده مجموعة من الزوايا خاصة الزاوية الناصرية، والوزانية والريسونية، والدرقاوية. وبما أن السلطان مولاي سليمان كان يمثل السلطتين الروحية والسياسية فإنه كان لزاما على هذه الزوايا أن تخضع تعاليمها وسلوكياتها للكتاب والسنة، وأن تتجنب التورط في كل موقف سياسي عدائي تجاه السلطة.

وفي مجال إصلاح التعليم فقد ألغى مولاي سليمان العمل بالمنشور الذي أصدره والده المتعلق ببرنامجه لإصلاح التعليم، وحض الناس على العودة إلى المختصرات خاصة مختصر

---

(1) سليمان الحوات، الروضة المقصودة 2/ 738.

(2) آسية البلغيتي، المجالس السلطانية1/ 407.

(3) سليمان الحوات، الروضة المقصودة 1/ 168.

خليل. وفي هذا الأمر يقول الناصري: «لما أفضى الأمر إلى السلطان العادل المولى سليمان صار يحض الناس على التمسك بالمختصر، و يبذل على حفظه وتعاطيه الأموال الطائلة، والكل مأجور على نيته وقصده»[1].

ويقول المشرفي في نفس الموضوع: «إلى أن أحيى الله قراءة المختصر بالمتولي بعده - بعد سيدي محمد بن عبد الله - المولى سليمان»[2].

ويضيف أكنسوس في نفس السياق: «فلما تولى السلطان العادل سليمان، لم يكن عنده أهم من إبطال ما ذهب إليه والده الناصر مما ذكرناه.... لا من قراءة المختصر ولا من مسألة الاعتقاد. فلم يكن عنده أعز ممن يحفظ مختصر خليل، بل من لم يحفظه من الفقهاء عنده ناقص، لا يعول على فهمه...»[3].

ومن أهم الجوانب الايجابية التي تضمنها برنامجه لإصلاح التعليم تنظيمه تكوينا مستمرا للعلماء.

وفي هذا الإطار «أصدر أمره لأعيان علماء مجالسه العلمية الخاصة، بأن يجمع كل منهم العلماء الصغار، ويراجع معهم كتابا من أمهات المصادر العلمية والدينية الهامة، كالعلامة الطيب بن كيران الذي أمره بجمعهم وتدريسهم كتاب الإحياء للإمام الغزالي، وأصدر أمره لجميع العلماء بأن يحضروا مجالسه هذه»[4].

وفي إطار اهتمامه بإصلاح الجهاز القضائي، فقد قام السلطان بتعيين ثلة من العلماء تقوم بمهمة كتابة تقارير شهرية عن كل ما يحدث بمدينتي الرباط وسلا. ثم توجه مباشرة إلى

---

(1) الاستقصا 8/ 67.

(2) المشرفي، الحلل البهية ص: 178.

(3) أكنسوس، الجيش العرمرم ص: 244.

(4) المجالس السلطانية 1/ 408 - 409.

عامل المدينتين[1]. كما عمل السلطان مولاي سليمان في هذا المضمار بإلغاء مهمة خليفة القاضي نهائيا وجعل الأحكام التي يصدرها القواد مشروطة بتوقيعات القضاة[2].

وفي عهده تأثر المغرب ببعض الحركات السلفية العربية في دعواتها الإصلاحية كالحركة الوهابية بالحجاز. وكان ذلك عن طريق الحجاج المغاربة العائدين من الديار المقدسة سنة 1803 م ، حيث «كانوا أول من نقل أخبار الحركة الوهابية إلى المغرب، وهي أخبار تحكي الشدائد التي قاسى منها الركب المغربي والمحن التي اعترضته خلال إقامته بالحرمين الشريفين، وهذه الأخبار التي امتزجت بالدعاية المناوئة للوهابيين التي كيفت إلى حد كبير موقف المغاربة من الحركة الوهابية»[3].

وقد أفاد السلطان مولاي سليمان من هذا المذهب الوهابي في مبادئه الإصلاحية المسايرة لروح الشريعة الإسلامية، وهكذا راح يحارب التزمت والبدع المنكرة، ويقاوم كل مظاهر الشعوذة، وبالغ في محاربة الطوائف الغالية من أهل البدع[4].

كانت هذه باختصار شديد أهم الإصلاحات التي قام به السلطان مولاي سليمان. ويبدو الطرنباطي من جراء المناصب القضائية والتعليمية التي تقلدها في عهد السلطانين، أن علاقته بالسلطة كانت تتسم بالاتصال والانسجام والوفاق. كما كان حريصا على درء كل الأسباب التي قد تعكر صفو العلاقة بينه وبين السلطانين بشكل خاص.

---

(1) الضعيف، ص: 380.

(2) المجالس السلطانية 1/ 407.

(3) محمد المنصور، الحركة الوهابية وردود الفعل المغربية عند بداية القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب الرباط- 1986، ص: 178.

(4) الاستقصا 8/ 123، النبوغ المغربي 2/ 40، 47.

المبحث الثاني: حياته

1) مصادر ترجمته

إن المصادر التي تعرضت لترجمة الطرنباطي، بالرغم من كونها تبدو كثيرة، إلا أنها لم تتوسع في جوانبها ومناحيها.

وعموما، يمكن تحديد هذه المصادر فيما يلي:

* **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**[1] لمحمد ابن جعفر الكتاني.

عقد له ترجمة تعرض فيها لاسمه، ونسبه، ومكانته العلمية، وشيوخه، وتلامذته، وتآليفه، ووفاته، ومكان مدفنه. مع ذكر المتون التي درسها على شيوخه من جهة، والتي أخذها عنه تلامذته من جهة أخرى. كما تحدث عن بعض المناصب الإدارية التي تقلدها في عهد السلطانين: سيدي محمد بن عبد الله، ومولاي سليمان. دون أن ينسى ذكر اسم عقبه وتاريخ ومكان وفاته.

وتعد هذه الترجمة أطول وأوسع ترجمة بالمقارنة إلى المصادر الأخرى.

* **زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**[2] لعبد الكبير بن هاشم الكتاني.

وقد اعتمد في ترجمته للطرنباطي على ما ورد في كتاب السلوة، إلا أنه أفادنا بمعلومات مهمة عن البيت الطرنباطي.

---

(1) 2/ 268- 269.

(2) تحقيق علي المنتصر الكتاني، ص: 576- 577.

* **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**[1] لمحمد بن محمد مخلوف.

سلك مسلك المتقدمين في ترجمة الطرنباطي من ذكر شيوخه، وتلامذته، و تآليفه، وتاريخ وفاته، وهي ترجمة قصيرة.

* **فهرسة العالم الشريف السلطان أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي.**

من جمع واختصار الفقيه محمد التهامي المكي بن رحمون الحسني[2] ترجم له السلطان مولاي سليمان في معرض حديثه عن شيوخه الذين تتلمذ عليهم.

* **معجم المطبوعات المغربية**[3] لإدريس بن الماحي القيطوني الحسني.

تعرض له في ترجمة قصيرة. تناول فيها جوانب من حياته، معتمدا في ذلك على المصادر السابقة.

* **تاريخ الشعر والشعراء بفاس**[4] لأحمد بن محمد النميشي. ذكره في سطور قليلة ضمن شعراء فاس، واكتفى بإيراد نتف من أشعاره وتحديد سنة وفاته.

* **الأعلام**[5] لخير الدين الزركلي.

سار على شاكلة من سبقه في ترجمته للطرنباطي، حيث اقتصر على التعريف باسمه ونسبه، وتحديد سنة وفاته، وذكر بعض مؤلفاته.

---

(1) ص: 302.

(2) ص: 85- 86.

(3) ص: 212- 213.

(4) نسخة مصورة من المخطوطة في ملكية الدكتور عبد السلام شقور. ص: 26.

(5) 7/ 96.

※ **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**[1] لعمر رضا كحالة.

ترجم له مرتين في صفحة واحدة، على أساس أنهما شخصان مختلفان، فلقب الأول محمد العثماني، والثاني محمد الطرنباطي. فاكتفى في هذه الترجمة القصيرة جدا بذكر اسمه ونسبه، وتعيين بعض مؤلفاته، وتحديد تاريخ وفاته.

※ **موسوعة أعلام المغرب**[2] لمحمد حجي.

ركز باختصار شديد في ترجمته للطرنباطي على تحديد اسمه ونسبه، وذكر بعض تآليفه، وتعيين سنة وفاته. كما حلاه ببعض الأوصاف، تدل على أنه كان ذا مكانة علمية رفيعة في عصره.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن المصادر السالفة الذكر التي ترجمت الطرنباطي، في أغلب الظن أنها اعتمدت في استيقاء معلوماتها على كتاب «سلوة الأنفاس» باعتباره أوسع وأطول ترجمة نسبيا إذا ما قارناه بغيره[3].

وهناك بعض المصادر لم تتعرض لترجمة الطرنباطي على طريقة المصادر السابقة، وإنما اكتفت بالإشارة إليه في سياق بعض الأحداث أو المناسبات أو المواقف. نذكر منها ما يلي:

※ **المصادر العربية لتاريخ المغرب**[4] للمنوني.

ذكر اسمه ونسبه، وحدد تاريخ وفاته، وذلك أثناء إيراده لبعض مؤلفاته.

---

(1) 12/ 16.

(2) 7/ 2466.

(3) ترجم له أيضا ناصر السويدان في كتابه: «مداخل المؤلفين والأعلام العرب» ص: 322. وما استقيت هذه المعلومة إلا بعدما استوى البحث على سوقه، وذلك من خلال كتاب: «فهرس المطبوعات الحجرية المغربية» ص: 182. مطبوعات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود.

(4) 2/ 71.

※ **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**[1] لأحمد بن خالد الناصري.

ذكره ذكرا عابرا في سياق استعراضه لأحداث السنوات، و منها سنة 1206 هـ التي بويع فيها السلطان مولاي سليمان، حيث أورد اسمه ضمن لائحة هيئة العلماء والفقهاء المبايعين له.

※ **الابتهاج بنور السراج**[2] لأحمد بن عبد المامون البلغيثي.

أشار إليه في سياق الاستدلال ببعض نصوص كتابه «بلوغ أقصى المرام».

※ **فهرس الفهارس**[3] لمحمد عبد الحي الكتاني.

ذكره أثناء ترجمته للشيخ مرتضى الزبيدي. واعتبره من أكبر الآخذين عن المترجم من أهل فاس، وأورد في هذا السياق تعقيبَ مرتضى الزبيدي على قصيدة الشيخ المسناوي يضفي فيه على الطرنباطي مجموعة من الصفات الحميدة.

※ **تقريظ الشيخ محمد الفاطمي بن الحسين الحسيني الصقلي له**[4].

تحدث عنه أثناء صدور كتابه: «**إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك**» من المطبعة الحجرية بفاس، فنوّه به، وأشاد بمؤلَّفه، وأضفى عليه مجموعة من الأوصاف قائلا:

---

(1) 3/ 96.

(2) 1/ 99 – 2/ 47، 62.

(3) 1/ 535 – 536. ينظر أيضا كتاب التراتيب الإدارية 2/ 227، 253 لنفس المؤلف. فقد ذكر الطرنباطي ومؤلفه «بلوغ أقصى المرام...» في سياق حديثه عن تدوين العلوم الإسلامية منذ القرن الأول الهجري.

(4) تنظر الورقة الأخيرة المستقلة من كتاب: «إرشاد السالك...» المطبوع على الحجر بفاس، للطرنباطي.

«...وهي مع الشرح المذكور من تأليف العلامـة في الـسعي المـشكور، المنـادى عـلى كـل تأليف مضاف له بالإجادة، سليل الأسماء اللازمـة، للنـداء عنـد الاسـتغاثة، الحـائز للفخـر بالوراثة، أبي عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي العثماني...».

* **فاس عاصمة الأدارسة**[1] لمحمد المنتصر الكتاني.

ذكر الطرنباطي في معرض ترجمته للسلطان مولاي سليمان، وما أخذه هذا الأخير عنه من علوم.

* **جامعة القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس**[2] لعبد الهادي التازي.

أورده في ملحق الأعلام الذين نشطوا في جامعة القرويين على عهد الدولة العلوية.

* **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس والسابع عشر**[3] الميلادي لمحمد رزوق.

أشار إليه في سياق حديثه عن العوائل الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب خلال القـرنين السادس والسابع عشر الميلادي.

* **مجلة تطوان**[4]

ألقى المرحوم علال الفاسي كلمة تحت عنوان «مهمة علـماء الإسـلام» في نـدوة أشرفـت عليها وزارة التربية الوطنية، وقد تحدث عن الطرنباطي في سياق ممن نبـغ من علماء القـرويين

---

(1) ص: 80.

(2) ص: 806.

(3) ص: 312.

(4) عدد 5 سنة 1960 ص: 59، 61.

في القرن الثاني عشر الهجري، فذكر اسمه، ومؤلّفه، ثم بيّن باختصار شديد الخطوط العريضة التي تضمنتها مقدمة الكتاب.

2) **اسمه ونسبه**

هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أحمد بن محمد الطرنباطي الأموي العثماني الأندلسي الفاسي[1].

وتشير المصادر التي ترجمته أنه ينتسب إلى البيت الأموي العثماني، وترجع أصوله إلى الديار الأندلسية، وأما نشأته فتجمع على أنها كانت بحاضرة فاس.

وقد استقت هذه المصادر معلوماتها هاته مما أثبته هو نفسه في نهاية كتابه «بلوغ أقصى المرام» حيث قال:

«... على يد مؤلفه وكاتبه بيده الفانية العبد الفقير إلى مولاه الغني محمد بن مسعود ابن أحمد بن محمد الطرنباطي الأموي العثماني الفاسي دارا ومنشئا... »[2].

وكذا في مقدمة شرحه لخطبة ألفية ابن مالك بزيادة: «...الأموي العثماني نسبا، الأندلسي أصلا... »[3].

نفهم من هذا، أن المؤلف ينحدر من بيت عريق تمتد جذوره إلى عهد الخلافة الأموية بالأندلس. وقد ظل هذا البيت ردحا من الزمن في هذه الديار الأندلسية ينعم بالاستقرار والطمأنينة، إلى أن تغيرت الأوضاع العامة للبلاد، وكثرت الفتن، واستعرت نار الأحقاد العرقية، وأصبح المسلمون مستهدفين للطغاة الصليبيين وأعوانهم، تحت هذه الظروف

---

(1) تنظر ترجمته في المصادر السابقة.

(2) بلوغ أقصى المرام، الصفحة الأخيرة.

(3) شرح خطبة ألفية ابن مالك، ص: 2.

العصبية والضغوط الصليبية الطاغية، قرر بيت الطرنباطي الهجرة والرحيل إلى المغرب كشأن العديد من البيوتات الأندلسية[1].

فكانت حاضرة فاس وقتذاك هي المكان الذي وقع عليه الاختيار من قبل البيت الطرنباطي، والاستقرار به، من أجل استئناف حياته من جديد[2]، وذلك لما تتميز به هذه المدينة من خصوصيات.

وفيما يخص تسمية هذا البيت بـ « الطرنباطي»[3] فقد حاولت جاهدا البحث في كثير من المصادر التي ترجمت للمؤلف، وكذا في بعض المؤلفات الأخرى، مثل: «كتاب صلة الصلة» لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(ت 708 هـ)، و«الأنيس المطرب بروض القرطاس... » لعلي بن أبي زرع الفاسي المتوفى في بضعة عشر وسبعمائة هجرية، و «نفح الطيب... »، و «أزهار الرياض...» لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041 هـ)، لعلي أجد تفسيرا لسبب اقتران (الطرنباطي) باسم ونسب المؤلف، وأسرته، وبيته، فلم أظفر بشيء [*]، و فوق كل ذي علم عليم.

---

(1) ينظر كتاب: «الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين: 16 - 17 م » للدكتور محمد رزوق.

(2) ينظر كتاب: «زهرة الآس في بيوتات أهل فاس» لعبد الكبير بن هاشم الكتاني.

(3) سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني 2/ 268.

(*) ثم وجدت بإشارة من أخوين عزيزين هما: الأستاذ الباحث مصطفى بن يعقوب، و الكتبي المطلع محمد العشيري، أنها في غالب الظن اسم مكان بالأندلس و بالخصوص في الجهة الخاضعة للنفوذ البرتغالي، لأمرين: أولا: وجود هذا الإسم في أمريكا اللاتينية كالبرازيل (وادي طرنباطة: rio trombetas)، وأنغولا (طرنباطة: trombeta). انظر: Encarta encyclopedia 2004 . ثانيا: هذان البلدان احتلا من طرف البرتغاليين؛ لذلك ارتبط بهم كما ارتبطت أماكن بالإسبانيين أثناء احتلالهم للأرجنتين (مثلا: وادي الحجارة)؛ بل وجدت في الموسوعة البريطانية (BRITANNICA-2007) أنه نهر برتغالي (PORTUGUESE RIO TROMBETAS).

انظر: WWW. BRITANNICA.COM. والله أعلم. (التعليق للأستاذ المراجع).

3) **ولادتــه:**

لم تفدنا المصادر التي تحدثت عن الطرنباطي بشيء يشير إلى تاريخ ولادته، وهو نفسه أيضا قد أغفل هذا الجانب من سيرته.

والظاهر أن الطرنباطي لم يكن يهتم بالأمر، ربما لأنه كان ممن يرى أنـه لـيس مـن المروءة الإخبار بالسن، اقتداء بالإمامين مالك والشافعي، وبعض شيوخه كأبي حفص عمر الفاسي، وغيرهم؛ فقد أثر عن مالك رضي الله عنه تعليل كراهة ذلك بقوله: «لأنه إن كان صغيرا استحقر أو كبيرا استهرم»[1].

وقد كان أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي الشهير بابن الحاج[2] يأنف من ذكر تاريخ ولادته، وسئل مرة عن سنه فرد منشدا: [البحر الكامل]

احفــظ لـسانك لا تـبح بثلاثـة ... ســن، ومــال إن ســئلت، ومــذهب
فـعلــى الثلاثـــة تبتلــى بثلاثـة ... مـــن حاســد ومكفـــر ومكــذب[3]

وبالرغم من أن كتب التراجم لم تسعفنا في تحديد تاريخ ولادته، فإننا نرجح على وجه التقريب، أنه ولد في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري .

4) **نـشـأتـــه:**

نشأ الطرنباطي في مدينة فاس، وكانت هذه المدينة يومئذ تعج بالعلماء الكبـار، كـما كانـت مستقر المذهب المالكي.

---

(1) نيل الابتهاج ص: 430.

(2) ستأتي ترجمته لاحقا.

(3) نيل الابتهاج ص: 430.

ففي هذا الفضاء العلمي شب الطرنباطي، وترعرع، ودرس، وسمع على كثير من أعلام عصره في علوم مختلفة، حتى غدا مشاركا في عدة فنون، وذاع صيته، وأصبح له في سماء المعالي علو وارتفاع[1]. وقد كان لأسرته دور كبير في تمكينه من الاتصال بأهل العلم والأخذ عن كبارهم، حتى بلغ في ذلك شأوا عظيما، فأدرك الكبار، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وشرح واختصر، وقيد....

وقد يكون الطرنباطي قد استفاد من رحلته إلى المشرق والحجاز[2]، فلقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم العلم، لأنه من عادة المغاربة أنهم كانوا أثناء رحلاتهم يجلسون إلى العلماء ويغترفون من ينابيع علومهم، وبعد ذلك يجيزونهم في تدريس جملة من العلوم.

وفي هذا السياق لا نستبعد أن يكون الطرنباطي قد دوّن رحلاته هاته ، ووصف ظروفها وأحداثها، لأن المغاربة كانوا ذوي حرص كبير على تدوين رحلاتهم وتنقلاتهم[3].

إن هذه الفترة من حياة الطرنباطي ـ نشأته ـ نكاد لا نعرف شيئا عنها، فكتب التراجم لم تتوسع في ترجمته، ولم تفدنا بشيء ينير لنا الطريق في هذا الجانب. بل إنها أجحفت في حقه حتى وهو كبير، إذ لا نكاد نجد إلا إشارات عابرة عند بعض المترجمين[4]، لا يمكن أن نجعلها أساسا للحديث عن نشأته، وتنقلاته، ورحلاته، أو مدخلا رئيسا لفهم مجريات أحداث حياته.

---

(1) سلوة الأنفاس 2/ 268.

(2) أورد محمد عبد الحي الكتاني أثناء ترجمته الشيخ مرتضي الزبيدي أن هذا الأخير قد خط بيده تعقيبا على قصيدة المسناوي ذكر فيه أن الطرنباطي قدم عليهم مصر سنة 1194هـ أي بعد عشرة سنوات من تأليفه لكتاب «بلوغ أقصى المرام» 1/ 536. وكذا ينظر: سلوة الأنفاس 2/ 268.

(3) ربما قد تكون الكتب التي ترجمته قد أغفلت هذا الجانب من نشاطه العلمي.

(4) تنظر مصادر ترجمته السابقة .

وبالرغم من قلة المصادر التي اهتمت بهذا الجانب من حياته، فان ما أخذه الطرنباطي من شتى أنواع المعرفة على أيدي كثير من العلماء، تدل على أن الرجل قد فطم على العلم، وتردد كثيرا على أهله، وفي هذا أكثر من دلالة على أن حياته الأولى كانت نشطة، طموحة ودؤوبة على التحصيل والتعلم، وذات مشارب ثقافية متنوعة.

5) بيته:

يعتبر بيت الطرنباطي من البيوتات الشهيرة والقديمة بفاس[1]، حيث يرى الدكتور محمد رزوق أن عائلة الطرنباطي تعد من بين العوائل الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلادي بسبب اضطهاد النصارى الصليبيين للمسلمين بالأندلس[2]. وقد بين ذلك من خلال اللوائح التي وضعها لهذا الغرض، لكنه لم يطلعنا على مصير هذا البيت بفاس، هل كان مصيره الانقراض أم الحياة ؟ على غرار ما فعل بالنسبة للبيوتات الأخرى.

ومن المعلوم أن مدينة فاس التي استقرت بها أسرة الطرنباطي كانت وقتذاك من أهم مراكز العلم والمعرفة، وقبلة العلماء والمفكرين، يفدون إليها من مختلف بقاع العالم الإسلامي حتى قيل عنها: كانت «فاس في إفريقيا من حيث مركزها الثقافي تحاكي أثينا في أروبا، لكثرة أساتذتها، وكثرة الذين ينتسبون إلى العلم فيها، ولوفرة مدارسها التي تكتظ بالطلبة»[3].

ومن هنا، لا نستبعد أن تكون أسرة الطرنباطي أسرة عالمة، ونابهة، وميسورة، تحب العلم، وتختلف إلى مجالس العلماء؛ لأنه جرت العادة من الناحية الاجتماعية أن الحواضر غالبا لا تسكنها إلا الطبقات الميسورة التي تقوى على ظروف العيش بها.

---

(1) ينظر كتاب: «زهرة الآس في بيوتات أهل فاس» لعبد الكبير بن هاشم الكتاني، ص: 576.

(2) ينظر كتاب: «الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 - 17م» لمحمد رزوق ص: 312.

(3) الدكتور عبد الهادي التازي «جامعة القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس» 3/ 726-727.

وبالتالي فإن حاضرة فاس كان أغلب من يستقر بها من الطبقات الأرستقراطية والغنية التي تستطيع أن تساير الحياة الاجتماعية وإكراهاتها على جميع المستويات.

وفي هذا الإطار يمدنا صاحب «زهرة الآس» بمعلومات دفينة عن شأن هذا البيت، فيسلط الأضواء على بعض أعلامها ويعرف بها، ويبرز مكانتها العلمية والاجتماعية، كما استطاع أن يحدد مصيرها[1]. وممن ورد ذكرهم من أبناء الطرنباطي ـ أي البيت الطرنباطي ـ الأمويين العثمانيين الأندلسيين[2]:

- الولي الصالح المرابط أبو العباس أحمد الطرنباطي (ت 1140 هـ)[3].
- أبو عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي(ت 1214 هـ).
- إدريس بن محمد بن مسعود الطرنباطي (ت1276 هـ)[4].
- محَمد بن الحاج علي الطرنباطي الناظر بصفرو (متوفى).
- محمد بن الحاج محَمد الطرنباطي (متوفى).

ولم يكتف المؤلف بإيراد هذه المعلومات فحسب، بل استطاع أن يفيدنا بأخبار قيمة تخص مصير هذه الأسرة، أو هذا البيت الطرنباطي، حيث حاول أن يأتي في هذا الصدد بعدد من الأسماء التي تنتمي إلى هذا البيت مبرزا مصيرها وأماكن تواجدها[5].

---

(1) ينظر كتاب: «زهرة الآس... » لابن هاشم الكتاني، ص: 577- 578.

(2) المصدر السابق، ص: 577- 578.

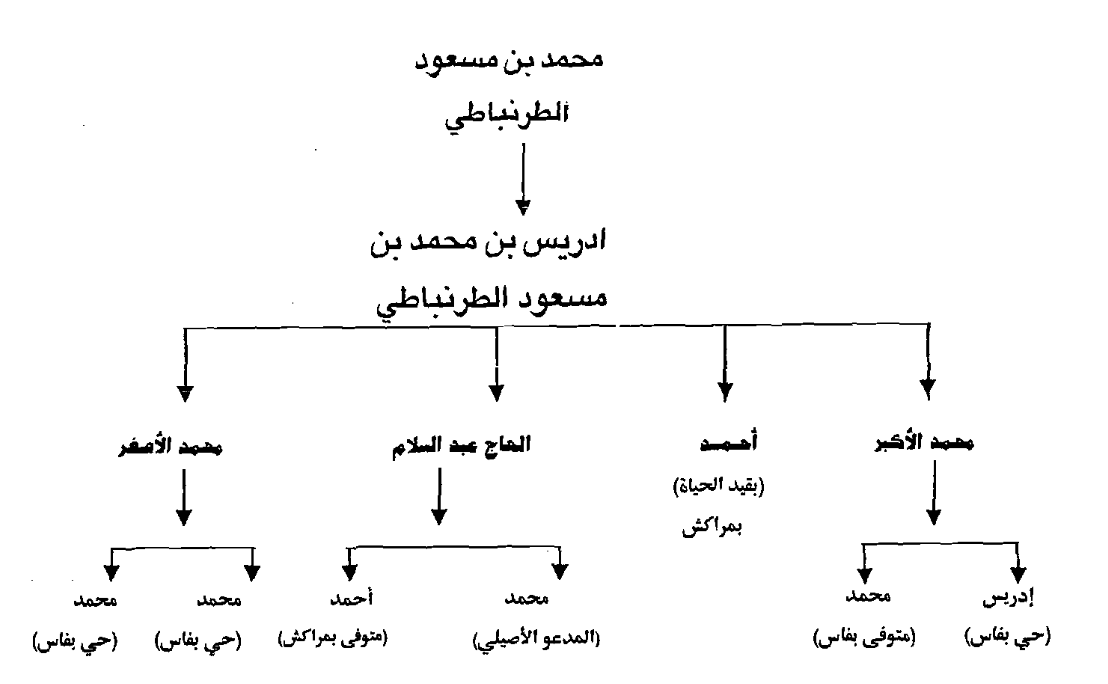
(3) تنظر ترجمته أيضا في: «نشر المثاني» لمحمد بن الطيب القادري 4/ 202.

(4) من أبنائه: محمد الأكبر ـ أحمد ـ عبد السلام ـ محمد الأصغر.
ينظر في شأنهم: «زهرة الآس... » ص: 577.

(5) منهم: إدريس حفيد إدريس بن محمد بن مسعود الطرنباطي ـ أحمد بن إدريس حفيد محمد بن مسعود الطرنباطي ـ محمد بن محمد الأصغر حفيد إدريس بن محمد بن مسعود الطرنباطي، وغيرهم.
ولمعرفة المزيد من أعلام هذا البيت ينظر كتاب: «زهرة الآس...» ص: 577.

نستخلص من هذا أن البيت الطرنباطي لم ينقرض كشأن بعض البيوتات الأندلسية بالمغرب[1]، وإنما مازال مستمرا في الوجود، وما يزال نسله لم يعقم بعد.

وفي هذه الخطاطة بيان لأبرز ما وقفت عليه من أبناء وأحفاد الطرنباطي[2]:



علما بأن محمد الأكبر وأحمد شقيقان، وكذا عبد السلام ومحمد الأصغر.

ولعل التساؤل الذي ما زال مطروحا بحدة هو:

هل بإمكاننا أن نقف عند النواة الأولى والأصلية التي تناسلت منها هذه الأسرة الطرنباطية؟ مَن هم أعلامها الأوائل؟ ما هي مكانتهم العلمية والاجتماعية؟ أين استقروا

---

(1) ينظر كتاب: «الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 - 17م» لمحمد رزوق ص: 312 وما بعدها.

(2) المعلومات الواردة في هذه الخطاطة مستقاة من كتاب «زهرة الآس في بيوت أهل فاس» وهي تعود في جملتها إلى زمان مؤلف الكتاب.

ومن أين كان منطلقهم في بادئ الأمر؟ ثم لماذا دعي هذا البيت «بالطرنباطي»؟ وغيرها من التساؤلات.

6) **شيوخه:**

يقال: إنه بمعرفة شيوخ الرجل يعرف قدره ومنزلته، و يتضح في طريق القوم حاله وأمره.

ولذلك نجد علماءنا الأوائل، كانوا يحرصون حرصا كبيرا على تلقي العلم من أفواه الشيوخ، وأهل العلم والمعرفة، وكانوا ينصحون الطلبة بعدم الاكتفاء بالكتاب، والمصنفات وحدها، فقد كان الشيخ ابن جماعة كثيرا ما يقول: «من أعظم البلية تشييخ الصحفية»[1].

وروي عن الإمام الشافعي قوله: «من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام»[2].

وقال ابن خلدون: «على قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها...»[3].

ومن أجل ذلك اختار الطرنباطي جماعة من مشايخ عصره ممن يوثق بهم. وقد حاولت قدر الإمكان والمتاح جمع بعض شيوخه ممن وقفت عليهم في المصادر التي ترجمت له. وهم:

► **محمد بن الطاهر الفاسي (ت1177 هـ)**[4]:

هو أبو عبد الله محمد بن طاهر بن يوسف بن أبي عسرية بن علي الفاسي، كان إماما وعالما وعمدة في العلوم الشرعية، أخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام البناني، وأحمد ابن مبارك وأبي عبد الله المسناوي، وأبي عبد الله جسوس، وغيرهم، وعنه أخذ محمد بن عبد السلام

(1) تذكرة السامع والمتكلم، ص: 87.

(2) المصدر السابق، ص:87.

(3) المقدمة، ص:541.

(4) تنظر ترجمته في: نشر الثاني للقادري 4/ 159، إتحاف المطالع لعبد السلام بن سودة 1/ 18، شجرة النور الزكية ص:354، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2381.

الفاسي، وزيان العراقي، واليازغي، وعبد الرحمن بنيس، وغيرهم، وقرأ عليه الطرنباطي النحو توفي سنة 1177 هـ.

► عبد الرحـمن بن إدريس المنجرة (ت1179 هـ)[1].

هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العلاء إدريس المنجرة، كان إماما في القراءات، ولد بفاس عام 1111 هـ ومات بها سنة 1179 هـ أخذ عن والده القراءات وأجازه، وعن أبي عبد الله المسناوي العلوم الشرعية، وغيرهم، وتتلمذ على يديه كل من محمد بن عبدالسلام الفاسي، وأبي عبد الله محمد الهبطي والشيخ العارف العربي الدرقاوي. ودرس عليه الطرنباطي التفسير وصحيح البخاري.

من مؤلفاته، حاشيتان على الجعبري كبرى وصغرى، وشرح الدالية وحاشية على المرادي وفهرسة سماها «الإسناد للشفيع يوم التناد» إلى غير ذلك من التأليف.

► محمد بن قاسم جسوس (ت 1182 هـ)[2].

هو أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن عبد السلام جسوس، ولد بفاس سنة1089 كان من أبرز العلماء والفقهاء المشهورين في زمانه. أخذ عن جماعة من الشيوخ والعلماء مختلف أنواع العلوم، من حديث وفقه، وتفسير، وعقائد، وغيرها، منهم عمه عبد السلام جسوس، وأبو عبد الله المسناوي، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وولده الطيب الفاسي، والعربي بردلة، وابن زكري، وأبو عبد الله القسنطيني، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، ومحمد ميارة الصغير وغيرهم، وأخذ عنه الشيخ التاودي،

---

(1) تنظر ترجمته في: إتحاف المطالع 1/ 22 ، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2384، 2386، شجرة النور الزكية ص:354، فهرس الفهارس 2/ 199.

(2) تنظر ترجمته في: نشر المثاني 4/ 80، 188، 192، شجرة النور الزكية ص:355. موسوعة أعلام المغرب7/ 2393.

والحايك، وغيرهما، وأفاد منه الطرنباطي كثيرا، حيث درس عليه الحديث والتصوف، توفي سنة 1182هـ.

له مؤلفات كثيرة في الحديث والفقه: شرح الشمائل، وشرح المختصر، وشرح الرسالة وغير ذلك.

▸ **محمد بن محمد الخياط الدكالي (ت 1184 هـ)**[1].

هو أبو عبد الله محمد بن محمد الخياط شهر بابن إبراهيم الدكالي الشيخ الفقيه العلامة المدرس الوجيه المنفرد بتحقيق العلوم العربية كانفراده آخر عمره بالمعارف اللدنية. درس بالقرويين رسالة ابن أبي زيد وألفية ابن مالك، وبمدرسة العطارين ابن عاشر ومختصر خليل وغير ذلك. وكان ذا قسوة لا يحتمل من يسأله عن شيء لم يفهمه أثناء الدرس، ويعاقب السائل الذي سأله عن ذلك، يوشح مجالسه بالأبيات الشعرية والنوادر الأدبية، والأحكام الأجنبية. سرى العلم في سلفه من جهة ابن غازي الإمام المشهور؛ لأنه جده من قبل الأم. أخذ عنه الطرنباطي الألفية والرسالة والحديث. توفي بفاس سنة 1184 هـ، ودفن إلى جنب قبر الإمام ابن غازي في الروضة بالكغّادين داخل باب الفتوح من فاس الأندلس.

▸ **أبو حفص عمر الفاسي (ت 1188 هـ)**[2].

هو أبو حفص عمر بن عبد الله الفاسي بن يوسف بن العربي الفاسي من أكبر شيوخ الأسرة الفاسية. ولد بفاس عام 1125 هـ. أخذ عن والده، وقريبه أبي عسرية محمد بن أحمد ابن يوسف الفاسي، والشيخ محمد العراقي، وأبي العباس بن مبارك، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني، وأبي عبد الله محمد جسوس، وغيرهم، كما حصل على إجازات الشيوخ

---

(1) تنظر ترجمته في: نشر المثاني 4/ 196، سلوة الأنفاس 2/ 78.

(2) تنظر ترجمته في: إتحاف المطالع 1/ 37، شجرة النور الزكية 356-357، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2403-2404.

الذين أخذ عنهم، وتتلمذ على يديه من لا يعد كثرة، منهم: قريبه محمد ابن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي، وزين العابدين العراقي وعبد الكريم اليازعي وأبو زيد عبد الرحمن الخياط ومحمد بن عبد السلام الناصري، وسليمان بن محمد الحوات، والطيب بن كيران وأضرابهم، ودرس عليه الطرنباطي علم البيان، وعلم الأصول، والمنطق، وأفاد منه كثيرا في هذه العلوم.

ولأبي حفص عمر الفاسي مؤلفات كثيرة مفيدة منها: غاية الأحكام في شرح تحفة الحكام، وتحفة الحذاق في شرح لامية الزقاق، وحاشية على مغني ابن هشام، و حاشية على كبرى السنوسي، وشرح قصيدة ابن فرح الاشبيلي في المصطلح، وغير ذلك.

وكان رحمه يأنف من ذكر تاريخ ولادته اقتداء بالسلف الصالح كمالك والشافعي توفي سنة 1188 هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة.

- محمد بن الحسن بناني (ت 1194 هـ)[1].

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد ابن عبد الله بن أبي القاسم بناني شيخ فاس وعالمها. كان إماما مشاركا في شتى العلوم، مشهور بتآليفه العديدة. ولد بفاس سنة 1133هـ ونشأ وترعرع بها، لازم جماعة نيرة من شيوخ عصره، منهم: قريبه الشيخ محمد بن عبد السلام بناني، والشيخ جسوس، وأبي العباس الورزازي، وأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، و غيرهم، أجازه كثير من العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب.

---

(1) تنظر ترجمته في: السلوة 2/ 12، نشر المثاني 4/ 214 ، إتحاف المطالع 1/ 48، شجرة النور الزكية ص:357 فهرس الفهارس 1/ 162 ، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2418.

تصدر للتدريس فأقبل على مجلسه عدد غفير من طلبة العلم، منهم: الشيخ عبد الرحمن الحائك، والشيخ الرهوني، والشيخ الطيب بنكيران، والشيخ بنيس، والشيخ حمدون بن الحاج، وانتفع من علمه أيضا الطرنباطي، حيث قرأ عليه الحاشية على الزرقاني، والفقه والحديث، كما أفاد من حلقاته العلمية هاته.

له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم، منها: حاشية على شرح الشيخ عبد الباقي الزقاني على المختصر، وحاشية على مختصر الشيخ السنوسي في المنطق، واختصر تأليف شيخه ابن مبارك في مسألة التقليد وفهرسته وغير ذلك. توفي سنة 1194 هـ.

▶ **عبد الكريم اليازغي** (ت 1199 هـ)[1].

هو أبو محمد عبد الكريم بن علي بن عمر بن أبي بكر بن إدريس اليازغي، أحد أعلام فاس البارزين، كان فقيها حافظا، متفننا في علوم شتى، جامعا بين معقولها ومنقولها، ولد بفاس ونشأ بها، فأخذ عن شيوخها المشاهير مثل أبي حفص عمر الفاسي ومحمد جسوس وأبي العباس الورزازي وغيرهم.

وانصرف إلى التعليم والتأليف فأقام حلقه العلمية في مجموعة من العلوم، وتزاحم الطلبة عليه من كل جهة لتعم الاستفادة منه.

ومن أشهر الآخذين عنه أحمد الصغير، والطيب بنكيران، والقاضي عبد السلام الدلائي، والطرنباطي الذي درس عليه الفقه، وغيرهم.

لعبد الكريم اليازغي تآليف كثيرة منها: حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، وحاشية على المحلى، وفهرسته. توفي سنة 1199 هـ.

---

(1) تنظر ترجمته في: السلوة 3/ 115، إتحاف المطالع 1/ 58، فهرس الفهارس 2/ 462، شجرة النور الزكية 359، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2430.

► مرتضى الزبيدي (ت1205 هـ)[1].

هو أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الزبيدي الحسيني، ولد سنة 1154 هـ ونشأ باليمن، وارتحل في طلب العلم، ثم جاء مصر سنة1167هـ، وحضر دروس شيوخ وعلماء عصره.

كانت له مشاركات في علوم كثيرة منقولها ومعقولها، واجتذب القلوب بمعارفه، فانتفع الناس بفوائده في جميع المواطن، وكان السيد مرتضى يعرف التركية والفارسية وغيرها من اللغات، واختلف إليه بعض مشايخ الأزهر للأخذ عنه، وخالف علماءه في طرق الإلقاء، فتزاحم الناس إقبالا عليه، من بينهم الطرنباطي الذي يعتبر من أكبر الآخذين عنه من أهل فاس، وقد أجازه الشيخ مرتضى في أن يروي عنه حديث الرحمة المسلسل بالأولية على شرطه، كما أجازه على شرحه على الألفية.

من أشهر آثاره: تاج العروس في شرح جواهر القاموس وهو شرح قاموس الفيروزبادي اعتمد في شرحه على لسان العرب وغيره، لكنه لم يستطع إتمامه في حياته، فأتمته لجنة بعد مماته، وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، والأمالي الشيخونية في الحديث، أملاها في جامع شيخون، ونشوة الارتياح في بيان الميسر والقداح، والقول المبتوت في تحقيق لفظ تابوت، وغيرها من المؤلفات. توفي سنة1205هـ.

7) **تلاميذه:**

بالرغم من أننا لا نملك شواهد وافية، وأدلة كافية، تساعدنا على تسليط الأضواء على دوره في عملية الإفتاء، والإقراء، والتدريس، إلا أن هذا لا يمنعنا من الاستدلال بما توافر

---

(1) تنظر ترجمته: عند الجبرتي 3/ 196، فهرس الفهارس1/ 526-543، تاريخ اللغة العربية لجرجي زيدان3/ 310-311، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2444.

لدينا من معلومات، فهي وإن كانت مجرد إشارات مقتضبة، لكنها -في نظري- تختزن إفادات مهمة، ومعلومات قيمة، قد تنير لنا الطريق في ما نصبو إليه، ونتوخى معرفته.

فهذا صاحب السلوة يقول في حقه: «وكان رحمه الله ذا نيّة صالحة في تعليم العلم وبثه»[1]. وكان مشاركا في عدة فنون[2]. (وقد أخذ عنه جماعة من الأعيان)[3].

وقال عنه الشيخ مرتضى الزبيدي: «الشيخ الفاضل العلامة مفيد المدرسين»[4].

ويقول عنه السلطان مولاي سليمان: «مفتاح التلامذة في المدارك، سريع الحركات، في الدروس غير متباطئ»[5].

وفي نفس السياق قال عنه عبد الكبير بن هاشم الكتاني: كانت «له مشاركة في العلوم، وخصوصا علم النحو، فله فيه الباع الطويل»[6].

ويعتبره الأستاذ المرحوم علال الفاسي ممن نبغ من علماء القرويين الذين عملوا على نشر العلم بها، وكرسوا أنفسهم لخدمة طالبيه[7].

كما اعتبره الدكتور عبد الهادي التازي من طائفة العلماء الذين كانت لهم صلة بالقرويين، وعرفوا بنشاط ملحوظ في هذه الجامعة العظيمة أيام الدولة العلوية الشريفة الثالثة[8].

---

(1) ابن جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس 2/ 268.

(2) المصدر السابق 2/ 268.

(3) نفسه 2/ 268.

(4) محمد عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس 1/ 536.

(5) فهرسته: جمع واختصار الفقيه محمد التهامي المكي بن رحمون الحسني، نسخة مصورة من المخطوطة في ملك الدكتور عبد السلام شقور ص: 26.

(6) «زهرة الآس» في بيوتات أهل فاس ص: 576.

(7) مجلة تطوان -ع5، سنة 1960، ص: 59، 61.

(8) جامعة القرويين - المسجد والجامعة بمدينة فاس 3/ 790، 806.

بناء على هذه المعطيات، نخلص إلى فكرة مهمة مفادها أن هذه الشواهد جميعها تتفق على أن المؤلف قد تصدر مجالس الإقراء والتدريس، وأفاد تلامذته في عدة فنون: كالفقه، والأدب، والنحو، وغير ذلك. كما حاولت بعضها أن تكشف لنا جانبا مجهولا من شخصيته يهم نشاطه التعليمي وطريقته في التدريس، مثل:

- الحركية والاستمرارية في إلقاء الدروس.
- القدرة على التبليغ والتواصل مع التلاميذ.
- سرعة البديهة والقدرة على الوصول إلى المدارك والفهوم.
- استحضار الوازع الديني والأخلاقي في تعليم العلم ونشره.

وفيما يخص المواد التي تولى تدريسها فإننا نجد غالب المصادر التي ترجمت له تصفه بمجموعة من الأوصاف والألقاب تلمح وتشير إلى ذلك[1]، وهي:

«علاّمة، مشارك، فقيه، مدرس، نحوي،...» وغير ذلك.

فلفظة «علامة» مثلا، توحي بأنها ولفظة مشارك وفقيه مترادفات، وهي تعتبر أكبر لقب علمي، وأسمى مرتبة علمية على عهد سيدي محمد بن عبد الله[2].

وبالنسبة للفظتي «مدرس، نحوي» فإنهما على ما يبدو لفظتان مترابطتان، وقد تتضمن الأولى الثانية، لأن من بين اهتمامات واختصاصات المدرس أن يقوم بتدريس النحو، وإلى هذا المعنى يذهب القلقشندي حيث يقول: «المدرس: وهو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية

---

(1) تنظر المصادر التي ترجمت له، وقد سبق ذكرها.

(2) ينظر كأمثلة على ذلك: التقاط الدرر ص: 44، 449، 452، 455.

من التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والتصريف، ونحو ذلك.وهو مأخوذ من درست الكتاب دراسة، إذا كررته للحفظ»[1].

في المقابل، نجد القادري كثيرا ما يذكر لفظة «مدرس» وحدها[2]، وكذلك الأمر بالنسبة للفظة «نحوي»[3].

وفي بعض المواضع من كتابه يورد لفظة «مدرس» وحدها، ثم يتبعها بما يدل على أنها تعني من اشتغل بتدريس النحو[4].

انطلاقا مما تقدم، نخلص إلى نتيجتين:

- **الأولى**: يمكن أن نعتبر المدرس هو من تصدى لتدريس عدة فنون، وبالتالي يدخل المؤلف في مدلول هذا اللفظ، على أساس أنه شارك في تعليم عدة علوم. ولهذا أدلة من المصادر التي ترجمت له تؤكد هذا المعنى.

- **الثانية**: قد يكون المؤلف ـ الطرنباطي ـ قد تخصص لتدريس علم النحو، على اعتبار أنه كان ماهرا في هذا العلم، وله فيه باع طويل. ولهذا أيضا أدلة من نفس المصادر التي تعرضت لترجمته تؤيد ذلك.

وعموما، يمكن اعتبار المؤلف من بين العلماء الذين شاركوا في تدريس عدة علوم، كما خصص هامشا واسعا من حلقاته العلمية لتدريس علم النحو، أي أنه استطاع أن يزاوج في عملية الإقراء والتعليم بين علوم عامة كالفقه، والحديث، والأدب، وعلوم خاصة كالنحو.

---

(1) صبح الأعشى للقلقشندي ص: 5/ 436.

(2) ينظر: التقاط الدرر للقادري، مثلا ص: 123.

(3) المصدر السابق، مثلا ص: 295.

(4) المصدر السابق، مثلا ص: 411.

أما من أخذ عنه من الطلبة والتلاميذ فإننا نلاحظ إجحافا وتقصيرا في حق هذا الرجل؛ لأن جل المصادر التي ترجمت له لم تفدنا بما كنا نطمح إليه، بل اكتفت بذكر بعض الأسماء القليلة التي تتلمذت على يديه مقارنة مع المكانة التي كان يحظى بها في عصره، والوسط العلمي الذي عاش فيه، إذ يكفيه فخرا أنه كان مدرسا لأحد ملوك الدولة العلوية، وما ظفر بهذا الشرف والحظوة إلا بما عرف عنه من ضلوعه وطول كعبه في العلم والمعرفة.

ونذكر في هذا الصدد بعض التلاميذ والطلبة ممن حظوا بالأخذ عنه، وذلك حسب ما وقفت عليه في المصادر التي تعرضت لترجمته:

- **السلطان مولاي سليمان (ت 1238 هـ)[1].**

هو أبو الربيع مولاي سليمان بن محمد بن إسماعيل العلوي الحسني، من خيرة ملوك الدولة العلوية، ولد سنة 1180 هـ. كان فقيها، عاملا، مكثرا لمجالسة العلماء والفقهاء، وجامعا بين الملك والعلم والعمل، كان ذا فكر سلفي سليم من الاعتقادات الضالة أخذ عن عدد كبير من الشيوخ والعلماء، منهم: عبد القادر بن شقرون، ومحمد الهواري، والطيب بنكيران، والشيخ بنيس، ومحمد العراقي، وغيرهم. ودرس على شيخه الطرنباطي العربية والأدب والفقه، وأفاد منه كثيرا خاصة في مجال اللغة والنحو.

وتصدر لإقراء العلوم وتدريسها فأفاد وأجاد، وقد أثنى عليه كثيرا الشيخ إبراهيم الرياحي السفير التونسي أثناء حضوره بعض دروسه في التفسير.

من تآليفه «عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد» وحاشية على الزرقاني على المواهب وحاشية على الموطأ، وحاشية على شرح الخرشي على المختصر، وتأليف في أحكام الجن

---

(1) تنظر ترجمته في: إتحاف المطالع 1/ 131، شجرة النور الزكية ص:381 ، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2514-2515.

والتفريق بينها وبين أحكام الإنسان، وغير ذلك. توفي سنة 1238 هـ بمدينة مراكش ودفن بضريح جده المولى علي الشريف.

▸ العربي الدمناتي (ت 1253 هـ)[1].

هو أبو حامد العربي بن محمد الدمناتي، كان عالما، أديبا وكاتبا مقتدرا. أخذ عن جماعة من العلماء منهم الطرنباطي، حيث أفاد كثيرا من حلقاته العلمية ودروسه الوجيهة.

له مؤلفات كثيرة منها: فهرسة سماها «سمط الجوهر في الأسانيد المتصلة بالفنون والأثر»[2] ومجموعة إجازات من مشايخه المشارقة والمغاربة بخط أيديهم، وكناشات. توفي بالصويرة مرحلا سنة 1253هـ.

▸ عبد القادر الكوهن (ت 1254 هـ)[3].

هو أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن، أحد علماء فاس البارزين، وكبير مشيختها. كان عالما مشاركا جامعا بين الحقيقة والشريعة، كما كان أحد أفراد مجلس السلطان المولى عبد الرحمن. ولد بفاس سنة 1177 هـ. أخذ عن بنكيران وأبي الفيض حمدون بن الحاج، وأبي عبد الله محمد القادري، والطرنباطي وغيرهم. ومن الآخذين عنه المهدي بن سودة.

---

(1) تنظر ترجمته في: إتحاف المطالع 1/ 164، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2555، المصادر العربية لتاريخ المغرب2/ 35.

(2) حللها عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس1/ 301.

(3) تنظر ترجمته في: إتحاف المطالع1/ 166، فهرس الفهارس1/ 490ـ493، شجرة النور الزكية ص:397، موسوعة أعلام المغرب 7/ 2557- 2558.

و للكوهن تآليف نذكر منها: فهرسة سماها إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد، وشرح على مدخل ابن الحاج، والنجم الساري في ختم صحيح البخاري، إلى غير ذلك من التآليف، وخصوصا في التصوف.

توفي بالمدينة المنورة سنة 1254 هـ ودفن بالبقيع.

8) ثقافته ورأي العلماء فيه:

يتضح من خلال استعراضنا لدراسته، وأسماء شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، والكتب التي درسها في مجالسهم، أنه كان جامعا لعلوم عصره معقولها و منقولها، فهو الفقيه، المربي، النحوي، الصوفي الأديب، إذ كان من أكثر أعلام زمانه معرفة و إطلاعا على العلوم التي كانت سائدة في العالم الإسلامي وقتذاك، واغترف من ينابيع أشهر علماء عصره.

ونلاحظ ذلك من خلال المصادر التي كان ينهل منها معلوماته، ويستدل بها في كتابه، وهذا يدلنا على تضلعه وطول كعبه.

وقد كانت ثقافته الفقهية واسعة، وربما كانت منفتحة على جميع المذاهب. ولعل هذه الثقافة الواسعة هي التي أهلته لأن يكون قاضيا ثلاث مرات.

ولا نظن أننا في حاجة إلى التأكيد على ثقافته اللغوية والنحوية، فالرجل كان لغويا ونحويا بارعا، ونلمس ذلك من خلال ما يلي:

- اهتمامه الشديد بهذا العلم[1].
- شهادة العلماء في براعته ومهارته في هذا العلم[2].

---

(1) سلوة الأنفاس 2/ 268.

(2) سيأتي ذلك لاحقا

« تآليفه في هذا العلم[1].

وقد كانت شهرته في هذا العلم سببا في إقبال كثير من طلبة العلم على الأخذ عنه، والاغتراف من ينابيع معارفه، ويكفي أن نعلم أن من بين تلاميذه النجباء الذين أقبلوا على مجلسه العلمي هذا، السلطان مولاي سليمان الذي أخذ عنه العربية والنحو.

أما من حيث ثقافته الأدبية فأغلب كتب التراجم التي وقفت عليها تصفه بالأديب، ويشهد لهذا الوصف، مشاركته في قرض الشعر، وإن لم يبلغنا منه إلا شذرات أوردها النميشي في كتابه[2] وهي:

سيدي نحن نزلنا روضة وانتظمنا كعقود من لئال
بيننا جدول ماء وله جنتان عن يمين و شمال
فلتكمل بحضور أنسنا نغتنم فرصة إسعاف الليال

وأورد له صاحب السلوة[3] بيتين من نظمه هما:

اعتقد فيّ جميلا فاعتقاد السوء ظلم
جاء في القرآن يتلى إن بعض الظن إثم

وساق الطرنباطي نفسه أبياتا أخرى له في خاتمة كتابه[4] إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، جاء فيها ما يلي:

---

(1) نفس الكلام السابق.

(2) تاريخ الشعر والشعراء بفاس، ص: 85- 86.

(3) سلوة الأنفاس 2/ 268.

(4) تنظر خاتمة كتاب «إرشاد السالك..... ».

بالله إن نظرت عيناك ما صنعت يد الفقير إلى غفران مولاه
فاقرأ له مهديا أم الكتاب وقل الله يجعل دار الخلد مأواه

وله أبيات أخرى أوردها في مؤلفه شرح خطبة ألفية ابن مالك، كقوله في مدح الأئمة العلماء الأخيار(1):

هم الناس خير الناس من قدرهم غدا مدى الدهر يعلو في الأنام ويعظم
إله الورى بالعلم أكرمهم ومن له يكرم المولى لدى الخلق يكرم

وعن تعلقه بألفية ابن مالك ولهفته عليها قال(2):

نظرت إليها نظرة فتحيرت دقائق فكري في بديع صفاتها
وأوحى إليها الوهم أني أحبها فآثر ذاك الوهم في وَجَناتها

وعموما فإن هذه الأبيات وإن لم تكن في المستوى الرفيع، فإنها على كل حال تدلنا على أن الرجل كانت له مشاركة، بالإضافة إلى لغته الرصينة، وأسلوبه المتين، وكذلك اختياراته التي يودعها تآليفه تنبي عن مدى سعة ثقافته الأدبية.

وفيما يخص ثقافته الصوفية فالظاهر أن الطرنباطي من خلال ما تلقاه من شيوخه في هذا المجال، وما أورده من المصادر التي نهل منها ثقافته هاته، أنه كان على إطلاع واسع على التراث الصوفي.

و يبدو من خلال كتب التراجم التي ترجمت له، أنه كان على أخلاق عالية، إذ كان يتصف بالصلاح، والعلم، والتواضع، والتقوى، والورع، وصفاء السريرة.

---

(1) شرح خطبة ألفية ابن مالك، ص: 3.

(2) المصدر السابق، ص: 3.

وقد أثنى عليه ابن جعفر الكتاني قائلا: «وكان رحمه الله ذا نيّة صالحة... ذا دين متين، وتُقى مستنير»[1].

وقال ابن الماحي عن خلقه أنه كان ذا نية حسنة وعلى «دين متين، وتقوى ومروءة تامة»[2].

ووصفه الشيخ مرتضى الزبيدي بالعارف «كنز المتقين»[3].

أما مذهبه الصوفي فإننا لا نملك مصادر تسعفنا في هذا الموضوع، باستثناء الإشارات السابقة الواردة في بعض كتب التراجم.

وبالرغم من هذا، فانه بناء على الإشارات المذكورة آنفا، والنصوص التي أتى بها الطرنباطي في كتابه، توحي إلى أنه كان يميل إلى التصوف العملي الإيجابي القائم على الطهارة القلبية، والاستقامة السلوكية. فالتصوف عنده طهارة واستقامة. ولعل هذا يتوافق في بعض أبعاده مع التصوف الشاذلي الذي أرست دعائمه بعض الزوايا المغربية كالزاوية الفاسية، والناصرية، والدلائية وغيرها[4].

ويجب ألا يفوتنا ونحن نتحدث عن ثقافته أن نشير إلى أن الطرنباطي كان ذا ثقافة تربوية واسعة، وعلى دراية مستفيضة بالكتابات التي تصب في هذا المجال، ولعل خير دليل على ذلك كثرة الشواهد المستقاة من مظانها الأصلية الواردة في طيات هذا الكتاب، وكذا كيفية معالجته للقضايا التربوية التي تطرق إليها، ورؤيته الثاقبة لأبعادها المستقبلية.

---

(1) سلوة الأنفاس 2/ 268.

(2) معجم المطبوعات المغربية ص:212.

(3) فهرس الفهارس 1/ 536.

(4) ينظر في هذا الموضوع كتاب عبد الحفيظ الفاسي: «الترجمان المغرب في فروع الشاذلية في المغرب» مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 4400 د، و قد حقق في إطار أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة عبد المالك السعدي من قبل الأستاذ محمد الربيعي.

فقد بدا بحق، مربيا ومدرسا حاملا لهموم مجتمعه التربوية والتعليمية ومسكونا بقضاياه ومسائله، فهو لم يكن يعالجها لمجرد التأليف أو المألوف، ولكن كان ذلك بدافع ديني ووازع أخلاقي، فلعل هذا ما حركه وأيقظ في وجدانه همة العربي المسلم الغيور على دينه وعلى أبناء مجتمعه. فالقصد من هذا هو إصلاح الفرد وبالتالي إصلاح المجتمع، ولعل هذا ما يبوح به كلامه من خلال ما جاء في أول كتابه: «... وطلب مني أن أجمع له شيئا من فضائل العلم والعلماء لتنبعث النفوس إلى طلبه وتحصيله، إذ سمعت ما أعد الله لأهله... رجاء الاستقامة على السير... »[1].

وإذا أردنا أن نعرف مكانة الرجل على حقيقتها، ونقوم شخصيته وثقافته على ضوء ما قاله فيه العلماء، ونظرتهم إليه، سنجد أنهم جميعا يتفقون على تقديره والثناء عليه، وكلامهم في هذا الجانب كثير.

فهذا ابن جعفر الكتاني يصفه قائلا: «الشيخ الفقيه الأديب، النحوي الأديب العالم العلامة المشارك المحقق الفهامة النفاع الذي له في سماء المعالي علو وارتفاع... كان رحمه الله علامة متيقظا نحريرا حافظا أديبا بليغا مشاركا في عدة فنون، ومهر في علم النحو...»[2].

وما قاله الكتاني نراه يتكرر عند ابن الماحي[3] ومحمد مخلوف[4] و البلغيثي[5] وحجي في موسوعته[6] وغيرهم.

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 223.

(2) سلوة الأنفاس 2/ 268.

(3) معجم المطبوعات المغربية، ص: 212.

(4) شجرة النور الزكية، ص: 374.

(5) الابتهاج 1/ 99 - 2/ 47، 62.

(6) موسوعة أعلام المغرب 7/ 2466.

ويقول في حقه السلطان مولاي سليمان في فهرسته: «الفقيه المشارك ومفتاح التلامذة في المدارك...»[1].

ووصفه صاحب جمهرة التيجان قائلا[2]:

والعالم الطرنباطي محمد له يد في كل فن يحمد

وحلاه مرتضى الزبيدي في إجازته له بما يلي: «فلما منّ الله على تشرفي واجتماعي بحضرة سيدنا الإمام العالم اللودغي العلامة الفاضل الكامل الجهبذ المناضل، حامل راية العلوم، ومحيي رسومها، والعارف الخبير بمنطوقها ومفهومها، الفقيه الأصولي النحوي الأديب، لسان الدين أبي العرفان... »[3].

وباستعراضنا لهذه الأقوال والتحليات نكون قد سلطنا الأضواء على بعض الجوانب من شخصية الطرنباطي وثقافته، وهي في الحقيقة لا تعكس صورة مكتملة عن هذه الشخصية، ولكنها تزودنا بمعلومات مهمة عن بعض معالمها وملامحها.

9) وفاته:

تتفق جميع المصادر التي ترجمت للطرنباطي على أن وفاته[4] كانت يوم الاثنين سادس المحرم فاتح سنة 1214هـ.

---

(1) فهرسة السلطان مولاي إسماعيل ص:26.

(2) أبو القاسم الزياني: جمهرة التيجان ص:126.

(3) كناشة الطرنباطي، ص: 14.

(4) في تذكرة المحسنين أنه توفي سنة 1213 هـ. ينظر: موسوعة أعلام المغرب، لحجي 7/ 2465.

وتذكر هذه المصادر أن سبب وفاته يرجع إلى إصابته بمرض الطاعون[1] الذي اجتاح المغرب بشكل فظيع في أواخر سنة 1213هـ، ومات به عدد لا يحصى من الناس، منهم السلطان مولاي هشام، و الطرنباطي.

وكان لهذا المرض الخطير خسائر مادية وبشرية، تضرر بسببه العباد والبلاد[2].

دفن بمقبرة المنجرين قرب روضة سيدي رضوان خارج باب الفتوح بفاس[3].

وقد قمت بزيارة لعين المكان بتاريخ 10/ 01/ 2005، فطفت وجلت صحبة مقدّم المقبرة جميع أرجائها، فلم أعثر له على أثر، ثم أكّد لي المقدم بأن هناك العديد من المقابر التي يعود زمانها إلى مائتي سنة وتزيد قد اندثرت بسبب هشاشة التربة وانجرافها، مما أدى إلى انطماس الكثير منها وتلفها.

وخلف الطرنباطي ولده إدريس، وقد كان عالما وفقيها مشاركا في عدة علوم، توفي سنة1276 هـ ودفن قرب والده[4].

10) آثــــاره:

كان الطرنباطي ذا ثقافة متنوعة، تجمع بين الفقه، والأدب، واللغة، والنحو، والمنطق، والتصوف، وغير ذلك من علوم عصره، وبالرغم من انشغاله بالتدريس، والقيام بأعباء خطة القضاء، إلا أنه لم ينقطع عن الكتابة والتأليف، والمشاركة في الحياة العلمية، لذلك خلف بعض المؤلفات التي تعكس جانبا من نشاطه العلمي.

---

(1) موسوعة أعلام المغرب 7/ 2464.

(2) المصدر 7/ 2464.

(3) سلوة الأنفاس 2/ 269.

(4) سلوة الأنفاس 2/ 269.

وفيما يلي أسماء بعض المؤلفات حسبما ورد ذكرها في المصادر التي تعرضت لترجمته، أو التي وقفت عليها في بعض الخزانات وهي غير مثبتة في تلك المصادر.

يمكن تصنيف مؤلفات الطرنباطي ومشاركته التأليفية والعلمية إلى أربعة أنواع:

أـ التوحيد:

- شرح على توحيد رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

ب ـ التربية والتعليم.

- **«بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام»** الكتاب الذي بين يدينا للتحقيق.

ج ـ الفقه[1]:

- تأليف في **البسملة والحمدلة**. اختصره من الفوائد المسجلة.
- تأليف في **الخنثى المشكل**.

د ـ النحو:

ولعل هذا المجال هو الذي مهر فيه الطرنباطي حسب ما تذكره كتب التراجم، وتتركز هذه التآليف أساسا على القضايا اللغوية والنحوية.

- **تأليف في صور الفعل المؤكد بنون التوكيد**[2].

وهو تقييد على قول صاحب الخلاصة: **وآخر المؤكد افتح كأبرز...**

---

(1) لم أقف على هذه المؤلفات.

(2) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم: 2817 د، يقع في عشر صفحات من صفحة 94 إلى صفحة 103، ونسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء برقم: 449/ 3 في ثلاث ورقات.

وقد بين فيه الطرنباطي الصور النحوية والصرفية التي تدخل تحت ذلك البيت وما بعده، فجعلها مرتبة على أربعة أنواع:

- **الأول**: الصحيح ويدخل في خمس صور.
- **الثاني**: المعتل بالواو وفيه خمس صور.
- **الثالث**: المعتل بالياء وفيه خمس صور.
- **الرابع**: المعتل بالألف وفيه خمس صور.

ويعتمد المؤلف أثناء توضيحه لهذه الصور الصرفية على آراء كبار النحويين واللغويين، مثل سيبويه والسيرافي والزجاج والمبرد وغيرهم.

وطريقته في التبيين تقوم على معالجة كل نوع على حدة، وما تفرع عنها من صور أخرى جزئية، بعد ذلك ينتقل إلى الأنواع المتبقية متتبعا نفس الخطوات، ومستدلا في توضيحاته بأقوال كبار النحويين واللغويين.

- **شرح خطبة ألفية ابن مالك**[1]: طبع على الحجر بفاس سنة 1305 ويشتمل على126 صفحة.

بدأه المؤلف بقوله: «إن أفصح كلام وأعجز، وأوضح نظام جمع وأوجز، حمدُ الله تعالى نفسه، قبل أن يخلق جنه وإنسه...»[2].

والكتاب كما يبدو من عنوانه هو شرح لمقدمة ألفية ابن مالك، وقد كانت نفسية المؤلف متلهفة إلى الخوض في هذا العمل، بعد التردد الذي طالما انتابه كلما عقد العزم على ذلك، لأنه كان يعلم أن مثل هذا الأمر قد سبقه إليه غيره، وأوسعوا فيه بحثا وكلاما، فما عساه

---

(1) اعتمدت على النسخة الموجودة في مكتبة المرحوم الأستاذ عبد الله كنون، رقم 10076.

(2) شرح خطبة ألفية ابن مالك، للطرنباطي، ص: 2.

سيضيفه في هذا الشأن. ويفسر هذا قولـه: «...فرغـت لهـا فكـري، وشرحـت لهـا صـدري، وأقبلت عليها إقبال لهفان، وتعلقت بها تعلق...الحائر الولهان... وقد عزفت غير ما مرة عـن بعض التقاييد إليها، ولا أقل من شرح خطبتها... فأرجع عن ذلك وأقول من أين أسلك هذه المسالك، وهذا أمـر ليس في طوقي، وليس بكسبي ولا ذوقي...ولست أجهل أن هذا الأمـر قد سبق إليه غيري قبلي، لكن أردت أن أجمع هذا لنفسي ولمن هو في التعلم مثلي...»[1].

وقد صدر المؤلف شرحه هذا بمقدمة نظرية في مبادئ علم النحو، تناول فيها مجموعة من القضايا، من جملتها:

- هل الأحكام الشرعية متوقفة على اللغة، والنحو، والتـصريف، وغـير ذلـك مـن علوم الآلة ؟
- من واضع علم النحو، والتصريف، وما هو سبب وضعهمـا؟
- كيف نشأت اللغة ؟ هل هي وضع، أو مـحاكاة، أو إلهام...؟

وقبل أن يشرع المؤلف في ما يقصده ويرومه، حاول بـادئ ذي بـدء أن يفـصل الكـلام في مسألتين هامتين بالنسبة له، هما:

- البسملة وأمورها.
- الحمدلة وأمورها.

وعند حديثه عن البسملة، تناول بالشرح عددا من الأمور، منها:

- فضلها.
- سبب الابتداء بها.

---

(1) المصدر السابق، ص: 3.

- إعرابها، وشرح كلماتها.
- اشتقاق «الرحمن الرحيم»، ومعنى «الرحمن».
- فائدة تكرير «الرحمن الرحيم».

وبالنسبة للحمدلة، فقد عالج في شأنها خمسة أمور، هي:

- فضلها.
- سبب الابتداء بها.
- انقسام كل من الحمد والشكر إلى لغوي وعرفي، وتعريف كل منهما.
- النسب الواقعة بينهما.
- في شرح قول الناظم: «أحمد ربي الله».

بعد ذلك راح المؤلف يشرح قول الناظم.

ويتسم شرحه هذا بكثرة النقول والشواهد من المصادر اللغوية، والصرفية، والفقهية، والحديثية، وغير ذلك، وأحيانا، يشفع ما ينقله بتعليقه، فيؤيد، أو يعارض.

كما حاول أن يعزز آراءه وأفكاره أثناء الشرح بآراء وأقوال كبار العلماء في مختلف العلوم: الشرعية، أو اللغوية، أو غيرها، مثل: سيبويه، الكسائي، الزجاج، ابن جني، ابن هشام، السيوطي، المناوي، ابن عطاء الله، زروق، ابن رشيد، الدماميني، أبو حامد الفاسي، عبد السلام القادري، ابن الحاج، وعبد الله العياشي...وغيرهم.

وفي بعض الأحيان كان المؤلف يستطرد فيعبر بعلامات تدل على ذلك، مثل: «اعلم، تتمة، تنبيهات، لطيفة، نكتة، فائدة، الحاصل...».

بالإضافة إلى ذلك، كان المؤلف بين الفينة والأخرى يطرح تساؤلات مفيدة يقتضيها السياق، فيتصدى لها بالإجابة والشرح، مستعينا في شأنها بما تردد عند من سبقه من كبار العلماء والفقهاء وغيرهم.

وقد كانت للمؤلف وقفات جميلة ومفيدة أثناء شرحه، فنراه تارة يبين الوجه الإعرابي لمسألة ما، ثم يتبعه بالشرح والتعليل، مثل قوله: «وقول الناظم «أحمد » وهو بفتح الميم مضارع حَمِدَ بكسرها، من باب علم يحمد، وفاعله مستتر وجوبا، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: يحمد بياء الغيبة، لكنه التفت من الغيبة إلى التكلم، وإنما عدل إلى ذلك؛ لأنه أراد إدخال نفسه في الفعل لأجل الخضوع، والتواضع لله، وإن كان مؤديا إلى اللبس باحتمال كون الجملتين من ناطقين. واجتمع في قوله »أحمد ربي« الإعراب اللفظي، والتقديري، والمحلي. فـ« أحمد » إعرابه لفظي، و«ربي» إعرابه تقديري، وياء التكلم محلي... »[1].

وتارة يبدي ملاحظاته وآراءه حيال قضية معينة، تعبر عن المنحى أو الرأي الذي يطمئن إليه، فيقول مثلا: «...كان الأولى للناظم أن يقدمَ اللفظة المعظمة للاعتناء، والتبرك، أو لإفادة معنى الحصر عند من قال التقديم يفيده، والوزن يقبله. فيقول: «والله أستعين»... وهو ـ أي أستعين ـ فعل مضارع، والسين فيه للطلب، وأصله أَسْتَعْوِنُ بكسر الواو، ونقلت كسرة الواو إلى ما قبلها، فقلبت الواو ياء، والله منصوب بـ«أستعين». وقوله في الألفية متعلق بـ«أستعين...»[2].

وتارة أخرى يبرز الوجه البلاغي في مسألة محددة وردت في سياق شرحه، كقوله: «وقول الناظم: «والله يقضي»، فيه نوع من أنواع البديع، وحسن الانتهاء.وقد قالوا: ينبغي أن يتأنق في ثلاثة مواضع:

---

(1) شرح خطبة ألفية ابن مالك، للطرنباطي ، 68.

(2) شرح خطبة ألفية ابن مالك، للطرنباطي ، ص: 99- 100.

« في الابتداء، وهذا لم يفعله الناظم.

« والثاني التخلص...وهذا قد أتى به في قوله: « وأستعين بالله »، فكأنه قال: «أما بعد»، فطلبي العون من الله على كذا. وكلمة «أما بعد» مما يقرب من حسن التخلص.

« والثالث الختم، فإن الختم بالدعاء معهود عند البلغاء... »[1].

وهو في هذا وذاك، كان يأتي بشواهد وأدلة يعضد بها ما يذهب إليه، حتى يجعل المتلقي يقتنع بموضوعيته، ورجاحة ملاحظاته وآرائه.

وعموما، يبدو المؤلف من خلال شرحه لخطبة ألفية ابن مالك جامعا لعلوم الشرع وعلوم الآلة، فهو بقدر ضلوعه وطول كعبه في العلوم الأولى، كان بارعا وماهرا في العلوم الثانية.

وقد ختم المؤلف شرحه قائلا: «ووافق الفراغ منه صبيحة يوم الجمعة ثامن وعشرين من ذي الحجة، عام مائتين وألف، على يد مؤلفه وكاتبه، أفقر الخلق لربه، وأوجلهم من سوء كسبه: محمد بن مسعود الطرنباطي، غفر الله ذنبه، وستر عيبه، آمين. انتهى»[2].

إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك[3].

---

(1) نفسه ص: 124.

(2) نفسه، ص: 126.

(3) يشبه عنوانه كتاب ابن عقيل في شرح الألفية المسمى: «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك».

وقد اشتهر مؤلَّف ابن مالك هذا، بين الناس باسم «الألفية»، ويسمى كذلك بـ «الخلاصة».

وتسمية «الألفية» مأخوذة من قوله في أولها:

وأستعين الله في ألفيه *** مقاصد النحو بها محويه

وتسمية «الخلاصة» مأخوذ من قوله في آخرها:

حوى من الكافية الخلاصه *** كما اقتضى رضا بلا خصاصه

بذلك سماه الطرنباطي قائلا: «...وسميته إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك»[1].

طبع هذا الشرح على الحجر بفاس في جزأين عام 1305[2].

وتوجد نسخة من هذا المؤلف مخطوطة في الخزانة العامة بتطوان تحت رقم 579، ونسختان في مكتبة آل سعود بالدار البيضاء، الأولى برقم: 130، نسخت سنة 1269هـ والأخرى برقم: 589/ 9.

والمؤلَّف هو مجموعة من التقاييد المتفرقة، سواء ما تعلق بمتن الألفية، أو بالشروح والحواشي التي جمعها الطرنباطي ليفيد بها السالك إلى ألفية ابن مالك.

ويستفاد هذا من كلامه في مقدمة كتابه؛ فبعد البسملة والحمدلة والتصلية، قال: «فهذه تقاييد كانت متفرقة، فجمعتها، ومستورة فأبرزتها... كانت عندي مضاعة، فصيرتها مذاعة،

= وشروح هذا الكتاب كثيرة لا يتسع المقام لذكرها جميعا، منها:

شرح محمد بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن مالك وهو ابن الناظم (ت686هـ) - شرح ابن هشام(ت761هـ)- شرح بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت769 هـ) - شرح محمد شمس الدين بن محمد الخطيب، المعروف بابن الجزري، (ت 833 هـ) - شرح الحسن بدر الدين بن قاسم بن عبد الله ابن عمر المرادي المصري(ت849 هـ) - شرح عبد الرحمن أبو بكر المعروف بابن العيني الحنفي(ت849هـ) - شرح عبد الرحمن ابن علي بن صالح المكودي (ت801 هـ)- شرح إبراهيم برهان الدين بن موسى بن أيوب، الأبناسي، الشافعي، (ت 802 هـ) - شرح الحافظ عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت911 هـ). وغيرها من الشروح.

وتختلف هذه الشروح من حيث طبيعة وطريقة التعامل معها ـ أي ألفية ابن مالك ـ ففيها المطول، وفيها المختصر، فيها المتحامل والمتلمس لمزالق الناظم، وفيها المتحيز له، والمصحح لكل ما يأتي به، وفيها من حاول التوفيق بين هذا وذاك متخذا طريقا وسطا.

(1) إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، الصفحة ما قبل الأخيرة.

(2) اعتمدت على النسخة الموجودة في مكتبة المرحوم الأستاذ عبد الله كنون، رقم 10076.

منها ما يتعلق بمتن الألفية، ومنها ما يتعلق بالشروح والحواشي، تنشط القارئ والسامع، وتنفع إن شاء الله الكاتب والجامع... »[1].

ويؤطر الطرنباطي شرحه بوضع علامة «قوله» ثم إذا أراد أن يتوسع ويستطرد وضع لنفسه عنوانا مثل: «تنبيه، فائدة، اعلم، تتمات، تذييل، لطيفة، تنكيت، تحصيل...».

وينقل عن مصادر مختلفة لغوية و نحوية، كما ينقل أثناء شرحه عن كبار شيوخ المغرب - مثل: سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي و سيدي أحمد الهشتوكي، وسيدي محمد بن عبد السلام بناني، وسيدي العربي بردلة، وسيدي أبي عبد الله بن القاسم وغيرهم.

ويطرح تساؤلات نحوية دقيقة، ثم يجيب عنها، ويورد بعض ما قيل بصددها من كلام جماعة من الشيوخ والعلماء.

وقد سلك الطرنباطي في شرحه مسلكا وسطا ومعتدلا، فهو لم يكن يتصيد مزالق الناظم ليتعسف عليه في نقده، أو يتحين الفرص ليتحامل عليه، كما حاول أثناء الشرح أن يبرز - ما استطاع - مذاهب العلماء ووجوه استدلالاتهم وآرائهم.

وقد أشار ابن جعفر الكتاني إلى قيمة هذا الكتاب قائلا: «وهو عجيب نفيس، مشتمل على فوائد غريبة، و نكت بديعة عجيبة»[2] تجعل القارئ والباحث معا يحسان بالمتعة والإقبال وهما يقلبان ورقات هذا المؤلف.

ويعتبر هذا الشرح «في نظر العلماء المختصين في علم اللسانيات، من أهم الشروح التي وضعت على ألفية ابن مالك لحد الآن، ومن المصادر النفيسة في علم قواعد اللغة

---

(1) إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، ص: 1.

(2) سلوة الأنفاس 2/ 268.

العربية»[1]. ويمتاز عن بقية الشروح الأخرى الموضوعة على متن الألفية بكونه محررا «تحريرا علميا دقيقا، حيث زاد عن متن بعض الحكايات والأشعار التي تناسب كل مقام، مما جعلها عمدة لذوي الاختصاص»[2].

وقد ورد في شأن الكتاب تقريظ للشيخ محمد الفاطمي بن الحسين الحسيني الصقلي عندما تم طبعه على الحجر بفاس قائلا[3]: [الكامل]

عربيـــة مـــضرية حـــضرية ... قد أعربت عن كل حسن مشرق
ألفيـة الأوصـاف مفـردة أبهـا ... أضحت تضاف إلى الجمال الأسبق
قامت تطوف على ندامى أنسها ... في مجلس يزهـو بجـامٍّ مدهـق
وتبسمت فحكـت لنـا أنفاسهـا ... أنفاس عود طيبه لم يلحـق
لا بل حكت مسك الختام لطبع حا ... شية الطرنباطي الوحيد المرتقـي
العـالم العلامـة الحبـر الـذي ... قد صار بحرا لا يخاض بـزورق
أعني ابن مسعود الذي سعدت به ... فـاس ونالـت الكمـال المطلـق
أبدى العجائب شرحه في خطبـة ... أضحـت مخطوبـة للمنتقـي
وكذاك أبدى في الحواشي ما غدا ... فتحـا لكـل عويـص مغلـق
جـازاه بالحسنى علـى إحسانه ... مـولى يجازي كل ذي فضل تقـي

وانتهى الطرنباطي من تأليف هذا الكتاب سنة 1206 هـ، وهي السنة التي بويع فيها السلطان مولاي سليمان ملكا على البلاد.

(1) ينظر كتاب: «المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956» ص: 305.

(2) المرجع السابق، ص: 305.

(3) تنظر الورقة الأخيرة المستقلة في آخر كتاب «إرشاد السلك إلى ألفية ابن مالك» للطرنباطي، وهي خاصة بتقريظ هذا المؤلَّف.

وقد ختمه بقوله: «...هذا وخطه بيده العبد المسرف على ذنبه، الراجي عفو ربه، محمد بن مسعود بن أحمد الطرنباطي، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، بتاريخ الثامن والعشرين من ذي القعدة المبارك عام ستة ومائتين وألف»[1].

د- الأدب، وبالأخص فن المحاضرات:

كناشة:

توجد هذه الكناشة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3303 ك. وتقع في اثنتين وعشرين صفحة، دون أن تشتمل على وقت الفراغ من كتابتها، أو اسم ناسخها، أو تاريخ نسخها[2].

وهي مجموعة من التقاييد، تدور حول مواضيع مختلفة، وتشتمل على فوائد قيمة ومتنوعة، نكتفي في هذا المقام أن نشير إلى بعضها كما يلي:

- الآبار التي تفل فيها أو شرب من مائها النبي ﷺ.
- كيفية طبخ المِرِينَة[3].
- ما لا يتمثل به الشيطان.
- ما يختم به الدرس.
- كيف تنال المناصب الشرعية بالبلاد المشرقية.
- ما يعين على فهم كلام القوم.
- توبة القاتل.

---

(1) كتاب «إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك» للطرنباطي، الصفحة الأخيرة.

(2) يبدو لي أن خطها قريب جدا من خط المؤلف الذي كتب به «بلوغ أقصى المرام...»، وبالتالي فليس من المستبعد أن تكون هذه الكناشة نسخة أصلية من خط المؤلف.

(3) نوع من أنواع السمك.

- تأخير الصلاة لمشوش.
- رثاء حسان بن ثابت لابن النبي ﷺ.
- ما يطيل العمر.
- مكان قبر خالد بن سنان.
- عدد أجزاء تاريخ الذهبي.
- للأمن من العطش.
- لطرد الهوام.
- في شرح الشمائل لابن حجر.
- مذهب مالك مبني على ست عشرة قاعدة.
- السلطان نار كلما زدت إليه تحترق.
- نصيحة أبي عثمان المازني لبعض تلامذته بدراسة النحو.
- نص لعبد الرحمن الفاسي فيما يتأكد النهي عنه والتحذير منه.
- في شرح الفصيح لابن هشام اللخمي قوله: وهي عائشة بالألف عائشة فاعلة من عاشت فهي عائشة والمذكر عائش...
- نص إجازة العلامة الشيخ مرتضى الزبيدي كتبها للطرنباطي في أن يروي عنه حديث الرحمة المسلسل بالأولية على شرطه، وسائر ما سمعه من حفظه ولفظه.

وفيما يلي جزء من نص هذه الإجازة:

«... فلما منّ الله تعالى علي تشرفي واجتماعي بحضرة سيدنا الإمام العالم اللودغي العلامة الغني بمحاسنه عن التصريف، والعلامة الفاضل الكامل الجهبذ المناضل حامل راية العلوم

ومحيي رسومها، والعارف الندب الخبير بمنطوقها ومفهومها، الفقيه الأصولي النحوي الأديب لسان الدين أبي العرفان سيدي محمد بن مسعود الطرنباطي الفاسي... سمع من حفظي ولفظي حديث الرحمة المسلسل بالأولية على شرطه، وطلب مني أن أجيزه بذلك كما جرت به عادة أهل الحديث في القديم والحديث، فأجزته أن يروي عني ذلك، وسائر ما يجوز لي روايته، وإن لم أكن أهلا لذلك... »[1].

- كلام لعبد الرحمن المجذوب.
- نص للعالم سيدي عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي حول ما اشتملت عليه قصيدة لبعض العارفين، هو أحمد بن حمزة بن جبر طاس من اسم الله الأعظم. وهو كلام يقع في خمس صفحات.
- قصيدة للإمام عبد الله العياشي، قالها عند ختمة قراءة الشمائل على الشيخ عبد القادر الفاسي، وذلك في زمن القحط. وهي في صفحة ونصف.
- ما بعث به السلطان أبو محمد عبد الله بن إسماعيل العلوي إلى الحضرة النبوية الشريفة من مصاحف مغشاة بالذهب، ومطرزة باليواقيت المنوعة الألوان، العزيزة الوجود في ذلك الزمن.
- أبيات شعرية للشيخ البكري الصديقي في مدح القهوة.
- حديث نبوي شريف يتحدث عن اتخاذ النبي ﷺ أبي بكر الصديق خليلا كما اتخذ الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليلا.
- ذكره أسماء الكتب التي باعها والتي يقصد بيعها.

وغير ذلك من المواضيع.

---

(1) كناشة الطرنباطي، ص: 14.

* **رشف الزلال من عين الحياة، في مباحث البسملة والحمدلة والصلاة :**

منه نسخة محفوظ بالخزانة الملكية بالرباط برقم: 12469ز «مجموع (3)»، وكان الفراغ من تبيضه في منسلخ ربيع الثاني عام 1185هـ، النسخة ضمن مجموع (من الورقة 81ب إلى 125أ) بخط مغربي، تاريخ النسخ في شهر محرم عام 1269هـ، ونسخة بخزانة القصر الملكي بمراكش تحت رقم: 503. وقد أشير في الفهرس بأنه مبتور الآخر.

هذا ما أمكنني الاطلاع عليه ومعرفته، ولا ندري ما في الزوايا من خبايا.

الفصل الثالث

دراسة تحليلية للكتاب

1) توثيق الكتاب:

لقد أجمعت كتب التراجم التي ترجمت للطرنباطي على نسبة كتاب «**بلوغ أقصى المـرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام**» إليه[1] كما أثبت اسم محمد بن مسعود الطرنباطي في أواخر كل النسخ التي وقفت عليها، مما جعلنا نتأكد من أن الكتاب السالف الذكر هو من تأليف العالم الجليل محمد بن مسعود الطرنباطي.

والكتاب حسب ما توصلت إليه مشهور عند المهتمين بالتراث المغربي، ونسخه موجودة في أشهر الخزائن المغربية.

2) عنوان الكتاب:

ورد عنوان الكتاب مسجوعا على منوال كتب القدماء، وهو من حيث الشكل، يشبه كثيرا عناوين بعض المؤلفات مثل:

- «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» لابن حجر العسقلاني.
- «بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام» لعبد المجيد بن علي الزَّبادي المنالي.
- «بلوغ القصد والمرام في مناقب سيدي الحاج عبد السلام » لأبي عبدالله العربي ابن عبد الله الوزاني.

---

(1) نسبه إليه:

- الكتاني محمد بن جعفر في سلوة الأنفاس 2/ 208.
- مخلوف التونسي في شجرة النور الزكية ص: 374.
- القيطوني في معجم المطبوعات المغربية ص: 212.
- عبد السلام بن سودة في موسوعة أعلام المغرب 7/ 2466.

تنظر مصادر ترجمته.

ويوحي العنوان من حيث دلالة تركيبه اللفظي، أن الكتاب سيتناول مواضيع تربوية وتعليمية، تتعلق بأحكام العلم، والعالم، والمتعلم.

ولعل مدلول هذا العنوان يقترب كثيرا من كتاب اليوسي المسمى: «القانون في أحكام العلم، والعالم، والمتعلم».

3) دواعي التأليف:

عندما نتصفح مقدمة الكتاب نجد أن المؤلف يكشف فيها عن الأسباب التي دفعته إلى وضعه، حيث يقول: «... فإن بعض الأحبة ممن خلص في وده، وصعب علي فيما طلب مني رده، طلب مني أن أجمع له شيئا من فضائل العلم والعلماء لتنبعث النفوس إلى طلبه وتحصيله، إذا سمعت ما أعده الله لأهله، لأنها كَسْلَى كالدابة الحرون، يلاح لها بمخلاة رجاء الاستقامة على السير...»(1).

ويبدو من خلال هذه المقدمة أن الطرنباطي كان حريصًا على نشر العلم وغرس الفضيلة في النفوس، لذا نراه لم يتردد في الاستجابة لهذا الطلب الذي يعتبر من صميم الدين.

فالكتابة في هذا المجال من شأنها أن تزيح عن النفس غشاوة الجهل، وتميط عن طريقها أسباب الكسل، وتضع المرء على جادة الطريق،وتبصره بأمور دينه ودنياه، ولعل هذا هو الدافع الذي حدا بالطرنباطي إلى التأليف في هذا الموضوع، خاصة إذا علمنا أنه كان ممن يؤمن بنشر العلم وعدم كتمانه، شأنه في ذلك شأن السلف الصالح.

4) مصادر المؤلف في كتابه:

استقى الكاتب مادة كتابه من مجموعة كبيرة ومتنوعة من الكتب والمؤلفات، وهي تشكل في مجموعها أمهات المصادر العربية والإسلامية التي نهل منها المؤلف.

---

(1) بلوغ أقصى المرام. ص: 223.

فهو أفاد كثيرا من كتب الحديث والفقه وأصوله والتفسير، وهي علوم كانت تعتبر إلى عصر المؤلف من أساسيات العلوم التي يجب على طالب العلم أن يبادر بدراستها، ويقبل على تحصيلها، ويعكف على طلبها.

وقد كانت للمؤلف وقفات طويلة مع عدد كبير من المسانيد، والمتون، والمصنفات الحديثية المشهورة في الموضوع الذي يعالجه في كتابه، إلى درجة أنه ظل ملتزما بها إلى نهاية مؤلفه.

وقد كانت هذه المظان المصدرية مهيمنة بشكل واضح على متن النص. من هذه المتون، والمسانيد، والمصنفات:

* صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم.
* جامع الترمذي ـ سنن أبي داود ـ سنن ابن ماجه ـ سنن النسائي ـ سنن الدارقطني ـ سنن البيهقي.
* الموطأ ـ مسند أحمد ـ مسند الشهاب.
* **الترغيب والترهيب للمنذري.**

وغير ذلك.

كما كان لكتب الشروح حضور قوي، زاد من تعضيد مسانيده التي يتكئ عليها في الاستدلال، وهي كتب مشهورة مثل:

* **فتح الباري لابن حجر.**
* **الجامع الصغير للسيوطي.**
* **فيض القدير للمناوي.**

وغير ذلك.

وبين الفينة والأخرى كان المؤلف يستعين ببعض كتب التفاسير عندما يقف عند شرح بعض الآيات القرآنية مثل:

* تفسير القرطبي.
* تفسير الواحدي.
* تفسير ابن عطية.
* الكشاف للزمخشري.
* الدر المنثور للسيوطي.

ولم يذخر المؤلف جهدا في البحث في تضاعيف كتب التصوف، ليأتي بنصوص مفيدة، تخدم آراءه وأفكاره المبثوثة في طوايا كتابه.

وقد أفاد فعلا من هذه المصادر، إذ كانت له عونا جميلا في توجيه مسار تفكيره، وتصوراته التي يريد إثباتها في مؤلفه.

من أهم هذه الكتب: مؤلفات الشيخ زروق مثل:

* تحفة المريد.
* النصيحة الكافية.
* كتاب الإحياء للغزالي.
* الحكم العطائية.
* العهود المحمدية لعبد الوهاب الشعراني.

وغير ذلك من المؤلفات.

وهي كما نلاحظ كتب انتقاها المؤلف لكونها تشكل في نظره الفكر الصوفي النقي المساير للكتاب والسنة.

ولعل هذا هو التوجه العام الذي كان المؤلف يسير على سننه وهداه، وقد سلكه في إثبات تصوراته وأفكاره ضمن مؤلفه هذا.

وبالنسبة لمصادره في الفقه وأصوله، فقد حرص أن تكون إفادته منها بقدر ما يتطلبه الموقف التربوي والتعليمي الذي يعالجه، وبالتالي لم يكثر منها إلا إذا سمح له المقام بذلك.

ومن بين هذه المصادر الفقهية التي ساهمت في تشكيل مادة كتابه:

- الذخيرة للقرافي.
- غنية السالك إلى علم المناسك، لمحمد بن معلى السبتي.
- المجموع شرح المهذب، للنووي.
- المعيار، للونشريسي[1].
- شرح القرطبية.
- شرح الرسالة.
- شرح الرسالة للقلشاني.
- شرح الرسالة للجزولي.
- شرح الرسالة للشيخ داود المصري.

(1) بالنسبة للمجموع والمعيار فقد أفاد منهما المؤلف بشكل غير مباشر.

وقد عزز المؤلف آراءه وأفكاره بمجموعة من النصوص الشعرية ذات الطبيعة التعليمية، وهي تقوم عنده فيما يذهب إليه مقام الشاهد عند العالم النحوي واللغوي، وهي ذات دلالة عميقة في بنية النص.

في المقابل نجد في متن الكتاب نصوصا أخرى منتقاة من مصادر مسكوت عنها، أفاد منها المؤلف بشكل غير مباشر، ودون أن يصرح عن المصدر الذي أخذت منه. وقد قدمت خدمة جلى للكتاب، وزادت من تـمتين أفكاره وآرائه.

من هذه المصادر:

* ألف باء، للبلوي.
* بغية السالك إلى أشرف المسالك، لأبي عبد الله الساحلي.
* تحفة الفضلاء، للتنبكتي.
* تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة.
* شرح توحيد الرسالة، للشيخ جسوس.
* جامع البيان والتحصيل، لابن رشد.
* الذخيرة، للقرافي.
* القانون، لليوسي.
* المجموع شرح المهذب.
* المعيار، للونشريسي.

وغيرها من المؤلفات.

إن هذا الحضور القوي والمكثف لهذه المظان المصدرية سواء المباشرة أو غير المباشرة، تمدنا بتصور واضح عن المرجعية أو المنظومة الثقافية التي تشكل ثقافة المؤلف المصدرية من جهة، ومن جهة أخرى تزودنا بمعلومات دفينة عن نموذج الثقافة السائد في عصره.

إن المؤلف بناء على هذا المقتضى، يعتبر صورة صادقة للعصر الذي عاش فيه، فمن خلاله يمكننا استخلاص فكرة واضحة المعالم عن طبيعة المكتبة المغربية في تلك الفترة، التي استطاعت أن تضم هذا الكم الزاخر من الكتب التي تعد بحق من أمهات المصادر العربية والإسلامية، كان يرجع إليها كل طالب علم، وكل باحث وعالم، ولعل ما يفسر وجود هذه الظاهرة الثقافية وقتذاك، النوايا الحسنة التي كانت تشجع العلم والعلماء. ويتجلى ذلك خاصة في اهتمام السلطانين سيدي محمد بن عبد الله، ومولاي سليمان بالعلم ونشره بين الناس، فقد دأبا على تعمير المكتبات المغربية بمختلف الكتب والمؤلفات، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تاقت أنظارهما خارج البلاد لاقتناء النفائس والذخائر من الكتب العربية والإسلامية.

5) عرض مفصل لمحتويات الكتاب:

يتناول الكتاب كما يفهم من عنوانه «بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» قضايا ومسائل قيمة ومختلفة في ميدان علوم التربية.

وقد رتب المؤلف كتابه على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة.

والكتاب بشكل عام تعرض للحديث عن أقسام العلوم، وفضل العلم وشرفه، ومكانة العلماء وطلبة العلم، ثم انتقل إلى الكلام عن أسباب رفع العلم وذهابه.

والآن سأحاول إعطاء نظرة مجملة عن مضامين كل باب من أبواب الكتاب، مبرزا فيها أهم آرائه التربوية والتعليمية.

المقـدمـة

تطرق الطرنباطي في مقدمة الكتاب إلى الحديث عن أقسام العلوم وسبب وضعها[1]، فبدأ أولا بتحديد أقسام العلم، فجعله على قسمين: قديم، وحادث[2].

والقديم في نظره غير منقسم، وفيه اختلاف بين العلماء، من حيث حده وتعريفه. ففي رأي الغزالي أن هذا القسم من العلم لا يحد، وفي رأي آخرين أمثال الفخر الرازي والسنوسي وصاحب المحرر، وعبد الرحمن الفاسي أنه يحد[3].

أما العلم الحادث فقد قسمه الطرنباطي إلى نوعين: ضروري ونظري[4]. ويرى في هذا الإطار أن العلم الضروري هو ما كان يدرك من جهة الحس والعقل، وهذا يعني أن الحصول على المعرفة إما أن يكون بالضرورة العقلية، وإما بالضرورة الحسية.

وفيما يتعلق بالعلم النظري فهو في تصوره العلم الحاصل بالكسب والطلب، أي هو ما كان طريقه الاستدلال والنظر.

ونلاحظ هنا أن الطرنباطي لم يخرج في هذا التقسيم عما قاله سابقوه، أمثال الجويني وابن عبد البر واليوسي وغيرهم[5].

ثم انتقل الطرنباطي إلى الحديث عن النفس البشرية، وعجز العقول عن معرفة ما يطهرها من نزواتها، فكان ذلك في رأيه سببا أن بعث الله رسله عليهم السلام لهداية العقول إلى ما فيه خلاص النفوس، وتطهيرها من دنس شهواتها، وربطها بخالقها[6].

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 225.

(2) المصدر السابق ص: 227.

(3) نفسه، ص: 227-228.

(4) نفسه، ص: 229.

(5) قد أشرت إلى أقوال هؤلاء العلماء في مقدمة النص المحقق.

(6) بلوغ أقصى المرام، ص: 229-232

وبعد ذلك راح المؤلف يوضح الأسباب الدفينة التي أدت بالمسلمين إلى اختراع جملة من العلوم، كاللغة والنحو العربي، والبلاغة، والتفسير، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم الهيئة، وعلم الحساب،وعلم المنطق... وفي نظره، أن جميع هذه العلوم متكاملة فيما بينها، وأنها في مجموعها تخدم الدين، وعليها تقوم مقاصد الشريعة الإسلامية[1].

الباب الأول: في فضل العلم

تناول الطرنباطي فيه فضل العلم وشرفه، فأتى بعدد من الشواهد العقلية والنقلية تؤيد ذلك. فبدأ أولا بالشواهد العقلية، حيث أورد نصا طويلا للفخر الرازي، بيّن فيه أن العلم صفة كمال وأن الجهل صفة نقص[2]، وأن طباع الحيوان قد ركز فيها الانقياد للإنسان، لكونه أعلم منها، «وفي طباع الناس كل طائفة تنقاد للأعلى منها وتعظمه»[3]. وهذا «معلوم للعقلاء»[4]. ثم خلص إلى أن «لاشيء أنفع من العلم وأرفع منه ولا لأحد غنى عنه»[5].

وبعد ذلك انتقل إلى استقصاء الشواهد النقلية من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح نظما ونثرا، وكلها ترفع من شأن العلم والإنسان العالم، وتذم الجهل وتحط من قدر الجاهل.

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 232 وما بعدها.

ينظر في الموضوع مقالة لعلال الفاسي في مجلة "تطوان" تحت عنوان: «مهمة علماء المسلمين». عدد 5، سنة1960، ص: 59، 61.

(2) بلوغ أقصى المرام، ص: 245.

(3) المصدر السابق، ص: 245.

(4) نفسه، ص: 245.

(5) نفسه، ص: 246.

وقد توسل الطرنباطي في تبيين ذلك بكتب التفسير، كتفسير القرطبي والزمخشري وابن عطية وغيرها، وكتب الحديث كفتح الباري لابن حجر العسقلاني وغير ذلك، ولم يكتف بإيراد الأدلة من الكتاب والسنة؛ بل استقصى في مجال الاستشهاد على فضل العلم وشرفه عددا من آثار الأئمة والعلماء، بَيَّنَ من خلالها أن السلف الصالح كلهم أجمعوا على أن الإنسان العالم أرفع قدرا ومكانة عند الله، وأن العلم يرفع صاحبه إلى درجة رفيعة، وهو غنى لمن لا مال له، وعز لمن لا جاه له، وبه كرم الله آدم، وجعله أعلى مرتبة من الحيوان، وبالعلم تتقوى شوكة الإسلام، وعليه مدار الدين، وبواسطته تنشر تعاليمه ومبادئه.

وبعد ذلك تحدث الطرنباطي عن مسألة المفاضلة بين العلم والعبادة ما لم تكن هذه الأخيرة فريضة، كما قال الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم»[1].

وعلى أساس هذا المنظور الفقهي الاجتهادي، حاول الطرنباطي أن يقنعنا بكون العلم أنفع إذا كان الأمر يتعلق بالنوافل. ففرائض الدين أولا ينبغي أن تقام، بعدها يأتي العلم، كما يريد أن يفهمنا أن هناك جدلية بين العلم والفرائض، بمعنى أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تكون بمعزل عن العلم، لأن الله يحب أن يعبد عن علم، فالعابد العالم خير من العابد الجاهل.

وعليه، فالعلم على أساسه تقوم فرائض الدين، وعلى هداه تتحقق مقاصده، وما التفريق بينهما في خطاب الفقه الإسلامي بشكل عام، وكتاب الطرنباطي بشكل خاص، إلا من قبيل التوضيح والتبيين، وإلا فلا يمكن أن يسود دين في أرجاء الأرض، ويعم الآفاق بدون علم. فالعلم هو الوسيلة الوحيدة لتبليغ رسالته. والعلم هنا يكون وسيلة لغاية شريفة في ذاتها، وليس العلم للعلم، أي مجردا من المقاصد النبيلة.

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 265.

وبذلك سما العلم على العبادة النافلة، وكان العلماء في أعلى رتبة مع الأنبياء والمرسلين، ومنهم من جعلهم أفضل من الأولياء والعارفين بالله.

وقد عقد التنبكتي[1] في هذا الموضوع فصلا ممتعا بعنوان: «في ذكر المفاضلة بين العلماء وبين الأولياء العارفين» ضمن كتابه «تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء»[2] انتهى فيه إلى تفضيل العلماء على الأولياء، مؤيدا بذلك الموقف الأول الذي يمثله كلام جماعة من السلف الصالح، كسفيان بن عينة، ومالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد ابن حنبل، وغيرهم[3]، ومعارضا الموقف الثاني[4] المتمثل في كلام القشيري[5]، والغزالي، وعز الدين بن عبد السلام[6]، وآخرين.

وقد اعتمد التنبكتي فيما ذهب إليه على ما أورده الإمام ناصر السنة أبو إسحاق الشاطبي[7] في« الموافقات»[8].

---

(1) هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي 963 هـ- 1032هـ صاحب كتاب نيل الابتهاج و كفاية المحتاج. انظر ترجمته في: خلاصة 1/ 170-172، صفوة من انتشر ص: 114 (تحقيق عبد المجيد خيالي)، الأعلام للزركلي1/ 102-103 .

(2) حققه سعيد سامي، وقام بتخريج أحاديثه الأستاذ إبراهيم بن الصديق - منشورات جامعة محمد الخامس. 1413هـ/ 1992 م.

(3) تحفة الفضلاء، ص: 43 وما بعدها.

(4) نفسه ص:44 و 49.

(5) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري 376 هـ 465 هـ كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر وعلم التصوف، من مؤلفاته: الرسالة القشيرية. والتفسير الكبير ولطائف الإشارات. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان 1/ 376، طبقات السبكي3/ 243.

(6) ستأتي ترجمته لاحقا.

(7) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي (ت790هـ) كان أصوليا، مفسرا، فقيها، محدثا، لغويا، من كتبه: شرح على الخلاصة في النحو، والمجالس، والإفادات والإنشادات، والموافقات وغير ذلك. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص:46.

(8) الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الميداني - القاهرة.

وإذا كان العلم بهذا الشكل، فانه يقتضي من المرء بذل الجهد في طلبه، لأنه لا يتأتى دون مشقة وعناء.

وتعتبر الرحلة في طلبه مطلوبة شرعا[1]، وهذه نقطة أخرى تندرج تحت هذا الباب، وهي في رأي الطرنباطي من الأمور التي تدل على شرفه، وقيمته، فأقام على ذلك أدلة من الكتاب والسنة، ومن كلام الأئمة والحكماء، حيث اعتبر أن طلب العلم يعدل الشهادة في سبيل الله، وأن كل من خرج في طلبه، فهو في سبيل الله حتى يعود، وإذا مات وهو على تلك الحال، فهو في منزلة الشهداء.

الباب الثاني: في فضل العلماء

تناول الطرنباطي في هذا الباب الحديث عن أهمية العلماء والمكانة الرفيعة التي امتازوا بها في الدين الإسلامي على سائر الناس، وقد عالج هذه المسألة من خلال ثلاث نقط:

- النقطة الأولى في فضل العلماء ومكانتهم.
- النقطة الثانية في تعظيم العلماء وتوقيرهم.
- النقطة الثالثة في تحذير من احتقر أو حط من قدر العلماء.

يرى الطرنباطي في النقطة الأولى أن للعلماء مكانة خاصة ومتميزة في الشرع الإسلامي، فقد ورد ذكرهم في كثير من النصوص الدينية، كلها تنوه بهم، وترفع من شأنهم، وتضعهم في مراتب عليا، تليق بقدرهم، ومركزهم؛ فهم في المنظور الإسلامي ورثة الأنبياء، وعليهم تقع مسؤولية التبليغ والدعوة من بعدهم.

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 286 وما بعدها.

وقد أتى المؤلف في هذا السياق بعدد من الشواهد من الكتاب والسنة، وأخرى من مأثورات أقوال السلف الصالح وغيرها.

من الأدلة التي ساقها في بيان شرف العلماء وفضلهم، قوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾[1]، قال ابن عباس: فقهاء، متعلمين، وقال أيضا: حلماء، علماء. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2].

وقد اقتصر المؤلف على ذكر هاتين الآيتين في هذا المقام دون أن يتوسع في إيراد غيرها على خلاف ما كان سائدا عند سابقيه.

ثم راح بعد ذلك يبحث في كتب الأحاديث فانتقى منها ما يناسب هذا الباب، نذكر منها على سبيل الاختصار[3]، قوله ﷺ: «أول من يشفع له يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء».

ومنها كذلك[4] قوله عليه الصلاة والسلام: «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر».

ومنها أيضا ما ورد على لسان النبي ﷺ قائلا: «إن الله ليرفع البلاء عن أهل الأرض بسبب العلماء».

ولم يفت المؤلف في هذا السياق أن يأتي كذلك بأدلة من مأثور أقوال الصحابة والسلف الصالح وهي كثيرة، من بينها[5] قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تفارقوا مجالس العلماء،

---

(1) آل عمران، الآية 78.

(2) فصلت، الآية 32.

تنظر هذه الشواهد في بلوغ أقصى المرام ص: 291.

(3) بلوغ أقصى المرام. ص: 293. وينظر تخريج الحديث في ص: 301.

(4) ينظر تخريج الحديث في ص:301.

(5) بلوغ أقصى المرام، ص: 306.

فإن الله تعالى لم يخلق على وجه الأرض أكرم من مجالس العلماء». وكلام سهل ابن عبد الله التستري[1]: «من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء، فهم خلفاء الرسل في أممهم ووارثوهم في علمهم، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة». ثم ساق قول أبي مسلم الخولاني[2] مبينا أن: «مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا وإذا خفيت عليهم تحيروا».

وفي النقطة الثانية تحدث الطرنباطي عما يجب للعلماء من التعظيم والتوقير، فهم في نظره أهل لكل تبجيل وتقدير، نظرا للمكانة الرفيعة التي خصهم بها الله تعالى، والتشريف الذي حباهم به سيدنا محمد رسول الله ﷺ، فهم خير ورثة على الأرض دون منازع، لأن ميراث النبوة لا يأخذه إلا العلماء، فلولاهم «لكانت الناس كالبهائم»[3] وجعلت مجالسهم كرياض الجنة، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا يا رسول الله: وما رياض الجنة ؟ قال: مجالس العلماء»[4].

إن هذه المكانة الشريفة التي منحهم إياها الإسلام في نظر الطرنباطي تقتضي منا أن نجل العلماء، ونكنّ لهم كل الاحترام والتقدير، ولا نفوت الفرصة دون أن نرتع في رياضهم.

وقد أورد في هذا الإطار أحاديث نبوية، منها[5]: ما أخرجه الخطيب وابن عساكر عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء، فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله».

---

(1) نفسه، ص: 307.

(2) نفسه، ص: 309.

(3) نفسه، ص: 325.

(4) ينظر تخريج الحديث في ص: 307.

(5) ينظر تخريج الحديث في ص: 308.

ومنها أيضا[1] أن النبي ﷺ قال: «أوحى الله إلى إبراهيم أني عليم أحب كل عليم».

ويسوق الطرنباطي في هذا المعنى[2] ما ذكره السيوطي في كتابه «بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للضلال» أن النبي ﷺ قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال:حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن، فان حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه».

وفي هذا الأمر ينقل لنا المؤلف حادثة يرويها ابن عبد البر عن الشعبي أنه قال: صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال، خل عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال له ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء...[3].

لهذا نجد الإمام مالك رضي الله عنه كما ذكر الطرنباطي يقول[4]: «عليكم بمعرفة حق أهل العلم، والتماس برهم، وواجب عليكم أن لا تمروا بقرية فيها عالم إلا أتيتموها فتسألون عنه وتنالون منه».

وفي النقطة الأخيرة، يرى الطرنباطي أن كل من لم يعظم حرمة العلماء واستخف بهم، وسعى في إذايتهم، وانتقص من قدرهم، وتتبع عوراتهم، قصد النيل من شخصيتهم وإهانتهم و التعرض بهم، فهو في نظره يدخل ضمن دائرة المنافقين، تلحقه اللعنة من السماء والأرض.

ومن الشواهد التي أوردها الطرنباطي في هذا الصدد قول النبي ﷺ[5]: «ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط».

---

(1) ينظر تخريج الحديث في ص: 315.

(2) ينظر تخريج الحديث في ص: 315.

(3) بلوغ أقصى المرام، ص:317.

(4) نفسه ص:325.

(5) ينظر تخريج الحديث في ص: 311.

ومنها[1] ما رواه الطبراني في الكبير عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم من الدنيا فيتحاسدون، وأن يفتح لهم الكتاب يأخذه المؤمن يبتغي تأويله، وأن يروا ذا علم فيضيعونه ولا يبالون به».

ومن السنة النبوية أيضا[2] ما جاء على لسان النبي ﷺ قوله: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه» وغيرها من الأحاديث.

ومن الآثار المروية عن السلف الصالح، فقد أتى الطرنباطي في هذا المعنى بالكثير منها نكتفي بذكر بعضها.

فهذا أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله ينصح طالب العلم قائلا[3]: «اعلم يا أخي وفقني الله وإياك إلى مرضاه، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه، أن لحومهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار متنقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم».

أما مالك بن دينار فنجده يحذر المسلم بقوله[4]: «من آذى طالب العلم لعنته الملائكة، ويلقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان، ومن أعانه ولو بدرهم بشرته الملائكة عند قبض روحه بالجنة وفتح الله له بابا من النور».

---

(1) ينظر تخريج الحديث في ص: 311.

(2) ينظر تخريج الحديث في ص: 316.

(3) بلوغ أقصى المرام ص: 312-313.

(4) بلوغ أقصى المرام ص: 313.

الباب الثالث: في التحذير من قراءة العلم لغير وجه الله وما جاء في ذلك من الوعيد

هذا الباب خصصه الطرنباطي للحديث عن مجموعة من المبادئ التربوية الأساسية التي تضيء طريق كل طالب علم، وعلى هداها يشق سبيله في مسيرته العلمية إذ هي التي تجعله على المسلك الصحيح في تحصيله العلمي والمعرفي. من أهم وأبرز هذه المبادئ التربوية ما يلي:

1. الإخلاص في طلب العلم.
2. اقتران العلم بالعمل.
3. التواضع و مجانبة العجب.
4. بذل العلم وعدم البخل به.
5. تنزيه العلم عن المطامع واجتناب مواضع التهم.

في المبدأ الأول تطرق الطرنباطي إلى الحديث عن العلم الذي لا يقصد به وجه الله، وإنما يريد به صاحبه دنيا يصيبها أو شرا يضمره ليهلك به الناس.

ويفهم من هذا، أن المؤلف يرى أن أول ما يجب على طالب العلم أن يتزود به هو الإخلاص لله سبحانه وتعالى قولا وعملا؛ لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا له سبحانه، فإذا فقد الإخلاص وخالطته شوائب الرياء، وأصبح القصد من تحصيل العلم المباهاة والشهرة بين الناس، فإن مثل هذا العلم يكون حجة على صاحبه يوم القيامة ويبقى عمله ضائعا بين السماء والأرض، ولا ينال في الآخرة جزاء ولا أجرا.

لذلك اهتم علماؤنا بالحديث عن الإخلاص والتأكيد عليه، إذ جعلوه أول خطوة في تحصيل العلم، وهم يريدون بذلك النية الخالصة لله تعالى، وفي المقابل حذروا من الرياء والسمعة، وخاصة في طلب العلم.

ويذكر الطرنباطي في هذا السياق عددا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة[1] من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2] وقوله ﷺ «من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» وقوله ﷺ: «من طلب العلم ليجاري به العلماء وليماري به السفهاء ويصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار»[3] وغيرها من الأحاديث.

ومن الآثار المروية عن السلف الصالح في الإخلاص فقد أورد حكاية أخرجها ابن جرير وغيره، مفادها: أن رجلا كان يقال له بلعام كان مجاب الدعوة، وأن موسى عليه السلام أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام وقومه، فرعبوا منع رعبا شديدا، فأتوا بلعام ليدعو ربه على موسى وقومه بالهلاك، إلا أن بلعام كلما حاول ذلك لم يسعفه لسانه على الدعاء، فيصدر منه العكس. وتحت إصرار قومه وعدم مطاوعة لسانه على ذلك، سخر علمه في البحث عن وسيلة خبيثة تمكنه من القضاء على موسى وقومه. وتتمثل هذه الوسيلة في إخراج النساء إلى قوم موسى قُصد الزنا بهن، ولكن الله سلم وعصم، وكان لهم بالمرصاد، فانقلب السحر على صاحبه[4]. فعلق الطرنباطي على ذلك قائلا: «وانظر كيف تحول لسانه على قومه»[5].

ولم يكتف بهذه الحكاية فحسب، بل راح يسوق مرويات أخرى في هذا المعنى[6]. ولعل الثمرة النفسية التي يجنيها طالب العلم عندما يقصد بالعلم وجه الله، شعوره بسعادة

---

(1) بلوغ أقصى المرام ص: 331، 334.

(2) البينة، من الآية 5.

(3) ينظر تخريج الحديثين في الصفحتين: 334 - 335.

(4) بلوغ أقصى المرام ص: 332-333.

(5) نفسه، ص: 333.

(6) نفسه ص: 333.

روحية عارمة وهو يحصل العلم، وهي سعادة تيسر له كل صعب، وتمنحه القدرة على بذل الجهد، والوقت في رضا وسرور، ولعل ذلك يفسر قوة احتمال سلفنا الصالح لمصاعب شتى قصد تحصيل العلم، كما يفسر من جانب آخر هذا المحصول العلمي الكبير الذي حصلوه خلال الطلب.

وفي المبدأ الثاني يؤكد الطرنباطي على أهمية اقتران العلم بالعمل وضرورة عمل العالم بعلمه، فهو يرى أنه لا ينبغي أن يطلب العلم لذاته مجردا عن الفعل والعمل، وإنما للانتفاع به في ارتقاء الحياة. وكأني به هنا يعالج مشكلة فكرية مازالت مطروحة على صعيد الثقافة الإنسانية، حيث حاول أصحاب نظريات مختلفة الإجابة على التساؤل عن طبيعة العلاقة بين العلم أو الفن أو الأدب وبين الحياة. ومن خلال الإطار الذي رسمه الطرنباطي ووثقه بالنصوص، يظهر أن نظرية العلم للعلم لا تلقى اهتماما من وجهة النظر التي تقرن العلم بالعمل، والذي أكدت عليه الشريعة الإسلامية، وأوضحه المؤلف في هذا الباب.

فالإسلام يجعل العلم عبادة، ويربطه بالنية، ويضبطه بالقيم الخلقية المطلقة، وينظمه بالشريعة العصماء.

وقد أكد الطرنباطي من خلال المرويات التي ساقها[1] على المسؤولية الدينية عن العلم، فالعبد يسأل عن علمه يوم القيامة فيم فعل فيه.

ويحذر الطرنباطي في المبدأ الثالث أن يتحول العلم عن الغاية الشريفة والنبيلة التي رسمت له من قبل الشريعة الإسلامية، حيث يتخذ سلما يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية، والمطامع الذاتية؛ فالعلم في نظره أجل من أن يوظف في هذا الشأن. ومن واجب كل عالم أن يصون العلم كما صانه السلف الصالح، وينزهه عن الطمع، ويقوم له بما يستحقه من

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 343 وما بعدها.

العز والشرف والصيانة، لأن ذلك كما يرى المؤلف إذلالا للعلم وامتهانا له وهو ما يجب أن يحترز منه العالم.

إن هذه النقطة التي أثارها الطرنباطي في هذا الباب هي تحصيل النية والتوجه، إذ كل من لم يخلص في نيته، ولم يصدق في توجهه، كانت النتيجة الغرق في نزوات النفس وشهواتها، والركون إلى ملذات الدنيا والانغماس فيها.

ولعل هذه القضية خطيرة جدا، إذ كيف يصير حال المجتمع أو الأمة إذا أصبح علماؤها يسخرون علمهم من أجل حطام زائل.

إنها في الحقيقة مسألة في غاية الأهمية، لم يفت المؤلف التنبيه إليها. إن مثل هذا السلوك المشين يعرض صاحبه للتهم، وبالتالي للشك في مصداقية ما يحمل من العلم والمعرفة.

ولقد تنبه إلى هذا المبدأ سلفنا الصالح فاعتبروا أن من صيانة العلم «نزاهة النفس عن شبه المكاسب والقناعة بالميسور عن كد المطالب، فان شبه المكسب إثم، وكد الطلب ذل، والأجر أجدر من الإثم والعز أليق من الذل»[1] وتجنب مواطن التهم وإن بعدت، وأنه ينبغي على العالم ألا «يفعل شيئا يتضمن نقص مروءة أو ما يستنكر ظاهرا وإن كان جائزا باطنا فإنه يعرض نفسه للتهمة، وعرضه للوقيعة، ويوقع الناس في الظنون المكروهة وتأثيم الوقيعة، فإن اتفق وقوع شيء من ذلك منه لحاجة أو نحوها أخبر من شاهده بحكمه وبعذره ومقصوده كيلا يأثم بسببه أو ينفر عنه فلا ينتفع بعلمه وليستفيد ذلك الجاهل به»[2].

---

(1) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص: 132.

(2) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم - ص: 90- 91.

ولذلك قال النبي ﷺ للرجلين لما رأياه يتحدث مع صفية فرجعا: «على رسلكما، إنها صفية، ثم قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فخفت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا»[1].

ويقول ابن حجر عن هذا الحديث في فتح الباري:

«وهذا يتأكد في حق العلماء، ومن يقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص، لأن ذلك سبب لإبطال الانتفاع بعلمهم»[2].

وقد ساق الطرنباطي أثناء حديثه عن هذا المبدأ مرويات من السنة النبوية وآثارا من كلام السلف الصالح[3] نثرا ونظما.

من ذلك ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليطلب عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة».وقول بعضهم: «إذا اشتغل العلماء بجمع المال الحلال صارت العامة تأكل الشبهة، وإذا صارت العلماء تأكل الشبهة صارت العوام تأكل الحرام، وإذا صارت العلماء تأكل الحرام صارت العوام كفارا ». وقال السمرقندي يشرح هذا القول: «أي لأن العلماء إذا جمعوا الحلال صار العوام يقتدون بهم في الجمع وهم لا يحسنون الجمع، فيقعون في الشبهة. وإذا أخذ العلماء الشبهة وتحرزوا بما معهم من العلم من الحرام فالجهال لا يميزون بين الشبهة والحرام، فيقعون فيه وإذا أخذ العلماء من الحرام اقتدى بهم الجهال وظنوا أنه حلال فعند ذلك وقع الكفر باستحلال الحرام عصمنا الله أجمعين».

---

(1) أخرجه البخاري 2038 ومسلم 2175 من طريق: الزهري عن علي بن الحسن عن صفية بنت حيي رضي الله عنها مرفوعا.

(2) ابن حجر، فتح الباري 4/ 329.

(3) بلوغ أقصى المرام، ص:337، 350.

ومن الكلام المنظوم[1] قول عبد الله بن المبارك يخاطب إسماعيل بن علية حين ولي على الصدقات: [السريع]

يا جاعل العلم له بازيا ... يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا و لذاتها ... بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنونا بهم بعدما ... كنت دواء للمجانين

وللقاضي العلامة علي بن عبد العزيز الجرجاني.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

ويأتي بعد هذه المبادئ التربوية السابقة، مبدأ التواضع، و مجانبة العجب والرياء، يدعو فيه الطرنباطي حملة العلم أن يطهروا باطنهم وظاهرهم من الأخلاق الرديئة، كالكبر والرياء والعجب؛ لأن هذه الصفات تمثل انحرافا خلقيا، يحيد بصاحبه عن سبيل الحق. ومن الآثار السلبية والخطيرة للكبر والعجب والرياء كما يفهم من كلام المؤلف، أنه ينزع بالعالم إلى الخوض فيما ليس يعلمه ولا يعرفه، وهو لا يدري أن العلم لا يحاط به، فهو بحر لا ساحل له، وقد جعل سلفنا الصالح من قضية الاستكثار من العلم واستمرارية التعلم التزاما خلقيا على العالم.

كما يدعو المؤلف حملة العلم إلى التحلي بالتواضع، ويبدو أن هذه المسألة قد لقيت اهتماما لدى علمائنا الأجلاء المتقدمين، فالماوردي يرى «أن التواضع عطوف، والعجب منفر، وهو

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 355، 358.

بكل أحد قبيح، وبالعلماء أقبح؛ لأن الناس بهم يقتدون، وكثيرا ما يداخلهم الإعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم، لو أنهم نظروا حق النظر و عملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم أولى، و مجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل»[1].

أما ابن عبد البر فقد أفرد فصلا ضمن كتابه «جامع بيان العلم وفضله» في مدح التواضع وذم العجب وطلب الرئاسة، ومما ورد فيه قوله: ومن أفضل آداب العالم تواضعه، وترك الإعجاب بعلمه، ونبذ حب الرئاسة عنه، وترك الدعوى لما يحسنه، وترك الفخر بما يحسنه، إلا أن يضطر إلى ذلك كما اضطر يوسف عليه السلام حين قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[2]، «وذلك أنه لم يكن بحضرته من يعرف حقه فيثني عليه بما هو فيه، ويعطيه بقسطه... فإذا كان ذلك فجائز للعالم حينئذ الثناء على نفسه والتنبيه في موضعه، فيكون حينئذ تحدث بنعمة ربه عنده على وجه الشكر لها»[3]...

الباب الرابع: في آداب المعلمين

أثار الطرنباطي في هذا الباب قضايا تربوية ذات أهمية كبيرة، ما تزال تشغل بال الدارسين والباحثين التربويين في عصرنا الراهن، وتعتبر في مقدمة ما تعنى به التربية الحديثة، وأول هذه القضايا التي عالجها المؤلف في هذا الباب حديثه عن صفات المدرسين والمعلمين، سواء ما يتعلق منها بالجانب الأخلاقي، أو المعرفي، أو البيداغوجي.

فمن الناحية الأخلاقية فقد ركز على عدد من القيم الأخلاقية التي يرى ضرورة الاتصاف بها من قبل المعلمين، وهي صفات أساسية تدخل ضمن بنية الفعل التربوي، والممارسة

(1) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص: 113.

(2) سورة يوسف، الآية: 55.

(3) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله 1/ 562 و 576.

التعليمية. لذا كان من الضروري أن يعمل المعلمون، وكل من يسعى إلى القيام بالعمل التربوي والتعليمي، بالتحلي بها وتمثلها في حياتهم التربوية والتعليمية.

وفي نظر المؤلف إن هذه الصفات ينبغي ألا تمس المظهر الخارجي للمعلم فحسب، بل يجب أن تشمل كذلك المظهر الداخلي، إذ أن عملية تطهير الظاهر متوقفة على إصلاح الباطن.

فالمعلم الذي يريده الطرنباطي هو ذلك المربي الذي يلتزم بأخلاقيات الشريعة الإسلامية ومقتضياتها في خاصة نفسه ابتداء قبل الخوض في عمله؛ لأن المعلم قبل أن يكون مدرسا ومربيا، يجب أن يكون قدوة وأسوة، فالنشء الذي أُوكل بتربيته وتعليمه ينظر إليه نظرة النموذج الذي يقتدى به، والشمعة التي يستضيء بها في مسيرته التعليمية.

إن الأطفال في نظر الطرنباطي يتأثرون بالتقليد، والمحاكاة، والمثل التي يرونها، أكثر مما يتأثرون بالنصح و الإرشاد، فكيف بنا إذا رأينا معلما يخالف ظاهره باطنه، وقوله وفعله، وينهى عن خلق ويأتي مثله... ! ؟

وقريب من هذا المعنى النصيحة المشهورة والرائعة التي قالها عمرو بن عتبة لمعلم ولده: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت... ولا تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك»[1].

لذلك شدد الطرنباطي بقوة على هذا الجانب الأخلاقي، ويستدل على ذلك بنص لداود المصري الذي يرى أن على المدرس «أن يتخلق بالصفات الجميلة، والخصال الحميدة، والشيع المرضية، التي ورد الشرع بها، وحث عليها، وأرشد إليها، من الزهد والسخاء، وطلاقة البشر... والحلم، والصبر، والتنزه عن دني الاكتساب... » وغيرها من الصفات المثالية التي

(1) البيان والتبيين، للجاحظ 2/ 73، العقد الفريد لابن عبد ربه 2/ 431، 432.

يريدها المؤلف أن تتوافر في المعلم، وهي كما نلاحظ صفات تتردد في كل النصوص التربوية التراثية، وتلح عليها[1].

وفيما يخص الصفات المعرفية و البيداغوجية فقد نبه الطرنباطي على ضرورة توافرها في المعلم، إذ لا يمكن الاستغناء عنها، كما أنه من الصعب الفصل بين هذه الصفات. فمعلم الصبيان يجب أن تتمثل فيه الكفاءة المعرفية، والكفاءة البيداغوجية.

وقد ركز الطرنباطي في كتابه على هذه الأخيرة بذكر ما يلي:

منها[2]:

- أن لا يستنكف عن التعلم ممن هو دونه في سن أو نسب أو شهرة.
- أن يكون عارفا بزمانه مقبلا على شأنه.
- التواضع المعرفي بالإكثار من «**لا أدري**».

ويستفاد من هذا أنه خليق بالمعلم والمدرس أن يحرص على تحقيق تكوين مستمر، والاستزادة من العلم والتحصيل، فمن ظن أنه علم فقد جهل.

بالإضافة إلى ذلك فقد أثار الطرنباطي مسألة مهمة تتمثل فيما يلي: هل ممارسة التدريس مشروطة بالإجازة ؟ يقول المؤلف: «أما توقف التعليم على كتب الإجازة فلم يقله أحد وإنما هو كالفتيا لا تتوقف على إجازة، بل من عرف منه العلم والدين جاز أن يعلم ويفتي»[3].

---

(1) ينظر في الموضوع ما كتبه: ابن سحنون في «آداب المعلمين»، القابسي في «الرسالة المفصلة»، ابن عبد البر في «جامع بيان العلم»، الآجري في «أخلاق العلماء»، ابن جماعة في «تذكرة السامع والمتكلم»، المغراوي في «جامع جوامع الاختصار والتبيان»، اليوسي في «القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم»....

(2) بلوغ أقصى المرام، ص: 372 وما بعدها.

(3) بلوغ أقصى المرام، ص: 399.

ونلاحظ هنا أن الطرنباطي كغيره من الفقهاء المغاربة لم يخرج عما قرره السيوطي؛ حيث قال: «فمن علم نفسه الأهلية جاز له ذلك وإن لم يجزه أحد، وعلى ذلك السلف الأولون والصدر الصالح. كذلك في كل علم وفي الإقراء والإفتاء، خلافا لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطا، وإنما اصطلح الناس على الإجازة لأن أهلية الشخص لا يعلمها غالبا من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم لقصور مقامهم عن ذلك»[1].

ولعل هذا المشكل كان مطروحا بحدة في المغرب خلال القرن الثالث عشر الهجري، ويبدو ذلك واضحا في كتاب «الابتهاج بنور السراج» للبلغيثي وفي «حاشية» محمد بن يوسف الرهوني، خاصة في الجزء الأول منها فقد فصل فيها الكلام[2].

والقضية الثانية التي تطرق إليها الطرنباطي في هذا الباب، تتحدد في طبيعة العلاقة القائمة بين المعلم والمتعلمين، فهو يرى في هذا الصدد أن تكون العلاقة التربوية بين الطرفين مبنية على أساس أسلوب تربوي متفهم، ومتأسس على ثنائية الشفقة والعدل.

ويحرص المؤلف على أن يكون المعلم ليّنا في سلوكه، غير عنيف ولا شديد؛ لأن للعنف تأثيرا في شخصية المتعلمين، فهو يشعرهم بالمهانة والحقارة، ويفقدهم الثقة في النفس ويكوّن لديهم عقدا نفسية، وهو من بين العوامل التي تؤدي إلى نتائج عكسية، لأن هذا الأسلوب سيء من الوجهة التربوية.

ومن المعروف أن قسوة المعلمين على المتعلمين تترك آثارا سلبية واضحة تظهر أحيانا في ردود أفعالهم المباشرة.

---

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 1/ 178.

(2) أحمد احدوثن، الخطاب التربوي بالمغرب ص: 98.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الطرنباطي لم يتحدث عن العقاب البدني في كتابه، كما هو الشأن عند ابن سحنون، والقابسي، والغزالي، وابن خلدون، وابن عرضون، و المغراوي، و الشوشاوي، وغيرهم، في كتاباتهم التربوية، ولعل لهذا الغياب أكثر من دلالة ومعنى.

ولا بأس أن نعرض هنا باختصار شديد آراء العلماء السابق ذكرهم في هذه المسألة. ونحددها فيما يلي:

* ابن سحنون: يحذر في رسالته «آداب المعلمين» من مغبة تجاوز حدود الضرب المباحة، فينجم عن ذلك ما لا يحمد عقباه، كأن يفقأ عين الصبي أو يقتله فتترتب عليه الكفارة والدية[1].

* القابسي: يحث على ضرب الصبي إذا لزم ذلك، مع تحديده من واحدة إلى ثلاثة، كما أمر المربي عن تجنب السب والشتم ومس العرض، فهذا يصدر ممن لا يراعي أطفال المؤمنين حقا[2].

* الغزالي: يرى أن المربي يجب أن يكون كالطبيب الحاذق، يعالج الأخطاء التي يرتكبها الطفل من الأساس والجذور.. كما ينبغي من المربي أن يراعي عامل السن في التأديب والتهذيب[3].

* ابن خلدون: يدعو إلى استخدام الرحمة نحو الأطفال، وتهذيبهم باللين والتفاهم، دون أن يرفض شرعية ممارسة الضرب والعقاب البدني التي أكد عليها بناءً على قول ابن أبي زيد القيرواني. ويتضح ذلك من خلال كلامه الآتي: «إن إرهاف الحد

(1) آداب المعلمين، ص: 85، 59، 61.

(2) الرسالة المفصلة، ص: 128- 129.

(3) الإحياء 1/ 55 وما بعدها.

بالتعلم مضرٌّ بالمتعلم سيما في أصاغر الولـد، لأنه من سوء الملكة...وينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد عليهما في التأديب، وقد قـال محمد بن أبي زيد في كتاب ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين: لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا...»[1].

* ابن عرضون: يرى أنه لا يلجأ المربي إلى العقوبة إلا عند الضرورة، ولا الصبي إلا بعد التهديد والوعيد، وذلك لأن الأدب في نظره يكون على قدر الاجتهاد، ولا حد فيه عند مالك إلا بقدر ما يراه المعلم[2].

* المغراوي: يرى أن العقوبة لا يعمد إليها إلا عند الحاجة والضرورة[3].

* الشوشاوي: يـرى أن ضرب الأطفـال عـلى إسـاءتهم مبـاح، وفي بعـض الأحـوال مستحب، كما لا يوجد في الكتاب والسنة ما يثبت وجوبه إلا عـلى تـرك الـصلاة إذا بلغوا سن العاشرة[4].

ويستعيـض الطرنباطي عن العقـاب البدني بالنـصيحة، شريـطة أن تكـون عـن طريـق التعريض فهو عنده أبلغ من التصريح، وأن تكون مصحوبة باللين والرحمة؛ لأن ذلك في نظره يعمل على تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق وتيسير طلب العلم[5].

ولا يختلف قول الطرنباطي عمـا قاله سـلفنا الـصالح في هـذه المـسألة، حيـث نجـدهم يثمنون قيمة هذا الأسلوب التربوي المتفهم، ولا يتوانون في نصح العالم بالالتزام به.

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص: 597.

(2) ابن عرضون، مقنع المحتاج، ص: 111. طبعة حجرية.

(3) المغراوي جامع جوامع الاختصار والتبيان... ص:81 وما بعدها.

(4) الشوشاوي، الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، ص: 299 - 300.

(5) بلوغ أقصى المرام، ص: 380.

فهذا القابسي يقول: «ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقا... فإنما هو عوض من آبائهم»[1].

ويقول الماوردي: «ومن آدابهم نصح من علموه، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم... فإن ذلك أعظم لأجرهم... وأنشر لعلومهم، وأرسخ لمعلومهم»[2].

ويرى الغزالي أنه ليس من حق المعلم أن يستغل نفوذه وهيمنته إلى المجاهرة بالنصيحة ابتداء، فذلك قد يكون مضرا ومفسدا للعلاقة بينهما، ولهذا يذهب الغزالي إلى أهمية أن تكون النصيحة بالتعريض[3].

وبالنسبة للراغب الاصفهاني وإن كان يعد النصيحة و إصلاح المتعلم أمرا واجبا وحقا من حقوق المعلم، فإنه يرى أن تكون هذه النصيحة عن طريق التعريض فهو في نظره أبلغ من التصريح[4].

ومن أهم الصفات التي ألح عليها الطرنباطي وهو يؤطر للعلاقة بين المعلم والمتعلم العدل والمساواة في التعامل بين المتعلمين، فليس هناك في نظره ما يمكن أن يكون حائلا بين المعلم وبعض طلبته من مستوى اجتماعي أو عامل جنسي أو غير ذلك...

---

(1) القابسي، الرسالة المفصلة، ص: 127 – 128.

(2) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص:93.

(3) ينظر: ميزان العمل ص: 215 والإحياء 1/ 57.

(4) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص: 245.

ويعبر الطرنباطي عن رأيه في هذا الأسلوب التربوي بالاستدلال بالبيت الشعري التالي[1]:

وليكن عندك الفقير إذا ما طلب العلم والغني سواء

وفي ذلك لا يخرج الطرنباطي عما ورد عند سابقيه أمثال ابن سحنون[2] والقابسي[3] وابن جماعة[4] والمغراوي[5] والشوشاوي[6] واليوسي[7] وغيرهم.

ومن ثم بات في وعينا التربوي التاريخي الحرص على عدم إظهار تفضيل الطلبة بعضهم على بعض إذ الإنصاف فرض هنا، والمساواة ضرورية وواجبة.

ولعل هذا الأسلوب التربوي الذي أشار إليه الطرنباطي في كتابه يحقق قدرا كبيرا من الصحة النفسية للمتعلمين، ويمكن المعلم من أن ينجح في تعليمه، ويكسب مودة الجميع.

ومن القضايا التربوية التي أولاها الطرنباطي عنايته، مراعاة المعلم لقدرات المتعلمين الذهنية أثناء سير العملية التربوية.

فهو يعطينا من البداية تصورا واضحا لمنهجية التدريس التي يجب على المعلم اتباعها عند تعليم المتعلمين.

ومن العناصر الأولية التي تقوم عليها هذه المنهجية، أن يكون التواصل فيها مؤسسا على لغة مفهومة، وشرحا واضحا ومبسطا، واعتماد طريقة التكرار في الإفهام والتوضيح حتى تعم

---

(1) ينظر: بلوغ أقصى المرام، ص: 396.

(2) ينظر: آداب المعلمين، ص: 57.

(3) ينظر: الرسالة المفصلة، ص: 131.

(4) ينظر: تذكرة السامع والمتكلم ص: 152 وما بعدها.

(5) ينظر: جامع جوامع الاختصار ص: 86، 98.

(6) ينظر: الفوائد الجميلة، ص: 296.

(7) ينظر: القانون، ص: 323.

الفائدة للجميع، ويدل على ذلك قوله: «ومنها أن يزين عباراته، وأن لا يأتي بالألفاظ الغريبة التي لا يفهمها الحاضرون، بل تكون عبارته على قدر أضعفهم فهما ليكثر الانتفاع»[1]، وعدم تطبيق هذه المنهجية يجعل المتعلم يشعر بالسأم «فتتعب نفسه من غير فائدة»[2].

ونفس الشيء عند الإجابة عن أسئلة المتعلمين، يجب مراعاة قدراتهم المعرفية، «لأن الأغراض تختلف باختلاف المسائل والسائلين»[3]، وأن يكون المعلم في إجاباته لمسائل المتعلمين يتوخى التركيز، واستحضار إمكانياتهم واستعداداتهم بشكل «لا يزيد لهم وجها من وجوه التعليم يغلب ظنه أنهم يفهمون منه مقالته »[4].

ويحاول الطرنباطي فيما سبق تنبيه المعلمين إلى الأسباب التي تعيق العملية التربوية التعليمية، وبالتالي العمل على تجاوزها لتحقيق مردودية تعليمية أحسن.

ولمعرفة مدى التقدم الذي حصل لدى المتعلمين في مسيرتهم التحصيلية، يدعو الطرنباطي المعلمين إلى ممارسة التقويم التشخيصي، وذلك «بأن يطرح على المتعلمين مسألة ليختبر مقدار علمهم بها»[5].

وبهذه التقنية التربوية وغيرها يستطيع المربي أن يكشف مدى تقدم متعلميه في التعلم، ومدى تحقيق التعلم لأهدافه وأغراضه، وفي نفس الوقت يدفع تلاميذه إلى مزيد من العمل والاجتهاد. وقد «دلّت التجارب الكثيرة على أن لمعرفة الشخص لنتيجة عمله، وللدرجات التي يحصل عليها تأثيرا كبيرا في سرعة التعلم واكتساب المهارة. أما إذا تمرّن الشخص على شيء دون أن يكون له علم نتيجة عمله ودون أن يعرف ما إذا كان مصيبا أو مخطئا فإنه لا

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 376.

(2) نفسه، ص: 377.

(3) نفسه، ص: 384.

(4) نفسه، ص: 380.

(5) نفسه، ص: 379.

يظهر بعد مدة طويلة من التمرين أي تحسن ملموس، ويصبح التمرين كأنه مجهـود ضـائع لا جدوى منه»[1].

ولا يكتفي الطرنباطي بهذا الشكل من التقويم بل يضيف إليه التقـويم الأخلاقـي الـذي يرصد الجوانب الأخلاقية لدى المتعلم، ويدل على ذلك قوله: «فعلى المعلم أن يتفقـد أحـوال من يتعلم فلا يبذل عمله إلا لمن يتوسم فيه الخير و الصلاح»[2].

وقد عالج المؤلف عملية التقـويم هـذه بقولـه: «سـؤال مشكل اضـطربت فيـه فتـاوى العلماء»[3]. وبعد «أن استحضر الغزالي الذي يرى أنه من الظلم بث العلم لغير أهلـه، وقـول مالك: اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلمـوه»[4]، خلـص إلى «رفـضه، لأن ذلـك يـؤدي إلى انقطاع مادة العلم والتعليم. وهو نفس التصور الذي نجده حـاضرا عنـد أحمـد البلغيثـي في كتابه الابتهاج بنور السراج»[5].

ولم يفت الطرنباطي في هذا السياق أن يتحدث عن ضرورة توفير المكان الذي تمارس فيـه العملية التربويـة، وضرورة إيجاد إطـار التدريس الذي يقـوم بهـذه المهمـة. فنـراه يميـل إلى طرح الغزالي الذي يجعل هذا الأمر من مسؤولية العلماء والسلاطين، فهـم الـذين تقـع عـلى عاتقهم هذه الأمانة والمسؤولية: «على العلماء كافة وعلى السلاطين خاصـة أن يرتبـوا في كـل قرية وفي كل مرحلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم»[6].

---

(1) د. محمد نجاتي، علم النفس في حياتنا، ص:176 -177.

(2) بلوغ أقصى المرام، ص: 391.

(3) نفســه، ص: 392.

(4) أحد وثن، الخطاب التربوي، ص: 93.

(5) نفس المرجع، ص: 94.

(6) بلوغ أقصى المرام، ص:401.

ويبدو الطرنباطي متشائما من مساهمة علماء عصره في هذه العملية وذلك من خلال إيراده لتتمة كلام الغزالي: «العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار بحب الدنيا، وليتهم سكتوا ولم ينطقوا»[1].

وقد شغلت مسألة الأجرة على التعليم جانبا من اهتمام الطرنباطي التربوي فنراه يردد الرأي الذي أخذ به السلف الصالح من ذي قبل قائلا: «كره مالك في المدونة الإجارة على تعليم العلم، وقيل بالمنع، وقيل بالإباحة حسبما اختلف في بيع كسبه. ومذهب المدونة مقدم في النقل ليلا يضيع لضعف أرزاق العلماء، فإن منعوا الإجارة شغلهم طلب المعيشة عن التعليم»[2].

ولعل هذه الفكرة «كانت محسومة على أرض الواقع فقد تعارف المجتمع المغاربي»[3] على تقاضي المدرسين الأجرة عن مجهودهم في سبيل النشء منذ أيام ابن سحنون[4] والقابسي[5] والشوشاوي[6] والونشريسي[7]. وقد عالج ابن رشد هذه القضية بشكل موضوعي عندما قال: «وأما الاستئجار على القرآن فقد اختلفوا فيه أيضا، وكرهه قوم وأجازه آخرون والجعل هو الإجارة على منفعة مظنون حصولها، مثل مشارطة الطبيب على البرء والمعلم على الحذاق. وقد اختلف العلماء في منعه وجوازه»[8].

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص:401.

(2) نفســه، ص: 399.

(3) احدوثن، الخطاب التربوي بالمغرب، ص: 95.

(4) ينظر: آداب المعلمين، ص: 66 - 67.

(5) ينظر: الرسالة المفصلة، ص: 136 وما بعدها.

(6) ينظر: الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، ص: 281 وما بعدها.

(7) ينظر: المعيار، 8/ 236، 251، 254.

(8) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد بن رشد 2/ 177.

وتتجلى موضوعية ابن رشد في هذه «المسألة وغيرها في كونه عالج المسائل التي تم الاتفاق عليها أو التي اشتهر فيها بين الفقهاء الإسلاميين من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى أن فشا التقليد»[1].

ونلاحظ من خلال القضايا التربوية والتعليمية التي عالجها الطرنباطي في هذا الباب أنها كانت مدعمة بالكتاب والسنة، وبالآثار المروية عن الصحابة والسلف الصالح نثرا ونظما.

الباب الخامس: في آداب المتعلمين

يتناول الطرنباطي في هذا الباب الأخير الحديث عن الآداب العامة التي يجب على المتعلم أن يلتزم بها نحو ربه، ونفسه ومعلميه، ونحو أقرانه. وهي في مجموعها تمثل الصورة المتالية التي ينبغي أن يكون عليها المتعلمون، وهي ـ كما نلاحظ ـ قل أن تتوافر كلها في شخص واحد، إذ لا يمكن لأي كان أن يصل إلى درجة الكمال فيها.

ويرى أن كل من أراد أن يحالفه التوفيق والسداد في تحصيله العلمي طول حياته، وجب عليه أن يتمثل هذه الآداب حتى تساعده على تحقيق ذلك.

ومن هذه الآداب التي أوردها الطرنباطي والتي تخص المتعلم في علاقته مع ربه، وفي خاصة نفسه: أن يواظب على فعل الطاعات، والقيام بنوافل الخيرات، وأن يحافظ على الصلوات، وأن يراقب الله في كل حركاته وسكناته، في السر و العلانية، وأن يصلح ما بينه وبين ربه بأن يجده حيث أمره، ويفقده حيث نهاه[2].

---

(1) الخطاب التربوي بالمغرب، ص: 96.

(2) بلوغ أقصى المرام، ص: 438- 439.

ويعتبر مثل هذا السلوك في نظر الطرنباطي خير زاد يتزود به المتعلم في طريق العلم. فهو يقوده إلى الخير والفلاح، فتزكو نفسه وتحسن علاقته مع ربه.

إن التربية التي يريد المؤلف تحقيقها يجب أن تتأسس على وازع ديني وأخلاقي، يراعي فيها طالب العلم حقوق الله تعالى عليه.

لذلك نراه يستدل على ما ذهب إليه بآثار من كلام أهل العلم كالإمام مالك، وابن رشد، وابن الحاج، وزروق[1].

ويتبين من هذا أن الموضوع كان مطروقا من لدن العلماء المتقدمين عليه، إذ جعلوه المعتمد والمعين في طلب العلم.

وبالنسبة للآداب التي يجب على المتعلم أن يلتزم بها في خاصة نفسه فتتمثل في نظر الطرنباطي فيما يلي:

- **التفرغ وترك الشواغل**[2].

يرى أن الانقطاع إلى طلب العلم والانصراف عن مشاغل الدنيا في مرحلة الطلب أمر ضروري للنجاح وتحصيل العلم، وذلك لعلمه بالآثار السلبية لعدم التفرغ والانشغال بأمور الدنيا.. ومن هذه الآثار[3]:

- تشتت الفكر.
- ضعف الهمة.

---

(1) بلوغ أقصى المرام، نفس الصفحات السابقة.

(2) نفسه، ص: 418، 420-422، 444.

(3) ينظر في ذلك: الأصبهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص:240، وابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم، ص:70.

* قلة الجهد المبذول في التحصيل.

ويحاول الطرنباطي في هذا السياق أن يقدم لنا بعض الأسباب التي تعين المتعلم على التفرغ وتنتشله من الشواغل الصارفة، فنراه يدعو طالب العلم بأن يرضى باليسير الضروري من مطالب الحياة، وأن يصبر على شظف العيش[1].

ونفس الفكرة نجدها تتردد عند ابن جماعة حيث يقول: «أن يقنع من القوت بما تيسر وإن كان يسيرا، ومن اللباس بما يستر مثله وإن كان خَلِقاً، فالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم، ويجمع شمل القلب عن مفترقات الآمال فتتفجر منه ينابيع الحكم »[2].

وكذا عند اليوسي الذي يرى أن على طالب العلم أن «يرضى باليسير من العيش والدون من الناس والمسكن وغيره، وبالجملة يتمرن على الضيق ولا يهوله الفقر ولا سوء الحال..»[3] ونلاحظ من خلال ما أورده الطرنباطي في هذه المسألة من استدلالات وشواهد شيوع مقولة أن النجاح في العلم مرتبط بالفقر، كما أن الذكاء قرين ضيق الحال[4].

إن هذه الفكرة في تقديري ليست صحيحة على إطلاقها، فقد رد ابن الجوزي عليها قائلا: «ولو أنه نظر في سير الرجال ونبلائهم، وتأمل صحاح الأحاديث عن رؤسائهم لعلم أن الخليل عليه الصلاة والسلام كان كثير المال... وكذلك لوطا عليه السلام وكثيرا من الأنبياء عليهم الصلاة السلام، والجم الغفير من الصحابة. وإنما صبروا عند العدم.. »[5].

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص:420- 421 .

(2) تذكرة السامع و المتكلم، ص: 171.

(3) القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم، ص: 377.

(4) بلوغ أقصى المرام، ص: 420- 421.

(5) ابن الجوزي – صيد الخاطر، ص: 22.

ويروى عن عبد الرحمن بن سليمان الرازي أنه قال: «كنا عند سفيان الثوري، فكان إذا أتاه الرجل يطلب العلم سأله: هل لك وجه معيشة؟ فإن أخبره أنه في كفاية أمره بطلب العلم، وإن لم يكن في كفاية أمره بطلب المعاش »[1].

ولأهمية هذا الأمر فقد خصص الخطيب البغدادي في بعض مؤلفاته بابا بعنوان: «ذكر ما يجب على طالب الحديث من الاحتراف للعيال واكتساب الحلال»[2] ويرى ابن الجوزي أيضا أن شيوع مثل هذه الفكرة قد يؤدي بالمتعلم إلى تلف الدين وذهابه، وذل النفس: «إني تأملت أكثر أهل الدين والعلم على هذه الحال، فوجدت العلم شغلهم عن المكاسب في بداياتهم، فلما احتاجوا إلى نفوسهم ذلوا، وهم أحق بالعز، وقد كانوا قديما يكفيهم من بيت المال فضلات الإخوان، فلما عدمت في هذه الأوان لم يقدر متدين على شيء إلا ببذل شيء من دينه، وليته قدر فربما تلف الدين ولم يحصل له شيء»[3].

ومن بين الوسائل التي يرى الطرنباطي أنها تعين المتعلم على تحصيل العلم والانقطاع عن مشاغل الدنيا: الرحلة في طلب العلم[4]، وذلك لما في السفر والارتحال من فوائد جمة، مثل الالتقاء بالعلماء والتفرغ التام للعلم بعيدا عن معوقات سير التحصيل العلمي.

ولأهمية الرحلة في طلب العلم نجد العديد من كتب التراجم والسير، تروي لنا أن المئات من طلاب العلم في القرون السابقة، كانوا يضربون في الأرض شرقا وغربا، قصد التتلمذ على يد العلماء.

---

(1) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي – ص: 98.

(2) المصدر السابق ص:97.

(3) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص: 22.

(4) بلوغ أقصى المرام، ص: 417-420، 424-425.

وهناك وسيلة أخرى يوردها الطرنباطي على لسان الخطيب البغدادي قائلا: «إنه يستحب له - للمتعلم - أن يكون أعزب ما أمكنه، لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجة والاهتمام بالمعيشة»[1]. أما من لم يستطع ذلك وخاف على نفسه من السقوط في الخطيئة فيقول ابن جماعة في هذا المعنى: «وبالجملة فترك التزويج لغير المحتاج إليه أو غير القادر عليه أولى ولاسيما للطالب الذي رأس ماله جمع الخاطر و إجمام القلب واشتغال الفكر»[2].

العناية بالصحة الجسمية:

حظيت حالة المتعلم الجسمية باهتمام كبير عند الطرنباطي كشأن سابقيه[3]، لما لها من ارتباط وثيق بالقوى العقلية.

وقد ربط الطرنباطي في تأثير الغذاء على المتعلم بين مصدره وكسبه من جهة، ونوعه وكميته من جهة أخرى.

فمن حيث مصدره وكسبه، فقد نبه المؤلف المتعلم إلى ضرورة تحري الحلال في طعامه، بل في كل شأنه[4] وهو الأصل في إفادته من العلم وتحقيق ثمرة الخير منه. وهذا السلوك يربي في المتعلم الورع وطهارة النفس وعفتها، ويعوده على تجنب كل أسباب الحرام. ولا يقف تأثير الغذاء في التعلم على مصدره فحسب، وإنما على نوعية الغذاء وجودته أيضا، ولقد دعا الطرنباطي المتعلم إلى انتقاء أنواع الغذاء الجيد الذي يعينه على الفهم والتعلم، وذلك بأن

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 421.

(2) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص: 172.

(3) ينظر: الزرنوجي، تعليم المتعلم، ص: 38، الطوسي، آداب المتعلمين، ص: 17، ابن جماعة تذكرة السامع والمتكلم، ص: 179، المغراوي، جامع جوامع الاختصار، ص: 107 وما بعدها، اليوسي، في القانون، ص: 378، وغيرهم.

(4) بلوغ أقصى المرام، ص: 448-449.

يقلل من استعمال الأطعمة التي تسبب البلادة وتضعف الحواس، وتورث النسيان كالبصل والفول والخيار... وأن يكثر من الأطعمة المسببة لجودة الذهن كالزبيب واللحم والأبازير....[1].

ولعل هذا اجتهاد يحمد للطرنباطي في ضوء معطيات ثقافة العصر الذي عاش فيه. أما فيما يتعلق بكمية الطعام، فيرى المؤلف أن الإنسان في حالة الجوع يكون أكثر نشاطا وحيوية عنه في الحالة المعاكسة. وهو في هذه الأثناء يعتبر الجوع خيرا عظيما «وعلى هذا اتفق سبعون صديقا»[2] ولعل هذه إشارة مهمة ذات قيمة كبيرة إذا ما قارنها بالدراسات الحديثة، فقد «دلت التجارب على أن الإنسان يكون أكثر نشاطا وحيوية في حالة الجوع عنه في حالة الشبع، ولكن بطبيعة الحال عندما لا يكون الحرمان من الطعام طويلا جدا، حيث ينقلب الوضع إلى حالة من الضعف والهزال»[3] كما أثبتت التجارب أن الجوع «لا يضعف النشاط البدني أو العقلي كما يظن أغلب الناس، ويمكننا أن نستنتج من هذه النتائج أن الصيام لا يسبب الخمول البدني أو العقلي، ولكن لاشك أيضا في أن النشاط لا يستمر إلا لفترة معينة، فإذا استمر الجوع مدة طويلة، فإن القوة البدنية والعقلية تأخذان في التدهور تدريجيا»[4].

العناية بالصحة النفسية:

ولكي يحافظ المتعلم على صحته العقلية لابد أن يأخذ بالأسباب التي تساعده على ذلك، ومن هذه الأسباب التي يراها الطرنباطي مفيدة في هذه المسألة: أن يكون المتعلم حريصا على التعلم والمثابرة عليه في جميع الأوقات حضرا وسفرا، ولا يذهب من وقته شيئا في غير العلم

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 448-449 .

(2) نفسه، ص: 449.

(3) عبد الرحمن عيسوي، علم النفس الفسيولوجي: دراسة في تفسير السلوك الإنساني، ص: 409.

(4) د. محمد عثمان نجاتي، علم النفس في حياتنا، ص:62.

إلا بقدر الضرورة، إذ لا يمكن في نظره أن ينال العلم بالراحة بل لابد من الكد والكبد، فقد قيل: لا ينال العلم براحة البدن[1].

وقد أورد الطرنباطي في هذا الإطار مجموعة من المرويات كلها تحث المتعلم على الجد والاجتهاد في طلب العلم وحفظه[2].

ولا يخرج المؤلف في هذه المسألة عما ذكره سلفنا الصالح في مؤلفاتهم، فهذا ابن جماعة يقول حاثا المتعلم بـ «أن يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل، ولا يغتر بخدع التسويف والتأمل، فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها...»[3].

ويقول الإمام النووي رحمه الله في حديثه عن آداب العلم: «ينبغي أن يكون حريصا على العلم، مواظبا عليه في جميع أوقاته ليلا ونهارا، ولا يذهب من أوقاته شيئا في غير العلم إلا بقدر الضرورة؛ لأكل ونوم قدرا لابد منه، ونحوهما، كاستراحة يسيرة لإزالة الملل، وشبه ذلك من الضروريات، وليس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثم فوتها»[4].

وإلى هذا المعنى يشير اليوسي قائلا: «على طالب العلم أن يبادر شبابه قبل فوات الأوان، ولا يغتر بالتسويف... وأن يبالغ في الاجتهاد جهد الطاقة، وهو جماع الأمر...»[5].

ومن جانب آخر يؤكد الطرنباطي أنه لن يستطيع المتعلم تحصيل العلم ما لم تتوفر له همة عالية، فهي في نظره أمر ضروري، إذ الهمة باعث على الحركة، بل هي في ذاتها حركة داخلية تؤدي إلى حركة خارجية أو سلوك يتميز بالإقبال والحماسة.

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 420 وما بعدها.

(2) نفسه، نفس الصفحات.

(3) تذكرة السامع والمتكلم، ص: 170.

(4) المجموع، 1/ 37.

(5) القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم، ص: 376.

ولا يفوت الطرنباطي أن يشير هنا إلى أضرار المبالغة في طلب العلم فهي في نظره مضرة بالمتعلم متلفة لحياته. فإذا كان طلب العلم محمودا وتركه مذموما، فهذا لا يعني أن يرهق المتعلم نفسه ويحملها ما لا تضيق، بل لابد له من الاعتدال في الطلب حتى لا يخسر نفسه[1].

فقد قال عمر بن عبد العزيز: «إن نفسي مطيتي، فإذا حملت عليها خسرتها»[2]والشواهد على ذلك كثيرة[3] ولهذا يرى الطرنباطي أنه يحسن بالمتعلم أن يروح عن نفسه بالنزهة والتسلية والتحدث بملح الأخبار وظرف الحكايات، ففي ذلك تحقيق للصحة الجسمية والعقلية معا. ولعل هذه ملاحظة دقيقة لها أهمية قصوى في الفكر التربوي الحديث تنبه إليها الطرنباطي في العصر الذي عاش فيه. وهي في الحقيقة ترددت في كتابات من سبقوه. فهذا ابن الجوزي يوصي المتعلم بأن «يريح نفسه من الحفظ يوما أو يومين ليكون ذلك كالبناء الذي يراح ليستقر»[4].

ويقول ابن جماعة: «ولا بأس أن يريح نفسه وقلبه وذهنه وبصره، إذا كَلَّ شيء من ذلك أو ضعف، بتنزه وتفرج في المستنزهات، بحيث يعود إلى حاله، ولا يضيع عليه زمانه»[5].

ومن أسباب الصحة العقلية أيضا، يرى الطرنباطي أنه ينبغي على المتعلم أن يختار الكتب التي تفيده في دينه ودنياه، وفي المقابل يحذره من تداول الكتب التي تضم في طياتها علوما ممنوعة شرعا، كالطلاسم وتعاطي الكيمياء، والحروز،... وغير ذلك فهذا الصنف من الكتب في نظر الطرنباطي يضل العقول ويذهب الدين ويفسد الأخلاق[6]، لذا كان من

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 430-433.

(2) ابن الجوزي، الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، ص: 23.

(3) بلوغ أقصى المرام، ص: 430 وما بعدها.

(4) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، ص: 22.

(5) تذكرة السامع والمتكلم، ص: 89.

(6) بلوغ أقصى المرام، ص:447-448.

الضروري على كل طالب علم أن يبتعد عن مثل هذه الكتب، ويستعيض عنها بكتب أخرى، تمده بأسباب الاستزادة من العلم، وتربطه بدينه.

وهذا يدل على مدى اهتمام الطرنباطي بالصحة العقلية لدى المتعلم، وقديما حذر العلماء المسلمون من تعاطي الكتب التي تكثر فيها الاختلافات بين العلماء، فإنها تحير ذهنه، وتدهش عقله، وتضيع زمانه[1].

وفي نفس المقام ينصح الطرنباطي المتعلم ألا يقتصر على علم واحد، بل يدعوه إلى النهل من جميع فنون العلم[2] إذا كانت لديه قدرة، وتحققت أهليته، يقول ابن جماعة في هذا المعنى: «أما إذا تحققت وتأكدت معرفته فالأولى أن لا يدع فناً من العلوم الشرعية إلا نظر فيه، فإن ساعده القدر وطول العمر التبحر فيه، فذلك، و إلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم»[3].

ويرى الطرنباطي في هذا السياق أنه يجب على المتعلم أن يحترم مبدأ التدرج في طلب العلم، ثم ينصحه بألا يتجاوز علما من العلوم حتى يتقنه، فإنه إن شرع في تحصيله جملة ذهب عنه جملة، وذلك بسبب عدم الثقة و الإتقان في فهمه واستيعابه وحفظه[4]، ولعل هذا ما سبق إليه الإمام الغزالي حين قال: «لا يخوض في فنون العلم دفعة، بل يراعي الترتيب، فيبدأ بالأهم فالأهم، ولا يخوض في فنٍّ حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض، مراعيا ذلك الترتيب والتدريج»[5].

---

(1) تذكرة السامع و المتكلم – ص: 218.

(2) بلوغ أقصى المرام، ص: 445- 446.

(3) تذكرة السامع والمتكلم، ص: 219.

(4) بلوغ أقصى المرام، ص: 445- 446.

(5) الغزالي 1/ 52.

وهذه إشارة مهمة لها مكانة متميزة في التربية الحديثة، ولا يفوت الطرنباطي وهو يحث المتعلم على التدرج في طلب العلم، أن يهتم بتدوين ما يحصله من العلوم[1]؛ لأن الكتابة «احتياط للعلم عن أن يضيع بالنسيان ويموت أهله»[2] وقد أوصى الإمام مالك بعض أصحابه عندما ودّعه فقال: «أوصيك بتقوى الله في السر والعلانية، والنصح لكل مسلم، وكتابة العلم عند أهله»[3]. وعن الخليل بن أحمد: «اجعل ما تكتب بيت مال، وما في صدرك للنفقة»[4].

وقد أورد الطرنباطي في هذا المعنى عددا من الشواهد، وكلها تؤكد ضرورة تقييد العلم وحفظه[5].

وفيما يتصل بعلاقة المتعلم بالمعلم، فقد تناول الطرنباطي في مقدمة هذه العملية حاجة المتعلم إلى معلم يأخذ بيده في طريق العلم، كما ناقش الأسس التي يتم بمقتضاها اختيار المعلم من طرف المتعلم والشروط الواجب توفرها في المعلم[6].

وفي إطار تحديد هذه العلاقة تحدث الطرنباطي عن الصفات التي يجب على المتعلم أن يلتزم بها في حضرة معلمه ويركز في هذا السياق على ضرورة مبادرة المتعلم إلى السلوك الذي يبدو من خلاله احترامه للمعلم وتقديره إياه، كتخصيصه بالتحية والاعتدال في الجلسة، وعدم رفع الصوت في مجلسه، وغيرها من الصفات[7].

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 451 وما بعدها.

(2) القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم – ص: 434.

(3) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) المصدر السابق ، ص: 93.

(5) بلوغ أقصى المرام، ص: 451وما بعدها .

(6) نفسه، ص: 417 .

(7) نفسه، ص 405- 410 .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يدعو المؤلِّف المتعلم في إطار التفاعل بينه وبين معلميه، أن يتلطف في سؤاله عما أشكل عليه، ولم يستوعبه... وينصحه بألا يدعه حياءً أو كبرا، فمصيره حينئذ الجهل[1] ثم يتحتم عليه أن يراعي في سؤاله الفائدة لا تعنيت المعلم وإحراجه أمام الحاضرين. فهذا اللون من السلوك في نظر الطرنباطي يعتبر نوعا من المماراة، ومتى مارى المتعلم معلمه، انتفى الوقار من الأول، كما يؤكد عليه هنا أيضا أن يتخير الوقت والمكان المناسبين لطرح السؤال حتى يستفيد وتعم الفائدة[2].

ولا يغفل المؤلف في هذا الصدد أن ينبه المتعلم إلى ضرورة مراعاة حال معلمه النفسية، فلا يسأله، ولا يقرأ عليه عند سأمه أو ضجره، أو غضبه ونحو ذلك[3].

ومن مقتضيات مراعاة حال المعلم النفسية في رأي الطرنباطي أن يصبر المتعلم على خلق معلمه، ويتحمل جفوته، ويتلمس له العذر، ويتأول لسلوكياته أحسن تأويل[4].

ويرى أيضا أنه ليس من سوء الخلق أن يتملق ألمتعلم إلى معلمه فهو في تصوره من التوقير وإظهار الحاجة إلى المعلم، وما لديه من العلم[5].

وهناك نقطة تربوية مهمة أشار إليها الطرنباطي في هذا المضمار تتمثل في كون أن العلاقة بين المتعلم والمعلم لا تقتصر داخل المؤسسة التعليمية، بل هي في رأيه تمتد إلى الحياة العامة فإذا لقي المتعلم معلمه في الطريق مثلا، وجب عليه أن يقوم بخدمته، ومساعدته ويعمل

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 407- 416.

(2) نفسه، ص: 408-409.

(3) نفسه، ص: 408.

(4) نفسه، ص:434.

(5) نفسه، ص: 244.

قصارى جهوده في حمايته من الضرر والأذى، ويؤانسه أثناء السير، ويحرص ألا يزاحمه أو يضايقه في الطريق[1].

وإن مما يسهل على المتعلم الطريق للتعلم أن يحسن اختيار زملائه وفي هذا السبيل قدم الطرنباطي مجموعة من الإرشادات والتوجيهات التي تعين المتعلم على ذلك. وأبرز الصفات التي حددها ليكون على أساسها انتقاء الزملاء: التدين وحسن الخلق، الاجتهاد، الزهد في الدنيا[2]....

ولاشك أن هذه العلاقة التي تحدث عنها الطرنباطي، واستدل عليها بمجموعة من الشواهد النثرية والشعرية من تراثنا العربي الإسلامي. فقد أجمع المفكرون المسلمون المتقدمون على تأكيد ضرورة التزام المتعلم بمكارم الأخلاق، وتشبثه بالمبادئ العليا، وقد خصص الزرنوجي لهذا رسالة كاملة بعنوان « تعليم المتعلم طريق التعلم» وهي تُماثِل ما يُنشر حاليا تحت عنوان «دليل الطالب»، تركز على الناحية السلوكية والخلقية لدى المتعلم لتحصيل العلم ؛ إذ يجب على المتعلم «أن يعظم حرمة معلمه ويوقره ويكرمه»[3] ويتواضع له، ولا يناقشه في كل قضية ولو على خطأ كما يرى الغزالي[4]، ويقرر ابن جماعة ضرورة انصياع المتعلم للمعلم في أموره «لا يخرج عن رأيه وتدبيره، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر، فيشاوره فيما يقصد، ويبالغ في حرمته، ويتقرب إلى الله بخدمته»[5]، ويحسن خطابه معه بقدر الإمكان، وغير ذلك مما يدخل في باب الآداب مع العلماء والمعلمين.

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 408.

(2) نفسه، ص: 440-443.

(3) تعليم المتعلم طريق التعلم، ص: 14

(4) الإحياء 1/ 51.

(5) تذكرة السامع والمتكلم، ص: 187- 188.

وهناك مسألة أخرى مهمة أشار إليها الطرنباطي في إطار تنظيمه للعلاقة بين المتعلم والمعلم تتحدد فيما يلي: هل بإمكان المتعلم أن يخالف معلمه؟.

ولعل هذه المسألة ظاهرة إيجابية وصحية، و في نفس الوقت طبيعية، ولها فوائد جمة، منها: أنها رياضة للأذهان، وتلاقح للآراء، وفتح لمجالات التفكير للوصول إلى شتى الاحتمالات التي تتمكن العقول المختلفة الوصول إليها. إلا أن هذا الخلاف في نظر الطرنباطي يجب أن تكون له أسباب معقولة تبرره، فإذا وجدت هذه الأسباب ينبغي للمتعلم أن يلتزم بآداب الاختلاف، منها:

* الالتزام بالتقوى وتجنب الهوى.
* الالتزام بآداب الإسلام من انتقاء أطايب الكلم، وتجنب الألفاظ الجارحة، وحسن الاستماع إلى معلمه.
* التنزه عن المماراة ما أمكن.
* عدم تجاوز قدر نفسه.
* الوقوف عند الحدود الشرعية.

ولكن إذا جاوز المتعلم حدوده، ولم يراع آدابه، تحول حينئذ الخلاف إلى جدال وشقاق، وبالتالي كان الخلاف ظاهرة سلبية سيئة العواقب، تحدث شرخا في جسد الأمة، ويتحول الاختلاف من ظاهرة بناء إلى معول هدم[1].

ولهذا نرى الطرنباطي يؤكد منذ البداية أثناء حديثه عن هذه المسألة ضرورة وجود مبرر شرعي و «دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء»[2].

---

(1) ينظر في الموضوع: أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور طه جابر فياض العلواني، وأدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، لمحمد عوامة.

(2) بلوغ أقصى المرام، ص: 416.

فهذه المسألة في تصوره طبيعية، إذ كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ وعصر الصحابة الكرام، وسار عليها السلف الصالح رضي الله عنهم جميعا، فليس من سوء الأدب أن يخالف المتعلم شيخه ومعلمه[1].

وقد ركزت التربية الحديثة على هذا اللون من التفكير، ودعت المربين بأن يتفهموا هذا السلوك ويتقبلوه، ويجعلوه وسيلة من وسائل التواصل والانسجام، ثم يستغلوه في إنماء القدرات العقلية لدى المتعلم، وتحصيل الملكة الفكرية عنده، وغرس بذور التعبير الحر المفتوح والمنضبط.

الخاتمة

أوضح فيها المؤلف أن العلم في آخر الزمان سيرفع، وذلك بأن يقبض الله العلماء، فينتزعه من صدورهم، وهذا من أشراط الساعة.

وقد أورد في هذا السياق عددا من الأحاديث النبوية الشريفة، وآثارا من كلام السلف الصالح، كلها تؤكد أن انتزاع العلم يكون بذهاب العلماء[2].

وهو في هذا لم يخرج عما قاله علماؤنا المتقدمون في هذا الموضوع[3]، ولهذا نرى الطرنباطي في هذه الخاتمة يحث الناس إلى المسارعة في تعلم العلم، وأخذه من أفواه الرجال، قبل أن يذهب أهل العلم ويكثر الجهل[4].

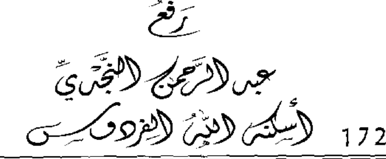
---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 416-417.

(2) نفسه، ص: 459 وما بعدها.

(3) ينظر في هذا الموضوع جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 1/ 585 - 609، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي 1/ 164، وغيرهم.

(4) بلوغ أقصى المرام، ص: 462- 463 .



6 - منهجية الطرنباطي في التأليف

يسير الطرنباطي في كتابه «بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» وَفْقَ منهج الفقهاء والمحدثين في ترتيب موضوعاته ومعالجتها. فنجده في مقدمة الكتاب يقدم لنا التقسيم المناسب لأبوابه، وما يندرج تحتها من الموضوعات.

وقد اعتاد الطرنباطي من خلال عرضه لموضوعات كتابه أن يحشد في مجال الاستدلال عددا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والآثار السلفية والحكم والقصص.

وقد يجد الباحث في هذا الكتاب أوجه الشبه بينه وبين المؤلفات التي تقدمت عليه، ليس في موضوعاتها فحسب، بل حتى على مستوى المنهج، مع اختلافات طفيفة في طريقة التبويب والعرض، لكن في غالب الأحيان نجد تطابقا بينا في العناوين والمحتوى العلمي، بل والشواهد المتضمنة، فتبدأ أغلب كتبهم بالحديث عن فضل العلم وشرفه، ومكانة العلماء وطلبة العلم، ثم الحديث عن الإخلاص في طلب العلم، ثم يأتي الحديث عن آداب العالم والمتعلم المتعددة.

وفي الجدول التالي مقارنة بين محتويات كتاب الطرنباطي ومحتويات ثلاثة كتب هي: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وتذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة[1]، والقانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم لليوسي[2]، وذلك لنتبين منها إلى أي حد تظهر هذه النمطية في كتاب المؤلف:

---

(1) أفاد الكاتب كثيرا من هذين المؤلفين في معالجة القضايا التربوية التي تعرض لها.

(2) قال صاحب السلوة عن كتاب «بلوغ أقصى المرام...» أن مؤلفه اقتطفه من كتاب «القانون...» لليوسي. ينظر: سلوة الأنفاس 2/ 268.

محتويات كتاب جامع بيان العلم لابن عبد البر	محتويات كتاب تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة	محتويات كتاب القانون لليوسي	محتويات كتاب بلوغ أقصى المرام للطرنباطي
الأبواب الاثنا عشر الأولى في فضل العلم وشرفه.	الباب الأول في فضل العلم والعلماء وفضل تعليمه وتعلمه.	الباب الأول في أحكام العلم: فصوله الخمسة عشر في أصول العلم وحقيقته وتقسيم العلوم وأنواعها...	الباب الأول في فضل العلم وشرفه.
باب جامع في آداب العالم والمتعلم.	الباب الثاني في أدب العالم في نفسه ومراعاة طالبه ودرسه.	الباب الثاني في أحكام العالم: فصوله الستة عشر حول آداب العالم في نفسه وفي التدريس والإفتاء والتصنيف..	الباب الثاني في فضل العلماء وما يجب لهم من التعظيم وذم من لم يعظمهم وأضاعهم ولم يبال بهم.
باب ذم الفاجر من العلماء، وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا.	الباب الثالث في آداب المتعلم في نفسه ومع شيخه وفي دروسه، ومع رفاقه.	الباب الثالث في أحكام المتعلم: فصوله السبعة عشر حول آداب المتعلم في نفسه ومع شيخه وفي حلقة الدرس والتعلم، وفي التعامل مع الكتب ومساكن المدارس.	الباب الثالث في التحذير من قراءة العلم لغير وجه الله وما جاء في ذلك من الوعيد.
باب جامع القول في العلم بالعمل	الباب الرابع في الآداب مع الكتب التي هي آلة العلم		الباب الرابع في آداب المعلمين
باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم.	الباب الخامس في آداب سكنى المدارس للمنتهي والطالب.		الباب الخامس في آداب المتعلمين.
باب في المناظرة والجدال			

ومما يلاحظ على الطرنباطي من خلال كتابه أنه يصرح بمصادره تارة، وذلك بذكر المظان التي أخذ عنها بقوله مع إثبات أصحابها، وتارة يكتفي بالإشارة إليها دون ذكر أصحابها أو العكس. وأخرى ينقل دون أن يشير إلى المصادر التي أخذ عنها، أو إلى أصحابها، وهو بذلك يقتفي منهج من تقدمه من العلماء في مجال التأليف في العلوم الدينية.

وقد يبدو الطرنباطي من خلال تأليفه لا يعدو أن يكون جامعا لما تفرق عند غيره، وقلّما نجده يهتم بالتحليل، أو يعقب، أو يشرح، أو ينتقد، الشيء الذي جعل أحد الباحثين يقول بأن الفكر الأخلاقي والتربوي عند الفقهاء والمحدثين يكثر من التكديس والتوصيف ويكاد يغيب الاهتمام بالتحليل والنقد[1].

وفي تقديري أن الطرنباطي كان صادقا مع نفسه، ومحافظا على النهج الذي رسمه في مقدمة كتابه، فاقتصر على تجميع ما رآه ملائما لتربية الأطفال من خلال ما تردد عند الفقهاء والعلماء قبله في تآليفهم.

ولعل هذه العملية ليست أمرا هينا، بل تحتاج نَفَساً طويلا وجهدا دؤوبا، وخبرة طويلة، وثقافة واسعة. وهذه ميزة حميدة تسجل لفائدة الطرنباطي في كتابه.

7 - **قيمة الكتاب:**

يعد الكتاب من بين أهم الكنوز الدفينة التي تزخر بها خزاناتنا المغربية، فهو ثروة أصيلة في عطائها، حيث تمد القارئ والباحث بذخائر ما تحويه من علوم وآداب وقيم.

وتبرز قيمة الكتاب وأهميته من مستويات:

---

(1) د. عبد الأمير شمس الدين «الفكر التربوي عند العلموي» ص: 20.

۞ المستوى الثقافي والديني:

يعطينا الكتاب فكرة واضحة عن مكانة الدرس التربوي وكيفية التعامل معه من حيث مواضيعه ومصادره، وهذا يعني أنه يحاول أن يطلعنا على نوعية الثقافة التي تعاملت مع الدرس التربوي أو المسألة التربوية، وذلك من خلال عرضه مجموعة من الرؤى والأفكار لعلماء ومفكرين ومربين مسلمين.

ومن جانب آخر يقربنا الكتاب من أسماء عدد كبير من المصادر الفكرية المتنوعة التي شكلت مادته، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الكتاب قد انفتح في ترتيب أبوابه، ومعالجة قضاياه ومسائله، على كم وفير من المظان المصدرية الأصيلة المختلفة، وبالتالي فهو صورة صادقة لطبيعة الكتابات والتآليف السائدة في زمن المؤلف، التي كانت تميل إلى تجميع ما تناثر في الكتابات المتقدمة.

والملاحظ من خلال ما يطرحه الكتاب في تضاعيفه أن جل القضايا المعالجة كانت ذات طبيعة دينية وأخلاقية محضة، فلابد أن تعرض على محك الشرع أولا، بعد ذلك يأتي الاجتهاد إذا وجد مدخلا أو مسوغا لذلك.

نستنتج من هذا أن الكتاب يعكس لنا بشكل غير مباشر طبيعة الفكر ونوعية الثقافة أو بتعبير آخر المرجعية الثقافية التي بواسطتها تمت معالجة المسألة التربوية وقتذاك.

ويكتسي الكتاب أهمية كبيرة أيضا في كونه يقدم لنا بيانا لبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالعالم، والمتعلم، والطالب والشيخ. وكذا ما يضمه من أقوال وآراء لكبار الصحابة والأئمة والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين وكلها تصب في إطار تعزيز الرؤية والموقف الذي يتبناه المؤلف.

✧ المستوى التربوي:

يمكن اعتبار الكتاب نافذة شفافة يتراءى من خلالها بعض جوانب تراثنا التربوي، فإنه يساعدنا على الوقوف عند صور وتمثلات الطفل في الفكر التراثي العربي و المغاربي و يعكس المنظور الاجتماعي العام لشخصية الطفل وأساليب تنشئته الاجتماعية، وأنساق قيم المجتمع وتطلعاته.

وهذا لا يعني أن الكتاب قد قدم لنا بحثا تربويا متكاملا، وإنما حاول أن يقدم لنا مادة غنية لهذا البحث التربوي، تشتمل على مبادئ تربوية لا تقل شأنا عما توصل إليه علماء التربية في العصر الحديث، لاسيما في البابين الرابع والخامس.

وأمدنا الكتاب بفوائد جمة ومفيدة للغاية في الحقل التربوي، حيث أفادنا بمجموعة من الطرائق والمبادئ التربوية القيمة التي مازالت بحق تحظى بعناية فائقة من لدن الباحثين التربويين المعاصرين.

ومن أهم هذه الطرائق والمبادئ التربوية التي عالجها المؤلف في كتابه:

- مراعاة الفروق الفردية.
- اعتماد مبدأ التدرج والتبسيط والتوضيح في العملية التربوية / التعليمية.
- مراعاة العوامل النفسية لدى المتعلمين.
- الاعتناء بالصحة العقلية والجسمية والنفسية عند المتعلمين.
- المساواة والعدل بين المتعلمين.
- عدم استعمال أسلوب العنف / السلطة.
- اعتماد أسلوب التعريض بدل التصريح في التعامل مع المتعلمين.

- خلق روح المنافسة الإيجابية لدى المتعلمين.
- أهمية عنصري التشويق والترفيه في العملية التربوية / التعليمية.
- دور الرحلة في تنمية القدرات العقلية والفكرية عند المتعلمين.
- غرس بذور الحرية المنضبطة في نفوس المتعلمين، وفسح باب الخلاف الهادف والمنضبط أمامهم.
- التركيز على التربية قبل التعليم.

يتبين من هذا أن الاشتغال على المسألة التربوية والتعليمية لم يكن حكرا على الفكر المشرقي فحسب، بل كان يشغل اهتمام المفكرين والعلماء والمربين المغاربة أيضا، الذين كانوا كغيرهم مسكونين بمثل هذه القضايا التربوية والتعليمية، إذ التربية في منظورهم هي أساس كل عمل فكري ومعرفي وسلوكي ووجداني.

وكثيرا ما نرى تجليات هذا الحضور التربوي في شتى التصانيف والمؤلفات على اختلاف طبيعتها.

فالمسألة التربوية كانت حاضرة بقوة سواء عند الفقهاء أو المحدثين أو غيرهم. وفي الجملة، فقد كانت معطيات الكتاب التربوية تتشكل بالضرورة من مادة بيئته المغربية والعربية الإسلامية، وتتداخل مع نسيجها بشكل عام، وعليه، يمكن اعتبار كتاب الطرنباطي دليلا ومنهجا تربويا صالحا لتكوين المتعلم والعالم سواء.

المستوى الأدبي:

قد يبدو الكتاب خال مما هو أدبي على أساس أن المواضيع التي تناولها تنتمي إلى مجالات أخرى لكن من خلال تتبعنا لتفاصيل الكتاب نستشف أنه يعكس بحق حس الأديب،

ويتجلى ذلك واضحا في قدرته على الإحاطة بقدر كبير من المادة الشعرية والنثرية، وإن كانت ذات طبيعة تعليمية وأخلاقية.

فالكتاب في تقديري قد حقق قدرا من المتعة واللذة الأدبية لا يتذوقها إلا من غاص في بواطنه، واصطحبه من بدايته إلى نهايته، فهو أثناء معالجته للقضايا التربوية والتعليمية يحملنا معه في أجواء ممتعة، ويسير بنا تحت أشجار وارفة الظلال كلها دفء وسكينة، نستشعر معه لمسات أدبية ناعمة ورائعة، توقظ العاطفة، وتحرك الوجدان وتفسح المجال للخيال يسبح في سماء الألفاظ والمعاني، وهو ينتقل بنا من موضوع إلى موضوع، ومن نص إلى نص، ومن معنى إلى معنى، ومن دلالة إلى أخرى، وهكذا.

فالإمتاع عنصر حاضر في تضاعيف الكتاب، وبين مكوناته الدلالية. ولعل هذا العنصر الإمتاعي ليس بغريب على الكاتب، فنجده أيضا في كتابه «إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك» فهو كما يبدو من عنوانه يتناول قضايا من صميم النحو العربي، وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد الكاتب لا يذخر جهدا في جعلنا نستمتع بما يسوقه من فوائد وطرائف، ولطائف، وحكايات، ونكت، وغيرها، تجعل الدرس النحوي مستساغا لدى الأسماع والأفئدة.

ومن جهة أخرى فقد كان الكاتب من خلال مؤلفه يعالج القضايا التربوية بنفَس أديب مصقول بالروح الدينية، يحاول به التأثير في المتلقي، ويشد انتباهه إليه، فالأمر ذو أهمية كبيرة. فهو يتطلب استدعاء ذهن المتلقي ووجدانه، ليتلقى ما سيلقي على مسامعه، وهذا يقتضي من المؤلف أن يستغل الموقف، ويسوق في هذه الأثناء ما يحقق الغرض الذي يصبو إليه ويشبع حاجة سائله.

وبذلك استطاع الكتاب أن يكسر تلك الرتابة المملة التي قد تحصل لدى المتلقي/ المستمع وأن يجعله يساير وقع خطى النص المتتالية في دواخل النفس ويتتبعها بشغف وحفاوة كبيرين.

وعلى هذا الأساس، فالكتاب استطاع أن يؤثر في المتلقي بما وظفه من وسائل التعبير الأدبية الموحية، وهذه سمة أخرى تنضاف إلى ما يتميز به الكتاب من سمات أدبية.

وعموما فالكتاب قد حاول أن يمتعنا بمضامينه القيمة وما حوته من فوائد نفيسة، كما استطاع أن يجلب عقولنا، ويؤثر في نفوسنا، ويستميل عواطفنا.

إن هذه القدرة على الإمتاع والتأثير تضفي على الكتاب جمالية أدبية شيقة وجميلة.

8 - **خصائص الكتاب الفكرية**

يمكننا تجلية الخصائص الفكرية للكتاب في المظاهر التالية:

النزعة التوثيقية:

اجتهد المؤلف كثيرا في توثيق غالب المرويات والأخبار والقصص التي أوردها ضمن كتابه، وذلك بأسلوب العزو المعتمد على الإشارة، حتى يضفي على القضايا والمسائل التي يعالجها طابع المصداقية والموضوعية.

النزعة الموسوعية:

صدر المؤلف في كتابه عن ثقافة واسعة تمتد إلى حقول معرفية متنوعة، كالتفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، والمنطق...تدل على شمولية التكوين عند صاحبها، وتؤكد الطابع الثقافي والفكري للمرحلة التي عاش فيها المؤلف.

النزعة الأخلاقية:

ساد الدرس التربوي تيار أخلاقي جاد، لأن معظم من تصدروا للتربية والتعليم كانوا من فئة الفقهاء، أو ممن اتسعت معارفهم الشرعية، فكانت ثقافتهم الدينية والشرعية تمدهم بمقاييس أخلاقية يصدرون عنها في عملية المباشرة التربوية والتعليمية. ومن هذا المبدأ عالج المؤلف جميع القضايا والمسائل التي أثارها في كتابه.

الوعي الحضاري بمقومات الأمة:

كان المؤلف مسكونا بهموم أمته ومشاكلها الحضارية، وقد ولد ذلك لديه همة فياضة تتوق إلى النهوض بهذه الأمة وبعث روح الحياة فيها.

وفي هذا السياق نرى أن المؤلف على وعي تام بخطورة التربية والتعليم، فهما في نظره أساس كل حضارة، وعليهما ينبني صرح كل عمران بشري؛ فالتعليم صناعة، والتربية روح هذه الصناعة. لذا نجده يؤكد من خلال نصوص كتابه على ضرورة ترابط التربية بالتعليم، لأن التعليم إذا فصل عن التربية يؤدي إلى تشييء الإنسان، وبالتالي إلى خلق حضارة مادية لا تؤمن بالقيم والأخلاق والمثل العليا، وتتنكر لكل ما هو فطري وأصيل في الإنسان.

9 - الخصائص الأسلوبية للكتاب

مما لا ريب فيه أن الكتاب أراد له صاحبه أن يكون كتابا تربويا على شاكلة الأعمال التي سبقت، وقد كان فيه صادقا مع نفسه؛ حيث أعلن منذ البداية أنه سيعمل جاهدا على جمع ما يراه مناسبا في هذا المجال، لعل ذلك يلبي الغرض الذي يصبو إليه سائله، ويظفر بالمراد، مما جعل طابع التقريرية والمباشرة والحوارية أحيانا يغلب على خطابه.

وبالرغم من ذلك، فإن المؤلف حاول أن يحرص من خلال هذه العملية على جمالية النص وأدبيته، سالكا في ذلك مسلك ما تعارف عليه أهل زمانه في ميدان الكتابة النثرية بوجه عام.

وعموما يمكننا تحديد الخصائص الأسلوبية للكتاب في السمات التالية:

- عرض الكاتب أفكاره ومواقفه مستندا إلى أدلة نقلية أو عقلية أو هما معا، ويتجلى ذلك واضحا في ظاهرة الاستقصاء والجمع للشواهد والأقوال المأثورة، موظفا في كل ذلك أسلوب العزو المعتمد على الإشارة حينا كقوله: «روى ابن عباس...»، وبدونها أخرى مكتفيا بقوله: «قال:...أو ولله در القائل:...أو

وقيل:...» أو غير ذلك، وتعتبر هذه الشواهد التي ساقها المؤلف بهذا الأسلوب حجة في مجالها، و لها وقعها وتأثيرها على المتلقي.

وفي تقديري أن هذه السمة الأسلوبية تعبر عن تنوع ثقافة المؤلف وسعتها، وقدرته على الجمع والتدوين والتقسيم والتبويب والتضمين...

- يميل المؤلف في كتابه إلى أسلوب الاستدراج في التأثير، فلا يقدم أفكاره دفعة واحدة، بل بالتدرج حسب نوعية وطبيعة القضايا والمسائل الذي هو بصدد معالجتها، حتى يتغلغل في نفوس المتلقين، ويصل إلى ألبابهم وأفئدتهم، ليتأثروا بها وينقادوا إليها.

ويبدو المؤلف من خلال هذا الأسلوب متأثرا بمن تقدمه من العلماء، فإنهم قد تنبهوا قبله إلى أهمية وسائل التأثير وطرق الاحتجاج والتدليل... لذا نجدهم غالبا ما كانوا يحرصون على الجمع بين الإقناع العقلي والتأثير العاطفي.

- ومن وسائله التي استعملها في النص قصد الإقناع والتدليل، أن يأتي بمعنى ثم يؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته.
- ولتكسير الرتابة والسأم عند المتلقي يعمد المؤلف إلى توظيف عنصري السرد والخيال في أسلوبه، ويتمثل ذلك في إيراده لعدد من الأخبار والقصص والمرويات الأخرى.

وقد أكسبت هذه التقنية الأسلوبية النص بُعدين:

- **بعد دلالي**: يتمثل في الدلالة العميقة التي تختزنها هذه الأخبار والقصص. فهي تعتبر في حد ذاتها مؤشرا دلاليا لهدف معين يتوارى خلف بنيتها السطحية.

* بعد جمالي: يتجلى في ما تحققه هذه النصوص من المتعة والإثارة والتشويق. فهي تستبطن القدرة على خلق فضاء جميل يجد فيه المتلقي لذة ونشوة. وبالتالي تجعله يخرج من واقعية النص إلى احتماله.

* وجد المؤلف في تقنية الاستطراد متنفسا أسلوبيا يضع فيه المتلقي أمام مجموعة من الأمور والقضايا لإعمال الفكر والنظر في شأنها، والوقوف عند مدلولاتها، والعمل بمقتضياتها.

ويمثل لها بالتعابير الآتية: «اعلم – تنبيه – فائدة – مسائل ...» وغير ذلك.

* وظف الكاتب مصطلحات صوفية وفلسفية، وقد بذل جهدا كبيرا في الحفاظ على دلالتها كما هو متعارف عليه في كتب التصوف والفلسفة.

* يخيل للدارس من خلال عنوان الكتاب: «بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» إن المؤلف التزم الأسلوب المسجوع المعتمد على المحسنات اللفظية، إلا أننا مع قراءة الكتاب لا نلقى إلا أثرا خفيفا للصنعة المتحررة من ثقل المحسنات اللفظية والبديعية، فيؤثر لذلك اللفظ السهل المجانب للحُوشي الغريب الذي يؤدي إلى استغلاق المعاني.

كانت هذه أهم الخصائص الأسلوبية التي تميز بها الكتاب، وفي تقديري، أنه بالرغم من بساطة هذه الوسائل الأسلوبية والتعبيرية المتاحة التي اتسم بها فضاء النص، إلا أنه استطاع ـ الكتاب ـ أن يترك لدى المتلقي إحساسا وشعورا وأثرا يفيض متعة ونشوة وإثارة.

10- وصف نسخ الكتاب

كانت نتيجة البحث التي قمت بها ـ حسب ما تيسر لي ـ في مختلف الخزانات العامة والخاصة أن حصلت على ثمان نسخ، خمسة منها توجد بالخزانة العامة بالرباط، واثنتان بمؤسسة علال الفاسي بالرباط، وواحدة بالخزانة العامة بتطوان، وهناك نسخة تاسعة[1] أشار المرحوم الأستاذ المنوني في كتابه «المصادر العربية لتاريخ المغرب» إلى أنها بخط المؤلف توجد بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 445. ك، إلا أنني لما أردت الإطلاع عليها وجدتها مفقودة، ولما سألت المسئولين هناك عن أمر هذه المخطوطة، أكدوا لي جميعا أنه لا توجد إطلاقا نسخة بخط المؤلف تحمل هذا الرقم.

وزدت في تحري الموضوع أكثر، أن طلبت المجموع الذي كانت ضمنه هذه النسخة، فتفحصته جيدا ورقة ورقة، فلم أجد أثرا لمتن هذه المخطوطة.

لست أدري ماذا كان مصيرها !؟.

وعلى العموم فان مجموع النسخ التي وقفت عليها كانت ثمانية:

من بينها واحدة أصلية وهي التي وجدتها بعد النسخ الأخرى بمؤسسة علال الفاسي وتندرج تحت رقم 181، وقد اعتبرتها النسخة الأم للأسباب والاعتبارات التالية:

- اعتبرها المرحوم الأستاذ علال الفاسي مبيضة المؤلف من خلال محاضرته التي ألقاها في ندوة علمية أشرفت عليها وزارة التربية الوطنية تحت عنوان: «مهمة علماء الإسلام» ونشرت كلمته هاته في مجلة تطوان[2].

---

(1) المنوني «المصادر العربية» 2/ 71.

(2) مجلة تطوان، عدد 5، سنة 1960، ص: 59، 61.

- إنها أقدم نسخة بالمقارنة إلى النسخ الأخرى، حيث كتبت سنة 1184 وهي السنة التي ألف فيها الطرنباطي كتابه.
- تحمل في نهاية المخطوطة دلالة قوية كونها من بنات أصابعه وذلك بقوله: «ووافق الفراغ منه على يد مؤلفه...» عكس ما هو موجود في النسخ الأخرى.
- إن جميع النسخ التي وقفت عليها منقولة عن هذه النسخة الأصلية والدليل على ذلك أنه من خلال المقابلة التي قمت بها بين النسخة الأم وبين هذه النسخ تبين لي أن هذه الأخيرة تقيم تصحيحاتها وتصويباتها من خلال متن النسخة الأولى.

بناء على هذه الاعتبارات جعلت هذه النسخة هي المعتمدة في إخراج النص وتحقيقه. أما بالنسبة لبقية النسخ فإنني من خلال قراءتي لها ومقابلتها[1] بالنسخة المعتمدة «الأم» وجدتها أنها تتشابه لحد ما مع بعضها البعض، وإنما تتفاوت من جهة الضبط، والدقة، وتاريخ النسخ، ووجود تصحيحات وبعض التعليقات على هوامش بعضها دون البعض الآخر، وسلامة الكتابة ووضوحها.

وبما أن الاختلاف لا يخرج عن هذه الدائرة، رأيت أن أستعين بثلاث نسخ منها في المقابلة لتصحيح ما ورد في النسخة الأصلية المعتمدة من كلمات مبهمة، أو في ملء بعض الفراغات، حتى لا أثقل هامش النص بما قد يحد من مساحة الأهم، وحتى لا يغيب النص في كومة الهوامش.

والنسخ الثلاثة حسب تاريخ نسخها هي:

---

(1) لقد سبق لي أن قابلت جميع النسخ مع نسخة 645 ك، على أساس أنها هي الأصل، وذلك قبل حصولي على نسخة مؤسسة علال الفاسي. فأرهقتني تلك المقابلة، وكلفني ذلك وقتا وجهدا طويلين. لذا اكتفيت بالاستعانة بثلاث نسخ في المقابلة وأستأنس بالباقي إذا اقتضت الحاجة الرجوع إليها.

- نسخة الخزانة العامة بالرباط: رقم 483 د. ضمن مجموع.
- نسخة مؤسسة علال الفاسي: رقم 190. ضمن مجموع.
- نسخة الخزانة العامة بالرباط: رقم 348. ضمن مجموع.

وفيما يلي وصف النسخ التي وقفت عليها مبتدئا بالنسخة الأصلية ثم يليها وصف لبقية النسخ الأخرى.

1. نسخة مؤسسة علال الفاسي رقم 181.

وهي النسخة التي اعتبرناها أصلية للاعتبارات المذكورة آنفا، وجدت هذه النسخة ضمن مجموع يضم:

- تقاييد اشتملت على أسئلة وأجوبة، ومسائل علمية لبعض الشيوخ، مثل: حمدون المزوار، عبد السلام بن الطيب القادري، محمد بن عبد القادر الفاسي، ابن زكري، العربي بردلة، علي بركة، محمد بن محمد المرابط، وعبد القادر الفاسي.
- تقييد في الزكاة لمحمد بن محمد حمدون بناني (ت 1140 هـ).
- رسالة في الاستعارات لأبي القاسم بن بكر الليثي السمرقندي من علماء النصف الثاني من القرن التاسع الهجري.
- **منظومة في نسب وسيرة الرسول ﷺ تتكون من واحد وثلاثين بيتا، وهي لعبد السلام بن الطيب القادري (ت 1110 هـ).**
- تقاييد وأجوبة أخرى حول مسائل علمية للشيوخ: محمد بن يوسف السنوسي، أبي عبد الله القصار، أبي محمد عبد القادر الفاسي، عبد السلام بن الطيب القادري الفاسي، وأحمد الوجاري.

* مذكرة مرفوعة إلى السلطان مولاي سليمان لأحمد بردلة (ت 1133 هـ).
* تقييد في «لو» الشرطية للطيب بن كيران (ت 1277هـ).
* تقييد به عدة فوائد علمية وحكايات صوفية.
* وصية ابن الخطيب لأولاده الثلاثة: عبد الله ومحمد وعلي.
* الإشارات الحسان إلى حبر فاس وتلمسان، وهو أجوبة عن أسئلة صادرة عن الونشريسي للشيخ ابن غازي (ت 919 هـ).
* قصائد ومقطعات شعرية لابن الخطيب والرندي أبي الطيب وابن حمديس.
* عرض حول كتاب «إفاضة العلم من مسألة الكلام » للشيخ إبراهيم الكوراني (منقول من الرحلة الحجازية للعياشي).
* فوائد ونقول في مواضيع مختلفة.
* تنبيه أهل الهمم العالية على الإعراض عن الدنيا الفانية، للعياشي(ت 1090هـ).
* منظومة في الظاء والضاد، تشتمل على تسعة وثلاثين بيتا، لابن مالك (ت 672هـ).
* التشديد في مسألة التقليد، للسجلماسي أحمد بن المبارك (ت 1156 هـ).
* فتح التحفة وإضاءة السدفة، للشيخ ابن عباد (ت 792 هـ).
* رسالة موجهة إلى الشيخ ابن عبد الله أمغار الصغير، للشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت 870 هـ).

تقع المخطوطة في مقدمة المجموع من صفحة 1 إلى صفحة 104.

- عدد صفحاتها: 103[1].
- مقياسها: 15/ 17 سم.
- مسطرتها: 21.

مكتوبة بخط عربي واضح مقروء وجميل، وكتبت الأبواب بحروف بارزة وبلون مغاير للمداد الصمغي الأسود.

والنسخة محفوظة من تسرب الأرضة إليها، ومرقمة الصفحات، وبهامشها بعض الطرر بخط المؤلف تتضمن بعض المعلومات الإضافية، والظاهر أنه أسقطها أثناء التأليف وتداركها في الهوامش مشيرا إليها بكلمة «صح» وقلّما نجد التشطيبات على بعض الكلمات أو العبارات.

تبتدئ المخطوطة بـ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. الحمد لله الذي شرف العلم وأهله، وأعلى في درجات السيادة رتبته ومحله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بمزيد التعظيم والتجلة، وعلى آله وأصحابه الحاملين الكتاب والسنة، وبعد:

فإن بعض الأحبة ممن خلص في وده، وصعب علي فيما طلب مني رده، طلب مني أن أجمع له شيئا من فضائل العلم والعلماء، لتنبعث النفوس إلى طلبه وتحصيله إذا سمعت ما أعده الله لأهله، لأنها كسالى كالدابة الحرون يلاح لها بمخلاة رجاء الاستقامة على السير، وإن كنت لست أهلا لهذا الأمر في عير ولا نفير، ولا كدت أن أكون أهلا، مع علمي بأن من ألّف قد

---

(1) قال المرحوم الحريشي أن عدد صفحاتها 101، والصواب ما أثبتناه.

ينظر: فهرسة مخطوطات مؤسسة علال الفاسي.

أبدا صفحة عقله، وترجم عن مقدار علمه وجهله، ولو سترت على نفسي لأبقيت لها الحال مستورا، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا....»[1].

وتنتهي بقوله:

«ختم الله أعمالنا بالخيرات، ووفقنا لفعل الحسنات، واجتناب السيئات، ومنحنا في الدارين مراتب السعادة، وبلغنا من فضله الحسنى وزيادة.

اللهم صلّ على روح العالم وسيد بني آدم محمد المصطفى، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

ووافق الفراغ منه صبيحة يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة أربع وثمانين ومائة وألف على يد مؤلفه وكاتبه بيده الفانية، العبد الفقير، إلى مولاه الغني، محمد بن مسعود ابن أحمد بن محمد الطرنباطي الأموي العثماني الفاسي دارا ومنشئا، كان الله له ولوالديه، ولأشياخه، ولجميع المسلمين»[2].

ومما يلاحظ في هذا الصدد، أن مقدمة المخطوطة تشترك فيها سائر النسخ.

أما فيما يخص وقت فراغ المؤلف من تأليف كتابه فإنها تجمع كلها على أن تاريخ الانتهاء منه كان سنة 1184 هـ.

وعلى عادة نساخ هذه المخطوطة أنهم عندما يفرغون من النسخ يقولون: «وقال مؤلفه رحمه الله، ووافق الفراغ منه...».

---

(1) بلوغ أقصى المرام، ص: 223.

(2) نفسه، ص: 464.

وقد بينت ذلك في هذا المقام حتى لا يتكرر الكلام نفسه عند وصف النسخ الأخرى تحمل هذه النسخة خاتم مؤسسة علال الفاسي، كما يوجد في صفحة الغلاف اسم المخطوطة ومؤلفها على النحو التالي:

(«بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» جمع الإمام الفاضل الفهامة أبي عبد الله محمد بن مسعود العثماني الطرنباطي الفاسي، أمتع الله بفوائده، وأجزاه من اللطف على أجمل عوائده آمين).

وقد رمزت لهذه النسخة بـ: (- أ -).

2. نسخة رقم 483، د، بالخزانة العامة بالرباط.

تقع ضمن مجموع يشتمل على 348 صفحة، ويضم:

- تقييدات الشيخ محمد الأمير على رسالة العلامة الصبان في البسملة والحمدلة.
- تأليف الطرنباطي في فضائل العلم (يقصد به: بلوغ أقصى المرام...).
- نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان.
- تأليف فيه بتر في مدح العدل.
- تأليف في بعض ملوك بني العباس.

وتوجد النسخة ابتداء من صفحة 61 إلى نهاية صفحة 129:

- عدد صفحاتها: 71.
- مقياسها: 17.5 /21.5 سم.
- مسطرتها: 27.

× خطها مغربي حسن رقيق، خالية من التشطيب، والتسويد، محفوظة من العيوب والشوائب.

كتب الناسخ في الصفحة الأولى ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

«بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» جمع الإمام الفاضل الفهامة أبي عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي الفاسي أمتع بفوائده وأجزاه من اللطف على أجمل عوائده بفضله وكرمه آمين».

بالنسخة طرر قليلة جدا.

وقد اعتاد الناسخ أن يكتب في أعلى كل صفحة من صفحات المخطوطة: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

وفي نهاية النسخة أثبت الناسخ اسمه وتاريخ الانتهاء من النسخ بقوله: «... صبيحة يوم الجمعة 20 جمادى الأولى عام 1264. محمد بن العباس بن كيران».

ويوجد على ظهر هذه النسخة خاتم الخزانة العامة.

ولعل هذه النسخة أقدم ما نسخ بعد المخطوطة الأصلية، كما أنها قليلة الأخطاء بالمقارنة مع النسخ الأخرى، ولهذا السبب جعلتها من بين النسخ الثلاثة السالفة الذكر أرقامها، قصد الاستعانة بها على تحقيق المتن، ومقابلته بها، وإخراجه نصا كاملا.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ: (ب).

3. نسخة رقم 190، من مؤسسة علال الفاسي.

توجد ضمن مجموع يضم:

- قصيدة أبي عبد الله محمد بن محمد عمران المشهور بابن المجراد مبرزا القواعد الإعرابية من القصيدة المجرادية، تأليف سيدي علي بن أحمد بن محمد الرسموكي (ت1049هـ).
- تأليف في حكم الغناء وآلة الطرب، للسلطان مولاي سليمان (ت 1238هـ).
- كنز العربية في حفظ لفظ الجرومية، شرح على الجرومية لمحمد بن المبارك بن علي الكردسي.
- تأليف للعلامة الطرنباطي في فضل العلم وأهله، من ورقة 85 إلى ورقة199.
- التقرير النفيس في المسائل التي سئل عنها العالم الرئيس أبو عبد الله بن خميس حول الفعل المضارع المعتل، لسيدي محمد بن التهامي الوزاني (ت1311هـ).
- تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ).
- إيمان عوام المؤمنين، لسيدي محمد بن التهامي الوزاني.
- تقييد على سورة الفاتحة، لمحمد بن عبد الرحمن بنزكري.
- تقييد مفيد على نظم ألقاب الحديث، لسيدي محمد العربي الفاسي(ت1116هـ).
- رسالة نصح عام لكل من قال: «ربي الله ثم استقام»، لأبي الحسن الحرالي(ت638هـ).

- عدد صفحاتها: 66 [1]، من صفحة 230 إلى صفحة 295.

---

(1) قال الحريشي في عدد صفحات هذه النسخة أنها 65 صفحة والصواب ما أثبتناه. ينظر: الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي.

- مقياسها: 17/ 22 سم.
- مسطرتها: 27.

كتبت بخط مغربي دقيق، مقروء، واضح، ومحفوظة من تسرب الأرضة إليها، بها طرر قليلة جدا.

يوجد على غلاف النسخة اسم الكتاب والمؤلف.

استهل الناسخ الصفحة الأولى بما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما واعلم أن هذا «بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» جمعه الإمام الفاضل الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن مسعود العثماني الطرنباطي الفاسي تغمده الله وعامله برحمته، بفضله، وكرمه آمين».

لم يذكر الناسخ اسمه، بل اقتصر على إثبات تاريخ نسخها قائلا: «وافق الفراغ من نسخه ضحوة يوم الخميس في شهر المحرم الحرام مضت منه عشرة أيام فاتح تمام1265، غفر الله لكاتبه ولوالديه ولأشياخه وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك حميد مجيد، جواد كريم، رؤوف رحيم...».

وقد أتى الناسخ بالتصلية في أعلى كل صفحة من صفحات المخطوطة.

وتحمل النسخة خاتم مؤسسة علال الفاسي.

رمزت لهذه النسخة ب: (ج) وهي ثاني نسخة قابلتها بالنسخة الأم، واستعنت بها في تخريج متن النص وتحقيقه، وذلك لكونها من بين النسخ القديمة، وتحتوي على أخطاء قليلة، كما تتميز بوضوح خطها وإتقانه، وسلامة ورقها.

4. نسخة رقم 348 ج بالخزانة العامة بالرباط.

تقع في مجموع يتكون من 216 ورقة، وهو يشتمل على:

- تأليف الطرنباطي «بلوغ أقصى المرام..» ويبتدئ من ورقة 1 وينتهي عند ورقة 47 (94 صفحة).
- تأليف في التصوف، لابن عجيبة.
- تأليف في سر الحرف، للبوني.
- حاشية اليوسي على مختصر السنوسي.

× خطها مغربي جميل حسن، محفوظة من عبث الأرضة، خالية من التشطيب والتسويد، بها طرر قليلة جدا.

× مقياسها: 18/ 22.5 سم.

× مسطرتها: 25.

كتب الناسخ في أول ورقة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما واعلم أن هذا «بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» جمعه الإمام الفاضل الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن مسعود العثماني الطرنباطي الفاسي، تغمده الله وعامله برحماته، بفضله، وكرمه آمين».

اكتفى الناسخ بذكر تاريخ الانتهاء من الكتابة دون الإشارة إلى اسمه قائلا:

«انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل، بمنّه وكرمه في آخر عام **(1266هـ)**».

وعلى ظهر غلاف المجموع كتب نص التمليك التالي:

«الحمد لله وحده، جميع ما اشتمل عليه هذا المجموع: الطرنباطي في فضل العلم ثم تأليف في التصوف لابن عجيبة، ثم آخر في سر الحرف للبوني، ثم حاشية اليوسي على مختصر السنوسي، رحم الله الجميع ونفعنا بهم آمين.

الحمد لله، صار في نوبة العبد الضعيف الآتي اسمه آخرا بالبيع التام المبرم بثمن قدره خمسون أوقية. بحضرة فاس(...)[1] الله وكتبه بيانا(...)[2] بن محمد الخياط(...)[3].

كانت هذه النسخة الثالثة التي استعنت بها وقابلتها بالنسخة الأم، لكونها تتميز تقريبا بنفس مواصفات النسختين السالفتين.

وقد رمزت لهذه النسخة ب: (د).

5. نسخة رقم 1643 د.بالخزانة العامة بالرباط

تقع في مجموع مكون من 236 ورقة ويضم:

- شرح التاودي على جامع الشيخ خليل.
- تأليف للطرنباطي في فضائل العلم سماه: «بلوغ أقصى المرام....».
- حاشية سيدي عبد الرحمن الفاسي على دلائل الخيرات.
- حاشية سيدي عبد الرحمن الفاسي على الحزب الكبير للإمام الشاذلي.
- شرح زكرياء الأنصاري على المنفرجة.

تقع المخطوطة في 42 ورقة (= 84 صفحة) من ورقة 82 إلى ورقة 123.

---

(1) (2) (3) كلمات مبهمة وغير مقروءة.

- مقياسها: 22/ 18 سم.
- مسطرتها: 27.
- خطها مغربي متوسط، سالمة من الشوائب ومن تسرب الأرضة إليها.

قال الناسخ في أول المخطوطة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما قال الشيخ الإمام الفاضل أبو عبد الله سيدي محمد بن مسعود العثماني الطرنباطي الفاسي تغمده الله وعامله برحمته، بفضله، وكرمه آمين».

والنسخة خالية من الطرر، وهي تقترب في كثير من النسخ: (ب، ج، د).

انتهى الناسخ من كتابتها عام 1276 هـ دون أن يثبت اسمه.

رمزت لهذه النسخة ب: (- هـ -).

6. رقم 645 ك. بالخزانة العامة بالرباط.

تقع في مجموع يضم:

- بلوغ أقصى المرام... للطرنباطي.
- تقاييد لمؤلف مجهول.
- القانون، لليوسي.
- تقريظ المسامع بشرح كتاب الجامع، لمحمد التاودي بن الطالب بن سودة.
- تقاييد لمؤلف مجهول.
- تأليف اشتمل على مبادئ في التصوف لمؤلف مجهول.

- تقاييد لمؤلف مجهول.

وتتصدر نسخة المؤلف مقدمة المجموع من صفحة 1 إلى صفحة 97.

- مقياسها: 21.5/ 16سم.
- مسطرتها: 23.
- خطها مغربي جميل، مقروء، واضح، وسالمة من عبث الأرضة.

يحيط بكل صفحة من صفحات المخطوطة المكتوبة، إطار ملون بخطوط حمراء وزرقاء.

وقد جرى الناسخ على كتابة أبواب الكتاب وأوائل الفقرات بخط عريض بالمداد الأحمر والأخضر مثل «الحمد لله»، و«اعلم»، «الباب الأول»، وأسماء بعض الرواة والأعلام المشهورين. الأبيات مشطرة، وعلى جانبيها فواصل حمراء وخضراء. ويوجد على هوامش النسخة بعض الطرر.

والنسخة خالية من ذكر اسم ناسخها وتاريخ الفراغ من نسخها، وهي تحمل خاتم الخزانة العامة بالرباط، كما تحمل على ظهر الغلاف اسم المخطوطة واسم مؤلفها.

رمزت لهذه النسخة ب: (- و -).

7. نسخة رقم 2560 د. بالخزانة العامة بالرباط.

توجد ضمن مجموعة تحتوي على:

- التعريف بسيدي محمد العياشي ومبدأ أمره، وغزواته، وأحواله من منشأه إلى وفاته.
- تأليف في العلم وفضائله، لأبي عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي من صفحة: 94 إلى صفحة 208.
- قصيدة للقاضي أبي الحسن الجرجاني.

- دخول الشيخ اليوسي لفاس، وانشاده البيتين المعصومين وجواب شيخ المشايخ، سيدي عبد القادر الفاسي بقصيدة....
- تقييد من العهود المحمدية الكبرى، للشعراني.
- نصيحة الأغنياء وفضيحة الأغبياء، لسيدي عبد الرحمن بن جلون.
- تقييد على حديث تمثيل أعمال أهل الكتابيين والمسلمين بعمل الأجراء في أبعاض النهار لأمير المؤمنين مولانا سليمان.

  - مقياسها: 19/ 21.5 سم.
  - مسطرتها: 21.

كتبت بخط مغربي مقروء، واضح، تتخلله ألوان حمراء وزرقاء عند أوائل الفقرات والأبواب، وكذا عند أسماء بعض الأعلام المشهورين.

كتب على هامش الصفحة الأولى ما يلي:

«الحمد لله وحده، وجدت بخط المؤلف لهذا التعليق على ظهر تأليفه هذا بخط مشرقي: «بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» جمع الإمام الفاضل الفهامة أبي عبد الله مسعود العثماني الطرنباطي الفاسي، وأجاره الله من اللطف على أجمل عوائده».

والنسخة تكاد تخلو من الطرر. ولم يثبت الناسخ اسمه عليها، ولا تاريخ انتهائه من نسخها.

رمزت لهذه النسخة ب: (- ز -).

8. نسخة الخزانة العامة بتطوان، رقم 389.

- تشتمل على 83 صفحة.

* مقياسها: 17.5 /12.5 سم.
* مسطرتها: 25.
* خطها مغربي جميل حسن.

يوجد على غلاف المخطوطة اسم المؤلف، وكتب على هامش الصفحة الأولى:

«الحمد لله، وجد بخط التعليق على ظهر تأليفه هذا بخط مشرقي:

«بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام» جمع الإمام الفاضل الفهامة أبي عبد الله محمد بن مسعود العثماني الطرنباطي الفاسي، أنفع الله بفوائده، وأجراه على أجمل عوائده».

* ميزت رؤوس العناوين والأبواب وأوائل الفقرات بالمداد الأحمر والأزرق.
* سلمت أوراقها من نهش الأرضة وعبثها، وبهوامشها بعض الطرر.

تخلو النسخة من ذكر اسم ناسخها وتاريخ الفراغ من كتابتها، والظاهر أن هذه النسخة تقترب جدا من نسخة 2560 د. وبينهما تشابه كبير.

رمزت لهذه النسخة ب: (-ح-).

11 - عملي في التحقيق:

يتلخص عملي في تحقيق هذا الكتاب في الخطوات الآتية:

* ضبطت النص، وحاولت إخراجه سالما، مراعيا في ذلك الشروط العلمية للتحقيق، معتمدا على نسخة مؤسسة علال الفاسي برقم 181 التي يغلب على الظن أنها مبيضة المؤلف، واعتبرت هذه النسخة هي النسخة الأم، ثم قابلت المنسوخ مع النسخ الأخرى، مثبتا أهم الفروق بينها وبين النسخة الأم بالحاشية.

- عزوت الآيات الواردة في النص إلى سورها، وأرقام آيها.
- قمت بتخريج غالب الأحاديث التي ذكرها المؤلف من مصادرها، باستثناء القليل منها استعصى علي الوقوف عليه، معتمدا في ذلك على كتب الحديث المرجوع إليها في هذا الشأن، مع محاولة نقل كلام الأئمة الحفاظ على الحديث، خاصة إن كان مختلفا فيه، أو غير ذلك كما هو واضح من الإحالات المثبتة في الهوامش.
- عملت على تخريج وتوثيق عدد كبير من آثار وأقوال السلف الصالح، وقد تطلب مني ذلك جهدا كبيرا، لكثرة استشهاد المؤلف بها.
- وثقت كثيرا من النقول الواردة في النص، وأحلتها على مصادرها حسب المستطاع، وتركت البعض الآخر الذي لم أتمكن من الوقوف عليه.
- حرصت على إيراد تراجم مقتضبة للأعلام البشرية مشفوعة بمصادرها ما استطعت إليه سبيلا. وهناك أعلام لم أترجم لها، إما لكونها ـ في تقديري ـ معروفة ومشهورة، أو استعصى علي الوقوف عليها، فكان ذلك عن إكراه.
- حددت البحور التي نظمت عليها الأشعار المبثوثة في تضاعيف الكتاب، ثم حاولت نسبة الأبيات إلى قائليها حسب المستطاع، كما أثبت في الهوامش بعض الاختلافات الواقعة فيها. وذكرت أحيانا بعض التعليقات والإضافات في شأنها.
- قمت بشرح بعض الألفاظ اللغوية والفلسفية والصوفية، مع عدم الإطالة في ذلك، معتمدا في هذا الأمر على كتب اللغة والمعاجم.
- في حال وقوع خطأ نحوي أو لغوي غير مقصود صدر من الناسخ أو المؤلف، أثبت الصواب في موضعه من النص، ثم أذكر الأصل في الهامش.
- حددت نهاية كل صفحة من النسخة الأصل، بوضع خط مائل آخرها، وأشرت إلى رقمها في الحاشية بين معقوفين.



نماذج من المخطوطات المعتمدة في التحقيق

مجموع به الرسائل والكتب الآتية

بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام للسطرنيالي

رسالة في الذكاة لمحمد بن جدو بيان

رسالة القاضي بادلس إلى السلطان مولاي إسماعيل في الحر الحلبي

الإشارات الحسان المرفوعة إلى عالم تلمسان لابن غازي

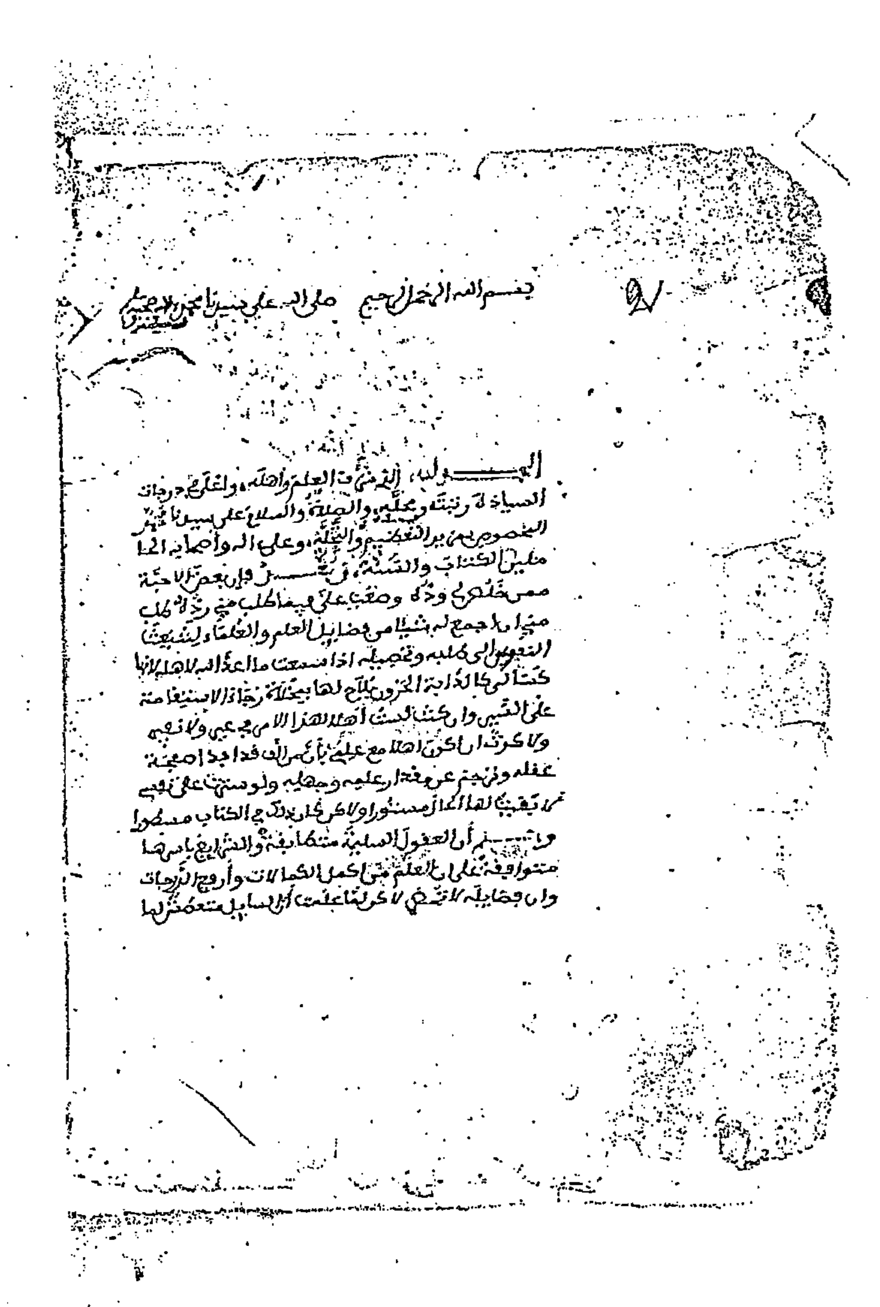
رسالة في فضل الواجهة في الإسناد لابن شقرون

تنبيه أهل الهمم العالية إلى الإعراض عن الدنيا الفانية لأبي سالم العياشي

وصف المعصوم في اصطلاح المرسوم لابن مالك

فتح التحفة وإضاءة الدجنة للعارف ابن عباد

غلاف المخطوطة — أ —



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد [illegible]

الحمد لله الذي شرّف العلم وأهله، ولغلى درجات
السيادة رتبته ومحله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
المخصوص من بين التعظيم والتجلة، وعلى آله وأصحابه الحا
ملين الكتاب والسنة، ثم بعد فإن بعض الأحبة
ممن خلطني وده وصعب علي فيما طلب مني رده طلب
مني أن أجمع له شيئا من فضائل العلم والعلماء ليبعث
النفوس إلى طلبه وتحصيله إذا سمعت ما أعد الله لأهله لأنها
كثيرا ما تكون كالدابة الحرون يلاح لها بمخلاة زيادة الاستقامة
على التعب وإن كنت لست أهلا لهذا الأمر مع عيي وانقباضي
ولا كرّ ذا أن أكون أهلا مع علمي بأن من ألف فقد أبدى صفحة
عقله ونم عن مقدار علمه وجهله ولو سترت على نفسي
لم يعقب لها العار مستورا ولا كان ذلك في الكتاب مسطورا
ثم اعلم أن العقول السليمة متطابقة والشرائع بأسرها
متوافقة على أن العلم من أكمل الكمالات وأرفع الدرجات
وأن فضائله لا تحصى لكثرتها علمت أن المسائل متعمقة لها

الصفحة الثانية من المخطوطة — أ —

وقوله في رفع العلم أن بموت حملته لا بمحوه من الصدور كما تقدم وروى أبو
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى
يخرج من أمتي ثلاثون دجالا كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يفيض
المال ويقبض العلم وتكثر الفتن ويكثر الهرج قالوا وما الهرج
قال القتل القتل وروي عن ابن عباس أنه قال لا يزال العالم يموت وأثر
الحق يدرس حتى يكثر أهل الجهل وقد ذهب أهل العلم فيعملون بالجهل
ويدينون بغير الحق ويضلون عن سواء السبيل وروى ابن ماجة عن
أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بهذا العلم
قبل أن ينقطع وقبضه أن يرفع وقال عبد الله ابن مسعود عليكم
بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته والذي نفسي بيده ليودن
رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء
لما يرون من كرامتهم لله فجعلنا من العلماء العاملين
واحشرنا في زمرة الصالحين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
ختم الله أعمالنا بالخيرات ووفقنا لعمل الحسنات واجتناب
السيئات وبلغنا الدارين مراتب السعادة وبلغنا من فضله
المستبين وزيادة اللهم صل على روح العالم وسيدنا
محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وكان الفراغ منه
ضحوة يوم الأحد الثامن عشر شهر صفر سنة أربع
وثمانين ومائة وألف على يد مؤلفه وكاتبه
العبد الفقير الغني إلى مولاه الغني
محمد بن مسعود بن أحمد بن محمد
غفر الله له
ولوالديه ولأشياخه
ولجميع المسلمين

الصفحة الأخيرة من المخطوطة – أ –

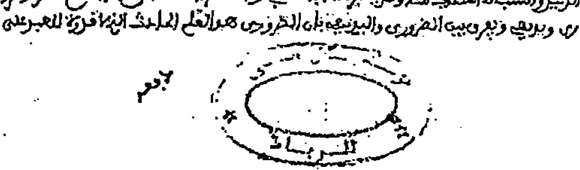
الصفحة الأولى من المخطوطة – ب –

الصفحة الأخيرة من المخطوطة – ب –

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

واعلم أن هذا بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام
جمعه الإمام العالم الفاضل الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن مسعود [illegible]
الطرنباطي ثم الفاسي تغمده الله وعامله برحمته بفضله وكرمه آمين

الحمد لله الذي شرف العلم وأهله وأعلى في درجات السيادة رتبته ومحله والصلاة والسلام على
سيدنا محمد المخصوص بمزيد التعظيم والتجلة وعلى آله وأصحابه العاملين بالكتاب والسنة وبعد
فإن بعض الأحبة ممن خلص في وده ومحضه علي فيما أطلب مني رده طلب مني أن أجمع له شيئا
من فضائل العلم والعلماء لتنبعث النفس إلى طلبه وتحصيله إذا سمعت ما أعد الله لأهله مما لا
[illegible] يلوح لها بعلاوة رجاء الاستقامة على الصبر وإن كنت لست لهذا الغرض الأرفع
[illegible] والأكرت أن أكون أهلا مع علمي بأن من آلة فراد بواضحة عقله وترجح عن مقدار علمه
وجهله ولو سترت على نفسي لا بقيت الحال مستورا ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا واعلم
أن [illegible] متكافئة والشرايع بأمرها متوافقة على أن العلم من أكمل الكمالات وأرفع
الدرجات وإن بطايلها تقصر الآن لما علمت أن السائل [illegible] لما ذكر أجبته بما تيسر ونص
ويشتمل على خمسة أبواب وخاتمة المقدمة في أقسام العلوم وسبب وضعها العلم قسمان
قديم وحادث فالقديم غير منقسم واختلف الناظرون هل يحد أو لا بناء على قولين وعلى الثاني
فقال [illegible] لعسر الاطلاع على ذاتيته وإنما يدرك بالقسمة والمثال وقال [illegible]
وري وعلى أنه يحد ففيه حدود كثيرة منها مقبول ومردود [illegible] الإمام السنوسي في شرح
صغراه بقوله صفة ينكشف بها ما تتعلق به انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه وحده في
مقدمته بقوله صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به والحادث تعريفه كما قال العارف بالله
سيدي عبد الرحمن الفاسي في حاشيته شرح الصغرى أنه صفة كاشفة للأشياء بحيث أنها حاضرة
لديه تنكشف انكشافا لا يشذ عنها شيء من الأشياء هو الحادث قسمان ضروري ونظري
فالضروري هو العلم الحاصل بلا توجه ولا يتوقف على نظر وكسب ولا تفكر كتصور الحرارة والبرودة
[illegible] والنظري هو العلم الحاصل بالكسب والطلب وهو الاستدلال النظري في
الدليل واستنباط المطلوب منه وقد يعبر عنه بالكسبي وبعضهم يقسمه إلى ثلاثة أقسام نظري وضرو
ري وبديهي ويفرق بين الضروري والبديهي بأن الضروري هو العلم الحادث الذي لا قدرة للعبد على



الصفحة الأولى من المخطوطة – ج –

الصفحة الأخيرة من المخطوطة – ج –

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[illegible] بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما

يتعلق به من الأحكام [illegible] الإمام [illegible] الشيخ أبي

عبد الله سيدي محمد بن مسعود [illegible]

نفعنا الله [illegible] آمين

الحمد لله الذي شرف العلم وأهله، وأعلى درجات السيادة رتبته ومحله، والصلاة

على سيدنا محمد [illegible] بالتعظيم والتجلة، وعلى آله وأصحابه الحاملين

للكتاب والسنة، وبعد [illegible]

[illegible] أن أجمع له شيئا من فضائل العلم والعلماء لتنبعث النفس إلى طلبه

وتحصيله [illegible]

[illegible]

[illegible]

وجهله [illegible]

واعلم أن العلوم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] العلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الإمام السنوسي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من المخطوطة — د —

الصفحة الأخيرة من المخطوطة — د —

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

١

الصفحة الأولى من المخطوطة — هـ —

[illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوطة — ٨ —

الصفحة الأولى من المخطوطة — و —

البنات ومحققاء الذاريين مراتب السعادة وبلغنا من فضله الحسنى وزيادة اللهم
صل على روح العالم ومنبع [illegible] المصطفى وعلى آله وأصحابه وأ
زواجه وذريته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين [illegible]
رحمه الله ووافق الفراغ منه ضحوة يوم [illegible]
مضت من صفر [illegible] وعشرين يوما سنة أربع و[illegible]
ومائتين والف على يد مؤلفه وكاتبه بيده الفانية
العبد الفقير المفتقر إلى الغني محمد بن مسعود
ابن أحمد بن محمد [illegible] الأموي
العثماني الفاسي دارا ومنشأ كان
الله له ولوالديه ولأشياخه و
لجميع المسلمين والحمد لله رب
العالمين آمين ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم

الصفحة الأخيرة من المخطوطا – و –

94

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ الإمام العالم العلامة [illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من المخطوطة — ز —

٢٠٨

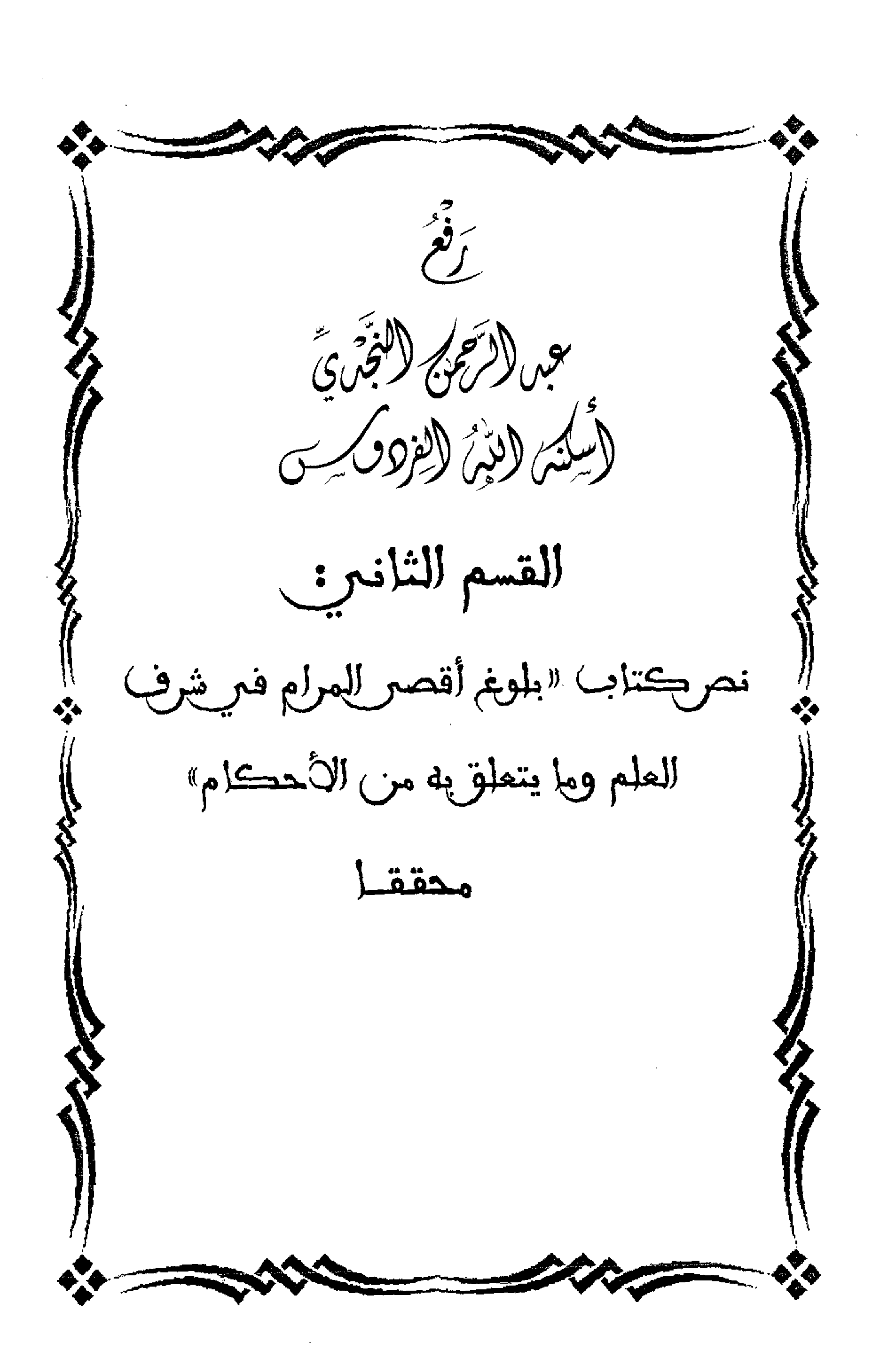
عليه وسلم قال ان من يرى العلماء الا ما يكفي من الجهل فلان ويكثر فيها الهرج
والهرج القتل و وعن ابن عباس انه قال لا يزال عالم يموت واثر الحق
يدرس حتى يكثر اهل الجهل ويذهب اهل العلم فيعملون بالجهل ويدينون بغير
الحق ويضلون [illegible] رواه ابن ابي خيثمة عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليكم بهذا العلم قبل ان يقبض وقبضه ان يرفع و قال
عبد الله بن مسعود عليكم بالعلم قبل موت رواته فوالذي نفسي بيده ليودن
رجال ماتوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم
[illegible] المتعلقة [illegible] واحفظنا في [illegible] المسلمين
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين [illegible] اعمالنا بالخيرات ووفقنا
بفعل الحسنات واجتناب السيئات [illegible] لشفاعة
ونبعثنا في مقعد الحسنى وزيادة اللهم صل على روح العالم وسيد
بني آدم [illegible] واصحابه وازواجه وذريته
والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين [illegible]
ووافق الفراغ منه ضحى يوم الاحد ثامن من شهر صفر سنة اربع وخمسين
ومائة والف على يد مؤلفه [illegible] الفقير الى مولاه الغني محمد بن
مسعود بن احمد بن محمد [illegible]
كان الله له ولوالديه وللاشياخ ولجميع المسلمين آمين والحمد لله رب العالمين.

انتهى

الصفحة الأخيرة من المخطوطة – ز –

الصفحة الأولى من المخطوطة – ح –

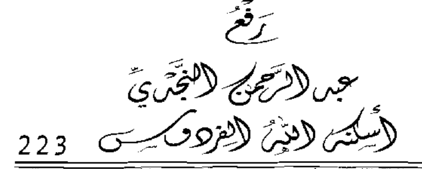
الصفحة الأخيرة من المخطوطة – ح –



القسم الثاني:

نص كتاب «بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام»

محققا



بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله الذي شرف العلم وأهله، وأعلى في درجات السيادة رتبته ومحله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بمزيد التعظيم والتجلة، وعلى آله وأصحابه الحاملين الكتاب والسنة، وبعد، فإن بعض الأحبة ممن خلص لي وده، وصعب علي فيما طلب مني رده، وطلب مني أن أجمع له شيئا من فضائل العلم والعلماء لتنبعث النفوس[1] إلى طلبه وتحصيله، إذا سمعت ما أعد الله لأهله، لأنها كُسالى كالدابة الحرون[2] يلاح لها بمخلاة رجاء الاستقامة على السير، وإن كنتُ لست أهلا لهذا الأمر، في عير ولا نفير، ولا كدت أن أكون أهلا مع علمي بأن من ألف قد أبدا صفحة عقله، وترجم عن مقدار علمه وجهله، ولو سترت على نفسي لأبقيت لها الحال مستورا، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا. واعلم أن العقول السليمة[3] متطابقة، والشرائع بأسرها متوافقة، على أن العلم من أكمل الكمالات، وأرفع الدرجات، وأن فضائله لا تحصى، لكن لما علمت أن السائل متعطش لما[4]/ ذكر، أجبته بما تيسّر [2] وحضر. ويشتمل على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة.

---

(1) في: ب، و ج، د: النفس.

(2) حرنت الدابة تحرن حِرانا وحَرانا وحرنت لغتان وهي حرون وهي التي إذا استدر جريها وقفت، وإنما ذلك في ذوات الحوافر خاصة ونظير في الإبل اللجان والخلاء. واستعمل أبو عبيدة الحران في الناقة. لسان العرب 13/ 110.

وفي هذا المعنى قال ابن قتيبة: «العلم قائد، والعمل سائق، والنفس حرون». عيون الأخبار 2/ 143.

(3) في: ج: السالمة.

(4) ابتدأ ترقيم الصفحة الأولى برقم:2، ويحمل غلاف الكتاب رقم:1. وقد حافظت على هذا الترقيم كما هو موجود.

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

المُقَدّمَة

في أقسام العلوم وسبب وضعها

العلم قسمان: قديم وحادث[1]. فالقديم غير منقسم. واختلف الناس فيه، هل يُحدّ أو لا يُحدّ ؟ على قولين. وعلى الثاني قال الغزالي[2]: لا يحدّ لعسر الاطلاع على ذاتياته وإنما يدرك بالقسمة والمثال[3]. وقال الفخر[4] لأنه ضروري[5]. وعلى أنه

(1) القديم لغة هو ما مضى على وجوده زمان طويل، وفي الفلسفة يطلق على الموجود الذي ليس لوجوده ابتداء.
والحادث هو ما يكون مسبوقا بالعدم، ويسمى حادثا زمانيا. المعجم الفلسفي 1/ 433، 2/ 189.
ويرى الغزالي أن القديم هو اسم مشترك بين القديم بحسب الذات والقديم بحسب الزمان. فالذي بحسب الزمان هو الذي لا أول لزمان وجوده. وأما بحسب الذات فهو الذي ليس لذاته مبدأ وعلة هو به موجود. وبهذا الاشتراك يشترك الحادث أيضا. فالحادث بحسب الزمان هو الذي لزمان وجوده ابتداء، وبحسب الذات هو الذي لذاته مبدأ هي به موجودة. معيار العلم ص: 213- 214.
ويقسم الغزالي أيضا العلم إلى قسمين: أحدهما علم بذوات الأشياء ويسمى تصورا، والثاني علم بنسبة تلك الذوات بعضها إلى بعض بسلب أو إيجاب، ويسمى تصديقا. معيار العلم، ص: 170.

(2) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام الفقيه الشافعي. إمام الفقهاء، ومجتهد زمانه. برع في المذهب والأصول وأخلاف والجدل والمنطق والحكمة والفلسفة. توفي سنة 505هـ. له مؤلفات وتصانيف في عدة فنون منها: الوسيط والبسيط، والوجيز، وإحياء علوم الدين، ومعيار العلم، والمستصفى في أصول الفقه، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 3/ 353، طبقات السبكي 4/ 104، شذرات الذهب 4/ 13،10. وانظر كتاب (سيرة الغزالي) للأستاذ عبد الكريم العثمان.

(3) «التقسيم هو أن نميزه عما يلتبس به. وأما المثال فهو أن إدراك البصيرة الباطنة تفهمه بالمقايسة بالبصر الظاهر...».
ينظر: المستصفى 1/ 21- 22، وشرح المقاصد للتفتزاني 1/ 193.

(4) هو محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. توفي سنة 606 هـ. من تصانيفه: مفاتيح الغيب، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ومعالم أصول الدين وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: عيون الأنباء 2/ 23، وفيات الأعيان 4/ 248، طبقات السبكي 8/ 81، شذرات الذهب 5/ 21.

(5) أورده صاحب شرح المقاصد 1/ 189. وقال الرازي في المحصول 1/ 102: «ولولا أن العلم بحقيقة العلم ضروري وإلاّ لامتنع أن يكون علمه بكونه عالما بهذه الأمور ضروريا».

يجد فلهم فيه حدود كثيرة منها مقبول ومردود. فحدّه الإمام السنوسي[1] في شرح صغراه بقوله: «صفة ينكشف بها ما تنغلق به انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه»[2]. وحده في مقدمته بقوله: «صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به»[3]. والمحرر في تعريفه. كما قاله العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي[4] في حاشية شرح الصغرى: «إنه صفة كاشفة للأشياء وبحيث إنها حاضرة لديه كشفا إحاطيا لا يشذ عنها شيء ما من الأشياء»[5].

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي عالم تلمسان في عصره. توفي سنة 895 هـ.

له تصانيف كثيرة، منها: عقيدة أهل التوحيد ويسمى العقيدة الكبرى وأم البراهين ويسمى العقيدة الصغرى، وغيرها.

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص: 563، كفاية المحتاج 2/ 22، دوحة الناشر ص: 121.

(2) شرح الصغرى، ص: 331.

(3) يعني بالمعلوم: «كل ما يصلح أن يعلم، وهو كل واجب، وكل مستحيل، وكل جائز. ومعنى ينكشف: أن يتضح ذلك المعلوم لمن قامت به تلك الصفة، ويتميز عن غيره اتضاحا لا خفاء معه». ويقصد السنوسي من هذا التعريف «التقريب على سبيل الاختصار لعسر تعريف العلم بما يسلم من كل مناقشة. ويدخل في العلم على مقتضى هذا التعريف إدراك السمع، والبصر، وسائر الإدراكات. فهي إذن، أنواع من العلم». وهذا في نظره مذهب الشيخ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ينظر كتاب: شرح المقدمات في علم التوحيد. مخطوط الخزانة العامة بتطوان رقم 49 ضمن مجموع. ص:43- 44.

(4) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي بن علي ابن أبي المحاسن الفاسي أحد كبار أعلام فاس، كان يلقب بسيوطي زمانه. توفي سنة 1096 هـ. من تصانيفه: مفتاح الشفا، وأزهار البساتين، والأقنوم في مبادئ العلوم، وغيرها.

تنظر ترجمته في: الصفوة ص:201، التقاط الدرر ص:231، الأنيس المطرب ص: 13، السلوة1/ 314.

(5) حاشية عبد الرحمن الفاسي على شرح صغرى السنوسي، ص: 4.

والحادث قسمان: ضروري ونظري[1]. فالضروري هو العلم الحاصل بأول توجه فلا يتوقف على نظر وكسب، ولا تفكر، كتصور الحرارة والبرودة، وأن الضدين لا يجتمعان. والنظري هو العلم الحاصل بالكسب والطلب، وهو الاستدلال أي النظر في الدليل واستنباط المطلوب منه. وقد يعبر عنه بالكسبي. وبعضهم يقسمه إلى ثلاثة أقسام: نظري وضروري وبديهي. ويفرق بين الضروري والبديهي بأن الضروري هو العلم الحادث الذي لا قوة للعبد على دفعه مع اقترانه بالحس الباطن المسمى بالوجدان وإحدى الحواس/ الخمس. والبديهي هو العلم الحادث الذي لا قدرة للعبد على دفعه، [3] ولا يقترن بشيء من الحواس، كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين، وأن الكل أعظم من جزئه.

ثم اعلم علّمنا الله وإياك علما «يسمو بنا إلى حضرة قدسه، ويحلنا بفضله في محل أنسه[2]، أن الله خلق نفس الإنسان من صفا صفوة النور، وأحلها مكانا مكنيا، وألبسها ثوب الطهارة والزكى، ثم أهبطها من مكانها ونقلها من قرارها فأودعها قارورة الجسم لحكمة أرادها، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3] فيفوز بالفَلَاح من زكاها، ويبوء

---

(1) يقسم الغزالي العلم إلى قديم وحادث. فالقديم في نظره هو علم الباري عز وجل الذي لا أول له، وهو محيط بكل المعلومات، فلا يتعدد بتعددها ولا يوصف بكونه كسبيا ولا ضروريا.

وأما الحادث فينقسم عنده إلى ضروري ونظري. فالضروري ما يضطر إلى علمه بأول العقل، كالعلم بوجود الذات، والألم والملذات. والنظري هو ما يفضي إليه النظر الصحيح مع انتفاء الآفات على وجه التضمن لا على وجه التولد خلافا للمعتزلة.

والنظري في تصوره مكتسبا بالاتفاق، والعلم المترتب عليه ضروري بعد حصوله عنده. ينظر (المنخول)1/ 42-43، وكذا (الورقات) للإمام الجويني ص:9، اللمع في أصول الفقه للشيرازي1/ 4، و(القانون) لليوسي ص: 119. وغير ذلك.

(2) الأنس عند الصوفية: التذاذ الروح بكمال الجمال، وهو ضد الهيبة. وكمال الأنس انبساط المحب نحو المحبوب. ينظر: معجم مصطلحات الصوفية، ص: 49.

(3) الملك، من الآية 2.

بالخيبة من دساها[1]، وجعل بين النفس والجسم تعلقا عجيبا، وارتباطا غريبا لولا هو لم يستقر لها قرار فيه، لما بينهما من التضاد، وبذلك التعلق والارتباط تحلّت النفس من كثافة الجسم بأوصاف، وتحلّى الجسم من لطافة النفس بأوصاف، لكن النفس أشد انفعالا لمقتضيات الجسم وأكثرها اتصافا بأوصافه لبعدها عن عالمها وقربها من عالمه، والطبع يسرق من الطبع القريب المجاور كلّما مال الجسم لمقتضى النفس عاقه عن ذلك طبع عالمه القريب فضعف الميل، وكلما مالت النفس لمقتضى الجسم لم تجد وازعا عن ذلك من عالمها لبعدها عنه فاتصفت بأوصاف الجسم وتلوثت بمقتضياته حتى أخرجها ذلك عن طبعها، وتدع عنها أثواب طهارتها ولوثها بأدران الشهوات، وأمرضها بعلل[2] الآفات/ ، فصار لها من ذلك أعظم حجاب عن خالقها وأكبر قاطع [4] عن عالمها، والعبد مطلوب بخلاص نفسه وتطهيرها وتحليتها بالأوصاف التي كانت عليها قبل التركيب فتعود إلى ربها طاهرة زكية[3] راضية مرضية»[4]، كما قال الشاعر[5]:

[السريع]

حافظ على نفسك من كل ما ... يشينها من خلل أو زلل

واحرص على تخليصها بالّذي ... تنجو به من قول أو عمل

---

(1) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ الشمس الآيتان 9 -10.

(2) العلة اصطلاحا: عبارة عن بقاء حظ العبد في عمل أوحال أو مقام أو بقاء رسم أو صفة. اصطلاحات الصوفية، ص: 131.

(3) في:(ج): زاكية.

(4) بغية السالك في أشرف المسالك، لأبي عبد الله الساحلي، بتصرف. 1/ 120-121.

(5) البيتان لأبي عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبي من أهل المرية المتوفى سنة 750 هـ. ينظر نفح الطيب 7/ 93.

قال الآخر[1]: [البسيط]

يا خادم الجسم [كم][2] تشقى بخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وأنشد الآخر: [البسيط]

الروح من عند رب العرش مبدرة ... وتربة الأرض أصل الجسم والبدن

قد ألف الملك الجبار بينهما ... ليصلحا لقبول الأمر والمحن

فالروح في غربة والجسم في وطن ... فلتعرفن ذمام النازح الوطن

«وهذا هو العهد الذي أخذ الله على بني آدم وهو لُباب اللُّباب؛ لأن العمل لُباب العلم، وطهارة النفس لباب العمل وهي الغاية التي شد لها الأنجاد عُرى العزائم وأمّلها كل صائم وقائم. ولما عجزت العقول عن إدراك سبب خلاص النفس من عللها، وكلّت عن معرفة ما يطهّرها من دنس شهواتها»[3]، إذ لا تستقل العقول بذلك خلافا لمن وهم، فبعث الله رسله عليهم الصلاة والسلام هداة للعقول إلى ما فيه خلاص الأنفس وتطهيرها، فجاءوا[4] من عنده بأمرين: العبادات والعادات. أما الأول فمرجعه إلى صحة الاعتقادات والقيام بوظائف العبادات الفرعيات، وأما الثاني فمرجعه إلى إقامة الأبدان بالأغذية والمعالجات ونظام المعاش بالمعاملات. والأمر الأول وإن كان هو آكد إذ هو الذي كلّفنا به، لكن قوامه بقوام الثاني فاحتيج إليهما معا،

---

(1) ديوان البستي ص: 183.

(2) في الأصل: كي. والتصحيح من ديوان البستي.

(3) بغية السالك في أشرف المسالك، لأبي عبد الله الساحلي 1/ 121- 122.

(4) في (ج): فجاء.

وصارا[1] في التحقيق مكلفا بهما. وقد قام بكلا الأمرين المعلم الأكبر المبعوث لسياسة البشر وسيّدهم في الدارين ﷺ. وكان أصحابه رضي الله عنهم يعرفون من الجميع ما يحتاج إليه إما بتلقيهم[2] منه ﷺ أو بفهم من القرآن لسهولة ذلك عليهم من حيث كونُهم عُربًا ونوّر الله بصائرهم بالمشاهدة فلم يحتاجوا / إلى آلة يتوصلون بها، ولا وسيلة يستعملونها، غير أنهم كانوا يكتبون ما يسمعون في الرقاع واللّخاف[3] لعلمهم أن ذلك وسيلة إلى حفظه، فلمّا استمر القتل في القراء وخاف أبو بكر ضياع القرآن جمعه في الصحف لعلمه أن ذلك وسيلة إلى حفظه.

ولما أحسّ عمر رضي الله عنه أن فهم الكتاب والسنة يحتاج إلى موصل لما فيهما من دقائق الإشارات وغرائب العبارات، حضّ على رواية الشعر وتعلمه فقال في خطبته: «عليكم بديوانكم لا يضل، قيل وما هو؟ قال: شعر الجاهلية، ففيه معنى كتابكم»[4]. ولما خشي عثمان رضي الله عنه اختلاف الناس، جمع القرآن في المصاحف لعلمه أن ذلك وسيلة إلى ضبطه وارتفاع النزاع فيه. ولما سمع علي كرم الله وجهه اللحن، وخاف ضياع العربية، وضع النحو لعلمه أن النحو وسيلة إلى حفظ اللسان العربي، وحفظه وسيلة إلى فهم معاني الكتاب والسنة اللّذين عليهما مدار الشريعة المحمدية.

---

(1) في (ج): صار.

(2) في (ج): بتبليغهم.

(3) اللخاف: حجارة بيض عريضة رقاق، واحدتها لخف. في حديث زيد بن ثابت حين **أمره أبو بكر الصديق** رضي الله عنهم أن يجمع القرآن قال: فجعلت أتتبعه من الرقاع واللخاف والعُسُب **أي جريد النخل. ينظر** لسان العرب 9/ 315.

(4) ينظر تفسير القرطبي 10/ 111.

ولما علم مهرة الصحابة والتابعين أن ليس كل أحد يقوم بفهم معاني القرآن، اشتغلوا بتفسيره، ودونوا التفاسير نصحا لمن بعدهم، ودوّنوا الأحاديث النبوية، لأن ذلك وسيلة إلى معرفة ما وقع به التّكليف، وهو وسيلة إلى الامتثال المقصود.

ولما كان ما يَنقل من الأحاديث ليس كله متواترا ولا متفقا على صحته عن النبيﷺ كالقرآن، بل منه الصحيح سندا وغيره، والقوي سندا وغيره، احتاج أئمة الدين إلى تمييز المعمول به من غيره، وإلى معرفة تلقي ذلك وتبليغه أحدثوا صناعة الحديث وما فيها من/ الاصطلاحات والألقاب. [6]

ولما كانت الأحكام المأخوذة من الكتاب والسنة، منها ما يرجع إلى كيفية عمل، ومنها ما يرجع إلى اعتقاد[1] صرف، والأولى لا تتناهى كثرة، فامتنع حفظها كلها لوقت الحاجة، فنيطت بأدلة كلية من عمومات وعلل تفصيلية تستنبط منها عند الحاجة، فجمعوا ذلك ودونوه، وسموا العلم الحاصل لهم عنه فقها.

ولما احتاجوا إلى استنباط المسائل المتجددات والجواب عن كل نازلة إلى مقدمات كلية، كل مقدمة منها يبنى عليها كثير من الأحكام، وربما التبست ووقع فيها الاختلاف حتى تشعبوا شعباً وافترقوا على مذاهب، لم يروا إهمالها نصحا لمن بعدهم وإعانة لهم على درك الحقائق، فدوّنوا ذلك وسموه أصول الفقه.

والثانية وهي الاعتقادات، كانت في صدر الإسلام سليمة، ولما تكاثرت الأهواء والشيع، وافترقت الأمة كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ على فرق[2]، كثر الخبث في

(1) في (ج): الاعتقاد.

(2) روى الإمام أحمد في مسنده [رقم 12022] وابن ماجه في سننه [رقم: 3993]، من حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى عليه وسلم قال:« إن بني إسرائيل تفرقت على إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة.قالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة».

الدين، وغَطَّت على الحق شُبَهُ المبطلين، انتهض علماء الأمة، وعظماء الملة، إلى مناضلة المبطلين باللسان، كما كان الصدر الأول يناضلون عن الدين بالسّنان، وأعدوا لجهاد المبطلين ما استطاعوا من قوة، فاحتاجوا إلى مقدمات[1] كلية، وقواعد عقلية، واصطلاح وأوضاع يجعلونها محل النزاع، ويتفهمون بها مقاصد القوم عند الدفاع، فدوّنوا ذلك وسموه علم الكلام وأصول الدين ليكون بإزاء أصول السابق/ . [7]

وأيضا لما كانت ألفاظ الكتاب والسنة عربيةً، وفهمُها موقوف على فهم لغة العرب وضعوا اللغة ودونوها.

ولما كان ثبوت الشريعة موقوفا على صدق الرسول الموقوف على ثبوت المعجزات، وكان أعظم المعجزات القرآن العظيم، وكان إعجاز القرآن الموصل إلى ما ذكر يحتاج إلى مزيد فهم وتحقيق، إذ هو مملوء بالمجازات والاستعارات والكنايات فوضعوا علم البلاغة ودوّنوه.

ولما احتاجوا في أمر الصلاة والصيام ونحوهما إلى معرفة القبلة وساعات الليل والنهار دونوا علم الهيئة[2].

ولما احتاجوا إلى العد في المحاصات وقسمة التركات وسائر المعاملات وضعوا علم الحساب، إلى[3] غير هذا من الفنون.

ولما كان كل ما ذكر من الفنون وغيرها دائرا بين إدراك أمرين والحكم بأحدهما على الآخر وكان الفكر عند الحكم ليس بمصيب دائما بدليل مناقضة بعض العقلاء بعضا في مقتضى أفكارهم، فاحتيج إلى ما يوصل إلى الإدراك ويميز صحيح الفكر من سقيمه

---

(1) في (ب)، و(ج): مقدمة.

(2) في (د): الهيئات.

(3) في (د): على.

ودوّنوا علم المنطق وعربّوه لتنتفع[1] به هذه الأمة المشرفة العربية، إذ هو المهيمن[2] على الأفكار والفهوم، وكان من العلوم التي استخرجها اليونان وهو من الحكمَة التي أعطوها. وكان يقال[3]: أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد: قلوب اليونان، وألسنة العرب، وأيدي اليمن[4]. فإذا فهمت هذا علمت أن التوصل إلى الحق بكل ما أمكن سنّة فعلها كل من الخلفاء رضي الله عنهم، بل وكل الصحابة، فلا يخطر ببالك وجه لِتحريم شيء من هذه العلوم/ ولا أن يقال فيه إنه مذموم، إذ هي كلها وسائل إلى المقصود وحَائمة على الورد المورود، فمن حرّم بعضها فليحرّم جميعَها، وإلا فمن أين التخصيص؟ ومن أنكر أن يكون ذلك وسيلة فالعيان يُكَذِّبُهُ، نعم، بعضها أقربُ وأكثر إيصالا من بعضٍ. فإن قلت إن الكلام والمنطق مبتدعان وكل بدعة تجتنب. قلتُ: لا نسلم أن كل بدعة تجتنب، إذ منها ما يستحسن، ولو سلمناه فغيرهما من العلوم كالحساب والطب والتنجيم وصناعة الأصول والحديث والأدب ونحوها مبتدع، فإن قال قائل: إن السلف كانوا يحسبون ويعالجون ويجتهدون، وإنما أحدث في هذه الصناعات والألقاب، قلنا وكذلك كانوا يفسرون ويستدلون ويعللون ولا معنى للمنطق إلا هذا. [8]

---

(1) في (ج): لتتفهم.

(2) في (ج): المعين.

(3) في (ج): يقال.

(4) في المحاضرات لليوسي: أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد: على قلوب اليونان، وأيدي أهل الصين، وألسنة العرب 1/ 149.

وأما التفاضل بين هذه العلوم فقد علم كل أناس مشربهم[1] فلا «ترى صاحب علم أي علم كان إلا وهو يرى أن لا فوق ما يعلم، إن كان صاحب علم حديث يرى فضله عمّا سواه، وصاحب علم القرآن يرى نفسه فوقه بدرجات، وصاحب التفسير يرى غيره بعين التحقير، وصاحب الفقه يقول: لا شيء فوقه، وصاحب الأدب واللغة يقول: هذا الذي به أخبرت به يفهم كل ما ذكرت، وصاحب الطب يقول: حفظ الصحة هو الأصل الذي يقوى به على العبادة، حتى صاحب النجوم[2] والحساب يقول: لا بد من معرفة هذا الكتاب، وصاحب الأصول يزيد على هذه الفصول ويقول: يكفي أن اسمي أصل ولا يثبت فرع على غير أصل، وأما صاحب علم الكلام فعلى رسول الله السلام»[3].

وأما أهل التصوف فيرون أن علم الباطن من الإيمان، والتوحيد وعلم المعرفة واليقين، وخواطر القلوب، ومعاملة علام الغيوب.

وفصل الخطاب أن كلُ علم أريد به وجه الله وقّر صاحبُه فيه بأمر الله، فهو ناج إن شاء الله، وهذا كله بعد حصول ما لا بد منه، وما أحسن قول القائل[4]:

[الخفيف]

كل علم يكون للمرء شُغلاً ... بسوى الحقّ قادح في رشادِهْ

---

(1) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. البقرة، الآية 60.

(2) في (ج)، (د): التنجيم.

(3) ألف باء للبلوي 1/ 32

(4) نسبهما صاحب النفح لأبي عبد الله الجلياني، وقد أورد في مسألة البيتين قصة طريفة وعجيبة. ينظر نفح الطيب 7/ 257.

فإذا كان فيه لله حظ   فهو مما يعده لمعادهْ

تتمة:

اعلم أن طلب العلم والتفقه في الدين من فروض الكفاية كالجهاد، أوجبه الله على الجملة فقال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾[1] الآية، و«من» للتبعيض، فإذا قام به بعض الناس سقط التكليف عن الباقين، إلا ما لا يسع الإنسانَ جهلُهُ من صفة وضوئه وصلاته وصيامه وزكاته إن كان ممن تجب عليه الزكاة وحجه إن كان مستطيعا[2]، فإن ذلك واجب عليه وهو من فروض الأعيان لا من فروض الكفايات[3]، وكذا كل من أراد أن يفعل شيئا فإنه يجب عليه أن يعلم حكم الله فيه.

وقد حكى القرافي[4] في قواعده عن الشافعي في رسالته[5] والغزالي في إحياء علوم الدين[6] الإجماع على ذلك.

---

(1) التوبة، من الآية 123.

(2) البيان والتحصيل لابن رشد 18/ 426.

(3) في (ج): الكفاية.

(4) هو أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله شهاب الدين القرافي المصري، فقيه أصولي وأحد أعلام المالكية البارزين في زمانه. تتلمذ للعز بن عبد السلام الشافعي. توفي سنة 684 هـ. له مصنفات كثيرة منها: شرح التهذيب، الذخيرة، الفروق والقواعد، وغير ذلك.

تنظر ترجمته: في الديباج المذهب1/ 205، المنهل الصافي ص: 215، شجرة النور الزكية 188.

(5) قال الشافعي في الرسالة 39: «وهذا الصنف من العلم دليل على ما وضعت قبل هذا على أن ليس لأحد أبدا أن يقول في شيء: حلّ ولا حرام إلا من جهة العلم. وجهة العلم الخبر في الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس».

(6) قال الغزالي في الإحياء1/ 19: «فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو إذاً أفضل الأعمال... فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل».

[9] وقال ابن الحاج[1] في المدخل: «قال العلماء/ المحققون في معنى قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[2]: ما وجب عليك عمله وجب عليك العلم به»[3].

ومثاله رجل أسلم ودخل عليه وقت الصلاة فيجب عليه أن يتعلم أحكام الطهارة والصلاة، فإن هذا ما يجب عليه فقط، فإذا أراد أن يشتري طعاما لغذائه وجب عليه أن يتعلم حكم الله تعالى في شراء الطعام، وهل يجوز نسيئة أم لا؟ وهل يفتقر إلى الإيجاب والقبول أم لا؟ وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بالمتعاقدين في البياعات والأحكام المتعلقة بالمعقود عليه، أو أراد أن يصرِّف وجب عليه تعلم أحكام الصّرف. وعلى هذا فلا يختص فرض العين بالعبادات ولا بباب من أبواب الفقه، خلافا لبعضهم القائل بأن الواجب هو تعلم الطهارة والعبادات فقط، وكذلك من ظهرت فيه أهلية وقابلية يتعين عليه.

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن معلى[4] السبتي[5] في كتاب غنية السالك في علم المناسك، قال النووي رحمه الله: «ومن أخل بمعرفة مناسكه خفنا عليه أن يرجع بلا

(1) هو أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي المعروف بابن الحاج نزيل مصر، عرف بالزهد والورع والصلاح. توفي بالقاهرة سنة 737 هـ. له تصانيف كثيرة منها: المدخل، مطبوع في أربعة أجزاء، جمع فيه علما غزيرا، وغيرها من المؤلفات.

تنظر ترجمته في: الديباج المذهب 2/ 301، شجرة النور الزكية 218.

(2) مسند الشهاب 1/ 135، الكامل في ضعفاء الرجال 2/ 435، المعجم الأوسط 4/ 245. والحديث مروي من طرق مختلفة.

(3) المدخل 4/ 211.

(4) في (ب): ابن السبتي.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن معلي القيسي السبتي صاحب المناسك المشهورة. كان من الفقهاء المتصدرين للإقراء والتدريس. ومناسكه تدل على مكانه من العلم. توفي سنة 601 هـ.

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج، ص: 383، كفاية المحتاج 2/ 27.

حج لإخلاله بشرط من شروط أركانه. قال: وربما قلد كثير من الناس بعض عوام مكة يتوهمون أنهم يعرفون المناسك»[1]. وقال غيره: «واعلم أن كثيرا من العوام بل من عوام الفقهاء يرجعون بلا حج كما ذهبوا، إلا أن يتغمد الله برحمته وذلك لما يفرطون فيه من دقائق الحج، وسبب ذلك أنهم يعوّلون على عوام مكة في كيفية الطواف وأخذ المناسك، وتلك غباوة ظاهرة وهمّة قاصرة/ وهذا الذي حذر منه العلماء ونبّهوا عليه من التفريط [10] في شروط صحة العبادات، والاقتداء بمن ذكروه من الجهلة على ما جرت به العادة. يجب على المكلف التحفظ منه. وقد سمعت شيخنا الفقيه أبا يحيى بن[2] جماعة يقول في مجلس تدريسه: حضر عندي يوما رجل فسمع الطلبة يتكلمون في غسل باطن الأذنين من الجنابة، وأن نقل الماء إليهما واجب، قال: وكان الرجل لا يعرف ذلك، فلما سمعه قال: إنّي لم أغسل باطنهما قط، وإنما أمسح كما أفعل في الوضوء. فقلت له: يجب عليك أن تعيد صلواتك كلها من وقت بلوغك إلى الآن. فاستعظم ذلك وشق عليه. فقلت لا بد من ذلك لأنك جنب إلى الآن. وكنت أعرفه قد حج، فقلت له كذلك يجب عليك استئناف حجك. فسأل الحاضرون عن الموجب لذلك، فقلتُ لهم: أليست الطهارة شرطا في صحة الطّواف؟ قالوا: نعم. فقلت قد أخلَّ بها. قال: فغاب عني مدة كبيرة، وإذا به قد أعاد حجه. فسرّني ذلك منه لمبادرته لإبراء ذمته قلت: قول الشيخ لهذا الرجل: يجب عليك استئناف الحج ليس على ظاهره، وإنما أراد والله أعلم أن يعود إلى مكة محرما ليأتي بالطواف على وجهه فقط. فأنت ترى ما ترتب على هذه الجهالة من التعب وما لقي صاحبها بسبب تفريطه من النصب ولولا أن الله تعالى أراد به الخير بإلهامه لحضور مجلس العلم لبقي على ما كان عليه من الجهل طول حياته وحينئذ يكون عاصيا، ولهذا قال مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من لم يحضر مجلس العلم فهو فاسق لا تقبل شهادتُه ولا إمامته نقل ذلك عنه المتيطي» / انتهى من المناسك المذكورة. [11]

---

(1) المجموع 4/ 324.

(2) في (ج)، و(د): من جماعة.

وقد ذُكر أن قاضيا بقرطبة أتي له بمتعبد ليقبل شهادته، فقال له: لا أقبلها منك. فغضب المتعبد لذلك فسمع القاضي بغضبه فأمر بردّه، فسأله عن فرائض الوضوء وسننه. فقال: لا أدري. فسأله عن فرائض الصلاة وسننها. فقال: لا أدري. فلما رآه القاضي كذلك قال له: كم من ثقبة في البوق؟ فقال: لا أدري. فقال له: لا خيرا دريتَ، ولا شرا دريتَ، فلِمَ تغضبُ لردّ شهادتك؟.

فعليك يا أخي ببذل المجهود في تحصيل الواجبات والكفّ عن المحرمات، إذ بها من النار تحصل النجاة، ومزيد الدرجات بعد فضل الله ورحمته، فإنها القطب المدار، وبها صلاح الدنيا والفوز بدار القرار، ودع عنك كل ما هو مندوب؛ كأخذ السّبحة للتسبيح والذكر وغير ذلك، فلا محصول لشيء من ذلك مع ترك الواجبات واقتحام المحرمات. ويشهد لهذا المعنى ما قاله إمام العارفين ورئيس المحققين ابن عطاء الله[1]: «من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن [القيام] بالواجبات[2]»[3]. وقول بعض المحققين: أعمال الجوارح في الطاعات مع إهمال

---

(1) هو أبو الفضل أحمد بن محمد عبد الكريم تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري الشاذلي، فقيه ومتصوف اشتهر بالزهد والورع. توفي سنة 709 هـ بالقاهرة. له تأليف كثيرة ومفيدة منها: التنوير في إسقاط التدبير، الحكم، لطائف المنن، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: الديباج المذهب 1/ 211-212، الدرر الكامنة 1/ 273، طبقات الشعراني 2/ 473، البدر الطالع 1/ 107.

(2) في الأصل: والتكاسل عن الواجبات. والتصحيح من الحكم العطائية.

(3) شرح الحكم العطائية لابن عباد الرندي 2/ 77.

قال الشيخ زروق في شرح هذه الحكمة: «الهوى: الميل للأغراض النفسانية، واتباعه: العمل على مقتضاه. فالإقبال والإدبار من غير مبالاة بالشرع إنما تسرع النفس للنوافل مع عدم القيام بحقوق الواجب لما تعتقده في ذلك من استعجال الفتح، وإنه لا يكون بالمألوف بل بالمستغربات. وعدّ ذلك المشايخ من أعظم العيوب والآفات». (الحكم العطائية) بشرح زروق. ص: 179.

شروطها ضحكة للشيطـان، لكثرة التعب وعدم النفع. ومثل هذا هو الذي يقـال فيـه: إن تعلّم مسألة منه خير من عبـادة سـنة. إذ بـه تــحيا عبـادة العمـر وبجهلـه تــموت وتتعطل[1]. جعلنا الله من القائمين بمـا به كلفنا إذ لا حول ولا قوة إلا بمـا يسره لنا.

(1) القائل هو الغزالي كما في إحياء علوم الدين 1/ 229.

الباب الأول

في فضل العلم

أما فضل العلم وشرفه فكبير والكلام فيه كثير، ولنأت منه بالنزر اليسير، وقد دلّ على فضله العقل والنقل. أما العقل[1] فقال الإمام فخر الدين الرازي: «أما الشواهد العقلية في فضل العلم، فمنها أن كون العلم صفة كمال، وكون الجهل صفة نقص، معلوم للعقلاء ضرورة. ولذلك لو قيل للعالم يا جاهل تأذى بذلك، وإن كان يعلم أن القائل كاذب. ولو قيل للجاهل يا عالم فرح وإن كان يعلم أن القائل كاذب. وقد ركز في طباع الحيوان الانقياد للإنسان لكونه أعلم منهم. وفي طباع الناس كل طائفة تنقاد للأعلم منها وتعظّمه. ثم إن العالم مع شرف علمه في نفسه يصيّر النفوس الجاهلة[2] عالمة فيكون كالشمس للأرواح والحياة للأبدان، فكما أن الجسد بلا روح ميّت، كذلك الروح بلا علم ميّت، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[3] فكان العلم روح الروح، فسعادته أبدية، وما كان كذلك فلا أشرف منه. ومنها أن الأمور الواقعة على أربعة أقسام: قسم يرضاه العقل، ولا ترضاه الشهوة، وقسم ترضاه الشهوة ولا يرضاه العقل، وقسم يرضاه العقل والشهوة، وقسم لا يرضاه العقل ولا الشهوة. أما الأول فهو الأمراض والمصائب الدنيوية. وأما الثاني فهو المعاصي. والثالث: العلم. والرابع: الجهل. فمنزلة العلم من الجهل منزلة الجنة من النار. فكما أن العقل والشهوة لا يرضيان النار، كذلك لا يرضيان بالجهل، وكما أنهما يرضيان الجنة، كذلك يرضيان العلم. فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة، ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة» إلى أن قال: «فثبت أن لا كمال ولا لذة فوق كمال

---

(1) سقط من: (د).

(2) في (ج): الجاهلية.

(3) تتمة الآية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى، الآية: 49.

العلم ولذته. ولا شقاوة ولا نقصان فوق شقاوة الجهل ونقصانه. ولهذا متى سئل العالم عن مسألة فأجاب فيها فرح، ومتى لم يجب ولم يعرف الجواب وجد في نفسه حياءً وانكسارا وهزيمة. فهذا دليل على كمال لذة العلم وكمال شقاوة الجهل»[1].

فلا شيء أنفع من العلم وأرفع منه، ولا لأحد غنى عنه. ومن طعم حلاوته وتنغم[2] بآيته، وتردّى بسابغ أثوابه، وشرب صافي أكوابه، لم يشتغل بسواه، ولم يعدل عن فحواه.

وأما النقل فقد وردت فيه آثار كثيرة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة نظما ونثرا. فمن الكتاب، قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[3] قال ابن عطية[4]: «قيل تعليم إلهام، وقيل تعليم بقول، فإما بواسطة ملك أو بتكليم قبل هبوطه للأرض. واختلف المتأولون في قوله «الأسماء» فقال جمهور الأئمة: التسميات. وقال قوم: عرض عليه الأشخاص. والأول أبيَن، ولفظة «علّم» تعطي ذلك[5] / . [12]

ووجه الدليل من هذه الآية أن الله عزّ وجل عَجَّزَ بالعلم الذي علّمه إياه جميع ملائكته.

---

(1) فيض القدير 4/ 370-371.

(2) في (ب) و(ج): تنغذ.

(3) البقرة، الآية 30.

(4) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي مفسر فقيه، وعارف بالأحكام والحديث والأدب. تولى القضاء بالمرية. اختلف في تاريخ وفاته، فقيل ما بين 542 هـ و546هـ. من تصانيفه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وبرنامج في ذكر مروياته وأسماء شيوخه، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: الصلة 2/ 386، تاريخ قضاة الأندلس ص: 109، نفح الطيب 1/ 593.

(5) المحرر الوجيز 1/ 188.

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾[1] اختلف الناس في الحكمة في هذا الموضع، فقال: السّدي[2]: الحكمة النبوة[3]. وقال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن فقهه ومَنْسُوخِه ومحكمه ومتشابهه وعربيته[4]. وقال قتادة[5]: الحكمة الفقه في القرآن[6]. وقاله مجاهد[7]. وقال مالك: المعرفة بالدين والفقه فيه والإتباع له[8]. ووجه الدليل منها ظاهر. وقد ذكر القرطبي[9] في تفسيره عن بعض الحكماء، أنه ينبغي لمن أعطي الحكمة والقرآن أن يرفع نفسه ولا يتواضع لأهل الدنيا، لأن الله تعالى سمى الدنيا

---

(1) البقرة، من الآية 268.

(2) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي صاحب التفسير. توفي سنة 127 هـ.

تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد 6/ 323، سير أعلام النبلاء 5/ 264.

(3) تفسير القرطبي 3/ 330، تفسير ابن كثير 1/ 323.

(4) تفسير القرطبي 3/ 330، تفسير ابن كثير 1/ 323. وفيهما زيادة في اللفظ.

(5) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو السدوسي البصري، مفسر حافظ وضرير. توفي سنة 117 هـ وقيل 118 هـ.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 1/ 427، تذكرة الحفاظ 1/ 115، شذرات الذهب 1/ 153.

(6) تفسير القرطبي 3/ 330.

(7) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبير المكي مولى بني مخزوم، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين.

اختلف في سنة وفاته، فقيل ما بين 100 هـ و 102 هـ.

تنظر ترجمته في: في حلية الأولياء 3/ 279، صفة الصفوة 2/ 117، تذكرة الحفاظ 1/ 12.

وقوله ورد في المصدر السابق.

(8) تفسير القرطبي 2/ 131.

(9) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الأندلسي القرطبي، من كبار المفسرين والعلماء. توفي سنة 671 هـ. من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وغيرها.

تنظر ترجمته في: طبقات المفسرين 2/ 65، الديباج 2/ 287- 288، شذرات الذهب 5/ 335، نفح الطيب 2/ 345- 346.

متاعا قليلا، وسمى العلم والقرآن خيرا كثيرا[1]. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[2]. قال في الكشاف: «يكفيك في تعظيمهم أن الله جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله»[3].

وقال ابن القيم[4]: «وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه: أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر. والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته. والثالث: أن هذا مِن تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول. والرابع: أنه وصفهم بأنهم أولو العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم. الخامس: أنه تعالى استشهد بنفسه وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه وهم[5] ملائكته والعلماء من عباده. السادس: أنه استشهدهم على أجل مشهود به وأعظمه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله. والعظيم القدر إنما يشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم. وأنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين، وهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده، وإفراد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة من ملائكته ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر. فكأنه سبحانه شهد على

---

(1) تفسير القرطبي 3/ 331.

(2) تتمة الآية: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ آل عمران، الآية: 18.

(3) الكشاف 1/ 418.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزّرعي الدمشقي شمس الدين. أحد كبار العلماء في عصره. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية. توفي بدمشق سنة 751 هـ. من تآليفه: إعلام الموقعين، زاد المعاد، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: المقصد الأرشد 2/ 57، الدرر الكامنة 5/ 137، البدر الطالع 2/ 143، شذرات الذهب 6/ 168.

(5) في (ج): وهي.

نفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة، وكان هو الشاهد بها لنفسه وهذا فضل عظيم لا يدرك قدره إلا الله»[1].

وقال تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]. قال ابن عباس: أولي الأمر هم العلماء[3]. وقال أيضا: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[5].

قال ابن عباس: الكتاب النبوءة، والحكمة السنة[6].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾[7] «وذلك أن الكلب أخسّ الأشياء وأقذرها، فلما اتصف بعلم الاصطياد شرفه الله وجعل صيده قواما لأجساد خلقه»[8].

---

(1) مفتاح دار السعادة 1/ 48- 49.

(2) النساء، من الآية: 58.

(3) في تفسير ابن كثير 1/ 519: أهل الفقه والدين. وفي تفسير البغوي 1/ 441: هم الفقهاء والعلماء.

(4) تتمة الآية: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء، الاية:82.

(5) تتمة الآية: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. النساء، الآية 112.

قال القرافي في شأن هذه الآية: «وعادة العرب في سياق الامتنان تأخير الأفضل وتقديم المفضول؛ فتكون موهبته عليه الصلاة والسلام من العلم أفضل من موهبته من الإنزال المتضمن للنبوة والرسالة، وهذا شرف عظيم». الذخيرة 1/ 23.

(6) الدر المنثور 2/ 568.

(7) المائدة، من الآية: 5.

(8) الذخيرة 1/ 28 بتصرف.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾[1] يعني العلم و﴿رِيشٗا﴾ يعني اليقين، و﴿لِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ يعني الحياء[2].

وقال تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾[3]. وقال ابن الزبير[4] وزيد بن أسلم[5]: بالعلم في الدنيا[6]. قال تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾[8]/ [13] . وقال في شرح الكُبْرى: «ولا معنى للتثبيت في الدنيا إلا معرفة الحق ببرهانه»[9]. وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[10] وقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾[11].

---

(1) الأعراف، من الآية: 25.

(2) ينظر تفسير الآية في تفسير القرطبي 7/ 184، والدر المنثور 3/ 434، وكذا الإحياء 1/ 12.

(3) الأنعام من الآية: 84، و يوسف من الآية: 76.

(4) هو عبد الله بن الزبير بن العوام أحد فرسان قريش، شهد فتح إفريقية في عهد عثمان، وكان من خطباء قريش المعدودين. قتل بمكة سنة 64 هـ بعد أن حاصره بها الحجاج بن يوسف الثقفي شهورا.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 1/ 329، 337، صفة الصفوة 1/ 322.

(5) هو أبو أسامة زيد بن أسلم العدوي المدني مولى عمر رضي الله عنه، فقيه ثقة من التابعين. كان عالما بتفسير القرآن. توفي سنة 126هـ. تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 1/ 124، الإصابة 2880، صفة الصفوة 1/ 294.

(6) الدر المنثور 3/ 310.

(7) الرعد، من الآية 44.

(8) إبراهيم، من الآية 29.

(9) الكبرى ص: 179.

(10) النحل، من الآية 125.

(11) الكهف، من الآية 65.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1]. قال زيد ابن أسلم: بالعلم. وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]. قال ابن حجر[3] في فتح الباري: «هذا واضح الدلالة في فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه»[4].

وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5]، «فأوجب الله سؤالهم والرجوع إليهم»[6]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7] فإن الله تبارك وتعالى أعطى لداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام من نعم الدارين ما لا يدخل تحت حصر، ولم يذكر من ذلك إلا العلم لينبه على أن العلم أصل لذلك كله. وقال بعضهم: «وإنما قال ﴿وَقَالَا﴾ بالواو دون الفاء، لأنه لو أتى بالفاء كان بمنزلة قولك فشكرا، ويكون

---

(1) الإسراء، من الآية 55.

(2) طه، من الآية 111.

(3) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني الكناني. محدث فقيه من أصحاب التراجم. أصله من عسقلان. تولى الإفتاء والتدريس، وعين قاضي قضاة مصر كلها سنة 827 هـ. توفي بالقاهرة سنة 852 هـ. من مؤلفاته: الإصابة في تميز الصحابة، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، سبل السلام في شرح بلوغ المرام. وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: طبقات الحفاظ 547، الضوء اللامع 2/ 36.

(4) فتح الباري 1/ 141.

(5) النحل، من الآية 43.

(6) تحفة الفضلاء ص: 17.

(7) النمل، الآية 15.

الشكر هو قولهما ذلك لا غير، فعدل إلى الواو لما يتوهم من الفاء من الاقتصار على الشكر على ذلك»[1].

وقال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام في أمر الهدهد: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ فلما جاء الهدهد قال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾[2] علما، قال: «واشتدت نفسه واتسع صدره قوة بها علمه، على سيد أهل الزمان، ورسول الملك الديان، مع عظم ملكه وهيبة مجلسه، فلولا أن العلم يرفع من الثرى إلى الثريا، لما عظم الهدهد عند سليمان، حتى جعله رسولا إلى بلقيس، وأبدله العقوبة بالإكرام النفيس، بعد أن كان يود أن لو كان نسيّا منسيا، حين سمع أن نبي الله عزم على عقوبته»[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[4] قال جابر رضي الله عنه[5] عن النبي ﷺ: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته»[6].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[7] قال ابن عباس: «إنما يخاف الله من علم قدرته وسلطانه وهم العلماء»[8] انتهى. والعلم رأس الخشية وسببها.

---

(1) تحفة الفضلاء ص: 19.

(2) النمل، الآيتان 21 -22. وتتمة الآية الأخيرة: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

(3) الذخيرة 1/ 23- 24 بتصرف.

(4) العنكبوت، من الآية 43.

(5) هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، أحد رواة الحديث الثقات. روى ما يناهز 1540 حديثا. وعنه روى الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما أحاديث كثيرة. اختلف في سنة وفاته، فقيل 74 هـ وقيل 78 هـ تنظر ترجمته في: الإصابة 1/ 212- 213، شذرات الذهب 1/ 84.

(6) ذكره الديلمي في الفردوس 3/ 73 بلفظ: «العالم الذي عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته واجتنب سخطه».

(7) فاطر، من الآية 28.

(8) فتح الباري 1/ 161.

روي عن النبي ﷺ / أنه قال: «خشية الله رأس كل حكمة»[1]. وقال ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله»[2]. قال مسروق: كفى بالمرء علما أن يخشى[3]. [14]

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[4]. وقال تعالى﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[5] فإن الخشية تستلزم العلم. ولك أن تقول على جهة البرهان: «خير البرية من يخشى الله، وكل من يخشى الله عالم ينتج خير البريئة عالم. دليل الصغرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[6] الآية. فأثبت الخشية لخير البرية وهو المطلوب.

ودليل الكبرى﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[7] فإنه أضاف الخشية إلى كل عالم على وجه الحصر، ليكون كل من يخشى الله عالما، وهو المطلوب»[8].

وقال ﷺ: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية»[9]. وقال الربيع بن أنس[10]: «من لم يخش الله فليس بعالم»[11]. و "إِنَّمَا" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى﴾ تخصيص للعلماء لا للحصر.

---

(1) رواه القضاعي في مسند الشهاب 41 عن أنس بن مالك بزيادة: «والورع سيد كل عمل».

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان 743 وقال: هذا موقوف على ابن مسعود وقد روى من وجه آخر ضعيف مرفوعا.

(3) جامع بيان العلم 1/ 569.

(4) الأعلى، الآية: 10.

(5) البينة، من الآية: 8.

(6) البينة، الآية:7.

(7) فاطر، الآية: 28

(8) الذخيرة 1/ 23 بتصرف.

(9) ذكره المناوي في فيض القدير 5/ 490.

(10) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخرساني المروزي بصري.كان عالما وراوية ثقة في زمانه. توفي سنة39 هـ.
تنظر ترجمته في: معرفة الثقات 448، سير أعلام النبلاء 79.

(11) تفسير القرطبي 4/ 343.

قال الزمخشري[1]: «فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ برفع اسم الجلالة ونصب العلماء، وهي قراءة عمر بن عبد العزيز، وتحكى عن أبي حنيفة. قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم الله»[2].

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] في هذه الآية دليلان.

أحدهما: نفي المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وهذا تصريح بفضيلة العلم على غير العالم مطلقا. واعلم أن الله تعالى قد ذكر في كتابه العزيز نفي المساواة في غير ما موضع، وكلها في الحقيقة ترجع إلى العلم، أحدها هذا الذي ذكرناه وهو في العلم صريحا. والثاني: قوله تعالى:﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾[4] فهذه أمثلة للعالم والجاهل وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[5] وهذا تمثيل لمن قبل العلم والذكر ومن لم يقبل ذلك. الثالث: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[6] وقد جاء وصف المؤمنين بالعالمين كثيرا

(1) هو أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، إمام كبير في علوم الدين والتفسير واللغة والأدب. توفي سنة 538 هـ.
له تصانيف كثيرة أشهرها: الكشاف، أساس البلاغة، المفصل، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 5/ 168، لسان الميزان 6/ 4، طبقات المفسرين 1/ 72.

(2) الكشاف 3/ 308.

(3) تتمة الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. الزمر، الآية: 10.

(4) فاطر، الآيات: 19- 20-21.

(5) فاطر، من الآية: 22.

(6) تتمة الآية: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ الحشر، الآية: 20.

وهم أصحاب الجنة، ووصف الكافرين بالجاهلين كثيرا وهم أصحاب النار. والرابع: قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾[1] والخبيث الحرام والطيب الحلال وذلك لا يعرف إلا بالعلم.

* الدليل الثاني من الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2] وفيها دليل على شرف العلم، إذ الألباب العقول، والعقل إما العلم، أو أصل العلم. والتذكر طريق إلى العلم. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[3] وقال تعالى: ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[4] قال سفيان بن عيينة[5] هي الرواية عن الأنبياء[6]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[7]. قال ابن حجر: «قيل[8] في تفسيرها يرفع الله المؤمن العالم/ على المؤمن غير العالم. ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب ورفعة الدرجات»[9] انتهى. وكان عبد الله بن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول: «يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولْتُرغِبَنَّكُمْ في العمل، وقد قرن الله تعالى بين اللوح [15]

---

(1) تتمة الآية: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة، الآية: 102.

(2) أول الآية: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ...﴾ الرعد، الآية: 21، والزمر، الآية: 10 قبلها: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(3) تتمة الآية: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت، الآية: 32.

(4) تتمة الآية: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الأحقاف، الآية: 3.

(5) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي. محدث الحرم المكي، عالم زاهد ومجمع على صحة حديثه وروايته. توفي سنة 198 هـ.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 7/ 270، تاريخ بغداد 9/ 174، تذكرة الحفاظ 1/ 262.

(6) جامع بيان العلم 1/ 267.

(7) تتمة الآية: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة، الآية: 11.

(8) لفظة «قيل» من: (ج).

(9) فتح الباري 1/ 141.

المحفوظ وبين صدور العلماء»[1]. فقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[2] وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[3]. ومما يدل على شرفه أن الله تعالى أقسم به، فقال: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾[5]. قالوا وجه المناسبة بين الخلق من العلق، والتعليم بالقلم، وتعليم العلم، أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة، وأعلاها كونه عالما، فالله تعالى امتنّ على الإنسان بنقله من أخس المراتب وهي العلقية إلى أشرف المراتب وهي العلم. وفيه وجه آخر، وهو أن الله تعالى تمدّح بتعليم العلم عقب تمدحه، بكونه الأكرم وذلك غاية في الشرف والفضل. وقد جعل الله تعالى العلم في أنبيائه سببا لأحوال شريفة، فضمّن ذلك كتابه العزيز. فمنها أنه علم آدم الأسماء كلها، وكان ذلك سببا لتحية الملائكة، وهي أسماء المخلوقات، فمن علم أسماء الخالق وصفاته حقيق أن يجد تحيّة ربه. وهي قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[6]. ومنها أنه علّم الخضر علم الفراسة، فقال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[7] فكان ذلك سببا لتبعية موسى ويوشع للتعليم منه، وهو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾[8] الآية.

---

(1) ينظر في هذا المعنى الدر المنثور 8/ 83.

(2) البروج، الآيتان: 21- 22.

(3) تتمة الآية: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ العنكبوت، الآية: 49.

(4) القلم، الآية: 1.

(5) العلق، الآيات: 3- 4- 5.

(6) يس، الآية: 57.

(7) الكهف، الآية: 64.

(8) تتمة الآية: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف، الآية: 65.

فمن عَلِمَ عِلْمَ الحقيقة حري أن يكون مندرجا في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾[1]. وعلّم يوسف تأويل الرؤيا فقال:﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾[2]. فكان سببا لخروجه من السجن، ونَيْله المُلك، واجتماعه بأهله. فكيف لا يكون من علم تفسير كتابه العزيز سببا للنجاة من حبس الشبهات، ونيله الملك في دار السلام والاجتماع بالأهل والإخوان في جوار الرحمن.

وروى الترمذي[3] عن قيس بن كثير[4] قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق، قال: ما أقدمك ها هنا؟ قال: حديث بلغني أنك حدثته عن رسول الله ﷺ. قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا.[5] قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث. قال: نعم. قال: «فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة»[6].

وروى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة

---

(1) تتمة الآية: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ النساء، الآية 68.

(2) تتمة الآية: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يوسف، من الآية 21.

(3) هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، من أئمة علماء الحديث وحفاظه. توفي بترمذة سنة 279 هـ من تآليفه: الجامع الكبير، الشمائل النبوية، العلل، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 2/ 633، وفيات الأعيان 1/ 484، طبقات المحدثين 1046.

(4) هو كثير بن قيس، ويقال قيس بن كثير شامي. روى عن أبي الدرداء في فضل العلم، وعنه داود بن جميل. جاء في أكثر الروايات أنه كثير بن قيس على اختلاف الإسناد إليه. ضعفه الدارقطني. وعده ابن حجر من رجال الطبقة الثالثة.

تنظر ترجمته في: الإصابة 7516، تهذيب التهذيب 8/ 381، تقريب التهذيب 1/ 460.

(5) في رواية الترمذي: قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا.

(6) جامع الترمذي، كتاب العلم 2606.

من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة[1]، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام[2] العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يبتغي بها[3] علما سهل الله له[4] طريقا إلى الجنة. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم/ السكينة، [16] وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن أبطأ[5] به علمه لم يسرع به نسبه»[6].

قال ابن حجر في فتح الباري: «قوله: طريقا نكرها ونكر علما ليتناول الطريق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية، وليندرج فيه القليل والكثير. وقوله: سهّل، أي في الآخرة أو في الدنيا، بأن يوفقه إلى الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة. وفيه بشارة لتسهيل العلم على طالبه، لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة. وروى الطبراني في الأوسط، والبزار بإسناد حسن عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع»[7]. وروى أبو نعيم[8] بإسناد حسن أن

---

(1) ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة.

(2) ما كان.

(3) يلتمس فيه.

(4) سهل الله له به...

(5) عند مسلم: بطّأ.

(6) مسلم في الذكر والدعاء 2699، أبو داود في الأدب مختصرا 4295، ابن ماجه في المقدمة 221، النسائي في السنن الكبرى مختصرا 7284، ابن حبان في صحيحه 535، الحاكم في المستدرك مختصرا 8759. وهناك اختلاف في بعض ألفاظ الحديث.

(7) المعجم الأوسط 3960، البزار 2969 لكن بلفظ: «فضل العلم أحب إلي من... الحديث».

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 120 وقال: وفيه عبد الله بن عبد القدوس وثقه البخاري وابن حبان وضعفه ابن معين.

(8) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصوفي أحد كبار الحفاظ الثقات. توفي سنة 430هـ من تصانيفه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ذكر أخبار أصبهان، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 1/ 91، تذكرة الحفاظ 3/ 1092، طبقات الشافعية الكبرى 4/ 25.

النبي ﷺ قال: «ما من رجل يتعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثا أو أكثر مما فرض الله عليه فيتعلمهن ويعلمهن إلا دخل الجنة»[1].

وقال أبو هريرة: فما نسيت حديثا بعد إذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

وروى ابن ماجه بإسناد حسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم»[2].

وقال ﷺ: «أفضل الفوائد حديث حسن يسمعه الرجل فيحدث به أخاه المسلم»[3].
وروى مالك في الموطأ وأبو نعيم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[4].

وروى الشيخان وابن ماجه عن حميد بن عبد الرحمن[5] قال: سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت رسول الله ﷺ / يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. وإنما أنا قاسم والله المعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[6]. قوله: يفقهه أي يفهمه. يقال: فقُه بالضم إذا صار الفقه له سجية، وفقَه بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقِه بالكسر إذا فهم. ومفهوم الحديث، أن من لم يفقهه في الدين، أي يعلمه قواعد الإسلام، وما يتصل بها من الفروع، فقد حرم الخير. وفي [7]

(1) حلية الأولياء 2/ 159.

(2) ابن ماجه في المقدمة 239.

(3) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 261، وليس في آخره لفظة: المسلم.

(4) مالك في الموطأ، كتاب الجامع 1400.

(5) هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري. كان فقيها عالما نبيلا شريفا وثقة. له روايات كثيرة. توفي سنة 95 هـ.
تنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء 93، البداية والنهاية 6/ 272، سير أعلام النبلاء 4/ 293.

(6) رواه البخاري 71، 7312، مسلم 1037، ابن ماجه 221 مقتصرا على: «ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم»[1].

وروى الدارقطني والبيهقي[2] والطبراني في الأوسط، وأبو بكر الآجري[3] في فضل العلم، وأبو نعيم في رياض المتعلمين.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من فقه في دين»[4].

وقال ﷺ: «لكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه»[5]. وقال ﷺ: «خير دينكم أيسره، وأفضل العبادة الفقه»[6]. أخرجه ابن عبد البر[7] عن

---

(1) فتح الباري 1/ 165 بتصرف.

(2) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، فقيه محدث. له علم واسع بالحديث والعقائد. توفي بنيسابور 458هـ. من كتبه: السنن الكبرى، الجامع المصنف في شعب الإيمان، السنن الصغرى، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 3/ 1132، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 4/ 8، طبقات الشافعية 2/ 220.

(3) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، فقيه شافعي ومحدث. نسبته إلى آجر من قرى بغداد. توفي سنة 360هـ. له تصانيف كثيرة منها: أخبار عمر بن عبد العزيز، أخلاق العلماء، أخلاق حملة القرآن، كتاب الشريعة، وغير ذلك. تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 2/ 243، صفة الصفوة 2/ 265، تذكرة الحفاظ 3/ 936.

(4) روي هكذا عند أبي نعيم في الحلية 2/ 192 وبزيادة: «ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» عند الدارقطني 3/ 79 والطبراني في الأوسط 6166 والآجري في أخلاق العلماء ص: 18 والبيهقي في الشعب 1712- 1713 بزيادة: «ولكل شيء عماد، وعماد الدين الفقه».

(5) الدارقطني في السنن 294، البيهقي في الشعب 1712. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 121: وفيه يزيد بن عياض وهو كذاب.

(6) جامع بين العلم وفضله 1/ 100، أحمد 15371، الطبراني في الأوسط 9264، والصغير 1066 قال الهيثمي: وفيه محمد بن أبي ليلى ضعفوه لسوء حفظه. مجمع الزوائد 1/ 120 وينظر فيض القدير 3/ 486.

(7) هو أبو عمر يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. من كبار حفاظ الحديث. وله علم واسع في التاريخ. توفي سنة 463 هـ. له تآليف كثيرة منها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستيعاب في المعرفة الأصحاب، وجامع بيان العلم وفضله وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 3/ 1128، سير أعلام النبلاء 15/ 498، وفيات الأعيان 7/ 66، 72.

أنس[1] بإسناد ضعيف والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع[2] بإسناد جيد، وأخرجه أبو داود[3] والطيالسي[4] في مسنده، والشطر الثاني عند الطبراني[5] من حديث ابن عمر بسند ضعيف، وأخرجه الطبراني في الصغير بزيادة: «وأفضل الدين الورع»، وله شاهد جيد من حديث سعد بن أبي وقاص[6] أخرجه الحاكم في التاريخ. وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خصال: فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره بعيوب نفسه»[7]. وروى الطبراني في معاجمه الثلاثة عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع»[8].

---

(1) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النظر بن ضمضم بن زايد بن حزم الأنصاري الصحابي الجليل، الإمام المقرئ المحدث. توفي سنة 92هـ وقيل 93 هـ. تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 1/ 44، سير أعلام النبلاء 3/ 395، الإصابة 1/ 126.

(2) هو محجن بن الأدرع الأسلمي مات في خلافة معاوية. تنظر ترجمته في: الثقات 3/ 399، التاريخ الكبير 1928.

(3) هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، السجستاني. كان إماما عالما وحافظا. وكان من العلماء العاملين، حتى أن بعض الأئمة قال: كان أبو داود يشبه بأحمد ابن حنبل في هديه وسمته. توفي سنة 275 هـ. من تآليفه: السنن، الناسخ والمنسوخ، المراسيل. وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 9/ 55، صفة الصفوة 4/ 69، تذكرة الحفاظ 2/ 591، سير أعلام النبلاء 13/ 203.

(4) هو أبو داود الطيالسي سليمان بن داود الجارود البصري من كبار حفاظ الحديث. وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث. واستشهد به البخاري في صحيحه. توفي بالبصر سنة 203 هـ وقيل 204 هـ.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 1/ 351، سير أعلام النبلاء 9/ 378 وما بعدها، طبقات الحفاظ 327.

(5) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، أصله من طبرية، من كبار المحدثين. توفي بأصبهان سنة 360 هـ. من تصانيفه: ثلاثة معاجم في الحديث: الصغير، الأوسط، الكبير، دلائل النبوة، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 3/ 912، سير أعلام النبلاء 16/ 13، طبقات الحفاظ 1/ 372.

(6) هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري فاتح العراق ومدائن كسرى. أسلم وعمره 19 وقيل 17 سنة. وهو أحد المبشرين بالجنة. توفي سنة 55هـ
تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 1/ 18، تذكرة الحفاظ 1/ 22، الإصابة 3196.

(7) رواه ابن المبارك في الزهد من كلام محمد بن كعب القرظي 282 باختلاف في بعض الألفاظ.

(8) لم أقف عليه في الكبير بل وجدته في الأوسط 9264 والصغير 1114.

وأخرج الترمذي وحَسَّنَه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «خصلتان لا تجتمعان في منافق: حسن سمت وفقه في دين [1]» وقال أبوهريرة: لأن أجلس ساعة فأفقه أحب إلى من أن أحيي ليلة القدر[2]. ويقال: ثلاثة لابد لصاحبها أن يسود: الفقه، الأمانة، والأدب[3]. وقال ﷺ: «العلم يزيد الشريف شرفا، ويرفع المملوك إلى درجة الملوك»[4].

[18] قال أبو حامد: «نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم/ أن الآخرة خير وأبقى»[5].

و «قال سحنون[6]: نفقة درهم في العلم أفضل من عشرين ألفا في سبيل الله. وأخذ سحنون هذا من الحديث الذي جاء: «ما جميع أعمال البر في الجهاد إلا كبصقة في بحر، وما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم إلا كبصقة في بحر»[7]. قال بعض الشيوخ: هذا إذا كان الجهاد فرض كفاية، وأما إذا تعين فهو أفضل من طلب العلم. وظاهر الحديث أن طلب[8] العلم أفضل من الصلوات، ومعناه في النافلة، وأما الفرض

---

(1) الترمذي في العلم 2608 وقال: هذا حديث غريب.

(2) جامع بيان العلم 1/ 118.

(3) المصدر السابق 1/ 265.

(4) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير 3827 هكذا: «الحكمة تزيد الشريف شرفا...الحديث». وأشار السيوطي بأن الحديث إسناده مسلسل بالضعفاء.

(5) الإحياء 1/ 12- 13.

(6) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني الملقب بسحنون. فقيه قاض وأحد كبار العلماء بالمغرب. أخذ العلم على خيرة علماء القيروان وتونس ومصر، توفي سنة 240 هـ.
تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 3/ 180، سير أعلام النبلاء 2/ 63- 64، تاريخ قضاة الأندلس ص: 28، 30، الديباج المذهب 2/ 29.

(7) ورد هذا الحديث في (البيان والتحصيل) 18/ 584 -585 لابن رشد ثم قال: «ومعناه في الموضع الذي يكون فيه الجهاد فرضا على الكفاية لا في الموضع الذي يكون متعينا على الأعيان».
وقال صاحب (المدخل) في باب فضل العلم 1/ 14: «فتبين من هذا أن أعظم أعمال الآخرة إنما هو طلب العلم».

(8) في (د): أفضل.

فهو أفضل؛ لأنه ﷺ سئل عن أفضل الأعمال قال: «الصلاة لأول ميقاتها»[1]»[2]. ابن هارون[3].

«واختلف قول مالك رحمه الله في أفضلية الاشتغال بالعلم على صلاة النافلة. فقال في سماع ابن القاسم[4]: الصلاة أحب. وقال في سماع أشهب[5] وابن أبي أويس وابن وهب[6]: طلب العلم أفضل. وقال أبو بكر بن عبد الرحمن[7]: أما صلاة الليل فهي أفضل، وأما صلاة النهار فطلب العلم أفضل منها لمن كان فيه رجاء لموضع الإمامة.

---

(1) رواه مسلم في الإيمان 85 بلفظ: «الصلاة لوقتها». وأحمد 26204 بلفظ: «الصلاة لأول وقتها».

(2) اختصار النهاية والتمام ق/ 1.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن هارون الكناني التونسي، فقيه مالكي. توفي سنة 750 هـ. من تصانيفه: شرح مختصر ابن الحاجب، شرح المدونة، شرح المعالم الفقهية، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تاج مفرق 2/ 98، نيل الابتهاج 407، كفاية المحتاج 2/ 462، شجرة النور الزكية ص:211.

(4) وهو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري المعروف بابن القاسم. فقيه مالكي، من أشهر تلامذة مالك، وإليه يرجع الفضل في انتشار المذهب المالكي في المغرب. توفي بالقاهرة سنة 191 هـ. له (المدونة) رواها عن الإمام مالك.

تنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي 155، وفيات الأعيان 3/ 129، تذكرة الحفاظ 1/ 356.

(5) هو أبو عمر أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي العامري الجعدي. فقيه، وكان صاحب الإمام مالك بن أنس، كما أدرك الإمام الشافعي بمصر. توفي سنة 204 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات الشيرازي 1/ 155، وفيات الأعيان 1/ 238، الديباج المذهب 1/ 268.

(6) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري صاحب مالك. كان أحد أئمة عصره، جمع بين الفقه والحديث والعبادة. توفي بمصر سنة 197 هـ. له تصانيف كثيرة أشهرها: «الجامع» في الحديث.

تنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي 155، تذكرة الحفاظ 1/ 304، الديباج المذهب 1/ 363.

(7) هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المغيرة المخزومي القرشي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. وكان مكفوفا. توفي سنة 94 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات بن سعد 5/ 207، وفيات الأعيان 1/ 282، تذكرة الحفاظ 53.

وقال أبو عمران الفاسي[1]: المعول عليه من ذلك ما كان عليه السلف الصالح. إنهم مواظبون على نصيبهم من التعبد. وقال ابن وهب: كنت عند مالك فحانت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه، فجمعت كتابي. فقال: إن هذا لعجب! ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه إذا صلحت فيه النية. قال بعض الشيوخ: يعني ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي قمت عنه. لأن الصلاة لا يتعين وجوبها بأول الوقت»[2] انتهى كلام ابن هارون. وما نقله عن ابن وهب مثله عند صاحب المدخل[3] عنه ونقله في الإحياء[4] عن ابن عبد الحكم[5] فلعل القضية تعددت.

وقال الشافعي: ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم[6]. وفصل الخطاب ما قاله ابن شهاب[7] حين سئل أيما أفضل العلم أو العمل؟ فقال: العلم لمن جهل والعمل لمن علم[8].

---

(1) هو أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حجاج الغفجومي الفاسي. وغفجوم فخذ من زناتة. أصله من فاس. فقيه، محدث مالكي. استوطن القيروان وحصلت له بها رئاسة العلم. توفي سنة 430 هـ. له كتاب التعاليق على المدونة.

تنظر ترجمته في: الصلة 2/ 611- 612، الديباج المذهب 2/ 317، شذارت الذهب 3/ 247- 248.

(2) اختصار النهاية والتمام ق/ 1 باختلاف في بعض الألفاظ.

(3) المدخل 1/ 63.

(4) الإحياء 1/ 16.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري الفقيه الشافعي. وكان الشافعي يحبه حتى قال له مرة: وددت لو أن لي ولدا مثل هذا. توفي سنة 268 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء 191، تذكرة الحفاظ 2/ 546، طبقات الشافعية الكبرى 2/ 67 وما بعدها.

(6) المجموع شرح المهذب 1/ 21.

(7) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي أحد كبار الحفاظ والفقهاء المحدثين بالمدينة. له في الموطأ مرفوعا 133 حديثا. توفي سنة 125 هـ.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 3/ 360، طبقات الفقهاء 47، تذكرة الحفاظ 1/ 108.

(8) ألف باء للبلوي 1/ 18.

وروى قتادة / عن مطرف بن عبد الله بن الشخير[1] أنه قال: «حظ من علم أحب إلي [19] من حظ من عبادة، ولأن أعافى فأشكر خير من أن ابتلى فأصبر، ونظرت في الخير الذي لا شر فيه فلم أجد مثل المعافاة والشكر»[2].

وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم بثّه في صدور الرجال»[3]. وروى ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علّمه ونشره، أو ولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته من ماله»[4].

وروى الطبراني في الكبير وابن النجار[5] في تاريخه عن سمرة بن جندب[6] أن رسول الله ﷺ قال: «ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر»[7]. وروى الطبراني

---

(1) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله الشخير الحرشي العامري. زاهد من كبار التابعين. له كلمات وأخبار مأثورة في الحكم. ثقة فيما رواه من الحديث. توفي بالبصرة سنة 87 هـ.

تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى 7/ 141، حلية الأولياء 2/ 198، وفيات الأعيان 5/ 211. تذكرة الحفاظ 1/ 64.

(2) رواه معمر بن راشد في الجامع 20468.

(3) رواه مسلم في الوصية 1631، الترمذي في الأحكام 1297 بلفظ: «أو علم ينتفع به».

(4) رواه ابن ماجه في المقدمة 238 باختلاف في بعض الألفاظ.

(5) هو محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله ابن محاسن البغدادي، الشافعي، المعروف بابن النجار (محب الدين، أبو عبد الله) محدث، حافظ، مؤرخ، أديب، نحوي شاعر، مقرئ، مجود للقرآن، طبيب. له: تاريخ بغداد ذيل به على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ثلاثين مجلدا، الأزهار في أنواع الأشعار، الشافي في الطب، غرر الفوائد في ست مجلدات... توفي ببغداد سنة 643 هـ. انظر: معجم المؤلفين 11/ 317.

(6) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي جليل. شهد وقعة صفين مع معاوية بن أبي سفيان. توفي بالكوفة وقيل بالبصرة سنة 60 هـ. تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 1/ 226، الإصابة 3477، شذرات الذهب 1/ 65.

(7) المعجم الكبير 6964. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 166: وفيه عون بن عمارة وهو ضعيف.

أيضا في الكبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم لتعلمها إياه»[1]. ولبعضهم في المعنى: [الرجز]

تــعلم العلــم وعلــم مــسلما فـــإن تعلــيم العلـــوم صدقـــه

وقــد روى عـــن الـــنبي خبـــرا في ذلـــك المعنـــى رواه صدقـــه[2]

وروى البزار والطبراني في الأوسط، وابن عبد البر عن أبي ذر وأبي هريرة أنه قال: «لباب يتعلمه الرجل أحب إلي من ألف ركعة تطوعا»[3]. وروى ابن ماجه بإسناد حسن عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة/ ولأن تغدو فتتعلم بابا من علم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة»[4]. [20]

وروى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه[5] أن رسول الله ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم علما[6] أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته**»[7].

---

(1) المعجم الكبير 12421. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 166: وفيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك.

(2) هو صدقة بن الفضل، الإمام لحافظ وأحد رواة الحديث المشهورين. توفي سنة 223 هـ وقيل 226هـ.

تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء 10/ 489- 490.

(3) ذكره الهيثمي بلفظ «لباب من العلم» وقال: رواه البزار، وفيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي وهو متروك. مجمع الزوائد 1/ 124.

(4) رواه ابن ماجه في المقدمة 215.

(5) هو أبو أمامة صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، صحابي جليل شهد صفين مع علي بن أبي طالب له في الصحيحين 250 حديثا. توفي بحمص سنة 81 هـ.

تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 3/ 359، الإصابة 4063، صفة الصفوة 1/ 733.

(6) في الكبير: خيرا.

(7) المعجم الكبير 7483 قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 123: رجاله موثقون كلهم.

واستدل القرطبي في تذكرته عن أبي أيوب الأنصاري[1] قال: «قال رسول الله ﷺ: مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة، وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل. وإن طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه، يدخلون الجنة بغير حساب»[2].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين[3]: رجل أتاه حكمة فهو يقضي بها ويعلمها للناس، ورجل أتاه الله مالا فسلط على هلاكه[4] في الحق»[5]. قال ابن حجر: «الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه. وخصه بعضهم بأن يتمنى لنفسه، والحق أنه أعم. وسببه أن الطباع مجبولة على حب الترفع على الجنس، فإذا رأى لغيره ما ليس له أحب أن يزول ذلك عنه ليرتفع عليه، وصاحبه مذموم إذا عمل بمقتضى ذلك من قول أو فعل أو عمل، واستثنوا من ذلك ما إذا كانت النعمة على كافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله، فهذا حكم الحسد بحسب حقيقته. وأما المذكور في الحديث، فهو الغبطة وأطلق عليها الحسد مجازا، وهي أن يتمنى أن يكون له ما لغيره من غير أن يزول عنه. والحرص على هذا يسمى منافسة. فإن كان في الطاعة، فهو محمود، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[6] وإن كان في المعصية فهو مذموم. ومنه في الحديث ولا تنافسوا. وإن

---

(1) هو أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الأنصاري من بني النجار، صحابي شهد العقبة وبدرا وأحدا وغيرها. توفي بالقسطنطينية خلال حصار المسلمين لها سنة 52 هـ. له 155 حديثا.

تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد 3/ 384، الإصابة 2165.

(2) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة 2/ 247.

(3) في (ب): اثنين.

(4) في الصحيحين: هلكته.

(5) رواه البخاري في العلم 71 ومسلم في صلاة المسافرين 816.

(6) المطففين، الآية 26.

كان في الجائزات فهو مباح، فكأنه قال في الحديث: لا غبطة أعظم وأفضل من الغبطة في هذين الأمرين، ويحتمل أن يكون الحسد على حقيقته/ [21] وأخرج هذين من النهي ترخيصا، كما رخص في نوع من الكذب»[1].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه»[2]. وسئل عليه الصلاة والسلام عن أفضل الأعمال قال: «العلم بالله والفقه في دينه»[3] [4]. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم، فأعطي المال والملك»[5]، أخرجه ابن عساكر[6] وأبو منصور الديلمي[7]. وعن بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء

(1) فتح الباري 1/ 165- 166.

(2) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص: 69.

(3) في (د): الدين.

(4) أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر عن أنس. قال العراقي: وسنده ضعيف. لكن بدون قوله «والفقه في دينه». فيض القدير 2/ 28.

(5) الديلمي في الفردوس 2958 وابن عساكر في تاريخ دمشق 22/ 275.

(6) هو أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي الملقب ثقة الدين. محدث فقيه مؤرخ ورحالة. كان محدث الديار الشامية. توفي بدمشق سنة 571 هـ.

له مؤلفات كثيرة منها: تاريخ دمشق الكبير، وبه اشتهر، كشف المغطا في فضل الموطأ، وتبين كذب المفترى فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري... وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 3/ 309، طبقات الشافعية الكبرى 8/ 352، طبقات الحفاظ 1/ 487.

(7) أبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمي الهمذاني، من أولاد الحفاظ والعلماء. كان إماما حافظا مؤرخا عارفا بالأدب ومقتفيا أثر والده في كتابة الحديث وسماعه وطلبه. توفي سنة 558 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات الشافعية 2/ 317، سير أعلام النبلاء 20/ 375، التقييد 1/ 97.

العلم وأي شيء فات من أدرك العلم[1]. وقال علي كرم الله وجهه: أقل الناس قيمة أقلهم علما[2]. وذكر أن أهل البصرة اختلفوا، فقال بعضهم: المال أفضل من العلم، وقال بعضهم: العلم أفضل من المال، فبعثوا رسولا إلى ابن عباس، فقال ابن عباس: العلم أفضل من المال[3]. فقال له الرسول: إن سألوني عن الحجة ماذا أقول لهم؟ قال: قل لهم إن العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة، ولأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، ولأن العلم لا يعطيه الله إلا لمن يحب، والمال يعطيه لمن يحب ولمن لا يحب، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[4] الآية. والمال ينقص بالبذل والعلم لا ينقص، وصاحب المال إذا مات انقطع ذكره، والعلم لا ينقطع ذكره.

ولله در القائل: المصيب الذي نال من العلم أوفر نصيب[5]: [الوافر]

لئن رفع الغني لواء مال	لأنت لواء علمك قد رفعتا
وإن جلس الغني على الحشايا	لأنت على الكواكب قد جلستا
ومهما اقتضّ أبكار الغواني	فكم بكر من الحكم اقتضضتا[6]

---

(1) الإحياء 1/ 14.

(2) المستطرف من كل فن مستظرف 1/ 32.

(3) في (د): الصلاة.

(4) تتمة الآية: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ الزخرف، الآية 32.

(5) ألف باء 1/ 13.

(6) ديوان أبي إسحاق الألبيري المتوفى 460 هـ. ص: 28. تنظر ترجمته في الروض المعطار لأبي عبد الله الحميري. ص: 30. قال يوسف البلوي: «وهذا الشاعر هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري رحمه الله...كان الأستاذ الفقيه أبو عبد الله بن سورة شيخي رحمه الله يحمل طلبته على حفظه لجودته...». ألف باء 1/ 13.

في الأصل «اقتض» وفي الديوان وألف باء «افتض». وكلمة «اقتضّ» في لسان العرب تعني: افترع، يقال: اقتضّ المرأة أي افترعها، وأخذ قضتها أي عُذرتها من اقتضاض البكر، ويروى بالفاء. لسان العرب 7/ 220.

ثم قال يـجهل من فضل المال على العلم[1]: [الوافر]

جعلت المـال فـوق العلـم جهـلا لعمـــرك في القـــضية مـــا عـــدلتا

وبينهمـــا بـــنص الـــوحي بـــون ســـــتعلمه إذا طـــــه قرأتـــــا[2]

يريد قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[3] وقال بزرجهمر[4]: «العلم أفـضل مـن المال، وإنما يرى العلماء على أبواب الأغنياء لعلمهم بمنفعة المال، ولا يرى الأغنياء عـلى أبواب العلمـاء لجهلهم بمنفعة العلم»[5].

ولصالح بن عبد القدوس[6]: [الكامل]

لا خـير فـيمن كـان خـير ثنائـه في النـــاس قـــولهم غـــني رابـــح[7]

---

(1) المصدر السابق.

(2) البيتان لنفس الشاعر السابق الذكر، ينظر ديوانه ص: 27- 28، ألف باء 1/ 13. والقصيدة مطلعها:

تفـــت فـــؤادك الأيـــام فتـــا *** وتنحـــت جـــسمك الـــساعات نحتـــا

(3) طه، من الآية 111.

(4) بزرجهمر بن البختكان حكيم فارسي، وتوجد كثير من أقواله وحكمه مبثوثة في «عيون الأخبار» لابن قتيبة. تنظر أخباره في: تاريخ الطبري 2/ 415، الفهرست 1/ 423.

(5) عيون الأخبار لابن قتيبة 2/ 137.

(6) هو أبو الفضل صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، متكلم. له مناظرات مع علماء عصره. وشعره كله حكم وأمثال وآداب. قتل ببغداد سنة 160 هـ في عهد المهدي العباسي بتهمة الزندقة. تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 9/ 303، وفيات الأعيان 2/ 492.

(7) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 60. وفيه «واجد» بدل «رابح». أي غني مقتدر. والمعنى أن الغنى وحده لا جدوى منه إذا لم يكن معه كرم.

وروى الطبراني في الكبير عن واثلة بن الأسقع[1] أن رسول الله قال: «من طلب علما فأدركه كتب[2] الله له كفلين من الأجر، ومن طلب علما فلم يدركه كتب[3] الله له كفلا من الأجر»[4] وروي عن سخبرة[5] قال: «مرّ رجلان على رسول الله/ ﷺ وهو يذكر الله، فقال: اجلسا فإنكما على خير. فلمّا قام النبيﷺ، وتفرق عنه أصحابه، أتياه فقالا: يا رسول الله، إنك قلت لنا اجلسا فإنكما على خير، فهل لنا خاصة أم للناس عامة؟ فقال: ما من عبد يطلب العلم إلا كان له كفارة ما تقدم»[6]، رواه الترمذي مختصرا والطبراني في الكبير واللفظ له. [22]

قال عبد العظيم المنذري[7]: وسخبرة هذا في صحبته خلاف[8].

وروى الديلمي في مسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل يترك ورقة من العلم إلا تقوم له تلك الورقة سترا بينه وبين النار، وإلا بنى له بكل

(1) هو واثلة بنُ الأسقع بن كعب بن عامر من بني ليث بن عبد مناة، صحابي جليل. توفي بدمشق سنة 83هـ.
تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 2/ 21، صفة الصفوة 1/ 674، الإصابة 9093.

(2) في (ب): كتاب.

(3) في (ب): كتاب.

(4) المعجم الكبير 165. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 123: ورجاله موثقون.

(5) هو سخبرة بفتح أوله وسكون المعجمة وفتح الموحدة صحابي في إسناد حديثه ضعف وعند الترمذي عن سخبرة وليس بالأزدي وقال غيره هو الأزدي ت. تقريب التهذيب رقم: 2213.

(6) المعجم الكبير 6615، الترغيب والترهيب 1/ 53 وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 123 وفيه أبو داود الأعمى وهو كذاب.

(7) هو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري، عالم بالحديث والعربية. وهو من الحفاظ المؤرخين. توفي سنة 256 هـ. من تآليفه: الترغيب والترهيب، شرح التنبيه، أربعون حديثا، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 4/ 1436، طبقات الشافعية 8/ 259، طبقات الحفاظ 1110.

(8) الترغيب والترهيب 1/ 53.

حرف مكتوب في تلك الورقة مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات»[1] وأخرج أيضا عن ابن عمر: «لكل شيء طريق وطريق الجنة العلم»[2]. وعن معاذ رضي الله عنه أنه قال: «تعلموا[3] العلم، فإن تعلمه لكم خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، والأنس به في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة، هداة يهتدى بهم، وأئمة في الخير، تقتص آثارهم، وترمق أفعالهم، وترغب الملائكة في خلتهم، يلهمه الله السعداء، ويحرم منه الأشقياء»[4]، نقله ابن أبي جمرة[5] عن صاحب الحلية قال: وصحح إسناده السمرقندي[6]. ورواه أيضا ابن عبد البر في كتابه فضل العلم.

ومن الفخر الرازي ما نصه: «قال الله تعالى في الإنجيل: ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه؛ اطلبوا العلم وتعلموه، فإن العلم إن لم يسعدكم لم يشقكم، وإن لم يرفعكم لم

---

(1) الفردوس 6062.

(2) الفردوس 4989.

(3) في (د): تعلم.

(4) موضوع، رواه ابن عبد البر وجامع بيان العلم 1/ 238-239، وقال:هكذا حدثنيه أبو عبد الله بن عبيد بن محمد رحمه الله مرفوعا بالإسناد المذكور، وهو حديث حسن جدا، ولكن ليس له إسناد قوي، وذكره ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة 1/ 282.

(5) هو أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة المحدث الراوية المالكي خطيب غرناطة. توفي سنة 699 هـ.
من تآليفه: مختصر البخاري وشرحه وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: ذيل التقييد 2/ 70- 71، نيل الابتهاج ص: 216، شذرات الذهب 2/ 102.

(6) هو أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي صاحب كتاب «تنبيه الغافلين»، وله كتاب «الفتاوى». توفي سنة 375 هـ. تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 3/ 971، سير أعلام النبلاء 16/ 322- 323.

يضعكم، وإن لم ينفعكم لم يضركم، ولا تقولوا نخاف أن نعلم ولا نعمل، ولكن قولوا: نرجو أن نعلم فنعمل، والعلم شفيع لصاحبه حق على الله ألا يخزيه، وإن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم؟ يقولون: ظننا أن يرحمنا، ويغفر لنا. فيقول: فإني قد فعلت، إني استودعتكم حكمتي لا شرا أريد بكم بل لخير أردته بكم، ادخلوا في صالح عبادي إلى جنتي برحمتي»[1].

وقال وهب بن منبه[2]: «يتشعب من العلم الشرف، وإن كان صاحبه دنيّا، والعز وإن كان مهينا /، والقرب وإن كان قصيّا، والغنى وإن كان فقيرا، والنبل وإن كان حقيرا، والمهابة وإن كان وضيعا، والسلامة وإن كان سفيها»[3]. وقال ﷺ: «لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة»[4]. [23]

وقال ﷺ: «باب من العلم يتعلمها الرجل خير من الدنيا وما فيها»[5]. وفي الحديث: «حضور مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو»[6].

---

(1) الابتهاج بنور السراج للبلغيثي 1/ 85.

(2) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل الأبناوي الصنعاني تابعي جليل، من أصل فارسي. عالم بأساطير الأولين. ولي القضاء في عهد عمر بن عبد العزيز. اختلف في تاريخ وفاته فقيل 110 هـ وقيل 114 هـ وقيل 116 هـ. من تآليفه: قصص الأنبياء، قصص الأخيار، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 5/ 543، حلية الأولياء 4/ 23، 82، تذكرة الحفاظ 1/ 100.

(3) المجموع شرح المهذب للنووي 1/ 36.

(4) تقدم تخريجه في ص: 266.

(5) الأحاديث التي لا أصل لها في كتاب الإحياء للسبكي 288.

(6) قال العراقي في تخريج هذا الحديث: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر. هامش الإحياء 1/ 16.

وقال عطاء[1]: من أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم. وقال رسول الله ﷺ: «نومة على علم خير من صلاة على جهل»[2]. قال ابن شعبان القرطبي[3] في الزاهي: «وهذا يدل على أن عبادة الجاهل بالظاهر دون الباطن، وعبادة العالم بالظاهر والباطن». ونقل ابن هارون في أول اختصاره ما نصه: «روى هارون بن علي الحضرمي عن مالك أنه سئل عمن قالت يا سفلة. فقال لها: إن كنت سفلة فأنت طالق. فقال: إن لم يكن طالب علم فهو سفلة، لأنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا استرذل الله عبدا أحظر عنه العلم»[4]. و«سئل ابن المبارك[5] عن الناس فقال: العلماء، وعن[6] الملوك فقال: الزهاد، وعن السفلة فقال: من يأكل بدينه. والسِّفلة بكسر السين المهملة وفتح الفاء: الأراذل»[7]. وقال ﷺ: «الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وثمرته العلم»[8].

---

(1) هو أبو محمد بن أسلم عطاء بن رباح القرشي، مفتي أهل مكة ومحدثهم. توفي سنة 114 هـ وقيل 115 هـ.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 1/ 98.

(2) قال العجلوني في كشف الخفا 2/ 325. رواه أبو نعيم في الحلية عن سلمان بلفظ: نوم على خير، خير من صلاة على جهل.

(3) هو أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المصري المعروف بابن القرطبي، الحافظ المتفنن، إليه انتهت رئاسة المالكية بمصر. توفي سنة 355 هـ. من كتبه: الزاهي في الفقه، أحكام القرآن، مختصر ما ليس في المختصر، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء 159، سير أعلام النبلاء 16/ 78، شجرة النور الزكية ص: 80.

(4) اختصار النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام 1/ ق.2 بتصرف من المؤلف.

(5) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، الحافظ صاحب التصانيف الكثيرة منها: الجهاد — الرقائق، وغير ذلك. توفي سنة 181 هـ.
تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 8/ 162، تاريخ بغداد 10/ 152، تذكرة الحفاظ 1/ 274.

(6) في (د): على.

(7) الإحياء 1/ 14.

(8) في الفردوس بمأثور الخطاب عن عبد الله بن مسعود 380: «... وزينته الحياء وماله الفقه... الحديث».

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن عدي[1] في الكامل وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى علي يوم ولم أزدد فيه علما فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم»[2]. قال أبو عمر بن عبد البر أخذ هذا المعنى بعض المتأخرين وهو علي بن/ محمد البستي[3] فقال: [الطويل] [24]

دعوني وأمري واختياري فإنني بصير بما أبدي وأبصر من أمري
إذا ما مضى يوم ولم أصطنع يدا ولم أقتبس علما فما هو من عمري[4]

وقال أبو الأسود[5]: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك[6] ونظم بعضهم بقوله: [الكامل]

إن الأكابر يحكمون على الورى وعلى الأكابر تحكم العلماء

---

(1) هو أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني من كبار رجال الحديث.توفي سنة 365.من تصانيفه: الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة، الانتصار، وعلل الحديث، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: طبقات الحفاظ 1/ 380- 381، الإرشاد 2/ 794.

(2) المعجم الأوسط 6636، وابن عدي في الكامل 2/ 79 وأبو نعيم في حلية الأولياء 8/ 188.

(3) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب العلامة، شاعر زمانه قال الذهبي في السير: «له نظم في غاية الجودة، كبير سائر بين الفضلاء». مات سنة 401 هـ.
تنظر ترجمته في: يتيمة الدهر 4/ 302، 334، قرى الضيف 4/ 35، سير أعلام النبلاء 17/ 148.

(4) ديوان البستي: ص:84، جامع بيان العلم وفضله 1/ 260. وفي الجامع (أبرم) بدل (أبصر).

(5) هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني تابعي واضع علم النحو، كان معدودا من الفقهاء والأعيان والشعراء. توفي سنة 69 هـ.
تنظر ترجمته في: نزهة الألبا ص: 16، 20، خزانة الأدب 1/ 136، 138، وفيات الأعيان 2/ 335، - الإصابة 4333.

(6) عيون الأخبار لابن قتيبة 2/ 137، جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 257.

وقال فتح بن معبد الموصلي[1] أحد الصوفية الزهاد: «أليس المريض إذا منع الطعام والشراب ثلاثة أيام يموت، فكذلك القلب إذا منع العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت»[2].

وقال الحسن[3]: «من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق»[4].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم، يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى، وما استقام دينه حتى يستقيم عمله[5]»[6]. رواه الطبراني في الكبير. وعن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[7]. قال: «علموا أهليكم الخير»[8] رواه الحاكم موقوفا، وقال صحيح على شرطهما. وقال بعض الحكماء: العلم أفضل مكتسب، وأشرف منتسب، وأنفس

---

(1) لعله أبو محمد فتح بن سعيد الموصلي، وهو من أقران بشر بن الحارث السري السقطي. كان من أكابر الأولياء، وذا شأن كبير في باب الورع والمعاملات. توفي سنة 120 هـ.
تنظر ترجمته في: طبقات الشعراني 1/ 181، طبقات المناوي 1/ 272.

(2) الإحياء 1/ 14، ألف باء 1/ 18.

(3) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. توفي سنة 110 هـ.
تنظر ترجمته في: تقريب التهذيب رقم: 1227، الأعلام 2/ 227.

(4) جامع بيان العلم 1/ 545 ولكن بلفظ: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح.

(5) في (ب): علمه.

(6) المعجم الأوسط 4726 بلفظ: «حتى يستقيم علمه». وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 121.

(7) تتمة الآية: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾. التحريم، الآية 6.

(8) رواه الحاكم في المستدرك 3826 بلفظ: «علموا أنفسكم وأهليكم الخير». ورواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه 1/ 176 بلفظ: «علموهم أدبوهم».

ذخيرة تقتنى، وأطيب ثمرة تجتنى، ومنه يتوصل إلى معرفة الحقائق ويتوصل به إلى رضا الخالق، لا يضيع أبدا صاحبه، ولا يفتقر أبدا كاسبه، ولا تنحط مراتبه، وهو للأغنياء عزّ، وللفقراء كنز.

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أم هانئ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «العلم والمال يستران كل عيب، والجهل والفقر يكشفان كل عيب»[1]. وقال مصعب بن الزبير[2] لابنه: تعلم العلم، فإن يكن لك مال كان جمالا، وإن لم يكن لك مال كان مالا[3]. وقال مصعب بن مروان لبنيه: تعلموا العلم، فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم[4].

وعن سالم بن أبي الجعد[5] أنه قال: «اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني، فقلت بأي حرفة أحترف؟ فقال: بالعلم. قال: فاحترفت بالعلم، فما تمت لي حتى جاء أمير المدينة[6] يزورني فلم آذن له. إن قلت لِمَ لَمْ يأذن له؟ قلت: العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، وإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا، فإذا هربوا آمنوا»[7]. فهذا مولى قد فاق بعلمه الأشراف. ومثل هذا يروى عن حميد الطويل قال:

---

(1) الفردوس بمأثور الخطاب 4200 عن ابن عباس.

(2) هو أبو عبد الله مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أحد الولاة في صدر الإسلام. وكان يسمى من سخائه «آنية النحل». مات مقتولا من قبل جيوش عبد الملك بن مروان سنة 71 هـ.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 3/ 105، سير أعلام النبلاء 4/ 140 وما بعدها.

(3) جامع بيان العلم 1/ 259.

(4) في أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 48: «وقال عبد الملك بن مروان....» بدل «مصعب بن مروان».

(5) هو سالم بن أبي الجعد الأشجعي الكوفي مولى بني أشجع، الفقيه أحد الثقات. توفي سنة 100 هـ، وقيل قبلها.

تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 5/ 108 - 109، الإصابة 3734.

(6) في (ب)، (ج): أمير المؤمنين.

(7) عيون الأخبار لابن قتيبة 2/ 141.

«قدم رجل من أهل البادية البصرة، فاستقبله خالد بن مهران، فقال له: يا أبا عبد الله أخبرني عن سيد أهل هذا المصر من هو؟ فقال له: الحسن بن أبي الحسن. قال: أعرابي هو أو مولى؟ قال: مولى. قال لمن؟ قال: للأنصار. قال: فبم سادهم؟ قال: احتاجوا إليه في دينهم. فقال البدوي: كفى بهذا سؤددا»[1].

وعن عبد الله بن وهب قال: «دخل عبد الملك المسجد الحرام، فرأى حلق العلم والذكر فأعجب بها، فأشار إلى حلقة فقال لمن هذه؟ فقيل: لعطاء. ونظر إلى أخرى فقال: لمن هذه؟ فقيل: لميمون بن مهران. ونظر إلى أخرى فقال: لمن هذه؟ فقيل: لمكحول. ونظر إلى أخرى فقال: لمن هذه؟ فقيل: لمجاهد. وكلهم من أبناء الفرس الذين من اليمن. فرجع إلى منزله، وبعث إلى أحياء قريش، فجمعهم وقال: يا معشر قريش، كنا فيما قد علمتم فمنّ الله علينا بمحمد ﷺ وبهذا الدين، فحقرتموه حتى غلبكم أبناء الفرس. فلم يرد عليه أحد إلا علي بن الحسن فإنه قال: ملكوا من أول الدهر فلم يحتاجوا إلينا، وملكناهم فما استغنينا عنهم ساعة»[2].

«كان لمالك بن أنس ولد يدخل ويخرج ولا يجلس معه في مجالس العلم، فكان إذا نظر إليه يقول: هذا مما يطيب نفسي إن هذا العلم لا يورث وإن أحدا لا يخلف أباه في مجلسه إلا عبد الرحمن بن القاسم»[3].

وعن صالح المري[4] أنه دخل على أمير المؤمنين فأجلسه على وسادته فقال صالح: قال الحسن وصدق الحسن ـ وسكت صالح ـ فقال له الأمير: أي شيء قال الحسن؟

---

(1) ألف باء 1/ 23- 24.

(2) المصدر السابق 1/ 24.

(3) نفسه 1/ 28.

(4) هو أبو بشر صالح بن بشير المري البصري القاص أحد العباد، راوية للحديث. توفي سنة 172 هـ وقيل 176 هـ. تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 6/ 165، تاريخ بغداد 9/ 305.

فقال له[1]: قال الحسن: العلم يزيد الشريف شرفا ويبلغ العبد به منازل الأخيار، وإلا فمن صالح المري حتى يجلس على وسادة أمير المؤمنين/ . [25]

وقيل: من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة. وقيل: لا سمير كالعلم ولا ظهير كالحلم[2].

وقال الشافعي رضي الله عنه[3]: [الوافر]

تعلم يا فتى والعود رطب ... وذهنك ثاقب والفهم قابل

فإن الجهل واضع كل عال ... وإن العلم رافع كل سافل

وحسبك يا فتى شرفا ومجدا ... سكوت الحاضرين وأنت قائل

وقال غيره[4]: [البسيط]

العلم يبني بيوتا لا أصول لها ... والجهل يهدم بيت المجد والكرم

وقال غيره[5]: [البسيط]

العلم زين وتشريف لصاحبه ... أتت إلينا بذا الأنباء والكتب

---

(1) من قوله : قال الحسن، إلى قوله: فقال له، سقط من: (ب).

(2) أدب الدنيا والدين ص: 92.

(3) البيتان الأول والثالث كان ينشدهما أبو بكر الشاشي، أحد أئمة الشافعية في زمانه. توفي سنة 507 هـ. تنظر البداية والنهاية 8/ 315.

لم أقف على هذه الأبيات في ديوان الشافعي.

(4) أورده البلغيثي في الابتهاج 1/ 91 هكذا:

العلم يرفع بيتا لا عماد له *** والجهل يهدم بيت العزم والكرم

(5) نسبها ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 245 إلى أبي بكر قاسم بن مروان، القانون لليوسي ص:314- 315.

والعلم يرفع أقواما بلا حسب فكيف من كان ذا علم وله حسب[1]

فاطلب بعلمك وجه الله محتسبا فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

وقال غيره[2]: [الطويل]

يعد رفيع القوم من كان عالما وإن لم يكن في قومه بحسيب

وإن حلّ أرضا عاش فيها بعلمه وما عالم في بلدة بغريب

وقال غيره: [البسيط]

علم ابن آدم يعليه لعالمه والعلم أنجع ما يبقى وينتجع

عوّد فؤادك كسب العلم فهو سنى إن حلّ في النفس لم يبق بها طمع

عراه موثوقة ترقى بها صعدا وكل مستمسك بالعلم مرتفع

عزّ لطالبه حرز لكاسبه بالعلم في كلتا الدارين ينتفع

قال أبو القاسم بن عصفور[3]: [الطويل]

مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلم وعنه فكاشف كل من عنده فهم

[26] ففيه جلاء للنفوس من العمى وعون على الدين الذي أصله حتم/

فإني رأيت الجهل يزري بأهله وذو العلم في الأقوام يرفعه العلم

---

(1) في جامع بيان العلم 1/ 245: ذا علم له حسب.

(2) عيون الأخبار لابن قتيبة 2/ 136، جامع بيان العلم وفضله 1/ 246، العقد الفريد 2/ 223، والبيتان غير منسوبين في أحدها، ونسبها السّلفي في معجم السفر 253 لأبي العتاهية.

(3) كذا نسبها ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 219 إلى أبي القاسم أحمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور. ووجدت هذه الأبيات في ديوان الشافعي 341 باختلاف في بعض الألفاظ.

وهـل أبـصرت عيناك أقبـح منظـرا — من أشيب لا علم لديه ولا فهم
يروح ويغدو الدهر صاحب بطنه — تركب في أحضانه اللحم والشحم
إذا سئل المسكين عن أمر دينه — بدت رحضاء العي في وجهه تسم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم — فخلطتهم زين وصحبتهم غنم
فو الله لولا العلم ما اتضح الهدى — ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم

وقال غيره: [الرجز]

أجمل شيء للفتى من نسبهْ — إكثاره من علمه وأدبهْ
إن كنت محتاجا إليه صانكَ — أو غير محتاج إليه زانكَ

قال غيره: [البسيط]

العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك — والعلم للمرء مثل التاج للملك
اشدد يديك بحبل العلم معتصما — فالعلم للقلب مثل الماء للسمك

قال غيره [1]: [مجزوء الرجز]

العلم شيء حسن — فكن له ذا طلبِ
وابدأه بالنحو وخذْ — من بعده في الأدبِ
فإن أردت أن ترى — جاها وعزّ منصبِ
فاقرأ أصول مالك — واحفظ فروع المذهبِ
فإن قول مالك — سلسلة من ذهبِ
واعمل بما حفظته — تحظى بأعلى الرتبِ

---

(1) الأبيات وردت غير منسوبة في الروضة المقصودة 1/ 253، 260 والابتهاج بنور السراج 1/ 156. كما وردت الأربعة الأولى منها في كتاب «سوس العالمة» للمختار السوسي باختلاف في بعض الألفاظ، وقد نسبها إلى محمد ابن يحيى الأصاريفي. ص: 37.

وقال غيره[1]: [الطويل]

تـعلم فليس المـرء يولـد عالمـا ... وليس أخـو علـم كمن هـو جـاهلُ
لأن صغيـر القـوم إن كـان عالمـا ... كبيـر إذا ردّت إليـه المسائل
وإن كبيـر القـوم لا علـم عنـده ... صغيـر إذا التفّت إليـه المحافل

وقال غيره: [مجزوء الرمل]

العلـم أحـسن حلـي ... بـه اللبيـب تحلـى
فقـل لمـن في سـواه ... ربـى وعنـه تخلـى
شَـتَّانَ مَـا بَـيْنَ ليـل ... دجـى وصـبح تجلَّـى

وقال غيره[2]: [البسيط]

اَلْعِلْـمُ زَيْـنٌ وَكَنْـزٌ لاَ نَفَـاد لَـهُ ... نِعْمَ القَرِيـنُ إِذَا مَـا عَاقِـلٌ صَحِبَـا
قـد يجمـع المـرء مَـالاً ثـم يـسْلُبُهُ ... عمـا قليـل ويبقـى الـذلّ والحَرَبَـا
وَصَـاحِبُ الْعِلْـمِ مَغْبُـوطٌ بِـهِ أَبَـدًا ... فـلا يُحَـاذِرُ فـوتاً لاَ وَلاَ هَرَبـا
يَا جَامِعَ الْعِلْـمِ نِعْـمَ الذُّخْـرَ تَجْمَعُـهُ ... لاَ تَعْدِلَـنَّ بِـهِ دُرّا وَلاَ ذَهَبَـا

---

(1) تنظر الأبيات في: ديوان الشافعي 3، البيان التبيين 1/ 216، روضة العقلاء لابن حبان 34، جامع بيان العلم وفضله 1/ 617، المجموع للنووي 1/ 41.

(2) نسبه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه 1/ 186-187 إلى أبي الأسود الدؤلي. وأورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 250 منسوبا إلى بعض المحدثين.

وقال غيره[1]: [الخفيف]

هَــذِّبِ النَّفْــسَ بِالْعُلُــومِ لِتَرْقَــى ... وَتَــرَى الْكُــلَّ وَهْــوَ لِلْكُــلِّ بَيْــتُ

إِنَّمَــا النَّفْــسُ كَالزُّجَاجَــةِ وَالْعَقْـــ ... ـــلُ سِــرَاجٌ وَحِكْمَــةُ اللهِ زَيْــتُ

فَــإِذَا أَشْرَقَــتْ فَإِنَّــكَ حَــيٌّ ... وَإِذَا أَظْلَمَــتْ فَإِنَّــكَ مَيْــتُ/ [27]

وقال غيره[2]: [البسيط]

الْعِلْمُ أَنْفَسُ ذخر[3] أَنْتَ ذاخِرُهُ ... مَنْ بَدَلَ الْعِلْمَ لَمْ تدرسْ مَفَاخِرُه

أَقْبِلْ عَلَى الْعِلْمِ وَاسْتَقْبِلْ مَقَاصِدَه ... فَأَوَّلُ الْعِلْمِ إِقْبَالٌ وَآخِرُه

وقال غيره[4]: [الكامل]

اَلْعِلْمُ يَنْهضُ بِالْخَسِيسِ إِلَى الْعُلاَ ... وَالْجَهْلُ يُقْعِدُ بِالْفَتَى الْمَنْسُوبِ

---

(1) نسبه ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء 1/ 452 و ابن خلكان في وفيات الأعيان 2/ 161 إلى ابن سينا، وفي شذرات الذهب 6/ 242، والدرر الكامنة 3/ 69 نسب إلى جمال الدين عبد الله بن محمد الحسني.

(2) ينظر ديوان أبي الفتح البستي ص: 84، معجم السفر ص: 393، المستطرف للأبشيهي 1/ 34.

(3) معجم السفر ص: 393: شيء.

(4) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 85 غير منسوب، ونسب مع بيتين آخرين في تاريخ دمشق 17/ 254 إلى دعبل بن علي الخزاعي، وفي41/ 246 ذكره من إنشاد الصلت بن مسعود، ومن إنشاده ذكره صاحب المجالسة وجواهر العلم ص: 437. والبيت أخذه الشاعر من الحديث النبوي الشريف: «الحكمة تزيد الشريف شرفا، وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك» والحديث قد سبق تخريجه في ص: 262 الهامش (4).

وقال غيره[1]: [الطويل]

تَعَلَّمْ إِذَا مَا كُنْتَ لَسْتَ بِعَالِمٍ ... فَمَا الْعِلْمُ إلا عِنْدَ أَهْلِ التَّعَلُّمِ

تَعَلَّمْ فَإِنَّ الْعِلْمَ أَزْيَنُ لِلْفَتَى[2] ... مِنَ الْحُلَّةِ الْحَسْنَاءِ عند التكلم

وقال غيره[3]: [الطويل]

ذوو العلم[4] أعلى رتبة في المراتب ... ومن دونه عزّ العُلى في المواكب

هو الذروة الشماء[5] تحمي من التجا ... إليها ويمشي آمنا في النوائب

فمن رامه رام المآرب كلّها ... ومن حازه قد حاز كل المطالب

فإن فاتك الدنيا وطيب نعيمها ... فغمّض فأن العلم[6] خير المواهب

قال غيره: [السريع]

تعلم العلم فلولاه ما ... تبيّن الحق ولا الباطل

---

(1) وبعده: ولا خير فيمن راح ليس بعالم *** بصير بما يأتي ولا متعلم

الأبيات نسبها ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 146-147، وابن عساكر في تاريخ دمشق23/ 329 إلى صالح بن جناح اللخمي أحد الحكماء.

(2) في جامع بيان العلم: بالفتى، وفي تاريخ دمشق: بالغنى.

(3) تعليم المتعلم للزرنوجي ص:37، نشر طي التعريف ص: 182-183، قال: قال أبو الليث رحمه الله وأنشد الشيخ برهان الدين رحمه الله تعالى فذكر الأبيات ضمن أربعة أخرى.

(4) نشر طي التعريف: أرى.

(5) في(ب)، (ج): الشمساء.

(6) نشر طي التعريف: فلا تحزنن فالعلم.

مـا نـال شـيخ فاتَـهُ عِلْمُـهُ فَقِيـلَ فيـه أنـه جاهـلُ
الـعلم وصـف الـربّ سـبحانه فكيـف لا يرضـى[1] بـه العاقـلُ

وقال غيره: [البسيط]

العلـم نـورٌ مـبينٌ يُسْتَـضَاءُ بـهِ والجهـل ضـرّ لـه ويـل لمـن جهـلا
أَفْـنِ شـبابك في تقـوى الإلـه وفي درس العلوم تَنَلْ عـزّا مـع الفُـضَلاَ

وقال الآخر[2]: [مخلع البسيط]

وكـل سـاع بغـير علـم فَـرُشْدُهُ غيـر مـستبان
والعلـم حَـقٌّ لَـهُ ضيـاءٌ في العقـل والقلـبِ واللِّـسَان

وقال الآخر[3]: [مجزوء الرجز]

العلـم بـاب للـشرفْ ومـا مـن العلـم خلـفْ
وكـل مـن خالفنـي بابـه تِبْـنٌ وعَلَـفْ

ومما يدل على شرفه أن الرحلة في طلبه مطلوبة شرعا، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾[4]. وفي البخاري «عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تماريت أنا والحر بن قيس[5] في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو

(1) في (ب): لا يطلبه.

(2) في (ب)،(ج): غيره، والبيتان منسوبان في جامع بيان العلم وفضله 2/ 173، وإيقاظ الهمم ص:84 لابن معدان.

(3) ألف باء لأبي الحجاج يوسف البلوي 1/ 23.

(4) تتمة الآية: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة، من الآية 122.

(5) هو الحر بن قيس. كان سيدا في الأنصار، ورجلا صالحا من أهل القرآن. له منزلة رفيعة. توفي زمان خلافة عثمان ابن عفان.

تنظر ترجمته في: البداية والنهاية 5/ 313، تهذيب الأسماء 2/ 361، الإصابة 2/ 82، الاستيعاب1/ 403.

خضر، فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما موسى في ملأ من/ بني إسرائيل إذ [28] جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ فقال موسى: لا. فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إلى لقيه، فجعل الله الحوت آية. وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه. فكان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجبا، قال ذلك ما كنّا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا خضرا[1]. وكان من شأنهما ما قص الله في كتابه[2]. قال ابن حجر: «هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن ما يغتبط به تحتمل المشقة فيه، ولأن موسى لم يمنعه بلوغه من السيادة المحلّ الأعلى من طلب العلم وركوب البحر لأجله. وفي الحديث جواز التجادل في العلم إذا كان بغير تعنت، والرجوع إلى أهل العلم عند التنازع، والعمل بخبر الواحد الصدوق، وركوب البحر للاستكثار منه»[3].

وزاد الشيخ زكرياء[4] في حاشيته على البخاري وجوب التواضع، فإن الله تعالى عاتبه حين لم يرد العلم إليه، وأراه من هو أعلم منه، ولا بأس للعالم أن يخدمه المفضول.

---

(1) في (ج): فوجدا عبدا أي خضرا.

(2) صحيح البخاري في العلم رقم: 72.

(3) فتح الباري 1/ 168-169.

(4) هو أبو يحيى زكرياء بن محمد بن أحمد بن زكرياء الأنصاري المصري الشافعي، قاض مفسر ومن حفاظ الحديث. توفي سنة 926 هـ.

من مؤلفاته: «فتح الرحمن» في التفسير، تحفة الباري على صحيح البخاري، شرح ألفية العراقي، شرح شذرات الذهب في النحو، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: الكواكب السائرة في المائة العاشرة 1/ 196، شذرات الذهب 8/ 134، درة الحجال 3/ 340.

وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم». وهذا الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب والمدخل، وابن عبد البر في العلم، من رواية أبي عاتكة. وأبو عاتكة منكر الحديث. وقال البيهقي: هذا الحديث مشهور وأسانيده ضعيفة[1].

وفي البخاري أيضا رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس[2] في حديث واحد[3].

وقد روي أن رجلا اتبع حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما قدم عليه قال: إني جئتك للّذي أتاك الله من العلم، أخبرني عن السماوات وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها، وعن الحجر وما أقسى منه، وعن النار وما أحرّ منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذل منه؟ قال: البهتان على البريء أثقل من السماوات، والحق أوسع من الأرضين، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة من القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم[4].

---

(1) الكامل 1 / 177 وقال: هذا بهذا الإسناد باطل، شعب الإيمان 1663، ينظر كشف الخفا 1/ 154.

(2) هو عبد الله بن أنيس الأنصاري القضاعي الصحابي الجليل، شهد بدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ. توفي سنة 54 هـ وقيل 74 هـ. تنظر ترجمته في: الاستيعاب 1477، سير أعلام النبلاء3/ 192، الإصابة 4553.

(3) البخاري، كتاب العلم 1/ 41.

(4) ربيع الأبرار 1/ 109.

وروى أحمد عن قبيصة بن المخارق[1] قال: أتيت النبي ﷺ فقال: «يا قبيصة ما جاء بك؟ قلت: كبر سني، ورقّ عظمي، فأتيتك لتعلمني ما / ينفعني الله به. فقال: يا قبيصة، ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لك. يا قبيصة إذا صليت الصبح فقل ثلاثا: سبحان الله العظيم وبحمده، تعافى من العمى والجذام والفالج. يا قبيصة، قل: اللهم إني أسألك مما عندك، وأفض علي من فضلك، وانشر علي من رحمتك، وأنزل علي من بركاتك[2]». [29]

وروى الطبراني في الأوسط عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما انتعل عبد قط، ولا تخفف ولا لبس ثوبا في طلب العلم إلا غفر الله له ذنوبه حيث يخطو عتبة داره»[3] قوله تخفّف أي لبس الخف.

وروى الترمذي وحسنه عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع[4]».

وروى البزار من حديث أبي داود عن أبي هريرة قال: «من مات وهو يطلب العلم فهو شهيد»[5].

---

(1) هو أبو بشر قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد بن معاوية بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ابن صعصعة. صحابي جليل.

تنظر ترجمته في: طبقات بن سعد 1/ 309، الاستيعاب 2101.

(2) مسند الإمام أحمد 19692.

(3) المعجم الأوسط 5722، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 133: **فيه إسماعيل بن يحيى التيمي وهو كذاب.**

(4) الترمذي في العلم 2571.

(5) رواه البزار [كشف الأستار 138] بلفظ: «إذا جاء الموت طالب العلم وهو على الحال مات وهو شهيد».

وكذا رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه 1/ 101، والعقيلي في الضعفاء 4/ 310، كلهم من طريق هلال ابن عبد الرحمن الحنفي، وهو منكر الحديث كما قال العقيلي.

وروى الآجري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا»[1]. وبعضهم يقول: وليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة، وذكره أبو عمر في كتاب فضل العلم[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه[3] أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان بينك وبين العلم بحار من نار فخضها إليه فإن لكل شيء طريقا، وطريق الجنة العلم». وقال ابن المسيّب[4]: «إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد. وبذلك ساد أهل عصره وكان يسمى[5] سيّدالتابعين»[6]. وقال مالك: «أقمت خمس عشرة سنة أغدو من منزلي إلى منزل ابن هرمز[7]، وأقيم عنده إلى صلاة الظهر مع ملازمته لغيره، وكثرة عنايته. ولذلك فاق أهل عصره، وسمي إمام دار الهجرة»[8]. وأقام ابن القاسم منفردا عن وطنه في رحلته إلى/ مالك عشرين سنة ولم يرجع حتّى مات مالك. [30]

---

(1) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 124: رواه البزار، وفيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي وهو متروك.

(2) جامع بيان العلم 1/ 121.

(3) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، صحابي جليل. كان جريئا جهيرا. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. له في كتب الحديث 263 حديثا. توفي بمكة سنة 73 هـ وقيل 84هـ.
تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 4/ 142، تذكرة الحفاظ 1/ 37، سير أعلام النبلاء 3/ 203، الإصابة 4837.

(4) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو المخزومي القرشي المدني التابعي من كبار فقهاء المدينة. سمي براوية عمر لكثرة حفظه لأحكامه وأقضيته. اختلف في سنة وفاته فهي محصورة بين 91 هـ و105هـ.
تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 5/ 119، صفة الصفوة 2/ 79، تذكرة الحفاظ 1/ 54، سير أعلام النبلاء4/ 217.

(5) في (ب)، (ج): حتى سمي.

(6) جامع بيان العلم 1/ 396، البيان والتحصيل لأبي الوليد بن رشد 18/ 568.

(7) هو أبو داود عبد الرحمن بن هرمز القرشي المدني الأعرج تابعي جليل. كان ثقة كثير الحديث. توفي سنة 117 هـ وقيل 110 هـ.
تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد 5/ 283، تذكرة الحفاظ 89، سير أعلام النبلاء 5/ 69.

(8) فصول من اختصار المتيطية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ورقة 1.

وقال مالك بن دينار[1]: «أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم اطلب العلم حتّى يخلّق نعلاك وتنكسر عصاك»[2].

ومما كان يتمثل به سحنون[3]: [البسيط]

أخلق بذي اللّبّ أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال بعضهم[4]:

من طلب شيئا وجدّ وجد، ومن قرع الباب ولجّ ولج.

وقال الآخر[5]: [البسيط]

وقل من جدّ في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظّفر

---

(1) هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري من رواة الحديث جمع بين العلم والزهد. توفي بالبصرة سنة131هـ.
تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 2/ 357، وفيات الأعيان 4/ 139، صفة الصفوة 3/ 273، تهذيب التهذيب10/ 13.

(2) جامع بيان العلم 1/ 399.

(3) وبعده:

لا تيأسن وإن طالت مطالبة *** إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

عيون الأخبار لابن قتيبة 3/ 136، العقد الفريد 1/ 260. ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين 2/ 360 إلى محمد ابن يسير الرياشي، وهو من شعراء البصرة وأدبائها، توفي سنة 230 هـ.

في هذه المصادر الثلاثة المتقدمة «الصبر» بدل «اللب».

(4) في المحاضرات لليوسي 2/ 639: ليس شعرا بل كلاما منثورا.

(5) وقبله:

إني رأيت، وللأيام تجربة *** للصبر عاقبة محمود الأثر

ورد في عيون الأخبار 3/ 136 و العقد الفريد 1/ 359 غير منسوب.



الباب الثاني

في فضل العلماء وما يجب لهم من التعظيم وذم من لم يعظمهم وأضاعهم ولم يبال بهم

قال تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّنِيِّـۧنَ﴾[1]. قال ابن عباس: فقهاء متعلمين. وقال أيضا: حلماء، علماء، فقهاء[2] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[3].

وروى الترمذي وقال: حسن صحيح، عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه ذكر لرسول الله ﷺ رجلان، أحدهما عابد والآخر عالم، فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا»[4] ثم قال: «إن الله تعالى وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها يصلون على معلم الناس الخير[5]»[6].

وروى: «أنه ليستغفر لطالب العلم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر»[7]. ورواه البزار مختصرا عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر»[8]. قال أبو الحسن: وأي منصب أعلى من منصب من تشتغل ملائكة السماء بالاستغفار له وهو مشتغل بنفسه. وقوله: «يصلون أي يديمون الصلاة عليه، وكفى بهذا مزية، فإن صلاة واحدة من الله تعالى لا نهاية لها

---

(1) تتمة الآية: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران، من الآية: 78.

(2) في تفسير ابن كثير: حكماء، علماء، حلماء. قال الحسن وغير واحد: الفقهاء 1/ 378.

وقال الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه) 1/ 184- 185: «العالم الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل. ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد. وقد دخل في الوصف له بأنه رباني، وصفُه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفُه بما خالفها. ومعنى الرباني في اللغة: الرفيع الدرجة في العلم العالي المنزلة فيه».

(3) تتمة الآية: ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. فصلت، الآية: 32.

(4) رجلا: لا توجد في رواية الترمذي.

(5) في رواية الترمذي: حتى النملة في جحرها وحتى الحوت يصلون...

(6) رواه الترمذي في كتاب العلم 2609.

(7) رواه ابن ماجه في المقدمة رقم 3157 عن أبي الدرداء بلفظ: حتى الحيتان في الماء.

(8) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 124: رواه البزار وفيه محمد بن عبد الملك وهو كذاب.

ولا تعقل غايتها ففيها من الخيرات دنيا وأخرى»[1] أما إلهام الحيوانات للاستغفار فقال السمهودي[2]: «قيل لأنها خلقت لمصالح العباد ومنافعهم والعلماء هم الذين يبينون ما يحل منها وما يحرم، ويوصون بالإحسان إليها، ونفي الضرر عنها، حتى أن ما يحل قتله منها يبينون الأمر فيه بإحسان القتلة، والنهي عن المثلة، فكان اشتغالهم بذلك هو اللائق بشكر هذه النعمة. قال: وينشأ عن فهم هذا أن بني آدم أولى بذلك في حقّ علمائهم؛ لأنهم أحوج إلى العلم، ويعود عليهم من فوائده ما لا يعود على غيرهم من الحيوانات، فأقل رتبتهم أن يتشبهوا بالحيوانات العجماوات في هديهم، وإلا فليسوا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا»[3]، وهو كلام نفيس. وروى الترمذي/ عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[4] أن [31] رسول اللهﷺ قال: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يطلب»[5]. وفي رواية: «بما يصنع»[6].

---

(1) تحفة الفضلاء ص: 22.

(2) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسني نور الدين السمهودي الشافعي أصله من سمهود في الصعيد. مؤرخ المدينة المنورة. توفي سنة 911 هـ.
من تصانيفه: وفاء الوفا بأخبار المصطفى، جواهر العقدين في فضل الشرفين، الأنوار السنية في أجوبة الأسئلة اليمنية، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: البدر الطالع 1/ 470، الضوء اللامع 5/ 245، شذرات الذهب 8/ 50.

(3) جواهر العقدين في فضل الشرفين: شرف العلم الجلي، والنسب النبوي ص: 35.

(4) هو أبو الدرداء عويمر وقيل عامر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، أسلم يوم بدر، وشهد المشاهد كلها. توفي سنة نيف وثلاثين. له في كتب الحديث 179 حديثا.
تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 7/ 391، حلية الأولياء 1/ 208، تذكرة الحفاظ 1/ 24.

(5) رواه الترمذي في الدعوات 3458 بهذا اللفظ عن زر بن حبيش. وقال الترمذي: حسن صحيح، أما رواية أبي الدرداء فرواها في كتاب العلم 2608 لكن بلفظ: رضا لطالب العلم».

(6) رواها ابن ماجه في المقدمة 222.

قال: الخطابي[1]: «يُتَأَوّل هذا الحديث على وجوه أحدها: أن يكون وضعها الأجنحة بمعنى التواضع والخشوع تعظيما لحقه وتوقيرا لعلمه. وقيل: معناه بسط الجناح وفرشها له لتحمله عليها فتبلغه حيث يقصد من البقاع في طلبه. وقيل: معناه المعونة وتيسير السّعي له في طلب العلم»[2].

وقال ابن أبي زيد[3] في مختصره: «قال لي بعض شيوخي: يعني تبسط أجنحتها بالدعاء للطالب بدلا عن الأيدي»، نقله ابن هارون[4]. وقيل: تكفّها عن الطيران للاستماع[5] كما جاء في الحديث عنه ﷺ: «ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتعلمون القرآن ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده»[6]. أخرجه أبو داود عن أبي هريرة.

---

(1) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي فقيه محدث من أهل بست بكابل. توفي سنة388 هـ. له كتبٌ منها: معالم السنن في شرح سنن أبي داود، بيان إعجاز القرآن، إصلاح غلط المحدثين، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 950، وفيات الأعيان 1/ 66، طبقات الحفاظ 915.

(2) ينظر عون المعبود 10/ 53.

(3) هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، الإمام القدوة الفقيه، عالم أهل المغرب. ويقال له مالك الصغير، توفي بالقيروان سنة 386 هـ.

من تصانيفه: النوادر والزيادات، الرسالة، الإقتداء بمذهب مالك، وغير ذلك

تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك 6/ 215، الديباج المذهب 1/ 376، سير أعلام النبلاء17/ 10، الوفيات لابن قنفذ 1/ 221.

(4) اختصار النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام ق/ 1، باب في فضل العلم.

(5) «وقيل: تكف عن الطيران توقيرا له. وقيل: تكف عن الطيران لتبسط أجنحتها له بالدعاء». تنظر الذخيرة للقرافي1/ 25.

(6) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند 8906. أما أبو داود فرواه في كتاب الصلاة 1243 بلفظ:«ما اجتمع قوم...» الحديث.

وروى الترمذي أيضا وأبو داود والنسائي[1] وابن حبان[2] عن أبي الدرداء، وأبو يعلى[3] عن عبد الرحمن بن عوف[4]، وأبو نعيم عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[5]. قال القرافي في ذخيرته: «التشبيه بالبدر فيه فوائد، أحدها: أن العالم إنما يكمل باتباعه للنبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ هو الشمس. فلما كان القمر يستفيد ضوءه من الشمس، وكلما كثرت مواجهته تقوّى ضوؤه، وازداد حتى يصير بدرا، فكذلك العالم كلّما كثرت مواجهته ومتابعته للنبيّ ﷺ في أقواله وأفعاله توفّى كماله، وتقوّى ضوؤه، وعظمت حرمته، وكثرت منفعته.

---

(1) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي المحدث، القاضي الحافظ شيخ الإسلام. أصله من (نسا) وهي مدينة من خرسان. توفي سنة 303 هـ.
من تآليفه: السنن الكبرى، السنن السنن الكبرى، الضعفاء والمتروكون، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 2/ 698، طبقات الشافعية 33.

(2) هو أبو حاتم البستي محمد بن حبان بن معاذ بن معبد التيمي، محدث قاض مؤرخ، صاحب التصانيف الكثيرة. توفي سنة 354 هـ. من تصانيفه: المسند الصحيح، روضة العقلاء، غرائب الأخبار، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 3/ 920، طبقات السبكي3/ 131.

(3) هو أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التيمي الموصلي، حافظ من علماء الحديث ثقة مشهور. توفي بالموصل سنة307هـ. من كتبه: (المعجم) في الحديث، مسندان كبير وصغير.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 2/ 707، طبقات المحدثين 1212، طبقات الحفاظ **701**.

(4) هو أبو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث الزهري القرشي، صحابي جليل، وهو أحد المبشرين بالجنة، وأحد أهل الشورى الستة. توفي بالمدينة سنة 75 هـ له في كتب الحديث 65 حديثا.
تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 3/ 124، حلية الأولياء 1/ 98، صفة الصفوة 1/ 349.

(5) رواه الترمذي في العلم 2606، أبو داود في العلم 3157، ابن ماجه 219، ابن حبان في صحيحه 88، أبو نعيم في الحلية 9/ 45.

[32] وثانيها/ : أن العالم متى أعرض عن النبي ﷺ بكليته، كسف باله، وفسد قلبه؛ كما أن القمر إذا حيل بينه وبين الشمس كسف، وهذا مشاهد مرئي. فإذن، بمحافظة العالم على الشريعة يعظم قدره، ويكبر شأنه.

وثالثها: أن الكواكب مع البدر كالمطموس الذي لا أثر له. وضوء البدر عظيم المنفعة، منتشر الأضواء، مُنبعث الأشعة في الأقطار برّا وبحرا. وهذا هو شأن العالم. وأما العابد كالكوكب[1] لا يتعدّى نور محلّه»[2].

وروى الترمذي وابن عبد البر عن أبي سعيد الخدري[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي»[4]. وفي رواية لأنس: «كفضلي على أدناكم رجلا»[5].

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما

---

(1) في (ب): كالكواكب.

(2) الذخيرة 1/ 25 ـ 26.

(3) هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل. كان من ملازمي النبي ﷺ. توفي بالمدينة سنة 74 هـ. له في كتب الحديث 170 حديثا.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 1/ 369، تذكرة الحفاظ 1/ 44، صفة الصفوة 1/ 714.

(4) رواه الترمذي في كتاب العلم 2609 عن أبي أمامة الباهلي:«...كفضلي على أدناكم»، ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 101.

(5) رواه الدارمي في المقدمة 340 عن الحسن البصري مرسلا.

ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1]. قال الشيخ عبد العظيم المنذري: اختلف في هذا الحديث اختلافا كثيرا[2].

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة أنه دخل السوق فقال: «أنتم ها هنا وميراث محمد يقسم في المسجد! فذهب الناس سراعا إلى المسجد وتركوا السوق. ووقف أبو هريرة ينتظرهم. فرجعوا، فقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا! فقال: ما رأيتم؟ فقالوا: رأينا قوما يذكرون الله، ويتدارسون القرآن. فقال: ذلك هو ميراث محمد»[3]. وذلك لأن العلماء يتنزلون منزلة الأنبياء في هداية الخلق إلى الله تعالى، والتفكير في مصنوعاته، وفي تحقيق الحق وإبطال الباطل، وبيان الأحكام الشرعية. ألا ترى أن الرجل يأتي إلى العالم[4] فيقول له: يا فلان[5]، حلفت على امرأتي[6] بكذا مثلا فأفتني بما أنزل الله. وهكذا كان مقام الأنبياء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[7]. ومن هنا قال العلماء: أهم الأشياء لآل البيت طلب العلم، وتحصيله بنية صالحة، إذ هو الذي ورّثه جدهم ﷺ، ولم يورث دينارا ولا درهما. فحقهم أن يتنافسوا فيه كل المنافسة، ويعتنوا به غاية الاعتناء، إذ أولى الناس بالإرث الأقارب، وقبيح بهم أن يحرموا أنفسهم من ذلك الإرث، ويزهدوا فيه، ويعرضوا

---

(1) رواه أبو داود في العلم 3157، الترمذي في العلم 2606، ابن ماجه في المقدمة 219، ابن حبان 88، البيهقي في شعب الإيمان 1697.

(2) الترغيب والترهيب 1/ 52.

(3) المعجم الأوسط 2/ 115 بتصرف.

(4) في (ب): للعالم.

(5) في (ج، د): يا سيدي فلان فإني.

(6) في (ب): لامرأتي.

(7) تتمة الآية: وقال: ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ النمل، الآية 16.

عنه[1] مع غاية رفعته وشرفه، وقبيح بهم أن يحرموا أنفسهم من ذلك الإرث ويزهدوا فيه، وأحقيتهم به، ولا يمنعهم من ذلك احتياجهم إلى التأدب مع المعلمين، والتواضع لهم، والجلوس بين أيديهم، لأن التواضع خلق شريف، به تخلّق سيدنا محمد ﷺ ومدحه، وأثنى عليه لاسيما مع أهل العلم. فإن التواضع لهم تواضع في الحقيقة لرسول الله ﷺ، إذ هم خلفاؤه ونوابه.

وروى أبو نعيم في الحلية «أن علي بن الحسن[2] كان يذهب لزيد بن أسلم فيجلس إليه للأخذ عنه، فقيل له: أنت سيّد الناس وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد فتجلس إليه. قال: العلم يتبع حيث كان وممن كان»[3] .

وتذكّر قول البوصيري[4]: [الخفيف]

لم نخف بعدك الضلال وفينا ... وارثو نور هديك العلماء[5]

---

(1) في (د): عنهم.

(2) هو أبو الحسن علي بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي الملقب بزين العابدين، تابعي من آل البيت. له مناقب وفضائل كثيرة. توفي سنة 92 هـ وقيل 94 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 5/ 156، حلية الأولياء 3/ 133، وفيات الأعيان 1/ 320.

(3) حلية الأولياء 3/ 138.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي البوصيري شرف الدين.

توفي سنة 696 هـ. من أشهر شعره (البردة) شرحها وعارضها كثيرون.

تنظر ترجمته في: وفيات ابن قنفذ 1/ 236، شذرات الذهب 2/ 205.

(5) ديوان البوصيري ص: 32.

وقال ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[1]. وروى الأصبهاني[2] وغيره أن النبي ﷺ قال: «فضل العالم/ على العابد سبعون درجة، ما بين كل درجة حَضر[3] الفرس سبعون عاما. وذلك أن الشيطان يُبدّع البدعة للناس فيبصرها العالم فينهى عنها[4]، والعابد مقبل على عبادة ربّه لا يتوجّه لها ولا يعرفها»[5]. وعجز الحديث يشبه المُدرج[6]. حضر الفرس عدوه. [33]

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم[7]، وقال صحيح الإسناد، وأحمد واللفظ له بإسناد جيد عن صفوان بن عسال المرادي[8] قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد [متكئ][9] على بُرد له أحمر، فقلت: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال: «مرحبا

---

(1) قال الدميري والعسقلاني: لا أصل له. وكذا قال الزركشي، وسكت عنه السيوطي.
ينظر: الأسرار المرفوعة للقاري ص: 247.

(2) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن المفضل بن علي بن أحمد الطلحي الأصبهاني. كان إماما في الحديث والفقه والتفسير واللغة. توفي سنة535 هـ. تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 20/ 80، البداية والنهاية 8/ 358، طبقات الحفاظ 1040.

(3) في (د): جري.

(4) في (ج)، (د): عليها.

(5) وقوله: «عجز الحديث يشبه المدرج» يعني أنه من كلام بعض الرواة أدرج في الحديث وليس لفظا نبويا.

(6) كذا ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب عن عبد الله بن عمر 1/ 57.

(7) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الشهير بالحاكم، أحد أئمة الحديث في عصره، ومن كبار المؤلفين فيه. توفي سنة 405 هـ. من تصانيفه: تاريخ نيسابور، المستدرك على الصحيحين، معرفة علوم الحديث، وغير ذلك. تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 5/ 473، تذكرة الحفاظ3/ 1039، طبقات الشافعية الكبرى 4/ 155.

(8) هو صفوان بن عسال المرادي الجُملي. روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه. توفي في حدود الأربعين للهجرة. تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 6/ 27، الإصابة 4084.

(9) في الأصل وكذا في ب، ج، د: متكئا. والصواب ما أثبتناه.

بطالب العلم. إن طالب العلم لتحفّه الملائكة بأجنحتها،ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السّماء[1] الدنيا من محبّتهم لما يطلب»[2].

وروي أن النبيﷺ دخل المسجد فوجد مجلسين، أحدهما يذكرون الله تعالى، والآخر يتفقّهون في الدين، فقال عليه السلام: «كلا المجلسين على خير، ولكن أحدهما أحبّ إليّ من الآخر. أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألونه، إن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما المجلس الآخر فيتعلمون العلم يعلمون به الجاهل ويذكرون الغافل وإنما بعثت معلما»[3]، فجلس إلى أصحاب الفقه. فأعظم بمن يكون خليفة رسول الله ﷺ في صناعته.

وروى الأصبهاني وغيره عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول اللهﷺ: يقال يوم القيامة للعبد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: قف فاشفع لمن شئت»[4].

وأخرج الخطيب[5] في تاريخه وابن ماجه بإسناد ضعيف عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يشفع يوم القيامة الأنبياء/ ثم العلماء، ثم الشهداء»[6] «فيا لها من مرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله[7] ﷺ» [34]

---

(1) في (ب)، (ج)، (د): سماء.

(2) ابن حبان 85، أحمد 17398 بلفظ مختلف، الحاكم 1/ 100. وأما لفظ المصنف فرواه الضياء في الأحاديث المختارة 35 والطبراني في المعجم الكبير 7347.

(3) رواه ابن ماجه في المقدمة 225، الدارمي في المقدمة 352 عن عبد الله بن عمرو.

(4) ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ص:133 بلفظ: يجاء بالعالم والعابد، فيقال للعابد ادخل الجن، ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس».

(5) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي المعروف بالخطيب. من كبار الحفاظ وأجلاء العلماء، وأحد المؤرخين البارزين. شغل ببغداد منصب الخطيب، ومن ثم لقب بالخطيب البغدادي.توفي سنة 463 هـ له تصانيف كثيرة نذكر منها: تاريخ بغداد، الفقيه والمتفقه، اقتضاء العلم والعمل، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تاريخ دمشق 1/ 398، وفيات الأعيان 1/ 92، تذكرة الحفاظ 3/ 1135.

(6) تاريخ بغداد 11/ 177، ابن ماجه في الزهد 4304.

(7) تحفة الفضلاء ص: 30.

وروى البيهقي وغيره عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث العالم والعابد فيقال: للعابد ادخل الجنة، ويقال: للعالم اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم»[1].

وأخرج أبو الشيخ[2] في الثواب والديلمي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتمع العالم و العابد على الصراط، قيل للعابد: ادخل الجنة وتنعم بعبادتك. وقيل للعالم: قف هنا فاشفع لمن أحببت، فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت فيه»[3].

وأخرج [المُرْهبي][4] في العلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة. فيقول العلماء: يا ربنا بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا. فيقول الله عز وجل: أنتم عندي كبعض ملائكتي، اشفعوا، فيشفعون، ثم يدخلون الجنة»[5].

وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر مرفوعا: يقال للعالم: «اشفع في تلامذتك ولو بلغت عدد نجوم السماء»[6].

---

(1) رواه ابن عدي في الكامل 2/ 413 باختلاف في بعض الألفاظ، وذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ص: 134.

(2) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني من حفاظ الحديث، يقال له أبو الشيخ. توفي سنة369هـ. من تآليفه: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، أخلاق النبيﷺ وآدابه – الأمثال، وغير ذلك. تنظر ترجمته في ميزان الاعتدال 8/ 138.

(3) الفردوس بمأثور الخطاب 1293.

(4) في الأصل: الموهبي، و في (ب): الذهبي، وفي (د): البيهقي. و الصواب ما أثبت.
وهو أبو العباس أحمد بن علي بن الحارث المُرهبي نسبة إلى بني مرهبة ـ بطن من همدان ـ نزلوا الكوفة.
ينظر: الأنساب 1/ 150، والمعجم المفهرس لابن حجر ص: 58، فقد نسبا له معا كتاب العلم.

(5) قال العراقي في تخريج هذا الحديث: أبو العباس المرهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف. الإحياء1/ 17.

(6) أورده الديلمي في الفردوس 8773 من حديث جابر بلفظ: «يبعث الله العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة. ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس كما أحسنت».

وذكر أبو الطيب في البحر الزاخر[1]: حُكِيَ أن إسماعيل بن أبي رجاء قال: رأيت محمد بن الحسن الشيباني[2] في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ثم قال: لو أردت أن أعذبك ما جعلت هذا العلم في جوفك.

وروى الطبراني في الكبير عن أبي موسى رضي الله عنه[3] أن رسول الله ﷺ قال: يبعث الله تعالى العباد يوم القيامة فيقول: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي وحلمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم»[4]. وقال ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل به شفعه الله سبعين من أهل بيته»[5].

وروى الطبراني عن ثعلبة بن الحكم[6] أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يجمع العلماء في صعيد واحد ثم يقول لهم إني لم أوتكم علمي وحلمي إلا لخير أردته بكم،

---

(1) البحر الزاخر في شرح مختصر القُدُوري في فقه الحنفية للشيخ أحمد بن محمد بن إقبال. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 2/ 1631.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان، إمام بالفقه والأصول. أخذ العلم عن خيرة علماء عصره. ولي القضاء في عهد الرشيد ثم عزله. توفي سنة 187 هـ وقيل 189 هـ.
من تصانيفه: المبسوط، الجامع الكبير، الجامع الصغير، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 2/ 172 وما بعدها، طبقات الفقهاء 142، وفيات الأعيان 4/ 184.

(3) هو أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب من بني الأشعر من قحطان، صحابي، أحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. توفي بالكوفة سنة 44هـ.
تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 4/ 105، حلية الأولياء 1/ 256، تذكرة الحفاظ 10.

(4) لم أقف عليه في المعجم الكبير بل وقفت عليه في المعجم الأوسط 4264 وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 126 وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف جدا.

(5) لم أقف عليه.

(6) هو ثعلبة بن الحكم الليثي. صحابي جليل، أسلم وشهد مع النبي ﷺ في حنين.
تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 6/ 33، الإصابة 932.

أشهدكم أني قد غفرت لكم على ما كان منكم»[1]. قال الحافظ المنذري: «وانظر إلى قوله تعالى: ﴿علمي وحلمي﴾ وأمعن النظر فيه، يتضح لك بإضافته إليه عز وجل أنه ليس المراد علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والإخلاص فيه»[2]. وقال ﷺ: «من أوتي ربع القرآن فقد أوتي ربع النبوءة، ومن أوتي نصف القرآن فقد أوتي نصف النبوءة، ومن أوتي القرآن كله فقد أوتي النبوءة كلها إلا أنه لا يوحى إليه»[3].

وروى أبو يعلى والبيهقي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بأجود الأجواد؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الله أجود الأجواد، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل»[4].

[35] وروى/ أبو منصور الديلمي في مسنده الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا»[5].

وروى الطبراني عن أمامة أن النبي ﷺ قال: «أيما ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقا»[6].

وأخرج أبو نعيم أن النبي ﷺ قال: «إن الفتنة تجيء فتنسف العباد نسفا وينجو العالم منها بعلمه»[7]. قوله: «تنسف» أي تهلك.

---

(1) المعجم الصغير 591 وأورده ابن كثير في (البداية والنهاية) 10/ 313 باب كلام الرب تعالى مع الأنبياء وغيرهم.

(2) الترغيب والترهيب 1/ 57.

(3) رواه الآجري في آداب حملة القرآن، وهو حديث موضوع. ينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني 476.

(4) ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 166 وقال: رواه أبو يعلى وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك الحديث.

(5) حديث موضوع. ينظر (تنزيه الشريعة...) لابن عراق 1/ 275 والفوائد المجموعة للشوكاني 885.

(6) المعجم الكبير 7590. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 124: وفيه يوسف بن عطية وهو متروك الحديث.

(7) حلية الأولياء 8/ 41 عن أبي هريرة، وقال أبو نعيم: غريب من حديث أبي إسحاق الهمداني. وإبراهيم ابن أدهم لم نكتبه إلا من حديث عطية عن أبيه بقية.

وروى الترمذي وحسَّنه وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه عالما متعلما»[1]. وقال ﷺ: «من صافح عالما صادقا فإنما صافح نبيا مرسلا»[2]. وورد أيضا: «من عظم عالما فإنما عظم الله ورسوله، ومن تهاون بعالم فإنما ذلك استخفاف بالله وبرسوله»[3]. وفي الحديث: «العالم في قومه كالنبي في أمته»[4]. وذكر صاحب البستان[5] أن النبي ﷺ قال: «إن لله مدينة تحت العرش من مسك أذفر على بابها ملك ينادى: ألا من زار عالما فقد زار الأنبياء، ألا من زار الأنبياء فقد زارني، ألا من زارني فله الجنة»[6].

---

(1) الترمذي في الزهد 2244، وابن ماجه في الزهد 4102، والبيهقي في شعب الإيمان من طريقين: عن جابر ابن عبد الله 10512 بلفظ: « إلا ما كان من الله عز وجل». وعن أبي الدرداء 10513 بلفظ: «إلا من ذكر الله وما أدى إليه».

(2) المدخل لابن الحاج 1/ 160، قال: ذكره ابن يونس في كتابه.

(3) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد روي بألفاظ متقاربة له بأسانيد منكرة.

ينظر «تنزيه الشريعة» لابن عراق 1/ 275، 276 و«كشف الخفا» للعجلوني 2/ 287 وذكره ابن جماعة في «تذكرة السامع والمتكلم» ص: 69.

(4) ورد في كتب الموضوعات بلفظ: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» قال السيوطي في: «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» ص: 123: لا أصل له.

(5) لم أقف عليه في «بستان الواعظين ورياض السامعين» لابن الجوزي، ولم أقف عليه في «بستان العارفين» للسمرقندي، كما لم أقف عليه في النسخة المطبوعة من «بستان العارفين» للنووي، عناية بسام الجابي. ط 1/ 1415، 1994، دار ابن حزم.

(6) الحديث موضوع مكذوب. ينظر كشف الخفا العجلوني 1/ 295 وتنزيه الشريعة للكناني 1/ 272.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «النظر في وجوه الوالدين عبادة، والنظر في المصحف عبادة، وكذلك في الكعبة وفي وجه العالم»[1]. قال أبو الليث السمرقندي: فلو لم يكن في حضور مجلس العلم منفعة سوى النظر في وجه العالم لوجب أن يحرص عليه ويرغب.

وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «اللهم ارحم خلفائي. قلنا يا رسول الله: ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون بعدي يروون أحاديثي ويعلمونها الناس»[2].

وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث عن علي: «ألا أدلكم على[3] الخلفاء مني ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي، هم حملة القرآن والحديث عني وعنهم في الله وإليه[4]»[5].

[36] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «إن الرجل/ ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع من ذنوبه، فينصرف إلى منزله وليس عليه ذنب. فلا تفارقوا مجالس العلماء، فإن الله تعالى لم يخلق على وجه الأرض أكرم من مجالس العلماء»[6].

---

(1) ذكر الديلمي في الفردوس 6863 عن عائشة: «النظر إلى الكعبة عبادة والنظر إلى وجه الوالدين عبادة، والنظر في كتاب الله عبادة». «وأما النظر في العالم» فذكره عن أسامة بن زيد 2645 وأبي هريرة 2969 وأنس بن مالك 6867.

(2) المعجم الأوسط 5846 بلفظ: اللهم ارحم خلفاءنا. قلنا: يا رسول الله ومن خلفاؤكم؟ قال الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس». ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 126 وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن عيسى الهاشمي، قال الدارقطني: كذاب.

(3) في كتاب الخطيب: على آية الخلفاء.

(4) وفيه أيضا: ولله.

(5) شرف أصحاب الحديث رقم: 59.

(6) ينظر مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم 1/ 77.

وفي الطبراني الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا يا رسول الله: وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلماء»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم فإن رحمتي لا تفارقهم طرفة عين»[2]. وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي رضي الله عنه[3]: «من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فهم خلفاء الرسل في أممهم ووارثوهم في علمهم، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة»[4].

وقال ﷺ: «من خدم عالما سبعة أيام فقد خدم الله سبعة آلاف سنة، وأعطاه الله بكل يوم أجر ألف شهيد». وقال ﷺ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فلا يفضل أحدهما الآخر»[5]. وفي رواية: «فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»[6].

---

(1) الطبراني في الكبير 11158، وذكره الهيثمي في الزوائد 1/ 126، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه رجل لم يسم. قال ابن الحاج: «علماؤنا مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام؛ كيف يتوضأ وما يجب فيه وما يسن وسيستحب ويكره ويمنع، وكيف يصلي وينكح ويشتري ويبيع، وما يجب في الجميع أو يمنع أو يجوز...». تحفة الفضلاء ص: 26.

(2) في كشف الخفا للعجلوني في 1/ 394: جالسوا العلماء وزاحموا بوابيكم. رواه الديلمي من طريق الطبراني عن أبي أمامة.

(3) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري الإمام المشهور. جمع بين العلم والزهد، صحب ذا النون المصري بمكة وأخذ عنه. توفي سنة 283 هـ. من كتبه: كتاب في (تفسير القرآن) مختصر، رقائق المحبين. وغير ذلك. تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 1/ 189، طبقات الصوفية 206، وفيات الأعيان 2/ 429.

(4) الفقيه والمتفقه للخطيب 1/ 149.

(5) ذكره الديلمي في الفردوس 488 عن أبي هريرة بلفظ: «يحاسب الناس بأعمالهم والعلماء على حسب علمهم فيوزن عمل أحدهم مع علمه. وإن مداد العلماء في الميزان أثقل من دم الشهداء وأكثر ثوابا يوم القيامة». قال ابن الحاج: «وهذا بيّن لأن دم الشهداء إنما هو في ساعة من نهار أو ساعات ثم انفصل الأمر فيه لإحدى الحسنيين، ومداد العلماء هو وظيفة العمر ليلا ونهارا...». ينظر المدخل 1/ 68.

(6) رواه الخطيب في التاريخ بغداد 2/ 193 عن ابن عمر بلفظ: «وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم». وذكره علي القاري في الأسرار المرفوعة ص: 303. وقال: وفي سنده محمد بن جعفر اتهم بالوضع.

ومعلوم «أن أعلى ما في الشهيد دمه، وأقل ما للعالم مداده»[1].

ومن مسالك الحنفاء[2] للقسطلاني ما نصه: «في الحديث[3] عنه ﷺ: يُحشر الله تعالى أصحاب الحديث يوم القيامة وحبرهم خلوف يفوح فيقفون بين يدي الله تعالى، فيقول لهم: طالما كنتم تصلون على نبيي محمد ﷺ انطلقوا بهم إلى الجنة».

وفي الإحياء أن النبي ﷺ قال: «من أكرم عالما فقد أكرم سبعين نبيا، ومن أكرم متعلما فقد أكرم سبعين شهيدا»[4]. وروى ابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال: «أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمني»[5]. وأخرج الخطيب وابن عساكر عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء، فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله»[6] وقال ﷺ: «إن الله ليرفع البلاء عن أهل الأرض بسبب العلماء».

---

(1) «فإذا رجح الأدنى على الأعلى فما الظن بالأعلى مع الأدنى؟!». تنظر الذخيرة 1/ 26. وكذا تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص: 55 بتصرف.

(2) "مسالك الحنفاء إلى مشارع الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام المصطفى" للشيخ الإمام شهاب الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر القسطلاني المتوفى سنة 923 هـ وهو مجلد أوله: الحمد لله فاتح مسالك الصلاة... الخ. رتبه على أحد عشر مسلكا وفرغ منه في رجب سنة سبع عشر وتسعمائة. كشف الظنون لحاجي خليفة2/ 1662.

(3) في الفردوس بمأثور الخطاب 983 عن أنس بن مالك بلفظ: إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله عز وجل جبريل أن يأتيهم فيسألهم من هم؟ فيقولون: نحن أصحاب الحديث. فيقول الله تعالى: ادخلوا الجنة طالما كنتم تصلون على النبي.

(4) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي 3/ 576.

(5) رواه الوائلي في الإنابة والديلمي عن عبد الله بن عمر، وقال السخاوي: وفيه من لا يعرف، و أحسبه غير صحيح. ينظر (المقاصد الحسنة) 152 و (كشف الخفا) 1/ 193.

(6) تاريخ بغداد 4/ 437 و تاريخ دمشق37/ 103.

وابن عساكر رواه عن ابن عباس بلفظ: « أكرموا العلماء فإنهم يعني ورثة الأنبياء».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «على باب الجنة شجرة فيها عين يشرب منها العلماء/ والمتعلمون مثل اللبن والحليب والناس عطاش». وأخرج ابن عساكر عن حذيفة ابن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اتبعوا العلماء فإنهم سرج[1] الدنيا ومصابيح الآخرة[2]. وأخرج الإمام أحمد عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها[3] في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»[4]. [37]

وقال أبو مسلم الخولاني[5]: «مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا وإذا خفيت عليهم تحيروا»[6]. وقال بعضهم: «العالم كالعين العذبة نفعها دائم. وقيل: العالم كالسراج من مر به اقتبس منه»[7].

---

(1) في (د): سروج.

(2) لم أقف عليه في تاريخ دمشق. مسند الفردوس 1/ 71، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير للديلمي في مسنده. قال المناوي في فيض القدير 1/ 106: وفيه القاسم بن إبراهيم الملطي. قال: الذهبي: قال الدارقطني: كذاب، وأقره ابن حجر، وجزم المؤلف في زيادات الموضوعات بوضعه فإيراده له هنا إخلال بشرطه.

(3) في (ب)، (ج): بهم.

(4) مسند أحمد بن حنبل رقم 12621. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 121 وقال: رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد واختلف في الاحتجاج به وأبو حفص صاحب أنس مجهول.

(5) هو أبو مسلم عبد الله بن ثوب الخولاني، فقيه زاهد تابعي جليل. أصله من اليمن. أسلم قبل وفاة النبي ﷺ. توفي سنة 60 هـ وقيل 62 هـ.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 2/ 122، 131، تذكرة الحفاظ 1/ 49، صفة الصفوة 4/ 208.

(6) المجموع شرح المهذب 1/ 36.

(7) المصدر السابق 1/ 36.

وقال النووي[1] في كتاب التبيان: «قال الإمامان الجليلان أبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما: إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله من ولي»[2].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»[3]. ونقل الحافظ السيوطي[4] في كتاب الأبدال أنه قيل للإمام أحمد: «هل لله تعالى في الأرض أبدال؟ قال: نعم. قيل: من هم؟ قال: إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله بدلا»[5].

قال السمهودي: «وبيانه أن سنة الله تعالى في عباده جارية، بأن العلماء إنما ينالون العلم بالدؤوب والعكوف عليه وصرف الأوقات فيه، إذ لا ينال العلم براحة الجسم، ثم يحلو لهم ذلك فيستغرقون أوقاتهم تعلما[6] وتعليما. وقد اتضح بما سبق أنه من أفضل الطاعات، وأن حالهم في ذلك دائر بين فرض العين وفرض الكفاية. وفي الحديث القدسي كما في الصحيح: «وما تقرب إلي عبدي بشيء، أحب مما افترضته عليه»[7]. فأوقاتهم مستغرقة بهذه العبادة، فطاعتهم ما تزال متوالية، والولي من توالت طاعته

(1) هو أبو زكرياء يحيي بن شرف بن مرة بن حسن الحوراني النووي محيي الدين الشافعي، فقيه محدث. من (نوا) من قرى حوران بسورية. توفي سنة 676 هـ. له مصنفات كثيرة منها: بستان العارفين، المجموع شرح المهذب، وغيرها. تنظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي 8/ 395، طبقات الحفاظ 1128، طبقات المحدثين 1/ 215.

(2) التبيان في آداب حملة القرآن ص: 13.

(3) صحيح البخاري. كتاب الرقاق 6021.

(4) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين. إمام حافظ مؤرخ محقق أديب. توفي سنة 911 هـ. له تصانيف كثيرة منها: الإتقان في علوم القرآن، تفسير الجلالين، المزهر في اللغة وغير ذلك. تنظر ترجمته في: الكواكب السائرة 1/ 226، 231، شذرات الذهب 8/ 51.

(5) الحاوي للفتاوى 2/ 435.

(6) في (ب): متعلما.

(7) رواه البخاري في الرقاق 6021.

لمولاه، فتولاه الله. وأيضا فالولي القائم بحقوق الله، وحقوق عباده على حسب طاقته. وأكرم كراماته الاستقامة. ولا يصل أحد لذلك إلا من طريق العلم الذي أورثه الله عز وجل عباده العلماء مع سبق عنايته بهم لحديث: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[1] [2].

وروى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يستخف بهم[3] إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام/ وذو العلم، وإمام مقسط»[4]. [38]

وروى في الكبير أيضا عن أبي مالك الأشعري[5] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم من الدنيا فيتحاسدون، وأن يفتح لهم الكتاب يأخذه المؤمن يبتغي تأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[6]، وأن يروا ذا علم فيضيعونه ولا يبالون به[7]»[8].

---

(1) رواه البخاري في العلم 69 ومسلم في الزكاة 1037.

(2) جواهر العقدين في فضل الشرفين ص: 63.

(3) في المعجم الكبير: بحقهم.

(4) المعجم الكبير 7819 وذكره الهيثمي في المجمع الزوائد 1/ 127 فقال: رواه الطبراني في الكبير من رواية عبيدة الله بن زحر عن علي بن زيد وكلاهما ضعيف.

(5) هو أبو مالك الأشعري اسمه الحارث بن مالك الأشعري، وقد قيل: إن اسمه كعب بن عاصم. توفي خلال خلافة عمر رضي الله عنه.

تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى 7/ 400، الاستيعاب، الإصابة 7528.

(6) تتمة الآية: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. آل عمران، الآية: 7.

(7) في المعجم الكبير: عليه.

(8) المعجم الكبير 3442. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 128 وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه ولم يسمع من أبيه.

وأخرج الديلمي في مسنده الفردوس عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العالم أمين الله في الأرض»[1]. وأخرج أيضا عن أنس عن النبي ﷺ قال: «العالم سلطان الله في الأرض، فمن[2] وقع فيه فقد هلك»[3].

وأخرج القضاعي[4] وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العلماء أمناء الله على خلقه»[5].

وأخرج الحسن بن سفيان[6] والعقيلي[7] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا»[8]. وقال الإمام أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله: «اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه

---

(1) الفردوس بمأثور الخطاب 4204 أورده عن معاذ بن جبل. ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 228 وقال العراقي سنده ضعيف. فيض القدير 4/ 370.

(2) في (ج): فقد.

(3) عزاه السيوطي في الجامع الصغير للديلمي عن أبي ذر، وقال المناوي: لكنه، أعني الديلمي، لم يذكر له سندا في مسند الفردوس بل بيض له لعدم وقوفه عليه. فإطلاق المصنف العزو إليه غير صواب، فيض القدير 4/ 372.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القضاعي الفقيه الشافعي، صاحب كتاب الشهاب. توفي بمصر سنة 454 هـ. له عدة تصانيف منها: الشهاب، الإنباء عن الأنبياء، تواريخ الخلفاء، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 212، طبقات السبكي 4/ 150، طبقات الشافعية 2/ 233.

(5) مسند الشهاب 115، تاريخ ابن عساكر 14/ 267.

(6) هو أبو العباس الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني النّسوي، نسبة إلى (نسا) من مدن خرسان. كان من كبار محدثي خرسان في عصره. وكان مقدما في الفقه والأدب. توفي سنة 303 هـ. من تصانيفه: (المسند) في الحديث.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 2/ 703.

(7) هو أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن صاعة العقيلي الحافظ صاحب كتاب (الضعفاء). جليل القدر، عالم بالحديث ثقة. له تصانيف كثيرة. توفي سنة 322 هـ.

تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 15/ 237 - 238، طبقات الحفاظ 784.

(8) ذكره الذهبي في الميزان 8/ 84 وقال: قال العقيلي: حفص كوفي حديثه غير محفوظ.

أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار متنقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب. ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ / أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] [2]. [38]

وقال مالك بن دينار: من آذى طالب العلم لعنته الملائكة ويلقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان، ومن أعانه ولو بدرهم بشرته الملائكة عند قبض روحه بالجنة وفتح الله له بابا من النور[3]. وفي الخبر: يهتز العرش لثلاث: لليتيم إذا ضرب، وللغريب إذا ظلم، وللعالم إذا حقر.

وفي الشهاب للقضاعي حديث النبي ﷺ أنه قال: «خيار أمتي علماؤها، وخيار علمائها حلماؤها، ألا وإن الله يغفر للعالم أربعين ذنبا قبل أن يغفر للجاهل البذيء ذنبا واحدا، وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة ونوره قد أضاء فيسير فيه كما يسير الكوكب الدري»[4]. وأخرج ابن عساكر والديلمي عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء كما يحتاجون إليهم في الدنيا. وذلك أنهم يرون ربهم في كل جمعة، فيقول لهم: تمنوا علي تمنوا ما شئتم[5]. فيلتفون إلى العلماء فيقولون: ما نتمنى؟ فيقولون: تمنوا النظر إلى وجهه الكريم»[6].

---

(1) النور: من الآية 61.

(2) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص: 25- 26.

(3) في (ج): النار.

(4) مسند الشهاب 1276. رواه الخطيب في تاريخ بغداد 1/ 239 في ترجمة محمد بن إسحاق السلمي فقال أحد الغرباء المجهولين حدث عن عبد الله بن المبارك حديثا منكرا (يقصد هذا الحديث) وقال الذهبي في الميزان6/ 64: محمد بن إسحاق السلمي المروزي عن ابن المبارك فيه جهالة، وأتى بخبر باطل (وذكر الحديث).

(5) في (ج): ما تمنيتم.

(6) تاريخ ابن عساكر 51/ 50، الفردوس 880، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال 6/ 22 وقال: وهذا موضوع.

وأخرج ابن عساكر عن سليمان بن عبد الرحمن[1] قال: «بلغني أن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا، فتأتيهم الرسل من قبل ربهم، فيقولون: سلوا ربكم. فيقولون: ما ندري ما نسأل. ثم يقول بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى العلماء الذين كانوا إذا أشكل علينا في الدنيا شيء آتيناهم. فيأتون العلماء، فيقولون: إنه قد أتانا رسل ربنا تأمرنا أن نسأل، فما ندري ما نسأل. فيفتح الله على العلماء، فيقولون لهم: سلوا كذا، سلوا كذا. فيسألون فيعطون»[2].

وذكر الحافظ السيوطي في كتابه المسمى ببشرى الكئيب بلقاء الحبيب ما نصه: «أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مات العالم صور الله علمه في قبره يؤنسه ويدرأ عنه هوام الأرض[3]. وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن كعب[4] قال: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: تعلم العلم، وعلمه الناس، فإني منور لمعلم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم»[5].

---

(1) هو أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى التيمي الدمشقي، ثقة. قال عنه أبو حاتم: صدوق مستقيم الحديث. توفي سنة 232 هـ. تنظر ترجمته في: معرفة الثقات 1/ 430، طبقات الحفاظ 423.

(2) تاريخ دمشق 24/ 141.

(3) في اللآلئ المصنوعة 1/ 63 وتنزيه الشريعة1/ 155 ضمن حديث طويل موضوع: «... ثم يمثلان له عمله الصالح في أحسن صورة وأطيب ريح فيكون عند رأسه ويقولان: هذا عملك الصالح وكلامك الطيب قد مثله الله في أحسن ما ترى من صورة يؤنسك في قبرك، فلا تكن وحيدا ويدرأ عنك هوام الأرض.....».

(4) هو أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن كعب بن مالك بن عمرو بن القين البدري الأنصاري السلمي الخزرجي، صحابي جليل، وأحد شعراء النبي ﷺ. روى له البخاري ومسلم وغيرهم من رواة الحديث المشهورين. توفي سنة 53 هـ وقيل 55 هـ. له في كتب الحديث 80 حديثا، وديوان شعر.

تنظر ترجمته في: الأغاني 16/ 240، الإصابة 7435.

(5) بشرى الكئيب للسيوطي، ص: 59- 60.

ويعتبر «بشرى الكئيب» هامشا لكتاب «شرح الصدور شرح حال الموتى والقبور» لنفس المؤلف. مكتبة كنون الخاصة بطنجة رقم 964.

وذكر في كتاب آخر سماه **بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال** [1] حديثا عن النبيﷺ أنه قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»[2].

أخرجه الديلمي. وأخرج الخطيب/ في تاريخ بغداد عن ابن عباس مرفوعا: «اللهم اغفر للمعلمين، وأطل أعمارهم، وأظلهم تحت ظلك، فإنهم يعلمون كتابك المنزل»[3]. [39]

وقالﷺ: «أفضل الناس العالم الذي إذا احتيج إليه نفع، وإن استغني عنه أغنى نفسه»[4].

وقال ﷺ: «الناس معادن، خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»[5] وقالﷺ: «أوحى الله إلى إبراهيم أني عليم أحب كل عليم»[6]. ذكره ابن عبد البر تعليقا. قال العراقي[7]: ولم أظفر له بإسناد[8].

---

(1) «تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش». ويليه «مختصر بزوغ الهلال» للسيوطي ص: 93.

(2) قال المناوي في فيض القدير 1/ 225: رواه الديلمي في الفردوس وابن النجار في تاريخه عن علي، لم يرمز له بشيء، أي السيوطي، وهو ضعيف لأنه فيه شيء، وصالح بن أبي الأسود له مناكير، وجعفر بن الصادق قال في الكاشف عن القطان: في النفس منه شيء.

(3) تاريخ بغداد 12/ 399 وفي إسناده الفرخان بن روزبة قال الخطيب: غير ثقة.

(4) قال العراقي في تخريج الإحياء 1/ 31: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفا عن أبي الدرداء بإسناد ضعيف ولم أره ضعيفا.

(5) رواه الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه) 1/ 86-87 وابن عبد البر في فضل العلم 1/ 86.

(6) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 1/ 219 بلفظ: «أوحى الله عز وجل إلي إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم» وقال العراقي في تخريج الإحياء 1/ 31: لم أظفر له بإسناد.

(7) هو أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، الحافظ، الفقيه المحدث. توفي سنة 806 هـ. من أهم مؤلفاته: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ذيل على الميزان، المعجم، ترجم فيه جماعة من أهل القرن الثامن الهجري.
تنظر ترجمته في: المنهل الصافي (ص: 312، 315)، الضوء اللامع 4/ 171، طبقات الحفاظ 1175، فهرس الفهارس 2/ 814، 818.

(8) في (ب)، (ج)، (د): لم أظفر به.

وروى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لقمان قال لابنه: يا بني، عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام الحكماء، فإن الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر»[1]. وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[2].

وروى أحمد بإسناد حسن، والطبراني عن عبادة بن الصامت[3] أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»[4]. وفي رواية للحاكم «ليس منا»[5].

وأخرج البيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بجماعة المسلمين، أن يرحم صغيرهم، ويوقر عالمهم، وأن لا يضربهم فيذلهم، وأن لا يغلق بابه دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم»[6].

---

(1) المعجم الكبير 7810 وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 125 وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد وكلاهما ضعيف لا يحتج به.

(2) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال 7/ 416 فقال: أبو كنانة عن أبي موسى بحديث: إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة رواه عنه زياد بن مخراق ثقة، وأما هو فليس بالمعروف، وقد روى عنه أيضا أبو إياس فهذا الحديث حسن.

(3) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي صحابي جليل ورع، ممن شهد بدرا وسائر المشاهد. هو أول من ولي القضاء بفلسطين. له في كتب الحديث 181 حديثا. توفي بالرملة أو بيت المقدس سنة34 هـ وقيل 35 هـ

تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى 3/ 621، سير أعلام النبلاء 2/ 5، الإصابة 4488.

(4) مسند أحمد 22807، المعجم الكبير 7703، عن أبي أمامة بلفظ: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا». وانظر مجمع الزوائد. 8/ 14.

(5) المستدرك على الصحيحين 421.

(6) السنن الكبرى للبيهقي 16421.

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسـول الله ﷺ قـال: «تعلمـوا العلم، وتعلموا للعلم السكينة، وتواضعوا لمن تتعلمون منه»[1].

وروى أبو عمر بن عبد البر عن الشعبي[2] أنه قال: «صلى زيد بن ثابت عـلى جنـازة ثم قرّبت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس/ فأخذ بركابه، فقال زيد: خلّ عنـك يـا ابـن عمّ رسول الله ﷺ. فقال له ابن عباس: هكذا يفعل بالعلمـاء والكـبراء. وزاد بعـضهم في هذا الحديث أن زيد بن ثابت كافأ ابن عباس على أخـذه بركابـه أن قبّـل يـده فقـال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا»[3]. [40]

وكان يقال: «أربعة لا يأنف منهم الشريف قيامه عن مجلسه لأبيه، وخدمته لـضيفه، وقيامه على فرسه وإن كان له عبيد، وخدمته للعالم ليأخذ منه علمه»[4].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسـول الله ﷺ قـال: «إن لله ملائكـة سـيارة[5] يتبعـون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسا فيـه ذكـر جلـسوا[6] حتـى يمـلأوا مـا بينهم وبـين الـسماء[7]. فـلا يزالـون جلوسـا معهـم حتـى يفترقـوا[8]. فـإذا تفرقـوا صـعدوا[9] إلى السماء[10]، فيسألهم الله عز وجلّ وهو أعلم، فيقول: من أين جئتم؟ فيقولون: من عنـد

---

(1) المعجم الأوسط 6184. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 129 وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عباد بن كثير وهو متروك الحديث.

(2) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري. تابعي جليل، وفقيه محدث ثقة، وافر العلم. استقضاه عمر بن عبد العزيز. توفي بالكوفة سنة 105 هـ، وقيل 103هـ، وقيل 104هـ وقيل غيرها.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 12/ 227، 234، حلية الأولياء 4/ 310، وفيات الأعيان 1/ 244.

(3) جامع بيان العلم 1/ 514.

(4) جامع بيان العلم 1/ 542، عيون الأخبار 2/ 141.

(5) فضلا.

(6) قعدوا معهم وحفّ بعضهم بعضا بأجنحتهم حتّى...

(7) السماء الدنيا.

(8) «فلا يزالون جلوسا معهم حتى يفترقوا» غير وارد في صحيح مسلم.

(9) في الصحيح: عرجوا.

(10) قال.

عبادك[1]، يحمدونك، ويهللونك، ويكبرونك، ويقدسونك، ويسألونك. قال: وما يسألون؟ قالوا: يا ربّ، يسألونك جنتك. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا، أي ربّ. فيقول كيف لو رأوها؟. قالوا: ويستجيرونك. فيقول: ومما يستجيرونني؟ فيقولون: من نارك. قال: هل رأوها؟ فيقولون: لا، أي ربّ. فيقول: كيف لو رأوها؟[2]. فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا. فيقولون: يا ربّ، فيهم فلان عبدك الخطّاء[3]، إنما مرّ فقعد. فيقول: غفرت للقوم ولجليسهم»[4].

[41] وقال ﷺ: «العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر/ الناس همج لا خير فيهم»[5]. أخرجه الطبراني في الكبير والديلمي في مسنده عن أبي الدرداء.

وقال ﷺ: «كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك، والخامس هو المبغض للعلم وأهله»[6]. هكذا رواه البزار برجال ثقات، ورواه الغزالي في الإحياء: «كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك»[7].

---

(1) في صحيح مسلم: «عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك».

(2) بعده في صحيح مسلم: «قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا».

(3) عبد خطاء إنما مرّ فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

(4) رواه مسلم في صحيحه في الذكر والدعاء 2689.

(5) المعجم الكبير عن أبي أمامة 7875 بلفظ: «يا أيها الناس، عليكم بالعلم قبل أن يقبض. العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس»، الفردوس 4205. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 122 وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه معاوية بن يحيى الصدفي، قال ابن معين: هالك ليس بشيء.

(6) مسند البزار 3626 عن أبي بكرة. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد1/ 122 وقال: رواه الطبراني في الثلاثة، والبزار ورجاله موثقون.

(7) الإحياء1/ 16. وقد ذُكر فيه بلا إسناد، وهذه عادته، ولذلك قول المؤلف «رواه» خطأ في الاصطلاح والصواب: ذكره أو أورده. و الله أعلم.

وروى ابن ماجه أن النبي ﷺ جمع بين إصبعين الوسطى والتي تلي الإبهام ثم قال: «العالم والمتعلم شريكان في الخير[1]، ولا خير في سائر الناس»[2]. أي في بقية الناس بعد العالم والمتعلم.

وأنشد بعضهم وهو أبو الحجاج البلوي[3]: [مجزوء الرجز]

النـــاس هـــم ثلاثـــة فواحـــد ذو درقـــه[4]

و ذو علـــوم دارس كُتبـــه ووَرَقَـــهْ

و منفـــق فـــي واجـــب ذَهَبـــه وَوَرِقَـــهْ

ومـــا سواهـــم همـــج لا ودك لا مَـرَقَـــهْ

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منكم من أحد إلا على بابه ملكان، فإذا خرج قالا: اغد عالما أو متعلما ولا تكن الثالث»[5].

---

(1) في السنن: الأجر.

(2) سنن ابن ماجه، مقدمة 224.

(3) هو أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيي بن غالب البلوي المالقي الأندلسي المالكي. له علم واسع باللغة والأدب، اشتهر بالزهد. توفي بمالقة سنة 604 هـ من مؤلفاته: كتاب(ألف باء).

تنظر ترجمته في: صلة الصلة 5/ 285، سير أعلام النبلاء 21/ 479، بروفنسال ص: 217.

(4) -الدرق: ضرب من الترسة، الواحدة (درقة) تتخذ من الجلود. لسان العرب، باب القاف، فصل الدال.

- الهمج: في كلام العرب أصله البعوض، الواحدة همجة، ثم يقال لرذالة الناس همج. المصدر السابق باب الجيم، فصل الهاء.

- الودك: الدسم معروف، وقيل: دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه. المصدر السابق. باب الكاف، فصل الواو.

وردت الأبيات في المحاضرات لليوسي 1/ 113.

(5) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 140 مقتصرا على الشطر الثاني من الحديث بلفظ: «اغد عالما أو متعلما ولا تغد بين ذلك. وذكره ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم ص: 183 لكن بزيادة: (فتهلك).

[لنجم][1] الدين النسفي[2]: [مخلع البسيط]

اعْلَمْ وعَلِّمْ جميع أهْلِكْ لِتَنْجُ مِنْ جَهْلِهِمْ وَجَهْلِكْ

وَكُنْ لِنَشْرٍ أَوِ اقْتِبَاسٍ ولا تكن ثالثا فتهلكْ

وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[3].

ولبعضهم: [الطويل]

تفقه فإن الفقه زين لأهله وفخر وعنوان لكل المحامد

وإن فقيها واحدا متورعا أشد على الشيطان من ألف عابد[4]

وقال ابن عباس: «إن الشياطين قالوا لإبليس: يا سيدنا ما لنا نراك تفرح لموت العالم ما لا تفرح لموت العابد، فقال لهم: العالم لا نصيب منه، والعابد نصيب منه. ثم قال: انطلقوا، فانطلقوا إلى عابد قائم في عبادته، فقال له: إني أريد أن أسألك، هل يقدر ربّك أن يجعل الدنيا في بيضة؟ فقال: لا أدري. فقال لهم ألا ترونه كفر من ساعته. ثم أتى إلى عالم في حلقته، فقال له: إنني[5] أريد أن أسألك، وقال له مثلما قال للعابد، فقال له:

---

(1) في الأصل: مجد الدين، وفي: ج، د: محيي الدين. والصواب ما أثبتناه.

(2) هو أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي السمرقندي الحنفي. كان إماما فضلا، أصوليا متكلما، ومفسرا ومحدثا وفقيها. توفي سنة 537هـ. من تآليفه: القند في تاريخ سمرقند، مجمع العلوم.

تنظر ترجمته في: معجم الأدباء 6/ 53، طبقات المفسرين 1/ 171، كشف الظنون 2/ 85، 58.

(3) جامع الترمذي، كتاب 2605، سنن ابن ماجه، المقدمة 218، البيهقي في شعب الإيمان 1715، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(4) تعليم المتعلم للزرنوجي ص: 6.

(5) في (ب)، (ج)، (د): إني.

[42] نعم/ قال: وكيف ذلك؟ يقول له: كن فيكون إما أن تصغر الدنيا حتى ترجع قدر البيضة، وإما بأن توسع البيضة حتى ترجع قدر الدنيا»[1]. نقل هذه القصة ابن يونس[2] وكذا ابن عبد البر في كتاب فضل العلم، وانظر الشيخ السنوسي في شرح الصغرى فقد ذكرها على خلاف هذا الوجه، فلعل القضية تعددت. وقال كعب: مؤمن عالم أشد على إبليس وجنوده من مائة ألف مؤمن عابد، لأن الله يعصم به من الحرام. وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «موت ألف عابد قائم الليل وصائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه»[3]. وعن أبي الدرداء: «موت العالم مصيبة لا تجبر وثملة لا تسدّ، وهو نجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم»[4]. وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «العالم أفضل من القائم المجاهد، فإذا مات العالم ثلمت في الإسلام ثُلمَة لا يسدّها إلا خلف منه»[5].

وقد روى ابن أبي شيبة[6] وابن جرير[7] عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[8] قال: موت العلماء والفقهاء.

---

(1) جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 129 بتصرف.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن يونس الصقلي. كان إماما عالما فرضيا. له تأليف مفيد في الفرائض، وشرح كبير للمدونة، وعليه الاعتماد في المذاكرة. توفي سنة 451 هـ. تنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء 261، الديباج المذهب 2/ 240.

(3) جامع بيان العلم 1/ 128، الإحياء 1/ 16.

(4) تحفة الفضلاء للتنبكتي، ص:22.

(5) الإحياء 1/ 14.

(6) هو أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، من كبار الحفاظ ومؤرخي لرجال الحديث. توفي سنة297 هـ. تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 3/ 42.

(7) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، مؤرخ مفسر، محدث، مقرئ. استوطن بغداد. توفي سنة310هـ. له تآليف كثيرة، أشهرها: «أخبار الرسل والملوك» ويعرف بتاريخ الطبري، «جامع البيان بتفسير القرآن» ويعرف بتفسير الطبري، اختلاف الفقهاء، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 2/ 162، وفيات الأعيان 1/ 456، تذكرة الحفاظ 2/ 710، طبقات المفسرين 1/ 48، سير الأعلام النبلاء 14/ 267.

(8) تتمة الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ الرعد، الآية: 42.

قلت ورد هذا مرفوعا. أخرج ابن مردوديه[1] عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قال: ذهاب العلماء[2].

وأخرج عبد الرزاق[3] وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر[4] وابن أبي حاتم[5] والحاكم وصححه عن ابن عباس في هذه الآية قال: «هو موت علمائها وفقهائها وذهاب خيار أهلها»[6].

وقال بعض الحكماء: «العجائب عامة، وفي آخر الزمان أعم، والنوائب طامة، وفي أمر الدين أطم، والمصائب عظيمة وموت العلماء أعظم»[7].

---

(1) هو أبو بكر أحمد بن موسى مردوديه الأصبهاني، ويقال له ابن مردوديه الكبير. حافظ مؤرخ ومفسر، من أهل أصبهان. توفي سنة 410 هـ. له تصانيف كثيرة منها: التاريخ، تفسير القرآن، مسند في الحديث، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 7/ 434، طبقات المفسرين 1/ 101.

(2) الرعد، الآية 42. ينظر الدر المنثور 4/ 126.

(3) هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، حافظ محدث وثقة. روى عنه ابن حنبل وابن معين وابن عينية. توفي سنة 211 هـ. من تصانيفه: «الجامع الكبير» في الحديث، المصنف في الحديث، كتاب في تفسير القرآن، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 1/ 303، تذكرة الحفاظ 1/ 364، سير أعلام النبلاء 9/ 563، 564.

(4) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، فقيه حافظ ومحدث. كان شيخ الحرم بمكة.

توفي سنة 319 هـ له تآليف منها: الإشراف على مذاهب العلم، اختلاف العلماء، تفسير القرآن، وغيرها.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 207، طبقات الفقهاء 118، تذكرة الحفاظ 3/ 782، طبقات الشافعية2/ 98.

(5) هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التيمي الحنظلي الرازي، من كبار حفاظ الحديث.

توفي سنة327 هـ من تصانيفه: علل الحديث، المسند، الفوائد الكبيرة، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 3/ 829، طبقات الحفاظ 782.

(6) تحفة الفضلاء ص: 22 بتصرف. والأثر رواه عبد الرزاق في تفسيره 1350 (لكن من قول مجاهد). والطبري في تفسيره 20533. والحاكم المستدرك على الصحيحين 3291. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي، فقال: «طلحة بن عمرو»، قال أحمد: «متروك».

(7) تحفة الفضلاء ص: 22.

ولله در القائل: [الوافر]

إذا ما مات ذو علم حكيم لقد ثلمت من الإسلام ثلمةْ

وموت العابد المرضي نقص تفوت به من الأسرار حكمةْ

وموت الحاكم العدل المولى بحكم الحق ناقصة ووصمةْ

وموت فتى كثير الجود محق لأن بقاءه خصب ونعمةْ

وموت الفارس الضرغام هزم لقد شهدت له في الحرب أمةْ

فدونك خمسة يبكي عليهم وموت الغير تخفيف ورحمةْ

وقال الآخر[1]: [الوافر]

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حبر يموت بموته بشر كثير/ [43]

وقال الليث بن سعد[2]: ما هلك عالم قط إلا ذهب ثلث علمه ولو حرص الناس.

وأخرج الديلمي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ساعة من عالم متكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما»[3]. وأخرج أيضا عن أنس أن النبي ﷺ قال: «طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله»[4].

---

(1) ديوان الشافعي 218، وهناك اختلاف في بعض الألفاظ. ينظر كذلك «القانون» لليوسي ص:351.

(2) هو أبو الحارث الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي المصري، إمام أهل مصر في الفقه والحديث.أصله من خرسان. توفي سنة 175 هـ.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 3/ 13، حلية الأولياء7/ 318، تذكرة الحفاظ 1/ 224.

(3) مسند الفردوس 3504، وذكره السيوطي في الجامع الصغير مع شرح المناوي 4/ 81 وضعفه.

(4) رواه الديلمي في المسند. انظر فيض القدير المناوي 4/ 263.

وأخرج أيضا عن أنس أنه النبي ﷺ قال: «طالب العلم طالب الرحمة وطالب ركن الإسلام ويعطى أجره مع النبيئين»(1). يعني لأنه وارثهم وخليفتهم.

وأخرج أيضا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «طوبى لمن بعثه الله يوم القيامة وجوفه محشو بالقرآن والفرائض والعلم»(2).

وأخرج أيضا عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد»(3).

وأخرج الشيرازي(4) في **الألقاب** عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ركعة من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله»(5). وفي حديث آخر: «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير العالم»(6). وقال الأحنف بن قيس(7): «كاد العلماء أن يكونوا أربابا»(8).

---

(1) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي 3915.

(2) الفردوس 3932. قال المناوي في فيض القدير 4/ 282: فيه إسماعيل بن أبي زياد قال الذهبي: قال الدارقطني: يضع الحديث.

(3) الفردوس 4100 لكن عن ابن عباس. وذكره المناوي في فيض القدير 4/ 299. وقال: رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي أمير المؤمنين وفيه عمرو بن جميع، قال الذهبي في الضعفاء: قال ابن عدي: متهم بالوضع.

(4) هو أبو بكر أحمد بن عبدان بن محمد بن الفرج الحافظ الثقة المعمر الشيرازي، محدث الأهواز وصاحب الألقاب. كان من الأئمة يقال له الباز الأبيض. توفي سنة 388 هـ.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 3/ 1065، طبقات الحفاظ 892.

(5) ينظر فيض القدير 4/ 36.

(6) قال المناوي في فيض القدير 4/ 38: رواه ابن النجار في تاريخ بغداد عن محمد بن علي مرسلا. ضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم 3136.

(7) هو أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّى السعدي. له خطب وكلمات بليغة منشورة في كتب التاريخ والأدب والبلدان. توفي سنة 72هـ.
تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 7/ 93، وفيات الأعيان 2/ 499، سير أعلام النبلاء 4/ 86 -87.

(8) جامع بيان العلم 1/ 256.

وقال مالك: عليكم بمعرفة حق أهل العلم والتماس برّهم وواجب عليكم أن لا تمروا بقرية وفيها عالم إلا أتيتموها فتسألون عنه وتنالون منه.

وقال سهل بن عبد الله: أربعة يعظمون: «العالم والسلطان والشيخ الكبير والوالد، ويرفق بهم في الأمر كله». وقال الحسن: «لولا العلماء لكانت الناس كالبهائم»[1].

وقال ابن عباس: «يرفع الله العلماء بسبعمائة درجة، كل درجة ما بين السماء والأرض»[2]. وقال موسى عليه السلام: «إلهي من أحب الناس إليك؟ قال: عالم يطلب علما»[3].

ومما ينسب لسيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه[4]: [البسيط]

الناس من جهة التمثيل أكفاء	أبوهم آدم والأم حواء
فإن أتيت بفخر من ذوي نسب	فإن نسبتنا للطين والماء
لا فخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
اطلب لنفسك علما واكتسب أدبا	الناس موتى وأهل العلم أحياء
وقل لمن يدّعي بالعلم معرفة	عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

---

(1) الإحياء 1/ 14.

(2) وفي تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص: 41: «العلماء فوق المؤمنين بسبع مائة درجة، ما بين الدرجتين مائة عام».

(3) المستطرف للأبشيهي 1/ 32.

(4) ينظر ديوان الإمام علي ص: 16، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ص: 150، جامع بيان العلم 1/ 218. وقال البلوي: يروى أن قائل هذه الأبيات علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ألف باء 1/ 20.

وقال غيره: [الطويل]

ولله قـــوم[1] كلمـــا جئـت زائــرا ... وجـــدت نفوسـا كلّهـا ملئـت حلمــا

أولئـك مثـل الطيـب كـل لـه شـذى ... ومجموعـــهم أذكـــى أريجـا إذا شمّـــا

تعاطوا كؤوس العلم في روضة التُّقَى ... فكلهـــم مـــن ذلـــك الـريّ لا يظمـــا

[44] إذا اجتمعـــوا جـاءوا بكـلّ فـضيلـة ... ويزداد بعض القوم مـن بعـضهم علمـا/

هـــم سـادتي أبـغي التقـرب منهـم ... وأرجـو مـن المـولى الكـريم بهـم فهمـا

فلولاهم مـا طـاب عيـشك في الـدّنا ... ولا زلت في ليل من الجهـل كـالأعمى[2]

وقال غيره: [الوافر]

إذا مـا اعتـز ذو جهـل بـجهــل ... وعظـــــم في نفـــوس العـــالمين

فأهل العلـم أعلـى النـاس قـدرا ... وأعظـــم عنـــد رب العـــالمين

---

(1) في (ب): أقوام.

(2) ذكر صاحب أزهار الرياض أن أبا القاسم بن ورد وصل أبيات عياض ببيتين، أحدهما قبله، وهما:

قـــوم كلمـــا جئـت زائــــرا ... وجدت شيوخا كلها ملئت فهما

أولئك مثل الطيب كل له شـذى ... وأجمعه أذكـى أريـجا إذا شمّـا

وقال الشيخ أبو عبد الله بن عبد الواحد الرياضي: وكان شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد إذا أنشد هذه الأبيات يقول: «كانت عسلا بمثلهم فتعلقمت بمثلنا...» ينظر أزهار الرياض 4/ 248.

وقال الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله في أدب الفقهاء ص:183: وزاد عليه، أي على عياض، أبو بكر ابن عتيق الأزدي:

تعاطوا كـؤوس العلـم في روضـة *** فكلّهـم مـن ذلـك الـري لا يظمـأ

وقال غيره: [الطويل]

أولو العلم أهدى العالمين طريقة ... بهم يهتدى في معضلات الحوادث

هم الوارثون العلم من سيد الورى ... نبي الهدى والعلم خير الموارث

فهم سرج[1] الدنيا وعزة ربنا ... وتلك يمين لست فيها بحانث

وقال غيره: [الطويل]

سلام على صحب أقيمت عليهم ... سحائب علم السر حتى تقدّسوا

سموا للمعالي حالة بعد حالة ... فردّوا بأبراد العلوم وألبسوا

سعوا في طلاب السعد حتّى تبوأوا ... محلة أنوار العلوم وأقبسوا

سناهم مطاع في العوالم كلها ... وعلمهم من خاطر الوهم يحرسوا

سرابيلهم مصقولة بعلومهم ... وكل فؤاد ما أسر سيلبسوا

سحائب رحمة الله فاضت عليهم ... وكل له في اللوح رسم مؤسّس

وقال ابن السيد[2]: [البسيط]

الجاهلون فموتى قبل موتهم ... والعالمون وإن ماتوا فأحياء[3]

---

(1) في (ج)، (د): سروج.

(2) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البلنسي البطليوسي، من كبار العلماء باللغة والأدب. توفي سنة 521 هـ. له تصانيف قيمة منها: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، شرح سقط الزند، العلل في شرح أبيات الجمل، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: أزهار الرياض 3/ 101، 149، وفيات الأعيان 3/ 96، الديباج المذهب 1/ 389.

(3) تعليم المتعلم للزرنوجي ص: 34.

وقال غيره[1]: [الطويل]

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور

وإن امرءا لم يحي بالعلم ميت فليس له حتى النشور نشور

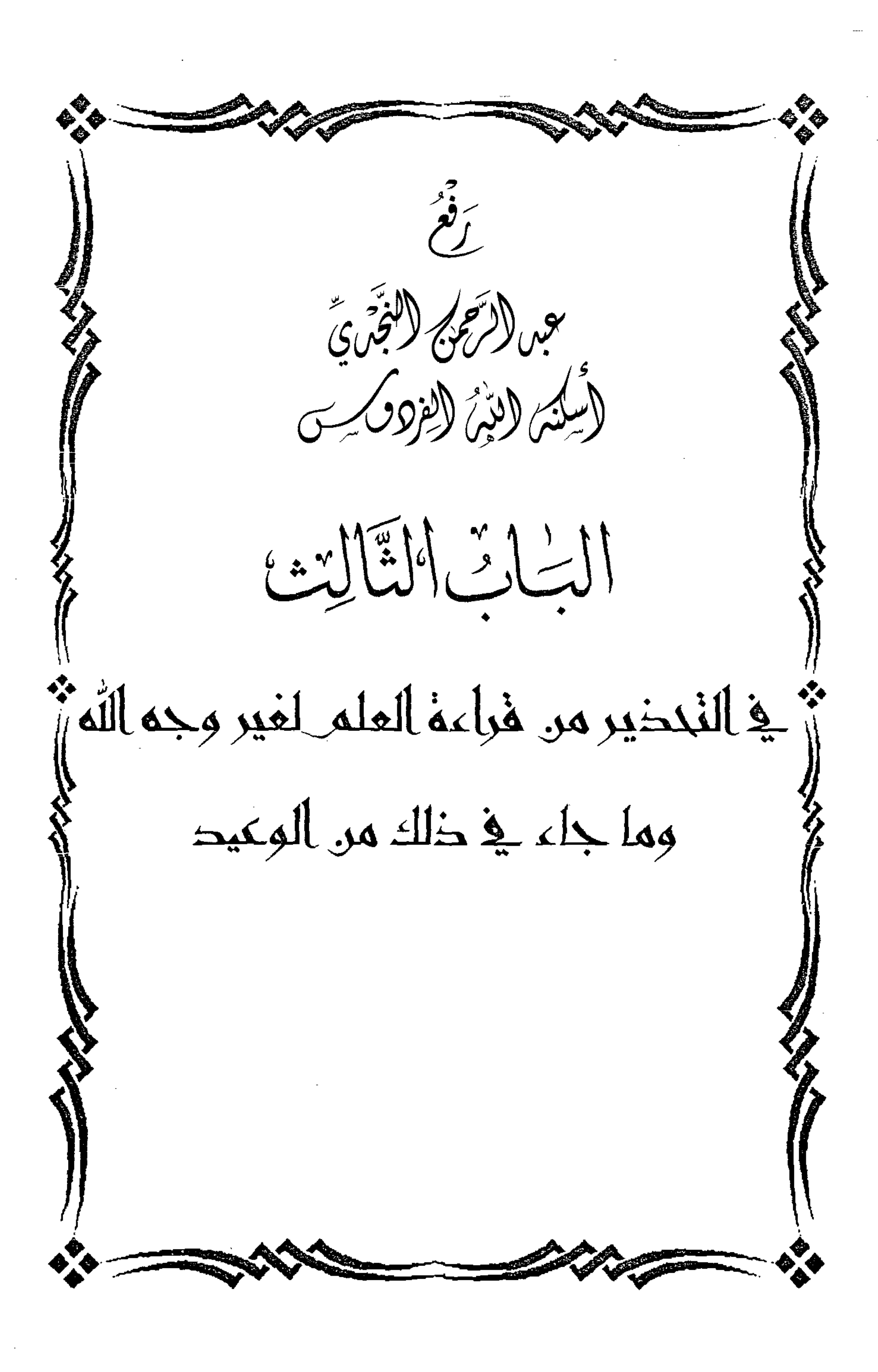
وقال غيره[2]: [الطويل]

أخو العلم حيّ ذكره بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثّرا يعدّ من الأحياء وهو عديم

(1) أدب الدنيا والدين ص: 50 غير منسوبين، وقال القرطبي في تفسيره 7/ 78 لبعض شعراء البصرة فذكرهما، و في معجم الأدباء 4/ 314، ووفيات الأعيان 21/ 299 منسوبان للماوردي نقلا عن كتاب سر السرور لمحمود النيسابوري.

(2) البيتان في فهرسة شيوخ القاضي عياض ص: 115 وكذا في ألف باء للبلوي 1/ 18 منسوبان إلى ابن السيد.



الباب الثالث

في التحذير من قراءة العلم لغير وجه الله وما جاء في ذلك من الوعيد

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[1] قال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4] وقال تعالى﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[5] الآية. وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[6] الآية. وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ / نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[7] قال الواحدي[8] في تفسيره هذه الآية: «ومن أشد الآي على أهل العلم وذلك أن الله أخبر أنه آتاه من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة [45]

---

(1) الشورى، الآية: 18.

(2) الإسراء، الآية: 18.

(3) الفجر، الآية: 14.

(4) تتمة الآية: ﴿ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾. البينة، الآية: 5.

(5) تتمة الآية: ﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ آل عمران، الآية: 187.

(6) تتمة الآية: ﴿ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأعراف، الآية 169.

(7) الأعراف، الآية: 175.

(8) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي المفسر. كان مقدما في النحو واللغة والأدب. توفي بنيسابور سنة 468 هـ. من تصانيفه: البسيط، الوسيط، الوجيز، وكلها في التفسير، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 303، طبقات المفسرين 1/ 127.

والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعم بالانسلاخ عنها، ومن ذا الذي يسلم من هاتين الحالتين إلا من عصم الله»[1].

وأخرج ابن جرير الطبري وغيره، من طريق سليمان التيمي[2] التابعي عن يسار[3] أحد ثقات التابعين «أن رجلا كان يقال له بَلْعَام[4]، كان مجاب الدعوة وأن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام وقومهُ فرعبوا منه رعبا شديدا، فأتوا بلعامَ، فقالوا ادع الله عليهم، فقال حتى أوامر ربي. فوامر ربه، فقيل له: لا تدع، فإنهم عبادي ونبيّهم معهم، فأهدوا له هدية ، فقبلها، ثم راجعوه، فقال أوامر ربي: فوامر، فلم يرجع إليه شيءٌ، فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى . فأخذ يدعو عليهم، فيجري على لسانه الدعاء على قومه، فإذا أراد أن يدعو لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه فلاموه، فقال ما يجري على لساني إلا هكذا. ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم، إن الله يبغض الزنى، وإنهم إن

---

(1) لم أقف على هذا الكلام في التفسير المطبوع عند شرح هذه الآية 1/ 421.

(2) هو سليمان بن طرخان القيسي مولاهم البصري، لم يكن تيميا بل نزل فيهم. سمع أنس بن مالك وأبا عثمان النهدي وغيرهم، وعنه ابن المبارك والسفيانان وآخرون. توفي سنة 43 هـ.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 3/ 28 وما بعدها، تذكرة الحفاظ 1/ 150، الطبقات الكبرى للشعراني 1/ 99.

(3) لعله سعيد بن أبي الحسن يسار البصري أخو الحسن البصري، من ثقات التابعين. حدث عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما وروى عنه قتادة وسليمان التيمي وآخرون. وثقه النسائي وغيره. قيل أنه توفي سنة 100هـ.

تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 4/ 588.

(4) هو بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل. كان مستجاب الدعاء. وكان يعرف اسم الله الأعظم، فمال إلى الدنيا وآثر لذاتها على الآخرة، فجعله الله كالكلب المطرود. فقال تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾. الأعراف، الآية: 176.

تنظر في شأنه كتب التفاسير.

وقعوا هلكوا، فأخرجوا النساءَ، فلتستقبلنهم فإنهم قومٌ مسافرون، فعسى أن يزنوا فيهلكوا. ففعلوا، وكان للملك بنت لها من الجمال ما الله أعلم به. فقال أبوها: لا تمكني من نفسك إلا موسى/ . فتَوَقَّعوا في الزنى. فراودها رأس سبط من الأسباط [46] عن نفسها، فقالت: ما أنا ممكنة من نفسي إلا موسى.

فقال: إن منزلتي من نفسي كذا وكذا، فأرسلته إلى أبيها فأذن لها فيه، فأمكنته. قال: ويأتيهما رجل من بني هارون والرمح معه فيطعنهما. قال: وأيده الله تعالى بقدرته فانتظمهما جميعا، ورفعهما على رمحه فرآهما الناس. قال: وسلط الله على بني إسرائيل الطاعون، فمات منهم سبعون ألفا، وهو مرسل جيّد الإسناد»[1] انتهى.

وانظر كيف تحول لسانه بالدعاء على قومه. ومثلُ هذا، يحكى أن أحد الملوك أمر بقتل رجل، فقال له المأمور وهو وزيره: حتّى تكتب لي بذلك خط يدك. وكان ذلك الرجل محبوسًا، فأراد أن يكتب بقتل فلان. فحوّل الله خطّه فكتب يطلق فلان. فقال الوزير: ذلك الظن بك. فقال: ما هو؟ قال: أمرتني بإطلاقه. قال: أرني. فرأى خطه يطلق فلان. فقال: هات البطاقة، فكتب مرة أخرى يطلق فلان. فقال الوزير: ذلك الظن بك. قال: وما هو؟ قال: أمرتني بإطلاقه. فأراه خطه بذلك فاغتاظ ثم قطع ذلك الكتاب، وأراد أن يكتب والله ليقتلن، فكتب والله ليطلقن. فأخذ الوزير البطاقة، وجعل يشكره. فقال: وما ذاك ويحك؟ قال: أقسمت ليطلقن. فأراه المكتوب بذلك، فمزّقَ الكتاب، وقال: والله ليطلقن والله ليطلقن رغما على أنفي».

---

(1) تفسير ابن جرير 9/ 124، 126 بتصرف.

قلتُ: وفي هذا ردّ قاطع على المعتزلة حيث زعموا أن العبد يخلق أفعاله[1]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2].

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»[3]. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

وروى الترمذي أيضا، واللفظ له، والبيهقي، وابن أبي الدنيا[4] في كتاب الصمت عن كعب بن مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من طلب العلم

---

(1) يقوم الفكر الاعتزالي على أصول خمسة عامة، هي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويجمع المعتزلة على أن العباد خالقون أفعالهم مخترعون لها، وأن الله تعالى ليس له في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير لا بإيجاد ولا بنفي، ما عدا القليل منهم.

ويرى المعتزلة أيضا أن الإنسان فاعل مختار حرّ الإرادة، يتصرف بهذه القدرة التي منحته إياها العناية الإلهية كما يشاء، ويوجهها بحسبما يريد، ويستغلها في خلق أفعاله. وقد التزم المعتزلة هذا التصور لأسباب ثلاثة هي: تفسير التكليف والوعد والوعيد، تبرير إرسال الرسل، نفي الظلم عن الله تعالى.

ينظر في هذا الموضوع كتاب (المعتزلة) لزهدي جار الله ص:92 وما بعدها.

وكذلك تنظر آراء المعتزلة في الكتب التالية: الملل والنحل للشهرستاني، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري. وغيرها.

(2) التكوير، من الآية:29.

(3) رواه الترمذي في العلم 2579، أبو داود في العلم3179، ابن ماجه في المقدمة248، أحمد 8103.

(4) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الأموي البغدادي، من كبار حفاظ الحديث. وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس. توفي ببغداد مكان مولده سنة 281هـ. له مصنفات كثيرة منها: مكارم الأخلاق، العقل وفضله، عجائب الخلق، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 10/ 89، تهذيب التهذيب 6/ 12، تذكرة الحفاظ 1/ 171.

ليجاري به العلماء، وليماري به السفهاء، ويصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله النار»[1].

وروى البخاري ومسلم وأحمد عن أسامة بن زيد[2] عن النبي ﷺ أنه قال: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه[3] فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[4].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ليلةَ أسري بي أقواما تقرض شفاههم بمقاريض/ من النار كلما خرجت رُدّت. فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء علماء أمتك وقراؤها ووعاظها يقولون ولا يفعلون، ويعلمون ولا يعملون، وينهون عن المنكر ولا ينتهون»[5]. [47]

---

(1) رواه الترمذي في العلم 2578 وقال: هذا حديث غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تكلم فيه من قبل حفظه، البيهقي في الشعب 1772، ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ص: 83.

(2) هو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي الهاشمي من كنانة عوف، صحابي جليل، روى له البخاري ومسلم 128 حديثا. توفي سنة 58هـ.

تنظر ترجمته في: الاستيعاب 1/ 75، سير أعلام النبلاء 2/ 496، الإصابة 89.

(3) في رواية البخاري وغيره زيادة: فيدور كما يدور الحمار برحاه.

(4) رواه البخاري في بدء الخلق 3037، مسلم في الزهد والرقائق 2979، أحمد 20785.

قال الحافظ المنذري: «الأقتاب الأمعاء واحدة قتب بكسر القاف وسكون التاء. تندلق أي تخرج». الترغيب والترهيب 3/ 165.

(5) رواه أحمد عن أنس بن مالك مرفوعا 13027 بلفظ: «رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هم خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون».

وروى الطبراني في الكبير عن الوليد بن عقبة[1] أن رسول الله ﷺ قال: «إن أناسا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون بِمَ دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلّمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل»[2].

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا تماروا به السفهاء، ولا تحبروا[3] به المجالس فمن فعل فالنار النار»[4].

وروى الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»[5].

وروى أبو داود عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من تعلم صرف الكلام ليسبيَ به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»[6]. وقال ﷺ: «من تعلم علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا»[7].

وروى الطبراني في الأوسط أن النبي ﷺ قال: «علماء هذه الأمة رجلان: رجل أتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا، ولم يشتر به ثمنا، فذلك يستغفر له

---

(1) هو أبو وهب الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة وتوفي بالرقة سنة 61 هـ.
تنظر ترجمته في: الاستيعاب 2721، الإصابة 9149.

(2) المعجم الكبير 405، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 185 وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو بكر عبد الله ابن حكيم الداهري وهو ضعيف جدا.

(3) تـخيروا.

(4) رواه ابن ماجه في المقدمة 250، ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) 77، البيهقي في شعب الإيمان 1771، وقال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة 1/ 37: هذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم.

(5) تقدم تخريجه في ص 334.

(6) رواه أبو داود في الأدب 4353.

(7) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة 907 بلفظ: «من ازداد علما....».

[48] الحيتان ودواب/ البر والطير في جوّ السماء. ورجل أتاه الله علما فبخل به عن عباد الله وأخذ عليه طمعا، واشترى به ثمنا، فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار، وينادي مُنَادٍ: هذا الذي أتاه الله علما فبخل به عن عباد الله، وأخذ عليه طمعا، واشترى به ثمنا، وكذلك حتى يفرغ الحساب»[1].

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، والحاكم على شرط البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليطلب به[2] عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[3]. والعرف: الريح.

وفي رواية «من تعلم علما ينتفع به في الآخرة يريد به عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة»[4]، روي بفتح الياء وضمّها مع كسر الراء، ومعناه لم يجد رائحتها. وقال ﷺ: «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه»[5]، رواه الطبراني في الصغير، والبيهقي في الشعب، وابن عدي في الكامل عن أبي هريرة، أي: فإن لم يعْمل به فهو أعظم جرما وأقبح إثما ممن عصاه من غير علم. ولهذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار، لكونهم جحدوا بعد العلم بالله، ثم إن لفظ الحديث عند هؤلاء: عالم لم ينفعه علمه. وقد ضعّف هذا الحديث المنذري[6] وغيره.

---

(1) المعجم الأوسط 7187 وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد1/ 124 وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن خراش ضعفه البخاري، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وابن عدي، ووثقه ابن حبان.

(2) ليصيب به.

(3) رواه أبو داود في العلم 3179، ابن ماجه في المقدمة 248، ابن حبان 78، الحاكم288 وقال: هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته على الشيخين ولم يخرجاه.

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 1/ 83، عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده.

(5) شعب الإيمان 1778، المعجم الصغير 507، الكامل 3/ 40 في إسناده عثمان بن مقسم البري وهو ضعيف.

(6) الترغيب والترهيب 1/ 75.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كبشة السلولي [1] قال سمعت أبا الدرداء يقول: «إن من شر الناس عند الله منـزلة يوم القيامة عالما لا ينتفع بعلمه»[2].

وروى أبو بكر الخطيب في تاريخه بإسناد حسن، والترمذي وابن عبد البر عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «العلم علمان، علم ثابت في[3] القلب، فذلك[4] العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجة الله على عباده[5]»[6]. وروى الديلمي في مسنده الفردوس عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العالم والعلم والعمل في الجنة، فإذا لم يعمل العالم بما يعلم كان العلم والعمل في الجنة، وكان العالم في النار»[7].

وروى البزار عن معاذ بن جبل قال: تعرّضت أو تصدّيت لرسول الله ﷺ [8] فقلت: يا رسول الله، أي الناس شر؟ فقال عليه السلام: «اللهم عفوا، اسأل عن الخير ولا تسأل عن الشر، شرار الناس شرار العلماء في الناس»[9].

---

(1) هو أبو كبشة السلولي، شامي تابعي. وكان متعبدا متوحدا. ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة الثانية وذكره ابن سميع في الطبقة الثالثة.

تنظر ترجمته في: معرفة الثقات 2/ 421، لسان الميزان 7/ 479.

(2) حلية الأولياء 1/ 223.

(3) على.

(4) فتلك.

(5) ابن آدم.

(6) تاريخ بغداد 4/ 346، نوادر الأصول للحكيم الترمذي 2/ 303. قال المنذري: إسناده صحيح. وقال العراقي: سنده جيد وإعلال ابن الجوزي له وهم. وقال السمهودي: إسناده حسن. ينظر فيض القدير 4/ 391.

(7) الفردوس 4198 عن أبي هريرة بلفظ: «العلم والعالم في الجنة...الحديث».

(8) في رواية البزار زيادة: وهو يطوف بالبيت.

(9) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد1/ 185 وقال: رواه البزار وفيه الخليل بن مرة. قال البخاري: منكر الحديث. ورد ابن عدي قول البخاري وقال أبو زرعة: شيخ صالح.

[49] وروى أحمد في الزهد والبيهقي عن/ منصور بن زادان[1] قال: «ثبت أن بعض من يُلقى في النار يتأذى أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنت تعمل، أما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وبنَتْنِ ريحك؟ فيقول: كنت عالما فلم أنتفع بعلمي»[2].

وقال ﷺ: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيئا، أو قتله نبيء، أو قتل أحد والديه، والمصورون، وعالم لم ينفعه الله بعلمه»[3].

وقال ﷺ: «ويل لمن علم ولم يعمل مرة، وويل لمن يعلم ولم يتعلم مرتين»[4].

وروى الطبراني في **الأوسط والصغير** عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أتخوف على أمتي مؤمنا، ولا مشركا. فأما المؤمن فيحجزه إيمانه، وأما المشرك فيقمعه كفره، ولكن أتخوف عليكم منافقا[5] يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون»[6].

---

(1) هو منصور بن زادان الثقفي مولاهم الواسطي الإمام أحد الأعلام البارزين في عصره. وكان ثقة حجة صالحا متعبدا كبير الشأن. توفي سنة 131 هـ.

تنظر ترجمته في: معرفة الثقات1793، تذكرة الحفاظ 1/ 141، سير أعلام النبلاء 5/ 441.

(2) كتاب الزهد لابن أبي عاصم 1/ 377 بلفظ: «نبئت».

(3) الفردوس بمأثور الخطاب عن ابن عباس 829.

(4) ذكره الديلمي في الفردوس عن حذيفة7161 بلفظ: «ويل لمن لا يعلم، وويل لمن يعلم ثم لا يعمل» قالها ثلاثا.

(5) في الأوسط و الصغير: منافق عالم اللسان.

(6) المعجم الأوسط 7065، المعجم الصغير 1024. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 187 وقال: وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف جدا.

وروى في الكبير عن عمران بن حصين[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم[2] كل منافق عليم اللسان»[3].

وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله »[4].

وقال ﷺ: «من عمل بما يعلم، أورثه الله ما لم يعلم»[5]. قال البرزلي[6] في نوازله: «سُئل عِزّ الدين عن معنى هذا الحديث، فأجاب بأن معناه من عمل بما يعلمه من واجبات الشرع ومندوباته واجتناب مكروهاته ومحرماته، أورثه الله من العلم الإلهي ما لم يعلمه من ذلك. لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[7].

---

(1) هو أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي صحابي جليل كثير المناقب، بعثه عمر بن الخطاب ليفقه أهل البصرة، وولاه زياد قضاءها.

توفي سنة 52 هـ وله في كتب الحديث 130 حديثا.

تنظر ترجمته في: الاستيعاب 1969، تذكرة الحفاظ 1/ 29، سير أعلام النبلاء 2/ 568.

(2) في الكبير: عليكم بعدي.

(3) المعجم الكبير 593 وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 187 وقال: رواه الطبراني والبزار ورجاله رجال الصحيح.

(4) السنن الكبرى للبيهقي7572. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب3/ 350 وقال: رواه الطبراني. وقد حسّن هذا الحديث أبو عمر النمري وغيره. وركب المصري الذي يرويه عن رسول الله ﷺ اختلف في صحبته فقال البغوي: لا أدري سمع من النبي ﷺ أم لا. وقال ابن منده: لا نعرف له صحبة. وذكر غيرهما أن له صحبة ولا أعرف له غير هذا الحديث.

(5) ذكره المناوي في فيض القدير 4/ 388.

(6) هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني التونسي الشهير بالبرزلي، الإمام الحافظ أحد أئمة المالكية وصاحب الديوان المشهور في الفقه والنوازل من كتب المذهب. توفي بتونس سنة 844 هـ وقيل 842 هـ.

تنظر ترجمته في: الضوء اللامع 11/ 133، نيل الابتهاج ص: 368، درة الحجال 3/ 282، شجرة النور الزكية ص: 245.

(7) تتمة الآية: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾. العنكبوت، الآية: 69

وذكر بعض الأكابر من العارفين أن لكل طاعة لله عز/ وجل نوعا من الثواب يختص بها، وأن الإلهام من جملة ما جعله الله تعالى للأعمال الصالحة، فَيُلهِمُ المعنى إلهاما للمفتي، والقاضي، والإمام، ومن له النظر في مصالح المسلمين[1]، وكذا سائر أعمال البر» انتهى باختصار. [50]

وقال أحمد بن معين[2]: التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري، فقال ابن حنبل لابن أبي الحواري[3]: «حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان[4]. فقال: يا أحمد قل: سبحان الله بلا عجب. فقال أحمد: سبحان الله، وطولها بلا عجب. فقال ابن أبي الحواري، سمعت أبا سليمان يقول: إذا اعتقدت النفوس على ترك المعاصي جالت في الملكوت، وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علما. فقام أحمد بن حنبل ثلاثا، وجلس ثلاثا، وقال: ما سمعت في الإسلام بحكاية أعجب إلي من هذه. ثم ذكر حديث «من عمل بما علم»[5] ثم قال لابن أبي الحواري: صدقت يا أحمد

---

(1) في (ب): الإسلام.

(2) في حلية الأولياء 10/ 14، عن يحيى بن معين، وفي فيض القدير 4/ 388 (قال يحيي بن معاذ) وهو أبو زكرياء يحيي بن معاذ الرازي الواعظ من كبار المشايخ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة. توفي بنيسابور سنة 258 هـ.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 14/ 208 وما بعدها، صفة الصفوة 4/ 90، سير أعلام النبلاء 13/ 15.

(3) هو أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري عبد الله بن ميمون من قدماء مشايخ أهل الشام. تكلم في علوم المحبة والمعاملات، وصحب أبا سليمان الداراني وأخذ طريقة الزهد من أبيه. وقيل أنه طلب العلم ثلاثين سنة. توفي سنة246 هـ. تنظر ترجمته في: صفة الصفوة 4/ 237، سير أعلام النبلاء 12/ 85.

(4) يقصد أبا سليمـان الداراني، وهو عبد الرحمن بن عطية، وقيل عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، وقيل عبدالرحمن بن عسكر أحد أئمة العلماء العاملين. وقد اختلف في سنة وفاته، فقيل ما بين 204 هـ و235هـ.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 10/ 248، حلية الأولياء 9/ 254، صفة الصفوة 4/ 223، 234.

(5) فيض القدير 4/ 388 بتصرف.

وصدق شيخك. وقال ﷺ: «يأمر الله بطائفة من العلماء والقراء والمجاهدين إلى النار، ويقال لكل طائفة إنما عملت ليقال»[1]. وقد قيل الحديث بطوله.

وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الزبانية أسرع إلى حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان، فيقال لهم: ليس من يعلم[2] كمن لا يعلم»[3]، قال المناوي[4] في شرح الجامع الصغير لما تكلم على هذا الحديث أي أسرع اختطافا لفسقة حاملي القرآن من الموقف ليدخلوهم النار. قوله: «ليس من يعلم» أي فإن الذنب والمخالفة تعظم بمعرفة قدر المخالف. والمراد «بحملة القرآن» ما يشمل العلماء غير العاملين»[5].

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك2524 بلفظ: عن أبي هريرة مرفوعا:«أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيه؟ قال: قاتلت فيك حتى قتلت. قال: كذبت، ولكن قاتلت ليقال هو جريء فقد قيل. قال: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه عليه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. فيقول: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال هو عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أنواع المال فأتي فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها ؟ قال: ما علمت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه. قال:كذبت، لكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخاري.

(2) في الحلية: علم.

(3) حلية الأولياء 8/ 286.

(4) هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء في عصره. توفي بالقاهرة سنة 1030 هـ.

من كتبه: كنوز الحقائق، فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح قصيدة النفس العينية لابن سينا، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وغير ذلك. تنظر ترجمته في: البدر الطالع 1/ 357، فهرس الفهارس 2/ 2.

(5) فيض القدير للمناوي 4/ 70.

وقال مالك في العتبية: «العلماء أربعة: رجل تعلم علما وعلّمه وعمل به، فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1]. ورجل تعلم علما وعمل به ولم يعلّمه، فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾[2] الآية. ورجل تعلم علما وعلّمه وأمر به ولم يعمل به، هو قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[3] الآية. ورجل لم يعلم علما ولا عمل به، هو قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[4] وهو كالحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها»[5].

[51] روي/ عن النبي ﷺ أنه قال: «صنفان إذا صلحا صلح الخلق وإذا فسدا فسد الخلق: الأمراء والعلماء»[6].

وروى الترمذي عن أبي برزة الأسلمي[7] أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق، وعن علمه ماذا عمل به»[8].

---

(1) فاطر، من الآية: 28.

(2) تتمة الآية: ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾. البقرة، الآية: 158.

(3) تتمة الآية: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. البقرة، الآية: 43.

(4) تتمة الآية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾. الأعراف، الآية 179.

(5) البيان والتحصيل لابن رشد 18/ 571.

(6) ذكره الديلمي في الفردوس 4/ 3784 عن ابن عباس. قال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف. ينظر فيض القدير 4/ 209.

(7) هو أبو برزة نضلة بن عبيد بن الحارث الأسلمي. صحابي جليل، شهد مع علي رضي الله عنه قتال أهل النهروان. توفي بخرسان سنة 65 هـ. له في كتب الحديث 46 حديثا.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 1/ 182، الإصابة 8718.

(8) رواه الترمذي في صفة القيامة 2341 وقال: هذا حديث حسن صحيح. ولفظه: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

وروى الترمذي والطبراني في الكبير، والبغوي[1] والبيهقي في الشعب، عن صهيب[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه»[3].

وذكر ابن عطاء الله[4] حديثا نصه: «إن الله لا يسأل الخلق عن ذاته وصفاته ولا عن قضائه وقدره، وإنما يسألهم عن أمره ونهيه، فاطلب ربّك من حيث يطلبك». وقال ابن العربي[5]: دخلت على بعض المشايخ وكتابي في كمي فقال: يا هذا استكثر عليك من الشهود، فإنه ليس منه حرف إلا وتسأل عنه، فقلّل، أو كثّر. وقال مكحول[6] كان

---

(1) هو أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، صاحب التفسير، وشرح السنة، والتهذيب، وغير ذلك. وكان يلقب بمحيي السنة وبركن الدين. وكان إماما عالما زاهدا. أخذ عن أكابر علماء عصره، وبرع في علوم شتى. توفي517هـ. تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 4/ 1062، سير أعلام النبلاء 19/ 439، الإصابة 10624.

(2) هو أبو يحيي صهيب بن سنان بن مالك من بني النمر بن قاسط، صحابي جليل، وأحد السابقين إلى الإسلام. وكان يعرف بصهيب الرومي. توفي بالمدينة سنة 38 هـ. له 307 حديثا.

تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 3/ 226، حلية الأولياء 1/ 151، سير أعلام النبلاء 2/ 17.

(3) رواه الترمذي في فضائل القرآن 2842 وقال: هذا إسناد ليس بالقوي، الطبراني 7295، قال البغوي: حديث ضعيف. فيض القدير 5/ 407 والبيهقي في الشعب 173، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وضعفه 1/ 177.

(4) هو أبو الفضل أحمد بن محمد عبد الكريم تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري الشاذلي، فقيه ومتصوف، اشتهر بالزهد والورع. توفي بالقاهرة سنة 709 هـ. من تآليفه: التنوير في إسقاط التدبير، الحكم، لطائف المنن، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: الديباج المذهب 1/ 211، البدر الطالع 1/ 107، الدرر الكامنة 1/ 273، طبقات الشعراني2/ 473.

(5) لعله أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف بأبي بكر بن العربي، قاض، ومن أشهر حفاظ الحديث في عصره. توفي سنة 543 هـ.

له تآليف مفيدة وكثيرة تدل على قدم راسخ في العلوم الشرعية منها: العواصم من القواصم، أحكام القرآن، قانون التأويل، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 296، تاريخ قضاة الأندلس ص: 137، الديباج المذهب 2/ 233.

(6) هو أبو عبد الله مكحول بن مسلم الهذلي الشامي، ثقة فقيه حافظ وكثير الإرسال. توفي سنة بضعة عشرة ومائة للهجرة، وقيل سنة 118 هـ.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 1/ 107، تهذيب الأسماء 2/ 415، طبقات الحفاظ 94.

رجل يسأل أبا الدرداء، فقال له: كل ما تسأل عنه تعمل به قال: لا. قال فما تصنع بالزيادة حجة الله عليك. وقال القِلْشاني[1] في شرح الرسالة: «وحيثما ورد تعظيم العلم في كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله، فالمراد به العلم النافع الذي هو مطلوب إليه الخشية. وشاهد الخشية موافقة الأمر، وأما العالم تكون منه الرغبة في الدنيا، والتملّق لأهلها، وصرف الهمة لاكتسابها، والجمع، والادخار، والمباهاة، والاستكثار، وقصد التصدر، والرياسة، ومغالبة الأقران، والمنافسة، وقسوة القلب، والوقوع فيما يسخط الرب، ونسيان الآخرة. فما أبعد من هذه صفته، من أن يكون/ من العلماء ورثة الأنبياء، [52] وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث. ومثل من هذه صفته كالشمعة تضيء على غيرها وتحرق نفسها.

فقد جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه، وستأتي عقوبة لديه. ولا يغرنّك أن يكون به انتفاع للبادي والحاضر، فقد قال ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[2]. ومثال من يتعلم العلم لاكتساب الدنيا كمثل من رفع العذرة بمعلقة من ياقوت. فما أشرف الوسيلة وما أخسّ المتوسل إليه. ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم، فمكث أربعين سنة أو خمسين يتعلم العلم، ولا يعمل به، كمثل من قطع هذه المدة يتطهر، ويجدد الطهارة، ولم يصلّ صلاة واحدة، إذ المقصود من العلم العمل، كما أن المقصود من الطهارة الصلاة.

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني التونسي، القاضي الإمام الفقيه العالم المؤلف. أخذ عن أشهر علماء عصره. توفي سنة 863 هـ. له شرح على الرسالة و ابن الحاجب، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: الضوء اللامع 1/ 137 نيل الابتهاج ص: 116-117، كفاية المحتاج 1/ 116 -117، شجرة النور الزكية ص: 258.

(2) رواه البخاري رقم: 2834.

وقال ابن رشد[1] في المقدمات[2]: يجب على طالب العلم أن يخلص النية لله تعالى في طلبه فإنه لا ينفع عمل لا نية لفاعله. وفي الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات»[3] وقال عليه السلام: «نية المؤمن أبلغ[4] من عمله»[5]. ثم ذكر أحاديث كثيرة وقال بعدها: وهذا الوعيد والله أعلم لمن كان أصل علمه الرياء والسمعة. فأما من كان أصل عمله لله تعالى، وعلى ذلك عقد نيته فلا تضره إن شاء الله الخطرات التي تخطر في القلب ولا تملك. وسُئل مالك عن الرجل يحب أن يُلْقى في طريق المسجد ولا يحب أن يُلقى في طريق السّوق. فقال: إذا كان أول ذلك وأصله لله فلا بأس به إن شاء الله، إلى أن قال: فمن وجد ذلك فلا يُسلِكه عن التمادي في فعل الخير، ولا يؤيسه من الأجر وليدفع الشيطان عن نفسه ما / استطاع ويجدد النية لله، وقد ورد عن بعض المتقدمين: طلبنا [53] العلم لغير الله فردنا لله»[6] انتهى كلام القلشاني باختصار. وقوله عن بعض المتقدمين: «طلبنا العلم إلى آخره»، في رواية أخرى: «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله»[7] قال الغزالي: معناه «امتنع حصوله حتى طلبناه لله»[8] قاله في ميزان العمل، ونقله عنه

(1) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي المالكي، قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها. له علم واسع بالعلوم الشرعية والعقلية. توفي سنة 520 هـ.

من تآليفه: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، المقدمات، اختصار مشكل الآثار للطحاوي. وغيرذلك.

تنظر ترجمته في: تاريخ قضاة الأندلس ص: 130، الديباج المذهب 2/ 229 ـ أزهار الرياض 3/ 59.

(2) «المقدمات الممهدات في بيان ما اقتضه رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات لأمهات مسائلها المشكلات». وهي في مجموعها ذيل للمدونة الكبرى لسحنون بن سعيد التنوخي. ينظر معجم المطبوعات العربية 1/ 108.

(3) رواه البخاري في بدء الوحي 1.

(4) في (د): خير.

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان 6853، وقال: هذا إسناد ضعيف.

(6) تحرير المقالة في شرح الرسالة للقلشاني.ق200/ ب.

(7) تحفة المريد ص: 51.

(8) في ميزان العمل ص: 116: «تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله».

الشيخ زرّوق في تحفة المريد[1]. «وقيل بل طلبه لغير الله لا يصيّره لغيره لأنه لا يمكن أن يكون لغيره حتى أن الشيطان يحض العبد على طلب العلم لتقوم عليه الحجة ويقع في ذنوب كثيرة، فبمخالطة الطلبة والعلماء يخرج له من ذلك بيان الحلال والحرام الذي يصرفه عن تحريم ما حلل الله، وتحليل ما حرّم الله، فعند ذلك يود أن يرده عنه لما يرى من مصلحته، فيجيبه بقوله: طلبنا العلم لغير الله إلى آخره». قاله الشيخ زروق في شرح الرسالة[2] وقال بعده: فتأمله فإنه جيّد»[3].

قلتُ: وليس من الريّاء أيضا اشتهار الإنسان به، لطلب الاقتداء به لا لغرض سواه. قال العلماء بالله: «ينبغي للعابد السّعي في الخمول والعزلة لأنها أقرب إلى السلامة، وللعالم السعي في الشهرة والظهور تحصيلا للإفادة، حتى إنهم أباحوا، بل استحبوا طلب خطة القضاء التي توليتُها من أعظم الفتن لهذا الغرض، إلا أن هذا مقام كثير الخطر، ربما يقع فيه الزلل ولا يميزه إلا من ساعده التوفيق، لأن النفس أمارة بالسوء، فربما تعدل عن طلب الاقتداء إلى طلب الرئاسة، لأن من شأنها الركون إلى حظوظها العاجلة. قال ابن عطاء الله: علامة الذي يطلب العلم/ إذا قيل له: إذا غدا تموت لا يدع [54] ما هو عليه. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4]: «يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، فسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف علمهم عملهم، وتخالف سرائرهم علانيتهم، ويجلسون حِلقا، يباهي بعضُهم بعضا حتى إن الرجُل ليغضبُ على جليسه أن يَجْلِسَ إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل». نقله الشيخ داود في شرح الرسالة.

---

(1) تحفة المريد ص: 51.

(2) شرح الرسالة ص: 2/ 421.

(3) في المصدر السابق 2/ 421: «فتأمل ذلك فإنه مليح وبالله التوفيق».

(4) جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 697.

وعن يزيد بن أبي حبيب[1] قال: سُئل النبي ﷺ عن الشهوة الخفية، قال: «هو الرجل يتعلم العلم يحب أن يجلس إليه»[2]. أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن مصعب ابن سعد[3] مرسلا.

وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «احذروا الشهوة الخفية، العالم يحب أن يجلس إليه»[4]. أي أنه قيل: وما هي؟ قال:العالم يحب أن يجلس إليه للأخذ عنه، لأنه يفوته الإخلاص لوجه الله.

وروي عن سفيان[5] الثوري[6] أنه قال: «كنت أغبط الرجل يجتمع حوله ويكتب عنه فلما ابتليت به وددت أن نجوت منه كفافا لا عليّ ولا لي»[7]. ورأى بعضهم أبا حنيفة في النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. فقال له: بالعلم، فقال له: هيهات إن للعلم شروطا وآفات قلّ من ينجو منها، فقال:وبماذا ؟ فقال:بقول الناس فيّ ما لم يعلمه إلا الله، أو ما لم أكن عليه.

---

(1) هو أبو رجاء يزيد بن سويد بن أبي حبيب الأزدي بالولاء المصري،كان إماما عالما، حافظا للحديث، ومفتيا لأهل مصر في صدر الإسلام. توفي سنة 128 هـ.
تنظر ترجمته في: طبقات بن سعد 7/ 513 – 514، تذكرة الحفاظ: 1/ 129.

(2) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 661.

(3) هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية وقال: كان ثقة كثير الحديث. توفي سنة 103 هـ.
تنظر ترجمته في: طبقات بن سعد 5/ 169، تهذيب الكمال 5982، تذكرة الحفاظ 1/ 22.

(4) قال ابن حجر: وفيه إبراهيم بن محمد الأسلمي متروك. ينظر فيض القدير 1/ 188–189.

(5) في (ج): سعيد.

(6) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. كان عالما تقيا ثقة. توفي بالبصرة سنة 161 هـ
تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 6/ 356، تاريخ بغداد 9/ 15، وفيات الأعيان 2/ 386.

(7) في جامع بيان العلم1/ 573: «كنت أتمنى الرياسة وأنا شاب، وأرى الرجل عند السارية يفتي فأغبطه، فلما بلغتها عرفتها».

قال الشاعر[1]: [البسيط]

المـــال آفتـــه التبـــذير والنهـــــب والعلـم آفتـه الإعجـاب والغـضب

ومن دعائه ﷺ كما في مسلم والترمذي: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع»[2]، وهو قطعة من حديث طويل. وقيل لإبراهيم بن عيينة[3]: «أي الناس أطول ندامة؟ فقال: أما / في الدنيا فصانع المعروف فيمن لا يشكره، وأما في الآخرة فعالم مفرط»[4]. [55]

وذكر الغزالي في الإحياء عن بعض أهل العلم أنه قال: «إن في جهنم واديا يقال له الفلق، وهو المذكور في كتاب الله، إن جهنم لتتعوذ بالله كل يوم سبع مرات من شر ذلك الوادي، وإن في ذلك الوادي لجُبّاً، وإن جهنم والوادي يتعوذان بالله كل يوم سبع مرات من شر ذلك الجبّ، وإن في ذلك الجبّ لحيّةً، إن جهنم والوادي والجبّ يتعوذون بالله كل يوم سبع مرات من شر تلك الحية، أعدها الله للمرائين، والعاصين، من حملة القرآن، والعلماء، الذين يقولون ما لا يفعلون، وينهون الناس ولا ينتهون، يقرأون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولا يعملون بهما»[5]. وذكر عن عيسى عليه السلام أنه

---

(1) نسبه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 571 إلى علي بن ثابت، وفيه:

العلم آفته الإعجاب والغضب *** والمال آفته التبذير والنهب.

(2) رواه مسلم في الذكر والدعاء 2722، الترمذي في الدعوات 3404.

(3) هو إبراهيم بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولى بني هلال من أهل الكوفة، أخو سفيان بن عيينة، قال يحي ابن معين: كان مسلما صدوقا، لم يكن من أصحاب الحديث. توفي سنة 199 هـ. بعد سفيان.

تنظر ترجمته في: الكنى والأسماء 29، ميزان الاعتدال 164.

(4) الإحياء 1/ 59.

(5) لم أقف عليه في باب العلم. ينظر المدخل لابن الحاج 1/ 16 وكذا تفسير القرطبي 1/ 19.

قال: «مثل الذي يعلم الناس ولا يعمل، هو كمثل امرأة زَنَتْ في السر، فإذا حملت افتضحت، وكذلك هذا يفضحه الله يوم القيامة»[1].

وعن أبي الدرداء أنه قال: «إني لا أخاف أن يقال يوم القيامة يا عُوَيْمِرُ ماذا علمت، ولكن أخاف أن يقال ماذا عملت فيما علمت»[2] رواه البيهقي. وحُكي عن عيسى عليه السلام أنه قال: «ماذا يغني حمل السراج ويستضيء غيره، وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره، وماذا يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة ولا تعملوا بها». وعنه أيضا: «ما أكثر الأشجار وليس كلها بمثمر. وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد. وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع»[3]. نقله في الإحياء، وكذلك أبو الليث السمرقندي. وذكر أن الملائكة تتعجب من ثلاثة: رجل مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه يدخل النار، ورجل جمع/ مالا يمنع منه حقوق الله تعالى ينفقه ورثته في الطاعة[4] فينجون به [56] وكاسبه في النار، ورجل عالم سوء ينجو الناس بعلمه وهو في النار». ويقال: «إذا اشتغل العلماء بجمع المال الحلال صارت العامة تأكل الشبهة، وإذا صارت العلماء تأكل الشبهة، صارت العوام تأكل الحرام، وإذا صارت العلماء تأكل الحرام، صارت العوام كفارا»[5]. قال السمرقندي: «أي لأن العلماء إذا جمعوا الحلال صار العوام يقتدون بهم في الجمع، وهم لا يحسنون الجمع فيقعون في الشبهة، وإذا أخذ العلماء الشبهة وتحرّزوا بها معهم من العلم عن الحرام، فالجهال لا يميزون بين الشبهة والحرام فيقعون فيه وإذا

(1) الإحياء 1/ 63.

(2) شعب الإيمان 2/ 286.

(3) الإحياء 1/ 35.

(4) في (د): طاعة الله.

(5) التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للرازي 2/ 170.

أخذ العلماء من الحرام، اقتدى بهم الجهال، وظنوا أنه حلال، فعند ذلك وقع الكفر، باستحلال الحرام، عصمنا الله أجمعين».

وقال الغزالي بعد كلام في التفكر ما نصه: «فأما من خاف من شيء هرب منه، ومن رجا شيئا طلبه. وقد علمنا أن الهروب من النار بترك الشبهات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون. وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعة ونحن مقصرون في الفرائض. فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يُقْتدى بنا في الحرص على الدنيا، والتكالب عليها. ويقال: لو كان هذا حراما لكان العلماء أولى باجتنابه منا. فيا ليتنا كالعوام إذا مِتْنَا مَاتَتْ ذنوبنا معنا! فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها. فنسأل الله أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا»[1].

وورد في بعض الكتب: إن أهون ما أصنَعُ بالعالم إذا مال إلى الدنيا، أن أسلبه حلاوة مناجاته. وسُئِل عليه السلام أي الناس أشر؟ قال: «العالم إذا أفسد»[2]. ويقال: إذا أفسد العالمُ فسد بفساده العالَمُ كله/ . ويقال: «زلّة الجاهل يُخفيها الجهل، وزَلّة العالم يُضربُ بِهَا الطبْلُ»[3]. وعن سهل بن عبد الله: «الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم سكارى إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم»[4]. [57]

---

(1) الإحياء 4/ 433.

(2) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم1/ 669 بلفظ:«العلماء إذا فسدوا».

(3) المستطرف من كل فن مستظرف 1/ 33.

(4) الجامع لشعب الإيمان 6455، تاريخ مدينة دمشق 17/ 429- 430 من قول ذي النون المصري. وذكره في الإحياء 1/ 61 ونسبه لسهل، وفي كشف الخفاء 2/ 312: وبعضهم يرويه هلكى في الكل، وبعضهم يرويه موتى في الكل، قال الصغاني: وهذا حديث مفترى ملحون والصواب في الأعراب العالمين والعاملين والمخلصين انتهى. وأقول فيه: إن السيوطي نقل في النكت عن أبي حيان أن الأبدال في الاستثناء الموجب لغة لبعض العرب وخرج عليها قوله تعالى ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ انتهى. وعليه فالعالمون وما بعده بدل مما قبله. انتهى كلام العجلوني.

وفي الجامع الصغير للسيوطي: أن النبي ﷺ قال: «أكثر منافقي أمتي قرّاؤها»[1]. قال شارحه المناوي: «أراد نفاق العمل وهو الرياء والاعتقاد[2]»[3].

وقال سهل بن عبد الله: «احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس: الجبابرة الغافلون، والمتصوفة الجاهلون، والقرّاء المداهنون»[4].

قلت: وذلك لأن كل واحدٍ منهم ضال مضل بفعله. ودواعي قوله مع كونه في محل تميل النفوس إليه، فالجبار الغافل ميّت القلب، ولا يستفاد من الحيّة سوى السم. والصوفي الجاهل مغيّر للدّين، قائم بالبدع، ظاهر بالدعاء وبعيد عن الحق وإن شمّ رائحة الحقيقة. والقارئ المداهن يرجح الحق بالباطل ويوجهه بالتأويل. وروي عن سفيان الثوري أنه قال: «كان يقال: العالم الفاجر فتنة لكل مفتون»[5].

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم قال: «من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، وعف بطنُه وفرجه، فذلك من الراسخين في العلم»[6]. نقله في الدر المنثور. وقال يزيد بن ميسرة[7]:

---

(1) رواه أحمد 6633، الطبراني في الكبير471، وينظر فيض القدير 2/ 80.

(2) في فيض القدير 2/ 80: «أراد نفاق العمل لا الاعتقاد».

(3) المصدر السابق 2/ 80.

(4) طبقات المناوي الكبرى 1/ 436، فيض القدير 6/ 405.

(5) المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي 1/ 33.

(6) تفسير الطبري 3/ 185، تفسير ابن أبي حاتم 2/ 539، المعجم الكبير للطبراني 7658. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 6/ 324 وقال: رواه الطبراني، وعبد الله بن يزيد ضعيف.

(7) هو يزيد بن ميسرة بن حليس الدمشقي، كنيته أبو يوسف وقيل أبو حليس أخو يونس بن ميسرة. روى عن أم الدرداء وأبي إدريس الخولاني، وروى عنه معاوية بن صالح.
تنظر ترجمته في: الكنى والأسماء 939، الثقات 11801.

من أراد بعلمه وجه الله أقبل الله بوجهه ووجوه العباد إليه، ومن أراد بعلمه غير الله صرف الله عنه وجهه ووجوه العباد[1].

ولله در من قال[2]:/ [السريع] [58]

إنـــي رأيـــت النـــاس في عـــصرنـــا لا يطلبـــون العلـــم للتعليـــــمْ

إلا مباهــــــاة لأصحابــــــــه وعـــدة للظلـــم و التغـــشيـــم

وقال الشيخ زروق[3] في شرح القرطبية ما نصه: «وقال سفيان الثوري: إنما يتَعلّمُ العلم ليتّقى به الله تعالى، وإنما فضل العالم غيره لأنه يُتّقـى الله بـه، وقـال سـيدي أبـو العباس المرسي: الفقيه من أفقأ الحجاب عن عينـي قلبـه. وقـال الجنيـد[4]: العلـمُ أن تعرف ربَّك ولا تعدو قدرك. وقال الحكماء: زيادة العلم عـلى الرجـل الـسوء كزيـادة

---

(1) المستطرف من كل فن مستظرف 1/ 33.

(2) ورد البيتان في المستطرف 1/ 33 غير منسوبين.

(3) هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق الفاسي جمع بين الفقه والتصوف، واشتهر بطريقته الصوفية المنسوبة إلى اسمه. توفي سنة 899 هـ. من كتبه: (شرح مختصر خليل) في فقه المالكية، (النصيحة الكافية) و (القواعد) في التصوف، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص:130- 131، شذرات الذهب 7/ 363، سلوة الأنفاس 3/ 183.

وينظر أيضا كتاب: (أحمد زروق والزروقية) لعلي فهمي خشيم.

(4) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي، إمام الطائفة الصوفية وكان فقيها على مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة. صحب خاله السري والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب. توفي سنة297هـ.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد7/ 241، حلية الأولياء 1/ 255، الرسالة القشيرية 430-431، صفة الصفوة2/ 416.

الماء في أصول الحنظل، كلما ازداد ريّاً ازداد مرارة. وقال الفضيل[1]: العالم طبيب الدين، والدنيا داء الدين، فإذا كان الطبيب يجرّ الداء إلى نفسه فمتى يبرئ غيره»[2].

وروي عن مالك وغيره أن عبد الله بن سلام[3] قال لكعب: «من أرباب العلم الذين هم أهله؟ قال: الذين يعملون بعلمهم. قال: صدقت. قال: فما ينفي العلم من صدور العلماء بعد أن يعلموه. قال: الطمع»[4].

وروى ابن ماجه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إن أناسا من أمّتي يتفقهون[5] في الدين يقرأون القرآن، يقولون[6]: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتز لهم بديننا، ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتني من قربهم إلا..»[7]. قال محمد ابن الصبّاح أحد رواة الحديث: كأنه يعني: الخطايا.

ومن كلام الإسكندر: السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه، فإذا عرفنا أطلنا يومه وأطرنا نومه. ويشبه هذا ما روى يزيد بن معاوية قال لجلسائه يوما: من أنعم الناس عيشا؟

---

(1) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أحد أئمة السنة، ومن كبار الزهاد والصلحاء، ثقة في الحديث. توفي بمكة سنة 187هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات الصوفية 1/ 22، حلية الأولياء 8/ 84، 140، الرسالة القشيرية 424.

(2) لم أقف عليه في مظانه من النسخة المحفوظة بالخزانة الداودية بتطوان رقم 12.

(3) هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، صحابي جليل حليف الأنصار. اعتنق الإسلام عند قدوم النبيﷺ المدينة، وسماه عبد الله بعد أن كان اسمه الحصين. توفي سنة 43هـ. له في كتب الحديث 25 حديثا.

تنظر ترجمته في: الاستيعاب 1561، تذكرة الحفاظ 1/ 26، الإصابة 4728 .

(4) جامع العلوم والحكم 1/ 300 بتصرف.

(5) في رواية ابن ماجه: سيتفقهون.

(6) فيها أيضا: ويقولون.

(7) رواه ابن ماجه في المقدمة 251.

قالوا له: أنت يا أمير المؤمنين. قال: ليس الأمر كذلك. قالوا: فأمير المؤمنين معاوية. قال: ليس كذلك. قالوا: فما يقول أمير المؤمنين؟ قال: أنعم الناس عيشا رجل له امرأة حسناء قد رضيت به ورضي بها، لهما قوت هني لا يعرفنا ولا نعرفه. ويزيد المذكور كان كثير الشعر مُتَهَتِّكاً، وهو أول من شرب الخمر جهارا من ملوك الإسلام، واتخذ الملاهي، واستحل محارم الله وفي أيامه قتل سيدنا الحسيني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكانت وقعة الحرة[1] التي استبيحت المدينة المشرفة فيها. ونُهبت ثلاثة أيام وعطلت الصلاة في المسجد النبوي ثلاثة أيام. وبلغ عدد القتلى من قريش المهاجرين والأنصار ووجوه الناس ألف رجل وسبعمائة رجل ومن سائر الناس عشرة آلاف رجل سوى النساء والصبيان ولم يبق بعدها بدري. واختلف في جواز لعنه. وما أحسن قوله، وهو عبد الله ابن المبارك يخاطب إسماعيل بن عُلية[2] حين ولي على الصدقات: [السريع]

يا جاعل العلم له بازيا ... يصطاد أموال المساكين/ [59]

احتلتَ للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنونا بها بعدما ... كنتَ دواءً للمجانين

---

(1) الحرة أرض بظاهر المدينة، بها حجارة سود كبيرة، كانت بها وقعة. ويومها مشهور في الإسلام أيام يزيد بن معاوية سنة 63 هـ.

ينظر في شأن «الوقعة»: تاريخ الطبري 3/ 359 و5/ 623، لسان العرب 4/ 180، السيرة الحلبية 1/ 267 و268.

(2) هو أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم البصري ويعرف بابن علية، وعلية هي أمه. فقيه من كبار حفاظ الحديث. توفي سنة 193 هـ.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 6/ 229، 240، تذكرة الحفاظ 1/ 322.

أيـن رواياتك فيما مضى ... عن ابن عون[1] وابن سيرين[2]

و درسك العلم بآثاره ... وترك أبواب السلاطين

تقول أكْرِهتُ فما حيلتي ... زلّ حمارُ العلم في الطين[3]

وعن ابن مسعود أنه قال: «كيف بكم إذا ألبستم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم الكبير، وتتخذ سنّة. فإن غُيّرت يوما قيل هذا منكر. قيل ومتى ذلك؟ قال: إذا قلّ أمناؤكم وكثر أمراؤكم، وقل فقهاؤكم وكثر قراؤكم وتُفُقِّهَ لغير الدين، وتُعُلِّمَ لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»[4]. رواه عبد الرزاق موقوفا[5].

ومن آخر كتاب **الإعانة** للشيخ زرّوق: «وقد صحّ أنه لا كمال إلا بالعلم، ولا حِصْنَ للعلم إلا العمل. وعن عيسى عليه السلام: من علم وعمل ذكر في الملكوت الأعظم عظيما. وعنه أيضا أنه قال: كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى الآخرة، وهو مقبل على دنياه، وما يضره أشهى إليه مما ينفعه. فكيف يكون من أهل العلم من طلب العلم

---

(1) تأتي ترجمته في ص: 383.

(2) تأتي ترجمته في ص:420.

(3) كتب ابن علية إلى عبد الله بن المبارك يستمده برجال من القراء يعينونه على ذلك، فرد عليه بهذه الأبيات.

وذكر أبو مسلم المستملي الأبيات إلا أنه قال في آخرها:

تقول أكرهت فما حيلتي *** زل حمار العلم في الطين

وزاد فيها: لا تبع الدين بدنيا كما *** يفعل ضلّال الرهابين.

ينظر جامع بيان العلم 1/ 237.

وردت هذه الأبيات كذلك في روضة العقلاء لابن حبان 1/ 36،37 ، وتاريخ الإسلام 12/ 242، وسير أعلام النبلاء 8/ 412 و9/ 110 وغيرها.

قال الأستاذ المرحوم عبد الله كنون في كتابه «أدب الفقهاء»: «فلما وقف إسماعيل بن علية على الأبيات ذهب إلى الرشيد ولم يزل به يستعفيه من القضاء حتى أعفاه» ص: 32.

(4) ينظر جامع بيان العلم 1/ 654 بتصرف.

(5) المصنف رقم: 20742.

ليتحدث به ولم يطلبه ليعمل به»[1]. وأنشد بعضهم: [السريع]

العلـــــم لا ينفـــــع إلا إذا عملـــت اسمـــع كـــلام العبيـــدْ

لـــو ينفـــع العلـــم بـــلا عمـــل لكـــان ابلـــيس نظـــير الجنيـــدْ[2]

وقال بعض العارفين: «العلم النافع ما زهّدك في دنياك، ورغبّك في أخراك، وزاد في خوفك، وهداك وبعثك على طاعة مولاك، وصفّك من كدر هواك»[3]. وقال بعضهم أيضا: العلوم النافعة ما/ كانت للهمم رافعة، للأهواء قامعة، وللشكوك صارفة دافعة. [60]

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم[4] «قال الله عز وجل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[5] فما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا! فقال إبراهيم: من أجل خمسة أشياء. قال: فما هي؟ قال: عرفتم الله فلم تؤدوا حقّه، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بها فيه، وقلتم نحب الرسول وتركتم سنته، قلتم نلعن إبليس وأطعتموه، وتركتم عيوبكم وأخذتم عيوب الناس»[6].

وعن الفضيل: «لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم، ورعوا للعلم حقه، وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله، إذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة، وانقادت لهم جميع الناس،

---

(1) الإعانة ص:104.

(2) ينظر الابتهاج للبلغيثي 1/ 126.

(3) فيض القدير للمناوي 5/ 478 بتصرف.

(4) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، اشتهر بالزهد والورع والتقوى. أخذ عن كثير من علماء العراق والشام والحجاز. توفي سنة 161 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات الصوفية1/ 35، حلية الأولياء7/ 367، الرسالة القشيرية ص:391،392، طبقات الشعراني1/ 69.

(5) تتمة الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر، الآية:60.

(6) جامع بيان العلم 1/ 691.

وكانوا لهم بمنـزلة الأنبياء، ولكنهم حطُّوا أنفسهم لأبناء الدنيا، فهانوا وذلـوا، فإنـا لله وإنا إليه راجعون، أعظِمْ بها مصيبة»[1].

وللقاضي العلامة علي بن عبد العزيز الجرجاني[2] وقد أحسن: [الطويل]

ولو أن أهـل العلـم صـانوه صانهـم ... ولـو عظمـوه في النفـوس لعظمـا

ولكـن أهـانوه فهـانوا ودنسـوا ... مُحيّاه بالأطماع حتى تجهما[3]

وقال بعض العارفين: من علم[4] فليعمل، ومن جهل فليسأل، فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل، والعلم إمام العمل والعمل تابعه[5]. ومن لم يمش على الجادة ولا سلك بنفسه سبيل الاستقامة كيف ينصح سواه ويعظ غيره، وإن نصح أو وعظ لا تنفع موعظته ولا تقبل نصيحته، فقلّما ينتفع بوعظ الواعظ، ونصح الناصح، إذا لم يكن متصفا في نفسه بالصفات الحميدة/ المرضية والتي ندب إليها [61]

---

(1) المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي 1/ 33.

(2) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني الفقيه الشافعي الأديب. وكان صاحب فنون ويد طولى في براعة الخط. توفي سنة 392هـ. ونقل تابوته إلى جرجان. من كتبه: الوساطة بين المتبني وخصومه، تهذيب التاريخ، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: يتيمة الدهر 4/ 3 وما بعدها، طبقات الفقهاء ص129، وفيات الأعيان3/ 278، سير أعلام النبلاء 17/ 19 وما بعدها.

(3) مطلع القصيدة: يقولون لي فيك انقباض و إنما *** أوا رجلا عن موقف الذل أحجما

ينظر: أدب الدنيا والدين للماوردي ص:133، سير أعلام النبلاء 7/ 20

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان 3/ 278- 279 : «وهي أبيات طويلة مشهورة...ذكرها الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر» 4/ 22.

(4) في (د): عمل.

(5) قال الغزالي: «العلم أشرف جوهرا، ولكن لابد للعبد من العبادة مع العلم، وإلا كان علمه هباء منثورا. فإن العلم بمنزلة الشجرة، والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها. فالشرف للشجرة، إذ هي الأصل، لكن الانتفاع يحصل بثمرتها. فإذن، لابد للعبد من أن يكون له من كلا الأمرين حظ ونصيب». ميزان العمل ص 9.

[الشرع][1] حضّ عليها. فالموعظة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب. وقد علّق الشارع الوعيد الشديد على من أمر بالمعروف ولم يفعله، ونهى عن المنكر وفعله. ومن صفاته عليه السلام أنه كان لا يأمر بشيء إلا وكان أول آخذٍ به، ولا ينهى عن شيء إلا وكان أول تارك له، وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2] روي أن هذه الآية نزلت في اليهود[3]، قيل: لأنهم كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون. وقوله تعالى ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة[4]. وفي هذه الآية وعيد شديد لمن اتصف بصفاتهم، وفعل مثل فعلهم. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هذا توبيخ عظيم وتشنيع ذميم، والمعنى أفلا تتفطنون لقبيح ما ارتكبتم، وشنيع ما تعاطيتم،كأنه جعلكم مسلوبي العقول، لأن العقل يأبى هذا .

وروى البزار عن أبي برزة أن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يعلّم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء على[5] الناس وتحرق نفسها»[6]. وفي رواية للطبراني: «كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه»[7]. وقال عليه السلام: «من أراد أن ينصب نفسه للناس إماما فعليه بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبُها أحقّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم».

---

(1) الزيادة من: د.

(2) تتمة الآية: ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾. البقرة، الآية:43.

(3) ينظر تفسير الطبري 1/ 258، تفسير ابن كثير 1/ 86.

(4) ينظر تفسير القرطبي 1/ 369 وابن كثير 1/ 86.

(5) للناس.

(6) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 184 وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف لسوء حفظه واختلاطه.

(7) المعجم الكبير 1681.

وقد روي أن رجلا كان يجلس قريبا من محمد بن واسع[1] فسمعه ابن واسع يوما يعظ أصحابه ويوبّخهم، وهو يقول: ما لي أرى القلوب لا تخشع، وما لي أرى العيون لا تدمع، والجلود لا تقشعر. فقال له ابن واسع: يا عبد الله ما أرى القوم أوتوا إلا من قِبَلِكَ، إن الذكر إذا خرج من القلب استقر في القلب. وقيل لحمدون القصار[2]: ما بال كلام السلف الصالح أنفع من كلامنا ؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلف.

و رُوي أن عبد الملك بن مروان[3] خطب يوما، فلما انتهى إلى موضع الوعظ فأحسن كل الإحسان، فقام إليه رجل من الحاضرين فقال: إنكم/ أيها الملوك تأمرون [62] ولا تأتمرون، وتنهون ولا تنتهون، أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا في أنفسنا، فأنّى وكيف وأين المصير من الله، وما الحجة غدا بين يديه؟ وإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصيحتنا، فكيف ينصح من يغش

(1) هو أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي فقيه ورع زاهد من أهل البصرة. وهو من ثقات رجال الحديث. توفي سنة 120 هـ. وقيل 123 هـ، وقيل 127 هـ.

تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد 7/ 241، 243، صفة الصفوة 3/ 266 وما بعدها، سير أعلام النبلاء 6/ 119 وما بعدها.

(2) هو أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابوري، أحد الأئمة الكبار، كان صوفيا، فقيها على مذهب سفيان الثوري، وله طريقة اختص بها. توفي سنة 271 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات الصوفية ص: 109، صفة الصفوة 4/ 100، سير أعلام النبلاء 13/ 50، طبقات الشعراني 1/ 188، طبقات المناوي 1/ 394.

(3) هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، خليفة أموي، من دهاة الخلفاء، في عهده ضبطت الحروف بالنقط والحركات، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام. توفي سنة 86 هـ.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 10/ 388. وكذا في مختلف كتب التاريخ المشهورة.

نفسه؟ وإن قلتم خذوا الحكمةَ حيث وجدتموها، واقبلوا الموعظة ممن سمعتموها، فعلامَ قلدناكم أزِمَّةَ أمورنا، وحكمناكم في دمائنا وأموالنا؟ وأنشدوا في المعنى[1]:

[الكامل]

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم

ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبدا وأنت من الرشاد عديم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال البستي: [الطويل]

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدىً ... وسيرته عدلاً وأخلاقَه حسناَ

فبشره أن الله أولاه فتنة ... تغشيه حرمانا وتُوسِعُه حُزناَ[2]

---

(1) قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 674: «ولقد أحسن أبو الأسود الدؤلي في قوله، وتروى للعرزمي». وفي أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 42 غير منسوبة.

وورد في البيان والتبيين للجاحظ البيت الثالث فقط، وقال محقق الكتاب وشارحه عبد السلام محمد هارون في شأن ذلك: البيتان، ويقصد البيت الثالث المذكور آنفا والبيت التالي:

فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى *** بالقول منك ويقبل التعليم.

من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي. ويُروى بعضها للمتوكل الليثي. ينظر البيان والتبيين 1/ 198، عيون الأخبار لابن قتيبة 2/ 23.

(2) ديوان البستي ص: 300. وينظر المستطرف للأبشيهي 1/ 34.

وقال غيره: [السريع]

مـــواعظ الـــواعظ لـــن تُقْـــبَلا حتـــــى يعيـــــها قلبُـــــــه أولا

يـا قـــوم مـــن أظلَـــم مـــن واعـــظٍ خـــالف مـــا قـــد قالـــه في المـــلا

اظـــــهَرَ للعــــــالَم إحــــسانه وخــــالف الرحــــمن لَمــــا خَـــلا[1]

ولأبي العتاهية[2]: [البسيط]

[63] يـا واعـظ النـاس قـد أصـبحت مُتَّهمـا إذ عبـتَ مـنهم أمـورا أنـت تأتيهَـا/

كـالملبس الثـوب مـن عُـري وعورتُـه للنـاس باديـة مـا إن يواريهـا

وأعظـم الإثـم بعـد الـشرك تعلمُـهُ في كـل نفـس عَمَاهـا عـن مـساويها

عِرفانهـا بعيـوب النـاس تُبـصرُها منهم ولا تبـصرُ العيـبَ الـذي فيهـا[3]

---

(1) ينظر غذاء الألباب للسفاريني 1/ 213 وكذا الابتهاج للبلغيثي 2/ 200.

(2) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي الشهير بأبي العتاهية، شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. وكان يجيد القول في الزهد والمديح، وأنواع الشعر في عصره. توفي سنة 211 هـ. له ديوان شعر مطبوع.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 6/ 250، وفيات الأعيان 1/ 219.

(3) ديوان أبي العتاهية ص: 469. وهناك اختلاف في بعض الألفاظ، جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 672.
وذكره السفاريني في كتابه غذاء الألباب 1/ 213 أن أبا العتاهية قال هذه الأبيات في ابن السماك الواعظ.
حكي أن ابن السماك رحمه الله وعظ يوما فأعجبه وعظه، فلما انصرف إلى منزله ونام، سمع قائلا يقول هذه الأبيات. فلما استيقظ، حلف أن لا يعظ شهرا.
ينظر كتاب: نشر المحاسن الغالية، في فضل المشايخ الصوفية، أصحاب المقامات العالية. لأبي محمد عبدالله اليافعي، ص: 201.

وله أيضا: [المتقارب]

إذا عِبتَ أمرا فلا تأتِهِ وذو اللّبّ مجتنبا ما يعيبْ[1]

وقال غيره[2]: [السريع]

ما أقبحَ التزهيد من واعظٍ يزهّد الناس ولا يزهدُ
لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بَيْتُه المسجد
إن رفضَ الدنيا فما بَالُهُ يستمنِحُ الناسَ ويسترفد
الرّزق مقسوم على قدر يسعى له الأبيضُ والأسود[3]

---

(1) ديوان أبي العتاهية ص:50. والأبيات فيها اختلاف في بعض الألفاظ.

(2) قائل هذه الأبيات هو أبو عمر سالم أو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر المعروف بالخاسر، وسمي الخاسر لكونه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا. وكان سالم من الشعراء المجيدين من تلامذة بشار، وصار يقول أرق من شعره.

وكان بشار قد قال:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته *** وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وقال سالم: من راقب الناس مات غمّا *** وفاز باللذة الجسور

فغضب بشار وقال: ذهب والله بيتي.

توفي سالم سنة 286 هـ. ينظر: وفيات الأعيان 2/ 250 وما بعدها.

(3) وقبل البيت الأخير:

يخاف أن تنفد أرزاقه *** والرزق عند الله لا ينفدُ

وبعده:

كل يوفى رزقه كاملا *** من كفّ عن جهد ومن يجهد

ينظر جامع بيان العلم 1/ 672، وفيات الأعيان 2/ 252، جنة الرضا لأبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي 1/ 214.

وقال غيره: [السريع]

لا تَلُمِ المرء على فعلِهِ ... وأنت منسوبٌ إلى مِثلِهِ[1]

وقال الآخر[2]: [الطويل]

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً ... عليك ولم تُعذر بما أنتَ جاهلُهْ

فإن كنت قد أوتيت علما فإنما ... يُصدّقُ قولَ المرءِ ما هو فاعلُهْ[3]

ودخل أبو حازم[4] على سليمان بن عبد الملك بن مروان حين ولي الخلافة، فقال: «يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم، وخربّتم آخرتكم، فإنكم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب. قال: فأخبرني كيف القدوم على الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أما المحسنُ فيقدم على الله كالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فيقدم على الله كالعبد الآبق لسيّده، يأتي مولاه خائفا محزوناً. قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض، واجتناب المحارم. قال: فأي الدعاء أفضل؟ قال: دعاء الملهوف لمن أحسن إليه. قال: فأي الصدقة أوفى؟/ قال: أن لا تعلم يُسراه ما أنفقت يمينه. قال: فأي [64

(1) وبعده:

من ذم شيئا وأتى مثله *** فإنما يزري على عقله

نسبه ابن عبد البر في الجامع بيان العلم 1/ 675 إلى محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله المتوفى سنة 280هـ.

(2) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربري الرقي، فقيه محدث، وأحد شعراء الزهد في العهد الأموي. أخذ الشعر عنه وتتلمذ له أبو العتاهية. عرف بأبي أمية البربري. توفي سنة 132هـ.

تنظر ترجمته في: تاريخ دمشق 20/ 3.

(3) جامع بيان العلم 1/ 699. ويروى أن سفيان الثوري كان ينشد هذه الأبيات.

(4) هو أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى أسلم، فقيه ثقة. أخذ عن أبيه وزيد بن أسلم ومالك وغيرهم. وروى عنه ابن وهب ومصعب بن الزبير وآخرون. وكان زاهد عابدا ورعا. توفي بالمدينة سنة 140 هـ.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 3/ 229، تذكرة الحفاظ 1/ 133، صفة الصفوة 2/ 156 وما بعدها.

القول أفضل؟ قال: كلمة حق عند من يُخاف. قال: فأي الناس أعدل؟ قال: من عمل بطاعة الله ودل الناس عليها. قال: أي الناس أجهل؟ قال: من باع آخرته بدنياه. قال: أوعظني وأوجِزْ. قال: نزّه ربك وعظّمه أن يراكَ حيث نهاكَ، أو يَفْقِدَكَ حيث أمرك، فبكى الأمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال رجل من جلسائه: أبكيت أمير المؤمنين أو أحزنته أو كلمة تشبه هذا. فقال: قد أخذ الله الميثاق على الأنبياء ليبيننه للناس ولا يكتمونه، ثم خرج. فبعث إليه بحلْيٍ فردّه. وقال: لا أرضاه لكم فكيف آخذه منكم»[1].

قال: الإمام الإلْبِري[2] في شرح البردة: «فإن قلت فما يصنع العالم إذا سُئِل عن مسألة من العلم وهو يعلم حكم الله فيها. إلا أنه عاص لا يعمل بذلك الحكم في خاصّة نفسه إذا نزلت تلك النازلة. قلت يجب عليه الفتوى بحكم الله فيها، وإن أفتى بما هو عامل به فيها فقد غشّ، وخادع، وخالف حكم الله في قوله وفعله، وأضاف معصية عظيمة إلى معصية أخرى أعظم منها، حيث افتات على الشرع وكذب على الشارع، وتعاطى معصية يعظم شرها، ويسري في الناس العمل بها، فيضل بها خلق كثير»[3].

«وما تقدم من الأحاديث وكلام الأئمة رضي الله عنهم ونفعنا بهم حق في نفسه لا شكّ فيه، ولكن لا ينبغي أن يؤخذ على عمومه وإنما هو إشارة إلى طريق العارفين ومنهج السالكين، فإن حمله على عمومه يؤدي إلى هجران العلم وأهله، وسوء الظن بحملته، لأنه لا يوجد على الوصف الذي ذكروه إلا القليل النادر، وهم أفراد

---

(1) صفة الصفوة 2/ 158 بتصرف.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الإلبيري الغرناطي صاحب شرح البردة. توفي سنة 832 هـ.

انظر كتاب: بردة البوصيري بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين. للدكتور سعيد ابن الأحرش. ص: 210، 214.

(3) شرح البردة، ق92/ ب عند شرح البيت:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به *** ولا استقمت فما قولي لك استقم.

معـــدودون في القـــرون ذوات آلاف الآلاف كالفـــضيل[1] والجنيـــد[2] والـــسَّرِي[3] ومعروف[4] والداراني[5]. فسبحان من أعطاهم وأعانهم وقواهم ولا يجوز أن يحتقر من سواهم ولا أن يُذَمَّ من عداهم»[6] فقد قال المواق[7] في سـنن المهتـدين[8] بعـد كـلام مـا نصّه: «وبالجملة فإن عمل المرء بما علم فقد أطاع الله طاعتين، وإن لم يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين وإن علم ولم يعمل بمقتضى علمه فقد أطاع الله سبحانه طاعـة وعصاه معصية. قال شهاب الدين: فقد حصل من هذا أن العلم نعمة والعمل به نعمة

---

(1) تقدمت ترجمته، ص354.

(2) تقدمت ترجمته، ص 353

(3) هو أبو الحسن السري بن المغلس السقطي البغدادي خال الجنيد وأستاذه، وتلميذ معروف الكرخي. أحد كبار أئمة الصوفية. توفي ببغداد سنة 251هـ. وقيل 253 هـ. وقيل 256 هـ.
تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 10/ 116، 127، الرسالة القشيرية ص:417، 418، صفة الصفوة 2/ 371.

(4) هو أبو محفوظ معروف بن الفيرزان الكرخي نسبه إلى الكرخ، والكرخ حي من أحياء بغداد في غربي المدينة. كان أحد المشتهرين بالزهد والعزوف عن الدنيا. وهو من موالي علي بن موسى الرضا رضي الله عنه، وكان أستاذ السري السقطي. توفي ببغداد سنة 200 هـ.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 13/ 199، الرسالة القشيرية 427، 428، صفة الصفوة 2/ 318.

(5) تقدمت ترجمته، 341.

(6) ينظر الابتهاج للبلغيثي 1/ 98 نقلا عن الشيخ جسوس في شرح توحيد الرسالة.

(7) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف المواق، فقيه مالكي، عالم غرناطة وإمامها.كان حافظا للمذاهب متمكنا من فروعها واختلافاتها. توفي سنة 897 هـ.
من كتبه: سنن المهتدين في مقامات الدين، التاج والإكليل في شرح مختصر خليل، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: الضوء اللامع 10/ 98، نيل الابتهاج ص: 561، شجرة النور الزكية ص: 262.

(8) وقد أثنى مفتي تونس على هذا الكتاب كثيرا قائلا: «لما طالعته رأيت كلاما حسنا، ونكتا ومعاني أصولية، ومسائل فقهية فسلمت أن الرجل من أهل العلم والفهم والتخلق بطريقة السلف الصالح، فكتبت له بما ظهر لي».
والكتاب طبع بتحقيق محمد بن حمينا. ط 1/ 2002.

أخرى/ يسألهما العبدُ من ربّه مفرقين فيقول: اللهم أرني الحق حقًّا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلا وأعني على اجتنابه»[1]. [65]

قلت: ويدل لهذا ما أخرجه أبو منصور الديلمي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «ذنب العالم ذنب واحد، وذنب الجاهل ذنبان»[2]. زاد في رواية: «العالم يعذب على ارتكابه[3] الذنب والجاهل يعذب على ارتكابه[3] الذنب وترك التعلم[4] »[5].

وقال الإمام الولي الصالح سيدي محمد السنوسي في شرح كبراه[6]: «الانتفاع بالعلم بيد الله وليس بين العلم والعمل ربط عَقْلِيٌّ، لأن هذا لا يقدح في وجوب العلم ولا في شرفه. وليس العلم هو الذي حمل العالم على المخالفة حتى يُقدحَ في شرفه ولا التقليد هو الذي حمل المقلد على الموافقة حتّى يُدّعى شرفُه، بل إنما يحمل العلم في الحقيقة لو صاحبه التوفيق على الموافقة، ثم هذا العالم المخالف بالجوارح أحسن حالا من المقلد الموافق؛ لأن المقلد قال الجمهور بعدم صحة إيمانه، فلا يكون له عملٌ. ولقليلُ العمل مع العلم أفضل من كثير العمل بلا علم، بل لا أثر للعمل الخالي عن العلم أصلا. وقد شدد رهبان النصارى ومن في معناهم من الجهلة على أنفسهم في الدنيا تشديدا عظيما، ومع ذلك لا ينفعهم شيئا في الآخرة. ثم لو جئنا بِعَدِّ المحاسن والأعمال التي اتصف بها أكثر العلماء من أئمة المسلمين، ومشايخ الأولياء الذين هم قدوة المتقين، وما لهم من

---

(1) سنن المهتدين ص: 81 بتصرف.

(2) الفردوس 3165. وقال المناوي في فيض القدير 3/ 565: وفيه جويبر بن سعيد قال الذهبي: قال الدارقطني وغيره: متروك.

(3) ركوبه.

(4) العلم.

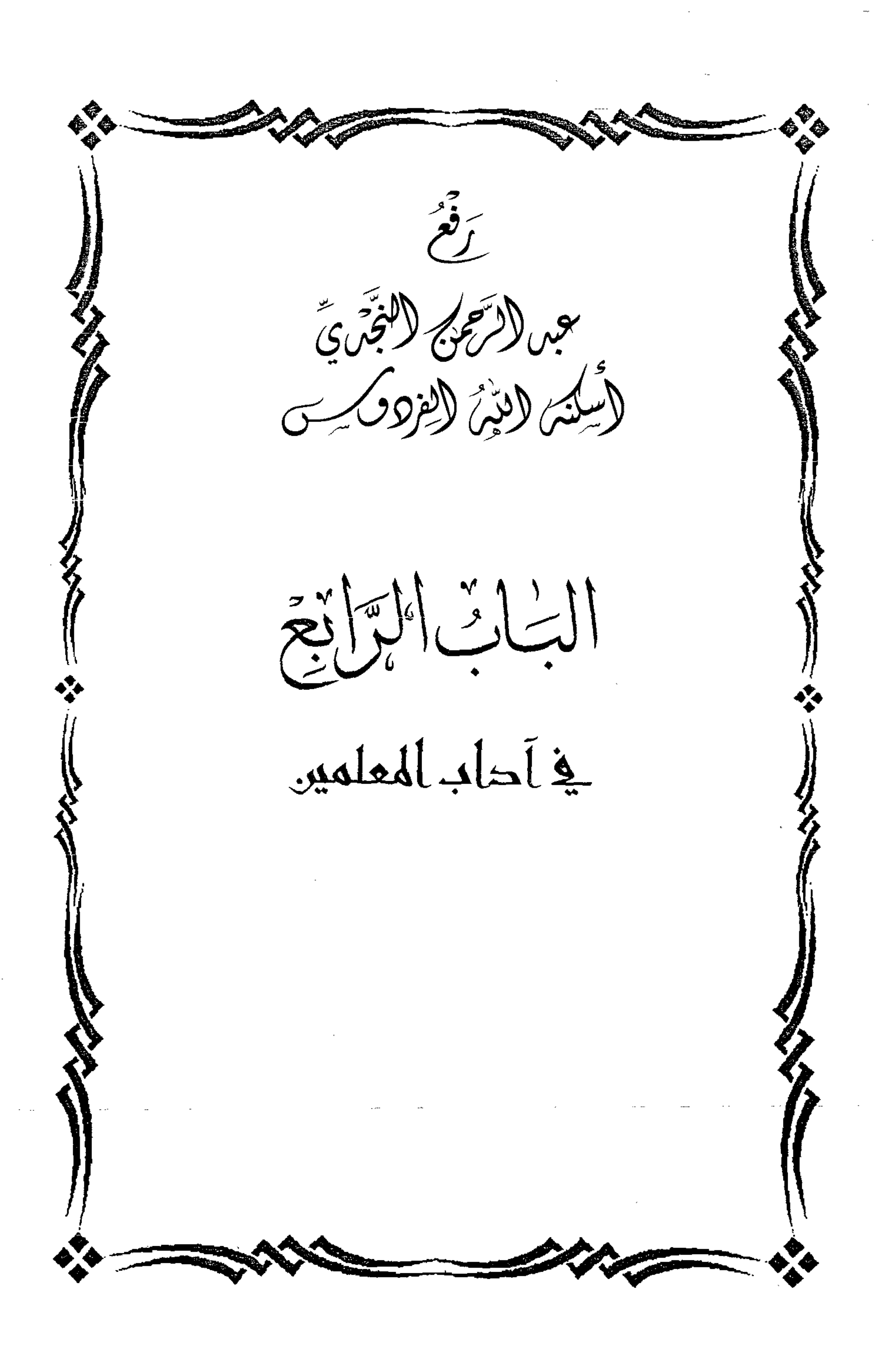
(5) بل تتمة الحديث في نفس الرواية. ينظر في فيض القدير 3/ 565.

(6) أي كتابه: «عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد» مخطوط بالخزانة العامة بتطوان ضمن مجموع 643.

العلوم، ثم بثّها تعليما وتأليفا وجهادا لكل مبطل، حتى انقطع من كل جاهل ومبتدع التشوق إلى الاختلاس من الدين، لغاب في أدنى مكرمة لهم جميع أعمال عامة المسلمين. لكن مشاهدة المتشبهين بأهل العلم، وليسوا منهم، وعزة وجود أهل العلم على الحقيقة، هي التي جسّرت الجاهل بمناقب من مضى من أئمة المسلمين على ذكر مترهّبي العامة في معرض ذكر/ العلماء الراسخين في العلم رضي الله عنهم ونفعنا بهم. واعلم [66] أن الاشتغال بالعلم أفضل من البطالة والجهل على كل حال لكثرة مفاسد الجهل، لأن الجاهل لا يطلع على حقائق ما هو متلبس به من المساوئ، ولا يعرف ما هو منغمس فيه من الدعاوي، بل يرى المعاصي طاعات، ويغلط باعتقادها طاعات وقربات، وهذه داهية كبرى، موجبة للعقاب دنيا وأخرى. وكل ما ذكره الشيوخ في النهي عن قراءة العلم بالنيات الفاسدة والتحذير من ذلك، فليس مرادهم به ترك قراءته والإعراض عنه، كيف وهو مطلوب على جهة التعيين أو الكفاية، وإنما مرادهم بذلك التنبيه والإيقاظ لإصلاح النية في قراءته والاجتهاد في تحصيل الإخلاص فيه»[1].

---

(1) شرح الكبرى للسنوسي، ص: 170-171.



الباب الرابع

في آداب المعلمين

وهي كثيرة. قال الشيخ داود المصري[1] في آخر شرح الرسالة: «ومن أهمها: أن يقصد بعلمه وجه الله تعالى. وأن يتخلق بالصفات الجميلة، والخلال الحميدة، والشّيم المرضية، التي وَرَدَ الشرعُ بها، وحثّ عليها، وأرشد إليها، من الزهد والسخاء وطلاقة البشر من غير خروج إلى حد الخلاعة، والحلم والصبر والتّنزه عن دنيّ الاكتساب، وعن تعظيم أبناء الدنيا بالمشي إليهم، والقيام لهم.

ومنها: ملازمة الورع والخشوع، والسكينة والوقار والتواضع لأهل الديانة، من العلماء العاملين، والفقراء الصالحين، ونحو ذلك.

ومنها: مجانبة العوام ما أمكن إلا لمنفعة دينية، أو مرجوّة من تعليم مسألة، أو إرشاد إلى فعل خير ونحو ذلك.

ومنها: اجتناب الضحك، والإكثار من المزاح، لاسيما عند التذاكر في العلم.

ومنها: ملازمة الآداب الشرعية الظاهرة والخفية، كالتنظف بإزالة الأوساخ، وإزالة الروائح الكريهة، وتسريح اللحية، ونحو ذلك.

ومن أهمها أيضا: اجتناب الرياء والحسد والإعجاب واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات. وهذه أمراض يبتلى بها أصحاب الأنفس الخسيسة، والقلوب الميّتة، أعاذنا الله من ذلك. قالوا: وطريقة نفي الرياء، أن يعلم أن الخلق لا ينفعونه، ولا يضرّونه حقيقة، فلا يتشاغل بمراعاتهم، فيتعب نفسه ويضر دينه/ ويحبط عمله، ويرتكب [67]

---

(1) هو داود بن علي القلتاوي الأزهري، الإمام الفقيه العالم، أخذ عن كثير من علماء عصره.

توفي سنة 902 هـ. له شرح على مختصر خليل، ومختصر ابن الحاجب الفرعي، والرسالة، وتنقيح القرافي، والألفية، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: الضوء اللامع 3/ 265، نيل الابتهاج ص: 176 - 177، كفاية المحتاج 1/ 206.

شرحه على الرسالة ذكره الدكتور الهادي الدرقاش في كتابه: «أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني: حياته، وآثاره» بأن منه نسخة مخطوطة بالقاهرة، ص: 361.

سخط الله تعالى، ويفوته رضاه. وطريقة نفي الإعجاب، أن يعلم أن العلم فضل من الله، وهو معه عارية، فإن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فينبغي أن لا يعجب بشيء لم يخترعه، وليسَ مالكا له، ولا هو على يقين من دوامه. وطريقة نفي الاحتقار، التأديب بما أدبنا الله به قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[2] فربما يكون هذا الذي يراه دونه أتقى منه لله عز وجل، وأطهر قلبا، وأخلص نية، وأزكى عملا، ثم لا يدري بِمَ يُـخْتَمُ له. نسأل الله العافية من كل داء.

ومن أهمها: دوام مراقبته لله عز وجل في سره وعلانيته، محافظا على قراءة القرآن، ونوافل الصلاة والصيام، وغيرهما.

ومنها: أن لا يستنكف عن التعلم ممن هو دونه، في سنّ أو نسب أو شهرة، فقد قال سعيد بن جبير: لا يزال الرجل عالما ما تعلم، فإذا ترك التعلم، وظنّ أنه قد استغنى فهو أجهل ما يكون. قال القاضي عبد الوهاب[3]: ومن شيم العالم، أن يكون عارفا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، محترِزاً من إخوانه. فلم يؤذ الناس قديماً إلا معارفُهم. والمغرور من اغتر بمدحهم، والجاهل من صدقهم على خلاف ما يعرف من نفسه». انتهى كلام الشيخ داود.

---

(1) النجم، من الآية: 31.

(2) تتمة الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾. الحجرات، من الآية: 13.

(3) هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد التغلبي البغدادي المالكي، قاض من فقهاء المالكية ببغداد. كان أديبا وشاعرا. توفي سنة 462 هـ. من كتبه: «التلقين» في فقه المالكية ـ الإشراف على مسائل الخلاف ـ عيون المسائل، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي ص 170 ، وفيات الأعيان 3/ 219 ، الديباج المذهب 2/ 25.

قلتُ: وقد صدق هذا الشيخ في قوله: «فلم يؤذ الناس قديما إلا معارفهم»، ويدل على ذلك قول الشاعر: [الطويل]

[68] جزى الله خيرا كل من ليس بيننا ... ولا بينه ودٌّ ولا يتَعَرَّفُ[1] /
فما نالني همّ ولا مسّني أذىً ... من الناس إلا من فتىً كنتُ أعرف![2]

وقال الآخر: [الرمل]

قلّما يؤذيك من لا يعرفُكْ ... فتحفّظ من صديق يَألفُكْ
لا تثق بالود ممن تصطفي ... كم صديقٍ تصطفيه يُتْلِفُكْ[3]

وقال الآخر[4]: [الوافر]

كفاك الله شرًّ من اصطفيتا ... وضرٌّ منِ اعتمدتَ ومن عرفتاَ
جميع الناس موتى عندك إلا ... معارفك الذين لهم ركنتاَ
تحفظْ من صديق أو قريب ... وكن في الغير[دهرك][5] كيف شئتا

وصدق أيضا في قوله: والمغرور من اغتر بمدحهم.

---

(1) عند اليوسي في زهرة الأكم 3/ 199: متعرف.

(2) المحاضرات لليوسي 1/ 354، وكذا في زهر الأكم في الأمثال والحكم له 3/ 199 باختلاف في بعض الألفاظ.

(3) البيتان لابن ليون. ينظر نفح الطيب 7/ 107.

(4) نسبه صاحب نفح الطيب إلى ابن ليون 7/ 118.

(5) في الأصل «الدهر» وليستقيم الوزن أثبتنا «دهرك» تصحيحا من «نفح الطيب».

قال الشاعر: [البسيط]

يا جاهلا غره إفراط مادحه لا يغلبن جهلُ من اطراك علمك بك

أثنى وقال بلا علم ومعرفة وأنت أعلَمُ بالمحصُول من رُئيك[1]

وقوله: «وَمِنْهَا، أن لا يستنكف عن التعلم» إلخ. رُوِيَ عن سفيان بن عيينة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: أحوج الناس إلى طلب العلم أعلمُهم، لأن الخطأ منه أقبح[2]. وفي البخاري عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «تفقهوا قبل أن تسوّدوا»[3]. وقال ابن حجر: «تعلموا صغارا قبل أن تصيروا رؤساء منظورا إليكم، فإن لم تتعلموا قبل ذلك، استحييتم أن تتعلموا بعد الكبر، فبقيتم جهالا، تأخذون العلم من أصاغركم»[4].

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أعلم الناس من يجمع علم الناس إلى علمه. وكل صاحب علم غرثان»[5].

وقال عمر أيضا: «إياكم أن تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم[6] علمكم بجهلكم»[7].

---

(1) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 379.

(2) جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 407.

(3) صحيح البخاري 1/ 129 ـ بَاب الِاغْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ـ.

(4) فتح الباري 1/ 166، ولكن بلفظ آخر، قال: «وقد فسره أبو عبيد في كتابه غريب الحديث، فقال: معناه تفقهوا وأنتم صغار قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالا».

(5) مسند أبي يعلى 2183 وقال الهيثمي في مجمع الزوائد1/ 162: فيه مسعدة بن اليسع وهو ضعيف جدا. وغرثان: معناه جائع.

(6) في (د): يقوموا.

(7) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل ص120، الفردوس للديلمي 238، الذخيرة 1/ 34.

وقال أبو حازم: «كان العالم فيما مضى إذا لقي من هو خير منه في العلم يأخذ عنه، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يتكبر عليه. ثم صار الأمر في زماننا إذا لقي من هو فوقه انقطع عنه حتى يورّي من نفسه، أنه غير محتاج إليه، وإذا لقي من هو مثله لم يذاكره، ومن هو دونه تكبر عليه»[1].

وأنشدوا[2]: [السريع]

كن عالما وارض بصفّ النّعالْ ولا تكن في الصدر قبل الكمالْ

فإن تصدرت بلا آلةٍ صيّرت ذاك الصّف صفّ المقَالْ[3]

قلتُ: «ولا يحيط بالعلم إلا الله سبحانه. قال عليه الصلاة والسلام: «لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل»[4]. يُروى أن مقاتل بن سليمان قال يوما وقد دخلته أبهةُ العلم: اسألُوني عما تحت العرش إلى أسفل الثّرى. فقام إليه رجل فقال: ما نسألك عما تحت العرش، ولا أسفل الثرى، ولا نسألك إلا عما كان في الأرض، وذكره الله في كتابه: أخبرنا عن كلب أصحاب الكهف، ما كان لونه؟ فأفحمه. وقال عالم آخر كذلك: اسألوني من العرش إلى الفرش. فقال له رجل: أسألك عن أمعاء النملة، أفي نصفها الأعلى هو أو في نصفها الأسفل؟ فقال: لا أدري. وأفحمه»[5].

(1) الذخيرة للقرافي 1/ 34.

(2) نسبه ابن عبد البر في جامع بيان العلم1/ 453 إلى صالح بن عبد القدوس. ثم قال: ويروى لسابق البربري.

(3) جامع بيان العلم1/ 453 ، المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي 1/ 36.

(4) الكلام في الإحياء 1/ 59 منسوب إلى ابن المبارك.

(5) ألف باء لأبي الحجاج يوسف البلوي 1/ 14.

وذكر الشيخ الكامل محيي الدين بن العربي[1] عن نفسه، أنه كان راكبا يوما في سفينة في البحر المحيط، فهاجت الريح، فقال: اسكن يا بحر، فإن عليك بحرا من العلم. فطلعت له هائشة من البحر، وقالت له: قد سمعنا قولك، فما تقول فيما إذا مسخ زوج المرأة، هل تعتد عدة الأحياء أم الأموات؟ فما درى الشيخ ما يقول: فقالت له الهائشة: تجعلني شيخة لك وأنا أعلّمك الجواب.قال: نعم. فقالت: إن مسخ حيوانا اعتدت عدة الأحياء، وإن مسخ جمادا اعتدت عدة الأموات»[2]. ذكر هذه الحكاية في ترجمة مشايخه من الجن والإنس والملائكة والحيوانات.

ومنها: أن يزين عبارته، وأن لا يأتي بالألفاظ الغربية التي لا يفهمها الحاضرون، بل تكون عبارته على قدر أضعفهم فهما، ليكثر الانتفاع به.

[69] ومنها: أن يعيد الكلام إذا لم يفهمه الحاضرون، أو يكون صعبا./ ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتُفهم عنه[3]. وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا وقول الزور»[4]. فما زال يكررها حتى قال الصحابة ليته سكت». وقوله: «ألا هل بلّغت»[5] قالها ثلاثا. وقوله: «ويل للأعقاب من النار»[6].

---

(1) هو محيي الدين بن العربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، الصوفي الفقيه، الملقب بالشيخ الأكبر. فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم. توفي بدمشق سنة 638هـ. من كتبه: الفتوحات المكية ـ فصوص الحكم ـ مفاتيح الغيب، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى للشعراني 2/ 403-404، شذرات الذهب5/ 190، تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا ص:371 وما بعدها.

(2) ينظر شرح الأزهري على الأجرومية ص: 134.

(3) رواه البخاري في العلم 95.

(4) رواه البخاري في الشهادات 2460.

(5) رواه البخاري في العلم 102 ومسلم في الكسوف 901.

(6) رواه البخاري في العلم 58 ومسلم في الطهارة 240.

ومنها أيضا: إذا كان الأمر عظيما، أن يستفهم الناس، ويستحضر عقولهم[1]، ليُقبلوا عليه بكليتهم، و يستشعروا عِظم ما يُخبِرُهم به. ألا ترى إلى قول المعلم الأكبر الناصح الأبر ﷺ: «أي يوم هذا ؟ قال الراوي: فسكتنا، حتّى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه. فقال: أليس يوم النحر؟ فقلنا: بلى». إلى قوله: «إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا»[2] إلى آخره. ومناط التشبيه في قوله كحرمة يومكم هذا وما بعده، ظهوره عند السامعين، لأن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتا في نفوسهم، مقررا عندهم، بخلاف الأنفس والأموال والأعراض، فكانوا في الجاهلية يستبيحونها.

ومنها: أن يستنصت الناس إذا كان الأمر مهمّا، كما فعل رسول الله ﷺ في حجة الوداع. فقد روي أنه قال لجابر: «استنصت الناس» وقال لهم: «لا ترجعوا بعدي كفّارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[3].

ومنها: أن لا يكثّر من حكاية الأقوال والنقول الغريبة، إن لم يكن في السامعين من يطيق ذلك أو يكون ؛ إلا أنه يَمَلُّ من سماع ذلك، فيضيع عليه ذكر ذلك، وتتعب نفسه من غير فائدة. فقد قيل: ربّ كلام كاليواقيت، كسد في بعض/ المواقيت. وقال ابن [70] عباس رضي الله عنه: «خاطب الناس بقدر ما يعرفون، أتحبون أن يُكذّب اللهُ ورسولُه». وفي رواية أخرى: «أتريدون»[4]. وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[5]. وقال ﷺ: «آفة العلم النسيان، وإضاعته أن يحدث به غير أهله»[6].

---

(1) في (ج): قلوبهم.

(2) رواه البخاري في العلم 65 ومسلم في الحج 1218.

(3) رواه البخاري في العلم 118 ومسلم في الإيمان 65.

(4) جامع بيان العلم 1/ 540، ويروى من قول علي رضي الله عنه، ذكره البخاري معلقا ،الباب رقم(49) من كتاب العلم.

(5) قال الحافظ ابن حجر: ضعيف جداً لا موضوع. ينظر فيض القدير 3/ 378.

(6) رواه الدارمي في المقدمة 622 وهو مرسل.

وقال الشاعر: [الكامل]

وإذا حملت إلى سفيه حكمةً ... فقد حملتَ بضاعةً لا تُنْفَق[1]

وقال الآخر: [الكامل]

كم من كلام قد تعمر حكمة ... نال الكسادَ بسوق من لا يُفهمُ

ومن لم يكن يوما لقولك واعيا ... فالرأي عندي معه لا تتكلم[2]

وقال الآخر: [المتقارب]

ومن يعرض جواهره بليل ... على أعمى فقد خسر التجارة[3]

ومنها: أن يخرج تعليمه للأكابر مخرج المذاكرة. قال الأصمعي[4] قال لي الرشيد[5] يوماً: «يا عبد الملك! لا تعلمنا في ملأ، ولا تسرع إلى تذكيرنا في خلاء، واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال، فإذا بلغت الجواب، فلا تزد حتى نستدعي ذلك منك»[6]. وممن لحن

(1) نسبه ابن عبد البر في جامع العلم 1/ 453 إلى صالح بن عبد القدوس، وقال: ويروى لسابق البربري.

(2) الابتهاج للبلغيثي 1/ 101 وفيه البيت الأول هو الثاني والعكس صحيح.

(3) المصدر السابق 1/ 101.

(4) هو أبو سعيد عبد الملك الأصمعي بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي. راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. توفي بالبصرة سنة 216 هـ. له تآليف كثيرة منها: خلق الإنسان - الخيل - الإبل - وهو صاحب الأصمعيات وهو كتاب جمع فيه قصائده متفردة.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 10/ 410، نزهة الألبا 58،67 - وفيات الأعيان 3/ 170، بغية الوعاة 2/ 112 - 113.

(5) يقصد هارون الرشيد بن المهدي بن منصور العباسي أبا جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم. توفي سنة 193 هـ.

(6) أدب الدنيا والدين ص: 131.

متعمدا إتباعا للمخاطب، وأدبا معه: الشعبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان من العلم والعربية حيث كان، دخل يوما على الحجاج، وكان الحجاج يضرب به المثل في الفصاحة، فقال: كم عطاءَك؟ قال: ألفين. قال: ويحك، كم عطاؤك؟ قال: ألفان. قال: فَلِمَ لحنتَ فيما لم يلحن فيه مثلك؟ قال: لحن الأميرُ فَلحنتُ، وأعربَ فأعربتُ، ولم يكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه، فأكون كالمقرع له بلحنه، والمستطيل عليه بفضل القول[1]. فأعجبه ذلك ووهب له مالا. وليحذر مطاوعة الكبراء فيما يجانب الدين، ففي ذلك زلّت أقدام كثير من العلماء الراسخين.

ومنها: أن يطرح على المتعلمين مسألة ليختبر مقدار علمهم بها. فقد رُوي عن معاذ ابن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: كنتُ رِدْفَ النبي ﷺ فقال: «يا معاذ هل تدري ما حقّ الله على الناس؟ قال: قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم. قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الناس على الله أن لا يعذّبهم، قال: قلتُ: يا رسول الله، ألا أبشر الناس. قال: دعْهُمْ يعملون»[2].

وفي البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل الرجل المسلم، أخبروني[3] ما هي؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة قال: فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله ما هي؟ قال: هي النخلة»[4] / . قال ابن عمر: فحدثت عمر بالذي وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها، أحبّ إلي من كذا وكذا. [71]

---

(1) أدب الدنيا والدين ص:131 وفيه الحكاية منسوبة إلى عبد الملك بن مروان.

(2) رواه مسلم في الإيمان 30 وأحمد عن أبي هريرة 10497.

(3) في الصحيح وغيره: فحدثوني.

(4) رواه البخاري في العلم 59، ومسلم في صفة القيامة 2811، والترمذي في الأمثال 2793.

وروى النعمان بن مرة أن النبي ﷺ قال: «ما ترون في الشارب والسارق والزاني؟ وذلك قبل أن ينزل فيهم. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش وفيهن عقوبة، وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته. قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها»(1).

ومنها: أن يكون شفيقا على المتعلم، وأن ينزله منزلة ابنه، وأن يزجره عن أخلاق السوء بطريق التعريض لا بطريق التصريح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، لأن النبي ﷺ كان لا يعيّن أحدا كما في قوله: ما بال أحدكم يشترط شروطا ليست في كتاب الله، إلى غير ذلك. ولا يقنّطه إذا ظهرت منه صلابة في عقله، وبعده عن الفهم، بل يسير معه سيرة النبي ﷺ مع أصحابه، إذ يقول تبارك وتعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(2). وقوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾(3) الآية. ولا يترك لهم وجها من وجوه التعليم يغلبُ على ظنّه أنهم يفهمون منه مقالتَه. فإن ذلك من النصيحة ومن العهد الذي أخذ الله تعالى على من أتاه شيئا من العلم، أن يبيّنه للناس جهده، حيث يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(4).

ومنها: التأنّي والإكثار من قول لا أدري، فإذا كان إمام دار الهجرة يقول لا أدري، وقد سئل عن نيّف وثلاثين مسألة، فأجاب عن أربع، وقال في الباقي لا أدري، فما بال

---

(1) رواه مالك في النداء للصلاة 363.

(2) الشعراء، الآية: 214.

(3) تتمة الآية: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾. آل عمران، الآية: 159.

(4) تتمة الآية: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾. آل عمران، الآية: 187.

حثالة الحثالة أمثالنا. وكان يقول: جُنّة العالم لا أدري. فإن أخطأها أصيبت مقاتله[1].

ونظم بعضهم هذا المعنى بقوله: [الرجز]

وجنـــة العـــالم لا أدري فـــإنْ أخطأهـــا مكّـــن منـــه الممتحـــنْ[2]

وسأله رجل يوماً عن مسألة. وقال: «إنها خفيفة. فغضب وقال: ليس في العلم خفيف. أما سمعت قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[3] »[4].

وسئل الشعبي عن مسألة فقال: «لا علم لي بها. فقيل له: ألا تستحيي؟ فقال لا أستحيي مما لم تستحي منه الملائكة حين قالت: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[5] »[6].

وقال ﷺ: «أجرؤكم/ على الفتوى أجرؤكم على النار»[7]. وقال ابن أبي ليلى[8]: [72] «أدركت عشرين ومائة من الصحابة ما منهم أحد سُئل عن شيء إلا أحال على غيره»[9].

---

(1) كذا في الذخيرة 1/ 35، وفي الإحياء 1/ 67 منسوب إلى ابن مسعود.

(2) الابتهاج للبلغيثي 2/ 111.

(3) المزمل، الآية: 5.

(4) المجموع شرح المهذب للنووي 1/ 69.

(5) تتمة الآية: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة، الآية: 31.

(6) المستطرف للأبشيهي 1/ 32- 33.

(7) رواه ابن عدي عن عبد الله بن جعفر مرسلا. كشف الخفا 113.

(8) هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، الإمام الفقيه. من أكابر تابعي الكوفة. تولى القضاء في عهد الحجاج الثقفي، ثم عزله، وضربه ليسبّ عليا. توفي سنة 82 هـ وقيل 83 هـ.

(9) ورد في جامع بيان العلم 2/ 1120 هكذا: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم محدث إلاّ ودّ أن أخاه كفاه الحديث ولا مفتي إلاّ ودّ أن أخاه كفاه الفتيا». وينظر كذلك الذخيرة للقرافي 1/ 34.

وقال مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الصديق يسأَل عن الشيء فيقول: لا أدري، وأحدكم اليوم يأنف أن يقول: لا أدري»[1]. وأخرج عبد بن حميد[2] وابن جرير عن عمر بن عبد العزيز قال: «انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[3]. وأخرج الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري؛ أي: قول المجيب لمن سأله لا أدري»[4].

وقال عليه الصلاة والسلام: «أربع لو شُدت إليهنّ الرحال كان قليلا: لا يرجو عبد إلا ربّه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحيي الجاهل أن يتعلم، ولا يستحيي العالم إذا سُئِلَ عما لا يعلم أن يقول لا أعلم»[5].

---

(1) جامع بيان العلم 2/ 839، الذخيرة للقرافي 1/ 35، اختصار المتيطية لابن هارون ق/ 2.

(2) هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الإمام الحافظ، مصنف المسند الكبير والتفسير وغير ذلك. اسمه عبد الحميد فخفف. وكان من الأئمة الثقات. توفي سنة 249 هـ.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 2/ 534، سير أعلام النبلاء 12/ 235.

(3) الآية كاملة: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ آل عمران، من الآية 7.

(4) رواه الطبراني في الأوسط موقوفا 1001، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 172: فيه حصين غير منسوب، وقال الحافظ ابن حجر: والموقوف حسن الإسناد. ينظر فيض القدير 4/ 387 - 388.

(5) رواه محمد بن يحيي بن أبي عمر العدني في الإيمان رقم19 عن الشعبي قال: قال علي: «خذوا مني هذه الكلمات الخمس، فإنكم والله لو ركبتم المطي حتى تنصبوها ما أدركتم مثلهن: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، ولا يستحيي أن يتعلم إذا لم يعلم، وأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له»، وهو في حلية الأولياء 1/ 76، وجامع بيان العلم1/ 90 كلهم ذكروه من قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما أدري أعزير نبيّ أم لا، وما أدري أتبّع ملعون أم لا، وما أدري أذو القرنين نبي أم لا »[1].

ومن ذلك، «لما سُئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع وشرها: فقال ﷺ: «لا أدري. حتى نزل جبريل عليه السلام. فسأله فقال: لا أدري. إلى أن أعلمه الله عز وجلّ أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق»[2] [3]. رواه ابن حبان عن ابن عمر وأحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني عن جبير بن مطعم[4].

«وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل، فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن

(1) رواه أبو داود في السنن 4054 ولفظه:«ما أدري أتبع لعين هو أم لا؟ وما أدري أعزير نبي هو أم لا؟» والحاكم في المستدرك 2174 وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى، باب لا تقام الحدود...بلفظ: «ما أدري تبع ألعينا كان أم لا؟ وما أدري ذا القرنين أنبيا كان أم لا؟...»الحديث، وتاريخ دمشق40/ 317.

(2) رواه ابن حبان 1599، والطبراني في الأوسط 7140- ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد2/ 6، وقال المناوي في فيض القدير 3/ 470: لكن للحديث شواهد يتقوى بها كما أفاده الحافظ ابن حجر في تخريج المختصر، والبزار في مسنده 3430 بلفظ:«... أن أحب البقاع إلي المساجد وأبغض البقاع الأسواق».وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن جبير بن مطعم إلا بهذا الإسناد.

(3) الإحياء 1/ 68 وفيض القدير 3/ 470 بتصرف.

(4) هو أبو عدي جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي صحابي جليل من علماء قريش. واعتبره الجاحظ من كبار النسابين. روى له البخاري ومسلم 60 حديثا. توفي سنة 59 هـ.

تنظر ترجمته في: البيان والتبيين 1/ 303، سير أعلام النبلاء 1/ 171، الإصابة 1093.

واحدة»[1]. وكلٌّ على هدىً، والأغراض تختلف باختلاف المسائل والسائلين، وأوقات الاحتياج.

وكان أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذا سُئل عن مسألة يقول: سلوا مولانا الحسن، يعني البصري، فإنه قد حفظ ونسينا. هكذا أورده أبو طالب المكي[2] في القوت[3]. زاد غيره، قالوا: يا أبا حمزة نسألك فتقول: سلوا الحسن مولانا، قال: سلوا مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا، وحفظ ونسينا. وإنما قال مولانا لكون ولائه للأنصار، وكان ابن عباس يقول: سلوا جابر بن زيد، فلو نزل أهل البصرة على فتياه لَوَسِعَهُمْ، وكان من صالح التابعين. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: سلوا ابن المسيب»[4]. وقال ابن وضاح[5]: «قيل لسحنون: أيسع العالم أن يقول لا أدري فيما يدري، فقال: أمّا ما فيه كتاب قائم، أو سنة ثابتة فلا يسعه ذلك. وأما ما كان من هذا الرأي، فإنه يسعه ذلك،

---

(1) الإحياء 1/ 68.

(2) هو أبو طالب محمد بن علي بن عطية العجمي الحارثي المكي، من كبار الوعاظ والزهاد، سكن مكة فنسب إليها. توفي سنة 368 هـ. له تآليف منها: (قوت القلوب) في التصوف، علم القلوب، أربعون حديثا، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 3/ 89، وفيات الأعيان 4/ 303، شذرات الذهب 3/ 120.

(3) «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» [1/ 210] وهو كتاب في التصوف، قالوا: لم يصنف مثله في دقائق الطريقة، ولمؤلفه كلام في هذه العلوم لم يسبق إلى مثله. اختصره الشيخ الإمام محمد ابن خلف الأموي الأندلسي المتوفى سنة 458 هـ وسماه الوصول إلى الغرض المطلوب من جواهر قوت القلوب. ينظر: كشف الظنون 2/ 1361.

(4) الإحياء 1/ 69 بتصرف.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع، مولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، أحد رواة الحديث والأئمة المشهورين من أهل قرطبة. توفي سنة 286 هـ. من تصانيفه: «القطعان» في الحديث ـ «مكنون السر ومستخرج العلم» في فقه المالكية ـ العباد والعوابد، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 2/ 646، سير أعلام النبلاء 13/ 445.

لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ»[1]. ونقل القرافي في الذخيرة عن بعض الفضلاء: «إذا قلت لا أدري عُلِّمتَ حتى تدري، وإن قلت أدري سُئلتَ حتى لا تدري. فصار حينئذ لا أدري وسيلة إلى العلم، وأدري وسيلة إلى الجهل، ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه: قول الرجل فيما يعلم ولا يعلم نصف العلم»[2].

وعن مسروق[3] عن عبد الله بن مسعود أنه قال: من علم منكم شيئا فليقل، ومن لا يعلم فليقل لما لا يعلم الله أعلم. وقد قال الله لنبيّه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[4].

وقال ابن عون[5]: كنت عند القاسم بن محمد[6] فجاءه رجل فسأله عن شيء، فقال القاسم: لا أحسنه. فجعل الرجل يقول: إنّي رفعتُ إليك لا أعرف غيرَك. فقال القاسم: لا تنظر لطول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله لا أحسنه. فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها فوالله ما رأيت في مجلس أنبل منك اليوم. فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحبّ إليّ من أتكلم بها لا / أعلم. [73]

---

(1) تاريخ الإسلام 17/ 248، سير أعلام النبلاء 12/ 65، اختصار المتبطية ق/ 2.

(2) الذخيرة للقرافي 1/ 35.

(3) هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمذاني تابعي ثقة، من أهل اليمن، سُرق وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقا. توفي سنة 63 هـ.

تنظر ترجمته في: الإصابة 8412 ، طبقات المناوي 1/ 297- 298، طبقات الشعراني 1/ 84.

(4) سورة ص، الآية: 84.

(5) هو أبو عون عبد الله بن عون بن أرطبان شيخ البصرة. كان إماما في العلم والعبادة، حافظا، ثقة. توفي سنة 151هـ.

تنظر ترجمته في: صفة الصفوة 3/ 308 ، تذكرة الحفاظ 1/ 156، سير أعلام النبلاء 6/ 364.

(6) هو أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أحد الفقهاء السبعة في المدينة. وقدا اختلف في سنة وفاته، فهي محصورة بين 102 هـ و 112 هـ.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 2/ 183 ، 187 ـ صفة الصفوة 2/ 49 ، وفيات الأعيان 3/ 224.

وذكر الشعبي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خرج عليهم وهو يقول: «ما أبردها على الكبد، فقيل له: وما ذاك؟ قال: أن تقول لشيء لا تعلمه الله أعلم»[1].

ورُوي عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «أي سماء تُظِلّني وأي أرض تُقِلّني إذا قلتُ في كتاب الله بغير علم»[2]. وروي عن علي مثلهُ.

وقال الشاعر: [الرجز]

فإن جَهِلْتَ ما سُئِلْتَ عَنْهُ ... ولم يكن عندك علم منه

فلا تقل فيه بغير فهم ... إن الخطا مزر بأهل العلم

وقل إذا أعياك ذاك الأمر ... مالي بما تسأل عنه خُبْرُ

فذاك شرط العلم عند العلما ... كذاك ما زالت تقول الحكما[3]

وقال الآخر: [المتقارب]

إذا ما تحدّثتُ في مجلسٍ ... تَنَاهى حديثي إلى ما علمت

ولم أعدُ علمي إلى غيره ... ولكن إذا ما تناهى سكت[4]

وقال الآخر: [الطويل]

إذا ما قتلت الأمر علما فقل به ... وإيّاك والأمر الذي أنت جاهلُهْ

فمن كان يهوى أن يرى متصدرا ... ويكره لا أدري أصيبت مقاتلُهْ[5]

(1) أدب الدنيا والدين ص: 117.

(2) فيض القدير 13/ 271.

(3) جامع بيان العلم 2/ 842 غير منسوب.

(4) نسبها ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 533 إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

(5) ورد البيت الأول في جامع بيان العلم 2/ 842. وأوردهما الماوردي ويوسف البلوي البيتين هكذا:

جهلت فعاديت العلوم وأهلها ... كذاك يعادي العلم من هو جاهله =

ولما تعلّم الحسن أقام أربعين سنة لم يتكلم به[1].

ومنها: المذاكرة، فقد روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[2] أنه قال: «إحياء الحديث مذاكرته»[3].

ويُروى أن سفيان الثوري «لما قدم عسقلان مكث ثلاثا. فلم يأت أحد إليه يسأله عن شيء. فقال: يحق الخروج من هذا البلد، هذا بلدٌ يموت فيه العلم»[4].

ولا يحتقر من يتذاكر معه، فقد كان أبو العالية وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير، فإذا كثروا انصرفوا. وكان سهل يجلس إلى خمسة أو ستة إلى العشرة. وكان الجنيد يتكلم على بضع عشرة وما تم أهل مجلسه [عشرين][5]»، انتهى من الإحياء والقوت[6].

«وقال بعض الحكماء: من أكثر المذاكرة مع العلماء لم ينسَ ما علم واستفاد ما لم يعلم.

= ومن كان يهوي أن يرى ... ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

وقد نسبها الماوردي والبلوي إلى أبي بكر ابن دريد صاحب الجمهرة في اللغة، المتوفى سنة 321 هـ.

ينظر: أدب الدنيا والدين ص:49، وألف باء 1/ 19.

(1) (وأفتى مالك ـ رحمه الله ـ بعد أربعين سنة، وحلق ابن عشرة سنة. وكان يقول: لا يفتي العالم حتى يراه الناس أهلا للفتوى). تنظر الذخيرة للقرافي 1/ 35.

(2) تقدمت ترجمته، ص381.

(3) فقال له عبد الله بن شداد: رحمك الله، كم من حديث أحييته في صدري قد كان مات. الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي 1/ 238.

(4) المصدر السابق 2/ 279 بتصرف.

(5) في الأصل: عشرون. والصواب ما أثبتناه.

(6) الإحياء 1/ 67، 78.

وقال الشاعر: [الطويل]

إذا لم يـــذاكر ذو العلـــوم بعلمــــه ... ولم يـــستفد علمـــاً نـــسي مـــا تعلّمـــاَ

فكـم جـامع للكتـب في كـل مـذهب ... يزيـد مـع الأيـام في جمعهـا عمـى[1] [2]

ولتكن المذاكرة مع من يقصد التعلم والتفهم، لا مع من يقصد التّعنت. ولله درّ القرافي[3] حيث قال: [الكامل]

وإذا جلـست إلى العلـوم وأشـرقت ... فـــي جـــو باطنـــك العلـــوم الـــشرّدُ

فـــاحذر مـــذاكرة الحـسود فربّمـــا ... تغتـــاظ أنـــت ويـــستفيد ويجحـــد[4]

وقال الآخر: [الطويل]

وإن عَنَـــاءً أن تعلّـــم جاهـــلا ... فيحـسب جهـلا أنـــه منـك أفهـم[5]

---

(1) ورد البيتان في أدب الدنيا والدين ص: 78 وجامع بيان العلم 1/ 430 باختلاف في بعض الألفاظ.

(2) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 77- 78.

(3) تقدمت ترجمته، 237.

(4) الابتهاج للبلغيثي1/ 101 منسوبان إلى القرافي، الديباج المذهب 1/ 208، قال: وكان القرافي رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين، فذكرهما، وعنده بدل «إلى العلوم»: «إلى الرجال»، وبدل«مذاكرة»: «مناظرة»، وبدل «فربما»: «فإنما»، وبدل «ويجحد»: «ويجّرد»، وفي كتاب «أدب الفقهاء» للأستاذ المرحوم عبد الله كنون ص:185 منسوبان إلى أبي حيان.

(5) وبعده:

متـى يبلـغ البنيـان يومـا تمامـه ... إذا كنـت تبنيـه وغـيرك يهـدم؟

متى ينتهي عن سيء مـن أتـى بـه ... إذا لم يـكن منـه عليـه تنـدّم؟

متى يرعوي عن سيء من أتى به... البيت.

والبيت منسوب إلى صالح بن عبد القدوس في: أدب الدنيا والدين ص:108 والفقيه والمتفقه 2/ 190، وجامع بيان العلم 1/ 447.

وقال البلوي في ألف باء 1/ 20: «وكان مالك رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذا القول».

وقال أبو العباس الناشئ[1]: [الكامل]

وإذا بليـــتُ بجاهـــل متحامـــل ... حسب المحـال مـن الأمـور صوابـا

أوليـــته مـــني الـــسكوت وربّمـــا ... كـان الـسكوت عـن القبـيح جوابـا[2]

وقال آخر: [الرجز]

وإنمـــا يـــصلح للإفـــاده ... ذو أدب تُرجـــى لـــه الـــسياده[3]/ [74]

ومنها: التخلق بالوفاء بأمانة العلم «فلا يعطيه لغير أهله ولا يمنعه عن أهله. فإن العلم يزيد للنفس الشريرة شرّا وللخيرة خيرا»[4].

قال المحاسبي[5]: «العلم كالغيث ينـزل من السّماء كلّه حلوٌ فيزيد الحلوَ حلاوة والمرّ مرارة»[6]. وقال الغزالي: «تعليم العلم لأهل الشر كبائع السيف من قاطع الطريق»[7].

---

(1) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الأنباري، شاعر مجيد، يعد في طبقة ابن الرومي والبحتري. أصله من الأنبار، أقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر فسكنها. وهو من العلماء بالأدب والدين والمنطق. توفي سنة 293هـ. قال ابن خلكان له عدة تصانيف جميلة.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 10/ 92 ، وفيات الأعيان 3/ 91.

(2) ألف باء للبلوي 1/ 21.

(3) الابتهاج للبلغيثي 1/ 100.

(4) الذخيرة 1/ 35. وقد ورد فيها أيضا قول المحاسبي والغزالي.

(5) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، اشتهر بالزهد والورع. توفي سنة 243 هـ. من تآليفه: آداب النفوس، المسائل في الزهد ، كتاب الرعاية لحقوق الله، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 10/ 73 ، تاريخ بغداد 8/ 211، 216 ، طبقات الصوفية ص: 58، 63.

(6) زاد قائلا: «فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها» كتاب الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ص: 459.

(7) الإحياء 1/ 78.

وقال القرافي: «الأصل في هذه القاعدة الحديث: «لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»[1].

وقال أبو حامد: «ليس الظلم في كف العلم عن أهله بأقل منه في بثه لغير أهله[2]. وعن عيسى عليه السلام: لا تطرحوا الدرّ بين أرجل الخنازير يعني العلم للجهال[3]»[4].

وقد نظم هذا المعنى بعض الفضلاء بقوله: [السريع]

من منعَ الحكمة من أهلها ... أصبح في الناس لهم ظالما

أو وضع الحكمةَ في غيرهم ... أصبح في الحكم لهم غاشما[5]

وقال غيره: [الطويل]

ومن منح الجهال علما أضاعَهُ ... ومن منع المستوجبين فقد ظلمْ[6]

---

(1) الذخيرة 1/ 36. والحديث رواه الحاكم في المستدرك [رقم: 7707] وصححه، قال الذهبي في الميزان 6/ 433: فيه هشام بن زياد متروك. ومصادف بن زياد مجهول. وللتوسع في تخريجه انظر كتاب «النصوص الحديثية في التراث الأدبي الأندلسي، كتاب العقد الفريد نموذجا - دراسة و تخريج» أطروحة دكتوراه بدر العمراني - مرقونة- رقم: 118.

(2) ذكر مثله في فيض القدير 5/ 504.

(3) في (د): للجاهل.

(4) «ألف باء» للبلوي 1/ 20، و في المحدث الفاصل ص: 573 عن جابر قال: قال أبو جعفر: يا جابر لا تنشر الدر بين أرجل الخنازير فانهم لا يصنعون به شيئا وذلك نشر العلم عند من ليس له بأهل.

(5) وبعده:

لا خير في المرء إذا ما غدا *** لا طالب العلم ولا عالما

جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 451.

(6) البيت للإمام الشافعي المتوفي سنة 204هـ. ينظر ديوانه ص: 360 وكذا (ألف باء) 1/ 20.

وقال الشافعي: [الطويل]

أأنثر درا بين سارحة النَّعمْ وانظم ياقوتا لراعية الغَنَمْ؟[1]

وسأل تلميذ عالما فلم يجبه، فقيل له أمنعته. قال: «لكل تربة غرس، ولكل بناء أسّ»[2]. ولهذا قال ابن عباد[3] في شرح الحكم[4]: «وعلى المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه، فلا يبذل علمه إلا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح»[5]. ثم قال: «وفي قوله تعالى:﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[6] تنبيه على أن حفظ العلم ممن يفسده ويسيطر به أولى وأحرى»[7].

---

(1) وبعده:

ألم ترني ضُيـّعت في شرّ بلدةٍ فلست مضيّا بينهم دُرر الكلمْ

فإن يشفني الرحمن من طول ما بقيت مُفيدا واستفدت وصادفتُ أهلا للعلوم وللحكمْ

وإلاّ فمخزون لديّ ومكتتمْ

ديوان الإمام الشافعي ص: 359 ، جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 449 (ألف باء) للبلوي 1/ 21.

(2) أدب الدنيا والدين ص: 129.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله الحميري المعروف بابن عباد الرندي، زاهد متصوف، من أهل رندة بالأندلس. استقر بفاس. توفي سنة 792 هـ. من كتبه: غيث المواهب العلية في شرح الحكم العضائية ـ الرسائل الكبرى، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص: 403، نفح الطيب 6/ 281 وما بعدها.

(4) الكتاب هو « غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية» لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي، وهو مطبوع.

(5) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية 2/ 136.

(6) الآية كاملة: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾. النساء، الآية: 5.

(7) غيث المواهب العلية 2/ 137.

قال بعضهم: «رأيت سفيان الثوري حزينا، فسألتُه عن ذلك، فقال: ما صِرْنَا إلا متجراً لأبناء الدنيا. قلتُ: وكيف ذلك ؟ قال: يلزمنا أحدهم، حتى إذا عرف بنا، وحمل عنا، جُعل عاملا أو حاجبا أو قهرمانا[1] أو جابيا، فيقول حدثنا سفيان الثوري»[2].

وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل: «أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار»[3]. فقال في جوابه: اترك اللجام واذهب، فإن جاء من يفقَهُ وكتمته فليلجمني»[4]. فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾. ثم قال القرافي: «سؤال مشكل: إذا كان الغالب على الناس في طلب العلم الرياء والسمعة، وسوء الحال، فالمعلم لهم معين على هذه المعصية، والإعانة على المعصية معصية، فيحرم حينئذ التعليم على الإطلاق، نظرا للغالب. جوابه: هذا سؤال مشكل اضطربت فيه فتاوى العلماء، فمنهم من يقول: لو اعتبرنا هذا لانقطعت مادة العلم والتعليم، فينقطع الشرع، ويفسد النظام، فيؤدي ذلك إلى إطفاء نور الحق، و إضلال الخلق، حتى يطبق الأرض الكفر. ومعلوم أن هذه المفاسد أعظم من الرياء، الذي قد يقع وقد لا يقع، فإنا وإن قطعنا بوقوعه، لكن لا نعلم كل واحد على انفراده، فإن الله تعالى مطلع على السرائر، ولأن العلم قربة محققة، وهذه المعاصي أمور عارضة / [75]. ومنهم من يقول: بل لا يتعين ذلك، ولا يجوز التعليم إلا لمن غلب على الظن سلامته من هذه المعاصي، طردا لقاعدة إلحاق الوسائل بالمقاصد»[5].

---

(1) في لسان العرب 12/ 496 (مادة: قهرم): القَهْرَمان هو المُسَيْطِرُ الحَفِيظ على من تحت يديه مجْداً وعِزّاً، قَهْرَماناً قَهْقَبا، قال سيبويه: هو فارسي، والقُهْرمان لغة في القَهْرمان عن اللحياني، وتُرْجُمان وتَرْجُمان لغتان.

(2) المصدر السابق 2/ 145.

(3) رواه أحمد عن أبي هريرة 10082 بلفظ: «من كتم علما يعلمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار».

(4) فيض القدير 6/ 212.

(5) الذخيرة 1/ 37 بتصرف.

قال الشاعر: [الطويل]

صنِ العلم واعرف قدره وارع حقّه ولا تلقه إلا إلى كل مُنصِفِ[1]

ومما يتأكد في حقّه، أن لا يمنعه عن أهله كما تقدم ولا يكتمه. فقد ورد في ذلك وعيد عظيم في الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾[2] الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[3].

وقال ﷺ فيما رواه أبو داود، والترمذي وحسّنه، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي عن أبي هريرة: «من سُئِلَ عن علم فكتمه أُلجِمَ يوم القيامة بلجام من نار»[4]. وفي رواية أبي داود: «ألجمه الله بلجام من نار» وفي رواية ابن ماجه قال: «ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوما[5] بلجام من نار».

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال حديث صحيح لا غبار عليه، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام

---

(1) وبعده:

وحطه يحطك الله من كل آفة فأنت به من حيث يممت تكتفي

الابتهاج للبلغيثي 1/ 99 غير منسوب.

(2) الآية كاملة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾. البقرة، الآية: 158.

(3) البقرة، الآية: 41.

(4) رواه الترمذي في العلم 2573 ولفظه: «من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»، أبو داود في العلم 3173، ابن ماجه في المقدمة 257، ابن حبان في صحيحه 95، البيهقي في شعب الإيمان 1743.

(5) في رواية أبي داود: ملجما.

من نار»[1]، وروى الطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يُحدّث به كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه»[2]. وروى الطبراني في الكبير عن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه عن جدّه قال: «خطب رسول الله ﷺ ذات يوم، فأثنى على طوائف من/ [76] المسلمين خيرا، ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم، ولا يعلّمونهم، ولا يَعِظُونَهم، ولا يأمرونَهُمْ ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلّمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتّعظون؟ والله ليُعَلِّمَنّ قوم جيرانَهم، ويفقهونهم، ويعظونهم، ويأمرونَهم، وينهونَهُمْ. وليتعلّمنَ قوم من جيرانهم، ويتفقّهون، ويتعظون، أو لأعاجِلنّهم بالعقوبة. ثم نزل فقال: من ترونَه عني بهؤلاء؟. قال: الأشعريين، هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب. فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذكرتَ قوما بخير، وذكرتنا بشرّ، فما بالنا؟ فقال: ليُعلمنّ قوم جيرانَهم، وليعظنّهم، وليأمرنهم، ولينهونَهم، أو لأعاجلنّهم بالعقوبة في الدنيا، وليتعلمن قومٌ من جيرانهم، ويتعظون، ويُتفقّهون، أو لأعاجلنّهم بالعقوبة في الدنيا. فقالوا: يا رسول الله: أنفطّن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم. فأعادوا قولهم: أنفطّن غيرنا؟ فقال ذلك أيضا. فقالوا: أمهلنا سنة. فأمهلهم سنة ليفقّهوهم، ويعلمّوهم. ثم قرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ﴾[3] »[4] الآية.

---

(1) ابن حبان 96، الحاكم 346.

(2) المعجم الأوسط 1/ 164، الكامل 3/ 115 بلفظ: «كمثل الذي يكون عند الكنز فلا ينفق منه». وهو ضعيف، فيه دراج بن أبي السمح كثير المناكير.

(3) تتمة الآية: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾. المائدة، الآية 80.

(4) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 164: رواه الطبراني في الكبير، وفيه بكير بن معروف. قال البخاري: ارم به. ووثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرى. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «تناصحوا في العلم ولا يكتم[1] بعضكم بعضا. فإن جناية أحدكم في علمه أشد من جنايته في ماله، وإن الله مُسَائِلكم[2]»[3]. ورواه الطبراني في الكبير بإسقاط: «ولا يكتم بعضكم بعضا»[4]. ورُوي عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يقول: بلغني أن العلماء يُسألون/ يوم القيامة كما يُسأل الأنبياء. يعني عن تبليغه»[5]. [77]

وأخرج ابن عساكر عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ظهرت البدع ولَعَنَ آخر هذه الأمة أوّلها، فمن كان عنده علم فلينشره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد»[6].

وروى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «علم لا يقال به ككنز لا ينفق منه»[7].

وروي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لم يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهد ببذل العلم، لأن العلم كان قبل الجهل»[8].

---

(1) في (د): تكتم.

(2) في الحلية: سائلكم يوم القيامة.

(3) حلية الأولياء 9/ 20. وضعفه المناوي في فيض القدير 3/ 268.

(4) المعجم الكبير 11701.

(5) حلية الأولياء 6/ 319، جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 493.

(6) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق 17/ 6-7، ابن ماجه عن جابر 263 بلفظ: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كتم حديثا فقد كتم ما أنزل الله». قال المنذري: ضعيف. ينظر فيض القدير 1/ 436.

(7) تاريخ دمشق لابن عساكر 9/ 22.

(8) جامع بيان العلم 1/ 492.

وروى أبو زيد[1] عن ابن القاسم[2] قال: «كنّا إذا ودّعنا مَالكًا يقول لنا: اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلّموه ولا تكتموه»[3]. وقال الشاعر[4] [الخفيف]

علّم العلم من أتاك لعلم واغتنم منه ما حييت الدعاءَ
وليكن عندك الفقير إذا ما طلب العلم والغنيُّ سواءَ[5]

ومنها: التواضع، وترك الدعوى في العلم، ففيه وعيد أيضا. روى البزار، والطبراني في الأوسط، وأبو يعلى، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يظهر الإسلام حتى تختلف التجار في البحر، وحتى تخوضَ الخيل في سبيل الله، ثم يظهر قوم يقرأون القرآن، يقولون من أعلم منّا؟ من أقرأ منّا؟ من أفقه منّا؟ ثم قال لأصحابه، هل في أولئك من خير؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أولئك منكم، وأولئك هم وقود النار»[6].

---

(1) هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر المصري الفقيه. كان من موالي بني سهل. توفي سنة 234 هـ.
تنظر ترجمته في: تهذيب التهذيب 500.

(2) تقدمت ترجمته ص: 263.

(3) جامع بيان العلم 1/ 492.

(4) في جامع بيان العلم لابن عبد البر 11/ 490 أن الشاعر هو أبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني. وقد كان إماما محدثا ثقة من أهل السنة. توفي سنة 325 هـ.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 13/ 59.

(5) جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 490.

(6) مسند البزار283، المعجم الأوسط 6242 قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 186: رجال البزار موثقون، أبو يعلى في مسنده 6698 عن العباس بن عبد المطلب لكن بلفظ: «يظهر الدين حتى يجاوز البحار وتخاض البحار في سبيل الله ثم يأتي من بعدكم أقوام يقرأون القرآن يقولون: قد قرأنا القرآن، من أقرأ منا؟ ومن أفقه منا؟ أومن أعلم منا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل أولئك من خير؟ قالوا: لا. أولئك منكم من هذه الأمة، أولئك هم وقود النار».

وروى الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة من الليل فقال: «اللهم هل بلغتُ ثلاث مَرات». فقام عمر بن الخطاب وكان أَوّاهًا فقال: اللهم نعم. وحرصتَ وجاهدتَ، ونصحتَ، فقال: «ليظهرن الإيمان حتى يردّ الكفر إلى مواطنه، ولتخاض البحار بالإسلام، وليأتين زمان على/ [78] الناس يتعلمون القرآن، يتعلمونه ويقرأونه ثم يقولون قد قرأنا وعلمنا، فمن الذي هو خير منا. فقالوا: يا رسول الله: ومن أولئك؟ قال: أولئك هم وقود النار»[1].

وروى الطبراني عن مجاهد[2] عن ابن عمر لا أعلمه إلا عن النبيﷺ أنه قال: «من قال إني عالم فهو جاهل»[3].

وقال الشيخ زروق في بعض وصاياه بعد كلام ما نصه: «وإياكم والدعوى أو يقول أنّي عالم، أو أنا خير منك أو أنا أقرأ منك؛ فإنه هلك لهذه الكلمة ثلاثة: أول من قالها اللعين إبليس فهلك، قال تعالى حاكيا عنه ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[4]. والثاني، فرعون الخصيم قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[5]. والثالث قارون قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[6] »[7].

---

(1) المعجم الكبير13019، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد1/ 186: رجال ثقات إلا هند بنت الحارث الخثعمية التابعية لم أر من وثقها ولا جرحها.

(2) تقدمت ترجمته، ص247.

(3) المعجم الأوسط 6846، وهو موضوع. ينظر رسالة «أعذب المناهل في حديث من قال أنا عالم فهو جاهل» في الحاوي للسيوطي 2/ 45.

(4) الآية كاملة: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ الأعراف ،الآية: 11.

(5) النازعات ، من الآية: 24.

(6) تتمة الآية:﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾. القصص، الآية: 78.

(7) ينظر شرح الأزهري على الأجرومية ص: 133.

ومن كلام سيدي عبد الرحمن الرفاعي: من لا خدَّ له يداس، لا كفّ له يُبَاسْ. وكان يقول لتلامذته: كونوا ذَنَباً ولا تكونوا رأسا، فإن الضربة أول ما تقع في الرأس. وقال الجزولي[1] في شرح الرسالة ما نصه: «وأكثر ما يسرع الكبرُ إلى العلماء لأنهم يحتقرون الجهّال، وقد جاء في الخبر أن رسول الله ﷺ قال: «ما من آدمي إلا وله سلسلتان، سلسلة إلى السماء وسلسلة إلى الأرض، فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة التي في السماء وإذا تكبر وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض»[2].

قال الشعبي: العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبرا شمخ بأنفه، وظنّ أنه أنه. ومن نال شبرين، صغرت نفسه عنده، وظنّ أنّه أنّه. وأما الثالث، فهيهات لا يناله أحد[3].

قال الماوردي: «ألفت كتابا في البيوع، جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس، وبلغت فيه الغاية، فظننت أني أشدّ الناس قياما بمعرفة البيوع، فأتاني في مجلسي أعرابيان، فسألاني عن بيع عقداه على شروط تضمنت أربع مسائل، فلم أعرف لواحدة منهن جوابا، فأطرقت مفكرا، ثم قلت لهما: ما عندي لكما جوابا. فأتيا من كان يتقدمه في العلم كثير من أصحابي فأجابهما مسرعا بما أَقْنَعَهُمَا، وانصرفا مادحين لعلمه»[4].

---

(1) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي، الحافظ الفقيه المالكي، من أهل فاس، صاحب تقاييد على الرسالة. توفي سنة 741 هـ. وقيل 744 هـ.

- تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج 244- 245، كفاية المحتاج 1/ 263، شجرة النور الزكية ص: 219، جذوة الاقتباس 1/ 70.

(2) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/ 83: رواه البزار وفيه زمعة بن صالح والأكثر على تضعيفه وبقية رجاله ثقات.

(3) فيض القدير 4/ 387.

(4) المصدر السابق 4/ 387.

قال الجاحظ في كتاب البيان: «اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر[1]، كما نعوذ بك من شر العي والحَصَر»[2].

وقيل: من فضل علمِك استقلالك لعلمِك[3].

مسائل:

الأولى: «سُئِلَ القاضي أبو عثمان العقباني[4] عن أخذ الأجرة على[5] تعليم العلم، وهل يفتقر المعلم في تعليم العلم إلى إذن شيخه أم لا؟ وعلى الافتقار، هل يكفي في ذلك مجرّد القول، أو لابد من كتب الإجازة والإشهاد أم لا ؟ فأجاب: كره مالك في المدونة الإجارَة على تعليم العلم. وقيل بالمنع، وقيل بالإباحة، حسبما اختلِف في بيع كتبه. ومذهب المدّونة مقدّم في النقل، لِئلا يضيع العلمُ لضعف أرزاق العلماء. فإن مُنِعُوا الإجارة شغلهم طلب/ المعيشة عن التعليم. وأما توقف التعليم على كتب الإجازة فلم [79] يقله أحدٌ، وإنما هو كالفتيا، لا تتوقف على إجازة، بل من عرف منه العلمُ والدّين جاز أن يعلم ويفتي. والمتعلم إذا رأى الشيخ متصديا للتعليم والفتيا، والناس يعظّمونه،

---

(1) السلاطة: القهر، حدة اللسان، والصخب. ينظر لسان العرب 7/ 320.

الهذر: كثرة الكلام في خطأ. المصدر، باب الراء، فصل الهاء.

(2) البيان والتبيين للجاحظ 1/ 3.

(3) تتمتها: «ومن كمال عقلك استظهارك على عقلك».

ينظر أدب الدنيا والدين ص: 120.

(4) هو أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني التلمساني التجيبي، الإمام الفقيه الأصولي القاضي أخذ عن أكابر علماء عصره. توفي سنة 811 هـ. ألف شرح الحوفية، وتفسير سورتي الأنعام والفتح، وشرح البردة، و شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي، شرح العقيدة البرهانية، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص: 189 - 190، ألف سنة من الوفيات ص: 137، 236.

(5) في (د): عن.

جاز له أن يأخذ عنه، وإن كان متمكنا من السؤال عنه، فليسأل، فإن أُخْبِر أنه عالم دين، جاز له أن يسأله. وهل يكفي في ذلك خبرُ الواحد قولان[1]. وإذا علم الشيخ أنه أهل لذلك ديناً وعلماً، وجب عليه وجوب عين، أو وجوب كفاية، على حسب اختلاف المواضع، على ما عرف في ذلك. وإن علم من نفسه أنه قاصر عن ذلك، لم يحل له التعرض له، ومن كان أهلا لذلك، ومنعه بعض أشياخه، لم يحل له مطاوعة ذلك الشيخ، ومن كان قاصرا، وأجاز له الشيخ ذلك، لم يحل له مطاوعته، وتجب عليه مخالفته. وإنما تطلب الإجازة، وتنفع في رواية الأخبار، والإنشاءات المتواترة، وغيرها. وأما العلم، فلم يقل أحد بافتقار الفتيا والتعليم لإذن. نعم، لا يحل لأحد أن يأخذ مسألة علم إلا عمن عُرف علمه ودينُه، وطريق معرفته ما قدمناه»[2].

وقال السيوطي في الإتقان: «الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للإقراء والإفادة، فمن علم من نفسه الأهلية، جاز له ذلك وإن لم يجزه أحد. وعلى ذلك السلف الأولون في كل علم، وفي الإقراء، والإفتاء، خلافا لما يتوهّمه الأغبياءُ من اعتقاد كونها شرطا، وإنما اصطلح الناس على الإجازة، لأن أهلية الشخص لا يعلمها غالبا من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم، لقصور مقامهم عن ذلك، والبحث/ عن الأهلية قبل الأخذ شرط، فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ المجيز بالأهلية»[3]. [80]

قلتُ: وقد يشير إلى مستندها في الجملة قوله ﷺ: «استقرئوا القرآن من أبيّ وابن مسعود وغيرهما»[4]. فدل على من فيه الأهلية. وهي شهادةٌ منه عليه السلام لهم، وتلك فائدتها والله أعلم.

---

(1) في معيار الونشريسي 11/ 17: خبر واحد فيه قولان.

(2) المعيار 11/ 16-17.

(3) الإتقان في علوم القرآن 1/ 103 باختلاف في بعض الألفاظ.

(4) رواه البخاري في صحيحه، باب مناقب معاذ جبل رضي الله عنه 3595 بلفظ: «استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولي أبي حذيفة، وأبي بن كعب، و معاذ بن جبل». والنسائي في سننه الكبرى 8001.

الثانية: قال في الإحياء في باب التوبة: «فرض عين على العلماء كافة، وعلى السلاطين خاصّة، أن يرتبوا في كل قرية، وفي كل محلة، فقيها متدينا، يعلم الناس دينهم، فإن الخلق لا يولدون إلا جُهَّالا، فلا بد من تبليغ الدعوة لهم، في الأصل والفرع، ثم قال: والداء العُضَالُ فقدُ الطبيب، وإن الأطباء هم العلماء، وقد مرضوا في هذه الأعصَار بالدّاء المُهْلِك وحبُّ الدنيا، فلم يتأت منهم نُصْحٌ، وليتهم إذْ لم ينصحوا لم يغشوا، وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا وليتَهُم سكتُوا ولم ينطقوا»[1]. انظره مستوفى.

الثالثة: ذكر الشيخ حلولو[2] في اختصار البرزلي[3] عن ابن سهل في أحكامه في المتحلقين للفتيا، ومذاكرة العلم، هل يمنعوا لحق المصلين ؟ فقال: لا يجوز منعهم، وإن لم يُبْنَ إلاّ للصلاة. وجاء هذا من فعل الأئمة مالك وغيره وابن سهل. وهذا إنما هو فيمن يوثق بفهمه، وعلمه، ودينه، ويومن عليه فيما لا يحسنه، والفتيا فيما لا يعلمه، فحينئذ يُباح لهُ التحليق في غير أوقات الصلاة، حيث لا يضرّ المصلين. قلتُ: حدثنا شيخنا أبو الحسن البطرني[4] رحمه الله، أنه أدرك بجامع الزيتونة نحو الستين حلقة يوم الجمعة للفتيا، قال: يجلس الرجل مع من يعرف، ويتذكّرون المسائل/ [81]. وأعظمهم حلقة قاضي الجماعة ابن قداح[5]».

---

(1) الإحياء للغزالي 4/ 44.

(2) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن القيرواني المعروف بحلولو، فقيه مالكي عالم بالأصول. توفي سنة 875 هـ.
من تآليفه: الضياء اللامع في شرح. جمع الجوامع ، شرح مختصر خليل، التوضيح في شرح التنقيح، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص: 127 وما بعدها، شجرة النور الزكية ص: 259، مقدمة تحقيق د. أحمد الخليفي لكتاب الشيخ حلولو المسمى: «المسائل المختصرة من كتاب البرزلي».

(3) تقدمت ترجمته في ص: 340.

(4) هو أبو الحسن محمد بن أحمد البطرني، الفقيه المحدث المقرئ الزاهد. توفي سنة 793 هـ.
تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج 461-462، وفيات ابن قنفذ ص: 278 ، شذرات الذهب 6/ 331، ألف سنة من الوفيات ص: 88، 132، 226.

(5) هو أبو علي عمر بن قداح الهواري التونسي. كان إماما عالما بمذهب مالك. ولي قضاء الجماعة. توفي سنة 736 هـ.
تنظر ترجمته في: الديباج المذهب لابن فرحون 2/ 74 ، ألف سنة من الوفيات لحجي ص: 189.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسأله الله الفردوس

الباب الخامس

في آداب المتعلمين

أخرج أبو الليث السمرقندي[1] بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى عُتَقَاء الله من النار، فلينظر إلى المتعلمين، والذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض، والأرض تستغفر له، ويُمسي ويصبح مغفورا له[2]. وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من غدا أو راح وهو في تعلم دينه فهو في الجنة»[3].

وتقدم بعض الآداب في الباب التي قبل هذه، ويزاد على ذلك أمور خاصة بالمتعلّم. وهي: «أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام، ويعتقد رجحانه على أكثر أهل طبقته، فهو أقرب إلى انتفاعه به، ورسوخ ما يسمعه منه في ذهنه»[4]. قال بعضهم: ومن لم ير خطأ شيخه أفضل من صواب غيره لم ينتفع[5] به. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «كنت أتصفّح الورقة بين يدي مالك رضي الله عنه تصفحا رفيقا هيبة له، لئلا يسمعَ وَقْعَهَا. وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبَةً له»[6].

ومنها: «أن يسلّم على المعلم خاصة ويخصّه بالتحية، وأن يجلس أمامه ولا يشيرن عنده بيده ولا يغمزنّ عنده بيده، ولا يقولنّ له: قال فلان خلاف قولك. ولا يغتابَنَّ عنده أحدًا، ولا يسارّ أحدًا في مجلسه، ولا يأخذ بثوبه، ولا يلحّ عليه إذا كسل»[7].

---

(1) تقدمت ترجمته في ص: 273.

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا 2355 وقال: قال ابن حجر نقلا عن السيوطي: كذب موضوع.

(3) لم أقف عليه في حلية الأولياء، وقد عزاه إليه المناوي في فيض القدير 6/ 184 وقال: فيه الفضل بن الحكم وفيه كلام.

(4) المجموع شرح المهذب للنووي 1/ 62.

(5) في (د): ينفع.

(6) المجموع شرح المهذب للنووي 1/ 62.

(7) نفسه 1/ 62. وقد أورده النووي منسوبا إلى الإمام علي رضي الله عنه بكاف الخطاب هكذا: «...أن تسلم على...وتخصه بالتحية.... الخ».

[82] ومنها: أن «يتأدب مع رفقته وحاضري/ المجلس، ويقعد قعدة المتعلم لا قعدة المعلم»[1]، وذلك أن يجثُو على ركبتيه أو كالمتشهد، غير أنه لا يضع يده على فخذه، أو كالمحتبي ونحو ذلك. وليحذر من جعل يده اليسرى خلف ظهره معتمدًا عليها، ففي الحديث أنها قعدة المغضوب عليهم[2]. قال بعضهم[3]: «كنتُ عند شريك[4] فجاءه بعض أولاد المهدي[5] فاستند إلى الحائط وسأل عن حديث، فلم يلتفت إليه. وأقبل علينا ثم عاد، فعاد بمثل ذلك. فقال له: أتستخف بأولاد الخلفاء ؟ فقال شريك له: لا، ولكن العلم أجلّ عند الله أن أضعَهُ. فجثى على ركبتيه، فقال شريك رضي الله عنه: هكذا يطلب العلم»[6]. وقد حُكى أن المأمون وَكَّلَ الفراء النحوي بتعليم ولديه المعتصم والواثق النحو، فنهض الفرّاء يومًا إلى بعض حوائجه[7] فابتدر المعتصم والواثق إلى نعله [ليقدماه][8] إليه، فتنازعا أيهما يقدمها. فاصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة. فقدماها له. وكان المأمون لَه على كل شيء صاحب عين، فرفع له هذا الخبر، فاستدعى الفرّاء، فلما أن دخل عليه قال له المأمون: من أعز الناس؟ قال: ما أعرف أعز الناس من أمير المؤمنين. قال: بلى، من إذا نهض تنازع على تقديم نعله أميران، حتى رضي كل

---

(1) المجموع شرح المهذب 1/ 62.

(2) رواه أبو داود في سننه 4848 وأحمد في مسنده 19683 من حديث الشريد بن سويد قَالَ: مَرّ بِى رَسُولُ الله ﷺ وأنا جالِسٌ هكذا، وَقَدْ وضعْتُ يدِى الْيُسْرى خَلْف ظَهْرِى وَاتَّكأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي. فَقَالَ: أَتَقْعُدُ قَعْدَةَ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ. إسناده صحيح.

(3) هو حمدان بن الأصفهاني. ينظر المصدر السابق ص:1/ 63.

(4) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله الحارث النخعي الكوفي إمام، فقيه ومحدث. ولي قضاء الكوفة أيام المنصور العباسي سنة 153هـ، ثم عزله وأعاده المهدي، فعزله موسى الهادي من بعده. توفي سنة 177هـ.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 9/ 279، وفيات الأعيان 2/ 464، تذكرة الحفاظ 218.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، من خلفاء الدولة العباسية. توفي سنة 169 هـ.

(6) المجموع للنووي 1/ 63.

(7) في (د): الحوائج.

(8) في الأصل: ليقدمانه، والصواب ما أثبتناه.

واحد منهما بتقديم فردة. قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعَهُما من ذلك، لكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، وكسرا نفسهما لخلة شريفة حرصا عليها. وقد يُروى عن جدّك ابن العباس أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهم ركابيهما، وقد خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحديثين ركابيهما وأنت أسنُّ منهما؟! فقال له: اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل. فقال له المأمون: لو منعتهما من ذلك لأوجعتك لوما وعتابًا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وقد تبينت لي مخيلة الفراسة بفعلهما فليس كبر الرجل وإن كان كبيرا عن ثلاث: الأولى تواضعه لسلطانه، والثانية تواضعه لوالديه، والثالثة تواضعه لمعلمه. وقد عوضتهما عمّا فعلاه عشرين ألف دينار. وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم[1] على حسن أدبك لهما.

وفي بعض الحكم: اجعل علمك ملحا، وأدبك دقيقا. ومن عاد من فوقَه، أبغضَه من تحتَه. فلا شرف مع سوء الأدب.

ومنها: أن «لا يرفع صوته رفعا بليغا من غير حاجة، ولا يكثر من الكلام لغير حاجة، ولا يلتفتُ بلا حاجة، بل يُقْبِل على الشيخ مصغيا له»[2] لأنه خليفة رسول الله ﷺ. فكل ما يجب له من التعظيم، يجب لخلفائه. قال الله عز وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[3] الآية. ورُوِيَ: «حدّث الناس ما رمقوك بأبصارهم»[4].

---

(1) في (ج): دينار.

(2) المجموع للنووي 1/ 63.

(3) الحجرات، الآية: 2.

(4) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 2/ 342 رقم: 745. من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ومنها، أن «لا يسبقه إلى شرح مسألة، أو جواب سؤال، إلا أن يعلم من الشيخ إيثار ذلك ليستدل به على فضيلة المتعلم، ولا يقرأ عليه عند اشتغال قلب الشيخ، ومللـه، ونعاسه، واستنفاره، ولا يسأله عن شيء في غير موضعه، إلا أن يعلم من حاله أنه لا يكرهه، ولا يلح عليه في السؤال إلحاحا مضجرا»[1]. وإذا مشى معه كان عن يمين الشيخ، ولا يسأله في الطريق. وإذا وصل الشيخ إلى منزله فلا يقف قبالة بابه،كراهة أن يصادف خروج من يكره الشيخ اطلاعه عليه. وإذا صعد معه سُلَّما [83] / تأخر عن الشيخ، وإذا نزل سبقه المتعلم لاحتمال أن تزِلّ رجل الشيخ فيعمده.

ومنها: أن لا يراجع الشيخ إلا تفهّماً، فإن ناظره فبالسكينة والوقار، فقد أخرج الديلمي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تعدَى[2] أحدكم إلى أخيه، فليسأله تفهّما[3] ولا يسأله تعنّتا»[4]. قوله: تعدى أي: تعدى إليه ليسأله في الدين[5]. وأخرج الطبراني في مكارم الأخلاق والبيهقي عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم»[6].

ومنها: أن لا يعارضه في جواب سائل يسأله، فإن ذلك تلبيس على السائل، وازدراء بالمسؤول. وبقدر إجلاله للشيخ يكون نفعه منه. فقد قال مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إذا جالَسْتَ

---

(1) المجموع شرح المهذب للنووي 1/ 62.

(2) في رواية الديلمي: قعد.

(3) وفيها أيضا: تفقها.

(4) كذا عزاه المناوي في فيض القدير 1/ 418 وقال: وفيه المسيب بن شريك، قال الذهبي: متروك.

(5) قال المناوي في فيض القدير 1/ 418: «...ليسأله عن شيء من المسائل الشرعية ونحوها فليسأله تفقها أي سؤال تفهم وتعلم، ولا يسأله تعنتا أي.. ممتحن».

(6) المعجم الأوسط 6744، شعب الإيمان 6568، قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 160: فيه مخيس بن تميم عن حفص بن عمر، قال الذهبي: مجهولان.

العالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول»[1]. قال ابن عبد البر: وفي حكمة لقمان: «لا تجادل العلماء فتُهدي عليهم فيرفضوك[2]، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك، ولكن تصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم، ولمن هو دونك. فإنما يلحق بالعلماء من صَبر لَهم واقتبس من علمهم في رفق»[3]. ومن مصائب العلماء أن يستجهلهم من علّموه، أو يستذلّهم من قدّموه. ولا يعترض عليه تبكيتا له وتعنيتا، كما قال ابن البطحاء[4]: [الوافر]

أعلّمه الرماية كل يوم ... فلمّا اشتدّ ساعده رماني
وكم علّمته علم القوافي ... فلمّا قال قافيةً هجاني

---

(1) جامع بيان العلم 1/ 521.

(2) في (ج): فيرفضونك.

(3) جامع بيان العلم 1/ 441 بتصرف.

(4) ورد البيت الأول في أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 108 منسوبا إلى ابن البطحاء. والبيت في نسبته اختلاف.
ينظر هامش ص: 107- 108 من المصدر.
وكذا ورد البيتان في مجمع الأمثال للميداني 2/ 38. وقبلهما:

فيا عجبا لمن ربيت طفلا ... ألقمه بأطراف البنان

وبعدهما:

أعلّمه الفتوة كل وقت ... فلما طرّ شاربه جفاني

وقد نسب أبو عبيد القاسم بن سلام هذه الأبيات لمالك بن فهم الدوسي الذي رماه ابنه بسيف فقتله فقالها حين رماه. ثم قال أبو عبيد: إنما، أي استد، بالسين والشين. ينظر كتابه: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص:420.
وقال صاحب درة الغواص ص 113: «فالرواية الصحيحة فيه: استد بالسين المبهمة، ويكون المراد به السداد في الرمي. وقد رواه بعضهم بالشين المعجمة التي بمعنى القوة».
وقد علق الماوردي على هذا البيت قائلا: «وهذه من مصائب العلماء، وانعكاس حظوظهم، أن يصيروا عند من علموه مستجهلين، وعند من قدموه مسترذلين». أدب الدنيا والدين ص: 108.
ولعل الطرنباطي استقى قوله السابق الذكر من هذا الكلام. تنظر ص:107- 108.

وفي الحديث: «أنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال»[1] يعني سؤال تعنّتٍ. وفي حديث آخر: «إياكم وكثرة السؤال، فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم»[2].

ومنها: أن لا يبصق في المجلس ولا يتمخط، ولا يتثاوب بحضرة الشيخ، ولا يضع رجلا على رجل، ولا يضع كفه على ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده، فإن ذلك دليل على الكسل.

تنبيه:

وجدت بخط شيخنا الفقيه العلامة سيبويه وقته سيدي محمد بن الفقيه العلامة سيدي طاهر الفاسي[3] نقلا عن الشيخ زروق: «أن من استحقر أستاذه ابتلاه الله بثلاث عقوبات: الأولى أن ينسى ما حفظ منه. الثانية: أن يكلّ لسانه عند النزع. الثالثة: أن يخرج من الدنيا بغير إيمان»[4].

وقال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني[5] رضي الله عنه: «أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نكرم العلماء، ونُجلّهم، ونوقّرهم، ولا نرى لنا قدرة على مكافأتهم

---

(1) رواه البخاري في الأدب 5518 بلفظ: «كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال».

(2) رواه مسلم في الحج 1337 بلفظ: «ذروني ما تركتكم عليه فإنما هلك... الحديث».

(3) وردت ترجمته ضمن شيوخ المؤلف.

(4) وقد عقب المامون البلغيثي على هذا الكلام قائلا:

«فالواجب على التلميذ ولو بلغ درجة شيخه، أو جاوزها، أن لا يزال مقرّا بفضله، شاكرا له بقوله وفعله، إذ الكريم من راعى وداد لحظة، ولم ينس من أفاده لفظة». ينظر: الابتهاج بنور السراج 2/ 127.

(5) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني المصري، من أكابر علماء المتصوفين. توفي سنة 973هـ. من مؤلفاته: لواقح الأنوار في الطبقات السادة الأخيار، الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء الصوفية، الأنوار القدسية، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: شذرات الذهب 8/ 372، الكواكب السائرة 3/ 176.

ولو أعطيناهم جميع ما نملك، أو خدمناهم العمر كلّه. وهذا العهد قد أخلّ به غالب طلبة العلم، والمريدين في طريق الصوفية الآن، حتى لا تكاد ترى أحدًا منهم يقوم بواجب حقّ معلّمه، وهذا داء عظيم في الدين، يُوذِنُ باستهانة العلم. وبأمر من أمرنا بإجلال العلماء ﷺ، فصار أحدُهم يسخَرُ على شيخه، حتى يصير شيخه يداهنه ويلاطفه ليسكت عنه فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد بلغنا عن الإمام النووي أنه دعاه يوما شيخه الكمال الإربلي ليأكل معه. فقال: يا سيدي اعفني من ذلك، فإن لي عذرا شرعيا، فتركه. فسأله بعض إخوانه عن ذلك. فقال: أخاف أن تسبق عيني إلى لقمة فآكلها وأنا لا أشعر. وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا خرج للدّرس، ليقرأ على شيخه، تصدّق عنه في الطريق بما تيسر، ويقول: اللهم استر عنّي عيبَ معلّمي، حتى لا تقع عيني له على نقيصةٍ، ولا يبلغني ذلك عنه من أحد.

ثم من قلّة سوء أدبِكَ مع الشيخ أن تحرَم فوائده إما بكتمها عنك بغضًا فيك، أو لسانه ينعقد عن إيضاح المعاني لك، فلا تتحصل من كلامه على شيء تعتمد عليه. فإذا أتاه شخص من المتأدبين انطلق لسانه معه لظهور صدقه وأدبه معه. فعُلم أنه ينبغي للطالب أن يخاطب شيخه بالإجلال، والإطراق، وغضّ البصر كما يخاطب الملوك»[1].

ومنها: أن يلازم مجلس العلم ولا يقوم منه إلا من ضرورة فادحة، ولا يكلم أحدا فيه. فقد قيل[2]: [السريع]

أخلّ بالعلم وأزرى به … من قام في الدرس لأصحابه

---

(1) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للشعراني ص: 24- 25.

(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي، باب الميم. وقد أنشد هذا البيت أبو زكرياء يحيي بن علي وهو ينكر على الشيخ أبي الكرم المبارك بن فاخر النحوي المعروف بابن الدباس اكرامه للمترددين عليه من طالبي العلم وقيامه لهم.

وفي هذا المعنى قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب: «ولعمري إن حرمة العلم آكد من حرمة طالبه، وإعزاز العلم أبعث لطالبه، وبحسب الصبر على مرارة طالبه تحلو ثمرة مكتسبه».

ومنها: أن «لا يستحيي من السؤال عمّا أشكل عليه، بل يستوضحه أكمل استيضاح[1]. فقد قيل: من رقّ وجهه عند السؤال، ظهر نقصه/ عند اجتماع الرجال»[2]. وأخرج الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه، وأبو نعيم في الحلية من رواية داود ابن سليمان الغازي[3] عن علي بن موسى[4] عن آبائه عن علي بن أبي طالب أنه قال: «العلم خزائن ومفاتحه السؤال، فاسألوا، فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والعالم والمستمع والمحب له»[5]. [84]

وقال ﷺ: «لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله»[6]. رواه ابن السني[7] وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين وابن مردويه[8] في تفسيره. وأبو الشيخ[9] في الثواب.

---

(1) في (د): إيضاح.

(2) المجموع شرح المهذب 1/ 64.

(3) هو أبو سليمان داود بن سليمان الجرجاني الغازي مولى قريش، سكن بغداد، وحدث بها عن علي بن موسى الرضى وغيره. كذبه يحيي بن معين وقال: شيخ كذاب له نسخة موضوعة عن علي بن موسى الرضى.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 8/ 366، ميزان الاعتدال للذهبي1/ 26، لسان الميزان لابن حجر 2/ 417.

(4) هو أبو الحسن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. كان عظيم القدر، مشهور الذكر له كرامات كثيرة. توفي في حدود سنة 203 هـ.
تنظر ترجمته في: تهذيب الكمال1/ 414، شذرات الذهب 2/ 6، طبقات المناوي الكبرى 1/ 465-466.

(5) حلية الأولياء 3/ 363 عن ابن شهاب بلفظ: «العلم خزائن تفتحها المسائل»، الفقيه والمتفقه 2/ 61، قال العراقي ضعيف، ينظر في فيض القدير 4/ 389.

(6) ذكره الديلمي في الفردوس عن جابر 7748 ، وانظر الدر المنثور للسيوطي 5/ 133.

(7) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط الدينوري مولى جعفر بن أبي طالب الهاشمي ويعرف بابن السني الحافظ الإمام الثقة، وصاحب كتاب عمل اليوم والليلة وراوي سنن النسائي. توفي سنة 364 هـ.
تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 8/ 410، تذكرة الحفاظ 3/ 939.

(8) ترجمة ابن مردويه تنظر في سير أعلام النبلاء 19/ 107.

(9) تقدمت ترجمته في ص: 302.

وسؤال الإنسان عمّا لا يعلم فرض. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وردّ الجواب على من علمَه الله فرض كفاية، كما قال تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[2]. والسكوت عمّا لا يعلم فرض كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[3]. وكذلك أن تخضع لمن علمه الله ما لم يعلمه لك كما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجدوا وكانوا عبادا مكرمين، وأبى إبليس، فقيل له إنّ عليك اللعنة إلى يوم الدين[4].

والحياء صفة حميدة في كل شيء، بل هو شعبة من شعب الإيمان كما في الحديث[5]، إلاّ في العلم فإنه مذموم. قال الشاعر: [البسيط]

إن الحيـــاء لخـــير كلّـــه أبـــدًا ما لم يحل بين نفس المرء والطلـب[6]

وروي عن مجاهد أنه قال: «لا ينال العلم مستحي ولا مستكبر»[7]. وقالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[8].

---

(1) النحل، من الآية: 43 ــ الأنبياء، الآية: 7.

(2) الآية كاملة: قال: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة، الآية: 32.

(3) الآية كاملة: ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ البقرة، الآية 31.

(4) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ البقرة، الآية: 34.

(5) رواه ابن حبان وغيره في صحيحه 167 عن أبي هريرة بلفظ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان».

(6) جامع بيان العلم 1/ 92.

(7) جامع بيان العلم 1/ 536 والمجموع 1/ 52.

(8) رواه مسلم في كتاب الطهارة 332، بلفظ: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين».

وقال القائل ولله درّه: [المتدارك]

إذا كنـــت في بلـــد جاهـــلاً وللعلـــم ملتمـــسًا فاســـألِ

فـــإن الـــسؤال شفـــاء العَمَـــى كمـــا قيـــل في المثـــل الأول[1]

وقال آخر[2]: [البسيط]

والعلم يشفي إذا استشفى الجهولُ به وبالـــدواء قديـــما يحـــسم الـــداءُ

وقال بشار بن برد[3]: [الطويل]

شفاء العمى طول السّؤال وإنــما دوام العمى طول السكُوت علـى الجهل

فــكن سـائلا عمّـا عنــاك فإنمـــا دعيـت أخـــا عقـل لتبحـث بالعقـــل[4]

(1) جامع بيان العلم 1/ 376 غير منسوب.

(2) ورد البيت في جامع بيان العلم منسوبا إلى سابق البربري 1/ 381.

(3) هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلي بالولاء. شاعر مشهور، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكان ضريرا. قتل في عصر المهدي سنة 167هـ بتهمة الزندقة. من آثاره: ديوان شعر، ورسائل.

تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد 7/ 112، 118- وفيات الأعيان 1/ 271، خزانة الأدب 1/ 451.

(4) البيتان واردان في ديوان بشار بن برد 4/ 142، و أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 90. وفي عيون الأخبار لابن قتيبة 2/ 139 ورد البيت الأول غير منسوب.

وروي «عن قتادة[1] عن عبد الله بن بريدة[2] أن معاوية بن أبي سفيان دعا دَغْفَلا[3] النسابة فسأله عن العربية وعن أنساب الناس وعن النجوم، فإذا رجل عالم، فقال: يا دغفل، من أين حفظت هذا؟ قال: حفظته بقلب عقول، ولسان سؤول»[4]، وقال الشاعر: [الكامل]

وسل الفقيه تكن فقيها مثله   من يسع في علم بفقه يَظفر[5]

وقال الآخر: [السريع]

شفاء داء العي حسن السؤالْ   فاسأل تَنَلْ علماً وقل لا تبالْ
واطلب فالاستحياء والكبرُ من   موانع العلم فما إن ينالْ[6]

وقال الآخر: [المتقارب]

---

(1) تقدمت ترجمته في ص: 247.

(2) هو أبو سهل عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أصله من الكوفة، قاض، من رجال الحديث. توفي سنة 115 هـ. تنظر ترجمته في: تهذيب التهذيب 5/ 157.

(3) هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهلي الشيباني، نسابة العرب. قال الجاحظ: «لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا». تولى تعليم يزيد بن معاوية. توفي سنة 65 هـ.
تنظر ترجمته في: البيان والتبيين 1/ 121، مجمع الأمثال للميداني 2/ 408.

(4) جامع بيان العلم 1/ 378. وقيل هذا الكلام لعبد الله بن عباس، ينظر البيان والتبيين 1/ 84- 85.

(5) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص: 111 بلفظ آخر قائلا: وأنشد المبرد عن أبي سليمان الغنوي:

فسل الفقيه تكن فقيها مثله *** لا خير في علم بغير تدبر

وبعده فيه:

وإذا تعسرت الأمور فأرجها *** وعليك بالأمر الذي لم يعسر

(6) البيتان في نفح الطيب 7/ 81، 82 غير منسوبين.

بُنَيَّ عن العلم سل من حضرْ ... وواصل دراسَته بالنظرْ
ولا تغفلَنّ عنه لمحَ البَصَرْ ... إذا هُجِر العلمُ يوْمًا هَجَرْ

وقال الآخر(1): [البسيط]

صُن الكتاب ولا تجعله منديلا ... ولا يكن صونه للدرس تعطيلاَ
[85] وسل فقيهك(2) فيما أنت جاهله ... فربما كنت بعد اليوم مسؤولاَ/

وقال الآخر: [البسيط]

كم من حياء وكم عجزٍ وكم نَدَمٍ ... جمٌ تولَّدَ للإنسان من كسَلِ
إياك عن كسلٍ في البحث عن شُبه ... ما قد علمتَ وما قد شذّ عنك سَلِ

فائدة:

«مخالفة التلميذ للشيخ في بعض المسائل، إذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء، ليس من سوء الأدب مع الشيخ، ولكن مع ملازمة التوقير الدائم والإجلال الملائم. فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضي الله عنهم. وكان قد أخذ عنهم، وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة، وإنما أخذوا العلم عنهم. وخالف مالك كثيرا من أشياخه. وخالف الشافعي وابن القاسم وأشهب مالكا في كثير من المسائل. وكان مالكٌ أكبر أساتيذ الشافعي، وقال لا أحداً أمنّ عليّ من مالك. وكاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته في عدة من مسائل. ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الأساتيذ إلى زماننا هذا. وقد شاهدنا ذلك في أشياخنا مع

(1) البيتان في صلة الصلة 3/ 102، وكذا في تاريخ قضاة الأندلس ص: 137، منسوبان إلى أبي محمد عبد الله ابن أحمد ابن عمر القيسي من أهل مالقة ويعرف بابن الوحيدي المتوفى سنة 542 هـ.

(2) في (د): فقيها.

أشياخهم رحم الله الجميع. ولا ينبغي للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة إذا كانت على الوجه الذي وصفنا»[1]. انتهى كلام قاضي الجماعة بغرناطة[2] محمد بن علي بن محمد الأزرق[3].

ومنها: أن «لا يأخذ العلم إلا عمّن كانت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته واشتهرت صيانته. فقد قال مالك وابن سيرين وغيرهما من السلف: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم»[4]، ولا يكفي في أهليته كونه كثير العلم بذلك الفن، بل ينبغي مع ذلك أن يكون له معرفة بغيره من العلوم الشرعية، فإنها مرتبطة ببعضها»[5]، لاسيما العربية، ثم أصول الفقه، فإنه نقل إجماع العلماء على توقّف الكتاب والسنة على علم العربية، إذ الكتاب والسنة عربيان. وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه[6] أنه قال: «تعلموا العلم قبل الظانين. قال البخاري: يعني الذين يتكلمون بالظن»[7].

---

(1) روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام لابن الأزرق 2/ 717 والكتاب مطبوع ومحقق.

(2) في (ب)، (ج)، (د): بقرطبة.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي شمس الدين الغرناطي المعروف **بابن الأزرق**، عالم، لغوي، قاض. توفي سنة 896 هـ. له تآليف منها: الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك، تحيير السياسة وتحرير الرياسة، شرح مختصر خليل، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: دوحة الناشر لابن عسكر ص: 124، نيل الابتهاج ص:561، **أزهار الرياض 3/ 317.**

(4) رواه مسلم في المقدمة من صحيحه، الباب الخامس: **باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات**، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب، **وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة** المكرمة.

(5) المجموع شرح المهذب للنووي 1/ 62.

(6) هو عقبة بن عامر بن عبس بن عدي بن عمرو الجهني، صحابي، ولي أمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين. وكان فقيها فصيحا ومحدث فاضلا وشاعر كبير القدر. توفي سنة 58 هـ. وقيل 60 هـ له مسند فيه خمسة وخمسون حديثا.

تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 1/ 255، سير أعلام النبلاء 2/ 467.

(7) صحيح البخاري باب تعليم الفرائض رقم: 6229.

ومعناه ما قال الشيخ داود في شرح الرسالة: «تعلموا العلم من أهله المحققين الورعين قبل ذهابهم، ومجيء قوم يتكلمون في العلم بما تميل إليه نفوسهم وظنونهم».

ومنها: أن لا يستنكف عن التعلم ممن هو أكبر منه علماً، وأصغر منه سنًّا، أو يستحيي أن يتعلم بعد الكبر. فمن خدع الجهل استحياء الإنسان أن يتعلم في كِبَرِه. وإذا كان العلم فضيلةً، فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى، ولأن يكون الشيخ متعلما أولى من أن يكون جاهلاً. ورأى حكيم شيخا يحب أن ينظر في العلم، ويمنعه الحياء، فقال له: تستحيي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنتَ في أوّله. ولبعضهم:

[الطويل]

إذا لم يكن مرّ الليالي مترجما	عن الفضل في الإنسان فلتُسمه طِفْلاَ
فما تنفع الأعوام حين تعدّها	ولم تستفد فيهن علما ولا فضلا
أرى الدهر من سوء التصرف مائلا	إلى كل ذي جهل كأن به جهلا[1]

وقيل: علم الصغير محقور، وجهله معذور، ومن شغله التسبّب في القوت عن العلم عذر لكن ينظره أيام عطلته، لأن من لم يترك فراغا لنفسه، فهو من عبيد الدنيا. وفي الحديث الكريم: «تعس عبد الدينار والدرهم»[2]. وقد تمنع من العلم هيبته، وذلك عجز ظاهر.

---

(1) الأبيات في أدب الدنيا والدين ص:61 غير منسوبة. وفيها اختلاف في بعض الألفاظ.

(2) رواه البخاري في الجهاد والسير 2673.

[الخفيف]

لا تكونَنّ للأمور هيُوبًا ... فإلى خيبة يصير الهَيُوب[1]

وقد يحمله الحياء عن التعلم بعد الكبر، على أن يبدأ بأواخر العلم، كي لا يساوي الأحداث فيرضى بخداع نفسه.

ولأبي القاسم الآمدي[2]: [الطويل]

إذا كنت لا تدري ولم تكن بالذي ... يسائل من يدري فكيف إذا تدري؟

جهِلْتَ ولم تعلم بأنك جاهل ... فكن هكذا أرضا يطأك الذي يدري

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري[3]

---

(1) البيت في أدب الدنيا والدين ص: 62 غير منسوب.

(2) هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي الآمدي. عالم بالأدب راوية من الكتاب، وشاعر. أصله من آمد. توفي سنة 370 هـ. من كتبه: المؤتلف والمختلف، الموازنة بين البحتري وأبي تمام، الخاص والمشترك، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: معجم الأدباء 8/ 75، بغية الوعاة 1/ 500.

(3) وردت هذه الأبيات في أدب الدنيا والدين ص: 121 غير منسوبة هكذا:

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي ... يسائل من يدري فكيف إذن تدري؟

جهلت ولم تعلم بأنك جاهل ... فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري؟

إذا جئت في كل الأمور بغمة ... فكن هكذا أرضا يطأك الذي يدري

ومن أعجب الأشياء أنك لا ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري

وبعدها في ألف باء للبلوي 1/ 22:

تمام العمى طول السكوت وإنما *** شفاء العمى يوما سؤالك من يدري؟

وفي ديوان الشافعي ص: 230:

إذا كنت لا تدري ولا أنت بالذي ... تسائل من يدري فكيف إذا تدري؟

ولو كنت تدري أو تدرّيت لم تكن ... تخالف من يدري على علم من يدري

ويروى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال له رجل: «إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه. فقال له كَفَى بتركك العلم إضاعة»[1].

ومنها: «أن يقطع العلائق الشاغلة له عن كمال الاجتهاد في التحصيل،ويرضى باليسير من القوت ويصبر على ضيق المعيشة»[2].

فقد روى أبو يزيد عن ابن القاسم عن مالك أنه قال: «لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتّى يذوق فيه مطعم الفقر»[3]. «وذكر ما نـزل بربيعة من الفقر حتى باع خشب سقف بيته في طلب العلم»[4].

وقال الشافعي: «لا يطلب أحدٌ هذا العلم بالمُلك والعزّ فيفلحَ، ولكن من طلبه بذل النفس، وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح»[5]./ [86]

وفي الحديث: «لا ينال العلم براحة الجسم»[6]. قال يحيى بن يحيى: إن رجلا من الطلبة ذكر هذا الحديث وهو على بطن امرأته فنـزل عنها قبل أن يقضي حاجته، وأخذ دفتره من العلم يقرأه. وقال تعالى: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[7]. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ إلى ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾[8].

---

(1) جامع بيان العلم 1/ 430.

(2) المجموع شرح المهذب للنووي 1/ 61.

(3) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي 2/ 186، جامع بيان العلم 1/ 410.

(4) «وحتى كان يأكل ما يلقى على مزابل المدينة من الزبيب وعصارة التمر» جامع بيان العلم 1/ 410، المجموع1/ 61.

(5) الفقيه والمتفقه 2/ 184، جامع بيان العلم 1/ 412.

(6) رواه ابن عدي في كامل 4/ 215 لكن من قول يحي بن أبي كثير بلفظ: «لا يستطاع العلم براحة الجسد».

(7) تتمة الآية: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. مريم، الآية:11.

(8) الآية كاملة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ الأعراف، الآية: 145.

وروي عن أبي يوسف أنه قال: مات لي ولد، فأمرت من يتولى دفنه، ولم أدع مجلس أبي حنيفة خشية أن يفوتني يوم منه.

وحكي عن إسماعيل بن خالد أنه قال: أتيت ابن يونس[1] فحدثني أربعين حديثا حفظتها كلّها وانصرفتُ، فلما دخلتُ إلى الدار لقيتني بُنَيّةٌ لي، فقالت لي: يا أبت، الدقيق يعجزنا، فنسيتُ منها عشرين حديثا.

وأنشد بعضهم: [البسيط]

همّ الدقيق وهمّ الزيت والحطبِ ... هي التي أوقعت نفسي إلى العطبِ

فكيف تسألني عن حفظ مسألة ... لمثل هذا، أو اهْتَزَّ إلى الطّربِ

وقال بعض العلماء: «لو كلّفتُ بشراء بصلة ما حفظت حديثا واحدا»[2]. ولكن الله المستعانُ.

وروي أن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كان يكتب إلى عماله ويقول لهم: اجروا على طلبة العلم الرزق، وفرّغوهم للطلب.

وقال سحنون: «لا يحسن العلم لمن يأكل حتى يشبع، ولا لمن يستهمّ بغسل ثوبه»[3].

ومنها: ما قاله الخطيب البغدادي: أنه «يستحبّ له أن يكون أعزبَ ما أمكن، لئلا يشغله الاشتغال بحقوق الزوجة، والاهتمام بأمر المعاش عن كمال طلب العلم»[4].

قيل لبعض الحكماء: مات عدوّك؟ فقال لهم: وددت لو قلتم تزوج.

---

(1) تقدمت ترجمته، ص321.

(2) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص:171.

(3) جامع بيان العلم 1/ 411.

(4) المجموع شرح المهذب 1/ 61.

[87] وسئل ابن سيرين[1] عن النساء فقال: مفاتيح أبواب الفتن، ومخازن الحزن، / إن أحسنت المرأة إليك، منّت عليك، تفشي سرك، وتهمل أمرك، وتميل إلى غيرك.

وقيل: النساء شوك بالنهار، وريحان بالليل.

وقال بعضهم: معالجة الغربة خير من معالجة النساء. وسئل سهل عن النساء، فقال: «الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر على النّار»[2].

ولله درّ القائل: [المجتث]

مهما رأيت أمورا ... منها الفؤاد تفتّتْ

فاسأل عليها تجدها ... من النساء تأتّتْ

وبالجملة، فالتجرّد عن الأزواج والأولاد أعون على طلب العلم لمن أراده، وأجمع لهمّه، وألذّ لعيشه. وقد قال ﷺ: «خيركم بعد[3] المائتين[4] الخفيف الحاذ[5] ألذي لا مال له ولا ولد»[6].

---

(1) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء. اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. روى عنه كثير من الأئمة. توفي سنة 110 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد 7/ 140، حلية الأولياء 2/ 263، وفيات الأعيان 1/ 353.

(2) طبقات المناوي الكبرى 1/ 430.

(3) في رواية البيهقي: في.

(4) وفيها كذلك: المائتين كل...

(5) وفيها أيضا: «... الخفيف الحاذ، قالوا: وما الخفيف الحاذ؟ قال: الذي... الحديث».

(6) رواه البيهقي في شعب الإيمان 10350 وهو ضعيف. ينظر فيض القدير 3/ 498.

ومنها: «أن يكون حريصا على التعلم، مواظبا عليه في جميع أوقاته، ولا يذهب شيء من أوقاته ليلا أو نهارا، حضرا أو سفرا، في غير طلب العلم»[1]. فقد قالﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا»[2].

وروي أن موسى عليه السلام قال: «يا رب، أي عبادك أعلم؟ قال: عالم غرثان للعلم. وقال ابن وهب: يريد الذي لا يشبع من العلم»[3].

وأخرج الحاكم والطبراني في الكبير، والبيهقي في سننه عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه[4] أن رسول الله ﷺ قال: «أجوع الناس طالب العلم، وأشبعهم الذي لا يبتغيه»[5].

وأخرج ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أربع لا يشبعن من أربع: عين من نظر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم»[6].

وقال بعض العلماء: «ليس بعاقل من أمكنته درجة الأنبياء ثم فوّتها»[7].

---

(1) المجموع 1/ 64.

(2) رواه الدارمي في المقدمة 338 عن ابن عباس موقوفا.

(3) جامع بيان العلم2/ 812. وفي رواية أخرى أنه قال: «يا رب أي عبادك أعلم؟ قال: عالم غرثان من العلم، ويوشك أن تروا جهال الناس يتباهون بالعلم، ويتغايرون عليه كما تتغاير النساء على الرجال، فذاك حظهم منه». المصدر2/ 1092. والغرثان هو الجائع.

(4) هو أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني، قيل اسمه عبد الرحمن، وقيل المنذر بن سعد. من فقهاء أصحاب النبيﷺ. توفي سنة 60 هـ. وقيل بضع وخمسون.

تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 2/ 481، الإصابة 8223.

(5) ينظر فيض القدير 1/ 163 وقال المناوي: «أي طالب العلم المتلذذ بفهمه لا يزال يطلب ما يزيد التذاذه، فكلما طلب ازداد لذة، فهو يطلب نهاية اللذة... وهذا لا نهاية له، فلذلك كان أجوع».

(6) الكامل 5/ 330 عن عائشة. والحلية 2/ 281 عن أبي هريرة، وهذا كذب. ينظر ميزان الاعتدال 2/ 298.

(7) المجموع 1/ 64.

قال الشيخ زروق في شرح القرطبية وفي تحفة المريد نقلا عن بعضهم «آلات: العلم أربعة: شيخ فتاح، وعقل رجاح، ومداومة وإلحاح، وكتب صحاح»[1]. وزاد بعضهم: وتوفيق وإصلاح.

وقيل لبعضهم بِمَ أدركت العلمَ؟ قال: بالمصباح، والجلوس إلى الصباح.

وما أظرف قول من قال: [مجزوء الرمل]

راحـــة النفـــس ذميمـــه وهـــي عـــادة البهيـــمه

لـــن تنـــال الـــعلم حتـــى تُـتـعِـــبِ النفـــس الكريمـــه

وفي بعض الحكم: لا يدرك العلم من لا يطيل درسه، ولا يكدُّ نفسه. ومن لازم الرقاد حُرِم المراد. ما أحق الملول، بأن يحرم المأمول. فاز بالدُّر غائصُه، وبالصيد قانِصُه.

قال الشاعر: [البسيط]

في الناس من يشتهي العلا بلا نـصب هيهات شمر إلى الكد السراويـلا

وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [الطويل]

[88] نعـم، لا تنـــال العلـم إلا بـستّـةٍ سأنبيك عن أسمائـهـا ببيـان/

ذكـاء وحـرص واجتـهـاد وبلغـة وسيمـة أستاذ، وطـول زمـان[2]

وقال الآخر: **[الطويل]**

بـعـشر يُنَـالُ العلـم: قـوت وصـحّةٌ وحفـظٌ وفهـمٌ ثـاقب **في التعــلم**

ودرس وفكـــر واغـــترابٌ وهمّـــةٌ وشـرخ شبـاب[3] **واجتهـاد معـلم**

---

(1) «تحفة المريد» مخطوط بالخزانة العامة بتطوان رقم 452 ضمن مجموع، ورقة: 50.

(2) البيتان في ديوان الشافعي ص:378. وهناك اختلاف في بعض الألفاظ.

(3) في (ح): أستاذ.

وقال ابن هشام[1] الأنصاري النحوي رحمه الله: [الطويل]

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ... ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومن لا يذلّ النفس في طلب العلا ... قليلا يعش دهرا طويلا أخا ذُلّ[2]

وقال غيره: [الرجز]

العلم من أوصاف ربّ ماجدٍ ... يا صاح فاطلبه بجدّ جاهد

وقال غيره: [الطويل]

فما يستفاد العلم دون مشقة ... ولا تُجْتَنَى الرّاحاتُ إلا من الكدّ

خلوتُ بنفسي كي تتم سعادتي ... فأجني ثمار الفوز من منن الحمد

وقال غيره[3]: [الطويل]

---

(1) هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري الحنبلي الإمام المشهور. كان من كبار علماء اللغة، واشتهر بالتحقيق وسعة الاطلاع والاقتدار على تصرف في الكلام وذكره ابن خلدون وأثنى عليه. توفي سنة 761هـ. من مؤلفاته: قطر الندى وبل الصدى، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الإعراب عن قواعد الأعراب، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: شذرات الذهب6/ 191، النجوم الزاهرة 10/ 336، تاريخ اللغة العربية 3/ 154-155.

(2) البيتان في الدرر الكامنة لابن حجر 3/ 95.

(3) البيتان في ديوان الإمام الشافعي ص: 165.

وقبلهما فيه:

اصبر على مرّ الجفا من معلم ... فإن رسوب العلم في نفراته

وبعدهما فيه:

حياة الفتى، والله، بالعلم والتقى ... إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة تجرع كأس الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبّر عليه أربعا لوَفاته

وقال غيره[1]: [الرجز]

قد قيل قبلي في الزمان الأقدم إني وجدت العلم بالتعلم[2].

وأخرج البيهقي عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس التملق من أخلاق المؤمن إلا في طلب العلم»[3].

ومن كلام بعض الحكماء: من دام كسله، خاب أمله.

وقال الشاعر: [المجتث]

اعكف على العلم وادرسْ تُوتَى فخار النبوةْ
فالله قال[4] ليحيى: خذ الكتاب بقوةْ[5]

وقال الآخر[6]: [الطويل]

تمنيت أن تُمسي فقيها مناظراً بغير عناء فالجنون فُنُونُ
فليس اكتساب المال دون مشقّة تحمّلتَها فالعلمُ كيف يكونُ؟

---

(1) في (د): الآخر.

(2) البيت في جامع بيان العلم 1/ 421 منسوب إلى سابق البربري.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان 4863 وضعفه.

(4) هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. مريم، الآية:12.

(5) ورد البيتان في ألف باء 1/ 15 وكذا في غداء الألباب 2/ 464.

(6) البيتان في درة الحجال 2/ 171 من إنشاد محمد بن يوسف التدعني، وقال صاحب البداية والنهاية 8/ 353 هما من إنشاد ابن الجوزي.

وقال الآخر: [البسيط]

يا طالب العلم لا تركن إلى الكسل ... واعجل لقد خلق الإنسان من عجل
واستشعر الصبر في نيل العلوم وقل ... أعوذ بالله من قول بلا عمل
العلم أوله مرّ مذاقته ... لكن آخره أحلى من العسل[1]

وقال الآخر[2]: [الرمل]

آخر العلم لذيذ طعمه ... وابتداء الذوق منه كالصَّبِرْ[3]

وقال الآخر[4]: [المتقارب]

إذا كان يؤذيك حر المصيفْ ... وكَرْبُ الخريف وبرد الشّتا
ويلهيك حسن زمان الربيعْ ... فأخذك للعلم قل لي متى؟
وخلّ الأماني وتغريرها ... فإن العلوم تُزين الفتى

وفي بعض الحكم: ما نيلتْ قط فضيلةٌ إلا بتعبْ، وأعز العلم ما كان عن ذل الطلب. ولا تُنال الغُرر إلا بارتكاب الغَرَر. طلب الرّاحة في قلّة الاستراحة.

---

(1) ورد البيت الأخير في الابتهاج 1/ 71 غير منسوب.

(2) البيت في جامع بيان العلم 1/ 904 منسوب إلى ابن المبارك.

(3) الصبر: هو لدواء المر، ولا يسكن إلا في الضرورة الشعرية. ينظر: لسان العرب 4/ 442.

والمعنى أن سلوك طريق العلم في أوله يبدو أمرا صعبا وثقيلا على النفس، ولكن لما يرتع المرء من حياضه، ويحصل على فوائده، تصبح ثماره في آخر المطاف حلوة، لذيذة الذوق، تسر لها النفس وتبتهج.

(4) ورد البيتان الأولان في يتيمة الدهر للثعالبي 3/ 403. وقد نسبهما لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم.

ولله درّ القائل[1]: [الرجز]

إن تطلب الراحة فاتعب قَدَمَكْ كم تعب إلى المعالي قدّمك

وقال الآخر: [البسيط]

اتعب تجد راحةً تنجيك من تعبٍ لا راحةَ قطّ إلا قبلها تعبُ

وقال الآخر: [البسيط]

دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان[2]

وقال الآخر[3]: [الكامل]

لا يجتني حلو المحامد ماجدٌ حتّى يذوقَ من المطالب مرّها

وقد قيل: خزائن المِنَن على قناطير المَحَن.

---

(1) وقيل في منثور الحكم: «أتعب قدمك، فكم من تعب قدّمك». أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 86.

(2) ينظر ديوان البستي، وبعده:

لا ظل للمرء يعرى من تُقى ونُهى وإن أظلّته أوراق وأغصان

(3) نسبه ابن عبد ربه الأندلسي لنفسه في كتابه العقد الفريد 1/ 289 وقبله فيه:

ما ضرّ عندك حاجتي ما ضرها عذرا إذا أعطيت نفسك قدرها

انظر إلى عرض البلاد وطولها أو لست أكرم أهلها وأبرّها

حاشى لجودك أن يُوَعر حاجتي ثقتي بجودك سهّلت لي وعرها

وقد قالها ابن عبد ربه في حق القائد أبي العباس يسأله فيها حاجته بعد ما تلكأ فيها عليه، فأخذ قرطاسا من بين يديه فوقع فيها على البديهة هذه الأبيات. ينظر العقد الفريد 1/ 288 - 289.

وقال البلوي رحمه الله[1]: [السريع]

اعلم بأن العلم ذو همة ... وهو عزيز النفس ذو غَيْرَهْ

ينيلك البعض مِنَ أنْوارِهِ ... إن لم تكن مصطحبا غَيْرَهْ

وإن تكن مشتغلا مقبلا ... على سواه لم تنل خَيْرَهْ

فَاطَّرِحِ الأشغال واعكف على ... تحصيل ما يُعطى وَسِرْ سَيْرَهْ

واحفظه واذكره ولا تنسَهُ ... واعمل به تَنْجُ مِنَ الْحَيْرَهْ

«وإذا كان العلم بهذه الصفة، التي وصفها أهل المعرفة، فكيف ينقاد لأهل الرقاد، وهل قطُّ وَصَل الذي كسَل، أيستوي من درس وتعب، مع من لها ولعب. هيهات همُّ هذا ضِرْسُه، وهمُّ الآخر طِرسُه[2]. كذلك بينهما ما بين التبر والترب. والسَّمك والسِّماك[3] في القيمة والقرب. من كان همّه بطنُه، وفرجه فلا ترجه. ومع هذا فلا معطي ولا مانع إلا الله، ولا ضار ولا نافع إلا هو؛ فمن أعطاهُ وَصَلْ، ومن حرمه انفصلْ. كم رأينا من أتعب نفسه في الطلبْ، وأنفدَ عُمْرَهُ في جمع الكتب، والحرمان يبعدُه، والبلدُ يُقْعِدُهْ، لكن إذا كان قصده وجه الله تعالى فلا يفوته كرم المولى. نسأل

---

(1) الأبيات في ألف باء 1/ 16. وقد قالها يوسف البلوي كمعنى للقول المأثور: العلم إذا أعطيته كلّك، أعطاك بعضه.

(2) طرس: الصحيفة، والكتاب الذي محي ثم كتب، وجمعه أطراس وطروس. ينظر لسان العرب باب السين فصل الطاء.

(3) السمك: القامة من كل شيء بعيد طويل السمك. والسّماك ما سمكته حائطا أو سقفا والسّماك أيضا نجم معروف وهما سماكان: رامح وهو إلى جهة الشمال، وأعزل وهو إلى جهة الجنوب. المصدر السابق 10/ 444.

الله التوفيق وهداية الطريق»[1]. نعم، مقدار ما تدعو إليه الضرورة، لابدّ منه كالأكل والنوم والاستراحة لإزالة الملل، كما قال بعض الشعراء[2] / : [89]

[الطويل]

أفد طبعك المكدودَ بالجدّ راحة يجمّ وعلّلهُ بشيء من المزْحِ
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يُعطَى الطعامُ من الملحِ

وقال ابن عبد البر: ومن أحسن الطّرق لأخذ العلم المواظبة عليه من غير إكثار مُمِلّ.

قال ابن شهاب[3]: لا تكابد العلم، ولكن خذه مع الأيام والليالي الشيء بعد الشيء؛ فمن رام أخذه جملة، ذهب عنه جملة[4]. وقيل: «العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه»[5].

---

(1) ألف باء 1/ 17،16 .

(2) ديوان أبي الفتح البستي ص: 59، وكذا أدب الدنيا والدين ص:491، والبداية والنهاية لابن كثير 8/ 30 .
ونسبها القاضي عياض في بغية الرائد ص: 182 إلى البستي، ثم قال:
وإنما المحمود منه ما قلّ وندر، واستجمت به النفس عند كلالها، أو بسطت به نفس الغير عند انقباضها...
وأنشدت أنا في هذا المعنى مما قلته قديما، وهو من المتشابه القوافي [المتقارب]

إذا ما بسطت بساط انبساط فمنه فديتك فاطو المزاحا
فإن المزاح كما قد رآه أولوا العلم قبل عن الحلم زاحا

(3) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزّهري وقد تقدمت ترجمته، ص265.

(4) قوا ابن شهاب في جامع بيان العلم 1/ 431 بتصرف في اللفظ.
وقال اليوسي في هذا المعنى مخاطبا بعض الأصحاب: [مخلع البسيط]

عليك بالجد في الترقي لنيل مرتبة الكمال
وذاك بالعلم فاجتهد فى طلبه تدرك المعالى
وخذه باليسر والتأنى وبالدوام مع الليالى

ينظر القانون ص: 426.

(5) الإحياء 1/ 51 وفيه زيادة: «فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر».

وكان الزهري يحدّث ثم يقول: «هاتوا من أشعاركم، فإن الإدمان يُمل، وللنفس حظ، وأفيضوا فيها يخفف علينا»[1].

وقال ابن وهب: «العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا منه أحسنه»[2] وأنشدوا[3]:

[السريع]

مـا أكثـر العلـم ومـا أوسعـهْ ... مـن ذا الـذي يقـدر أن يجمعَـهْ

إن كنـتَ لا بـدّ لـهُ طَالِبـاً ... محـاولاً فالتـمس أنْفعَـهْ

وقال آخر[4]:

[الرجز]

مـا حـوى العلـم جميعـا رجـلٌ ... لا ولـو مارسـه ألـف سَنَـهْ

لكـنِ العلـم بعيـدٌ غَـوْرُهُ ... فخـذوا مـن كـل علـم أَحْسَنَهْ

وقال أحد الحكماء: «لستُ أطلب العلم طمعا في غايته، والوقوف على نهايته، لكن التماس ما لا يسع جَهْلُه»[5].

---

(1) جامع بيان العلم 1/ 432.

(2) القانون لليوسي ص: 428. كذا روى مثله عن ابن عباس والشعبي رضي الله عنهما، ينظر جامع بيان العلم1/ 437.

(3) من إنشاد محمد بن مصعب لابن أعنس. جامع بيان العلم 1/ 437 وورد البيتان أيضا في تاريخ مدينة دمشق18/ 149 و القانون لليوسي ص:428 غير منسوبين.

(4) البيتان في ديوان الشافعي ص:375 هكذا:

[الرمل]

لـن يبلـغ العلـم جميعـا أحـدٌ ... لا ولـو حـاوله ألـف سَنَـهْ

إنمـا العلـم عميـق بحـرهُ ... فخـذوا مـن كـل شيء أحْسَنَهْ

وذُكِرا أيضا في الابتهاج للبلغيثي 1/ 115.

(5) العقد الفريد 2/ 178.

وقال مالك بن دينار[1]: «من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه، ومن طلبه لحوائج الناس فحوائجهم كثيرة»[2].

وقال عليه السلام: «من ظنّ للعلم غاية فقد بخسه حظه»[3] لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[4].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: «قد أخبرتُ بمجلسكم وانتظاركم لي، وما منعني من الخروج إليكم إلا كراهية أن أملكم. كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا»[5].

ويُقال: العلم كالمطر، عدمه بالكلية هلاكٌ، وكثرته جدّا هلاكٌ، والوسط من كل شيء حسن.

وقال مالك لابني أخته إسماعيل[6] وأبي بكر[7] ابني أبي أويس[8]: إن أردتما أن تنتفعا بهذا الشأن فقللا منه وتفهّما فيه.

---

(1) تقدمت ترجمته في ص: 290.

(2) جامع بيان العلم 1/ 538.

(3) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص: 50، وابن عبد البر في جامع بيان العلم دون نسبته 1/ 384.

(4) الآية كاملة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ الإسراء، الآية: 85.

(5) جامع بيان العلم 1/ 435.

(6) هو أبو عبد الله إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني ابن أخت الإمام مالك ابن أنس، محدث حافظ، سمع من خاله الإمام مالك وطبقته. توفي سنة 226 هـ.
تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 1/ 409 ، سير أعلام النبلاء 10/ 391 ، شجرة النور الزكية ص: 56.

(7) هو أبو بكر عبد الحميد بن أبي أويس الأصبحي المدني، وهو ابن عم مالك بن أنس وابن أخته، ففيه ثقة. روى عن أبيه وخاله مالك بن أنس وغيرهما. وروى عنه أخوه إسماعيل وابن منذر وآخرون. توفي سنة 202 هـ.
تنظر ترجمته في: ميزان الاعتدال 4769 ، شجرة النور الزكية ص: 56.

(8) هو أبو أويس عبد الله بن عبد الله بن أبي عامر المدني من أكابر العلماء في عصره، روى عن ابن شهاب وهشام بن عروة وغيرهما. توفي سنة 169 هـ. تنظر ترجمته في: ميزان الاعتدال 4407، شجرة النور الزكية ص: 56.

وقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «سلّوا هذه النفوس فإنّها تَتَصَدَّى كما يَتَصَدَّى الحديد. وقال أيضا: إن القلب إذا أكره عَمِيَ»[1].

وقال القاضي أبو الفضل عياض[2] في كتاب سماه بغية الرّائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد[3] إن «في الحديث من الفقه التحدث بملح الأخبار، وطرف الحكايات تسلية للنفس، وجلاء للقلوب. وقد ترجم لهذا الحديث الترمذي في شمائله بقوله: باب ما جاء في كلام النبي ﷺ في السمر، قال: وهذا كله ما لم يكن دائما متّصلا، وإنما يكون في النادر من الأحيان، ساعة بعد ساعة. وأما أن يكون ذلك، عادة الرجل ودأبه، حتى يُعرف به، فذلك مذموم غير محمود دال على سقوط المروءة ورذالة الهمّة قال: وفيه من الفقه جواز المزح في بعض الأحيان، وإباحة الدعابة مع الأهل، وبسط الوجه مع الناس، فهو من حسن العشرة»[4].

ولله درّ القائل[5]: [الطويل]

إذا طال عُمر المرء في غير آفة ... أفادت له الأيام في كرّها عقلا

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجري عليك الطفل والدنس النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورث بعد العزّ صاحِبَه ذُلاّ

---

(1) بغية الرائد للقاضي عياض ص: 38.

(2) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي القاضي، من أكابر الأئمة الحفاظ الفقهاء والمحدثين الأدباء. توفي بمراكش سنة 544 هـ. له تآليف كثيرة منها: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مشارق الأنوار، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان1/ 392، تذكرة الحفاظ 1083، سير أعلام النبلاء 20/ 213، أزهار الرياض1/ 23. وللتوسع في أخباره ينظر كتاب «القاضي عياض الأديب» للدكتور عبد السلام شقور.

(3) الكتاب طبعته وزارة الأوقاف محققا.

(4) بغية الرائد ص: 37- 38- 39، 178 بتصرف.

(5) ورد البيت الأول في أدب الدنيا والدين ص: 17 غير منسوب.

ومنها: «أن يصبر على جفوة شيخه، وسوء خلقه، ولا يصدّه ذلك عن ملازمته، واعتقاد كماله، ويتأول لأفعاله التي ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة»(1). فقد قيل: من احتجت لشيء من علومه، فلا تنظر إلى شيء من عيوبه.

وقال ابن عباس: «ذللت طالبا فعززت مطلوبا»(2)، وكذا ينبغي لطالب العلم، وإلا لم يحصل له شيء، أي صرت ذليلا في حال الطلب، وأهنت نفسي وطلبت المشقة في طلب العلم، فعززت مطلوبا، أي صرتُ عزيزا حال كوني مطلوبا.

وعنه أيضا فيما أخرجه الحاكم في المستدرك، قال: لما قبض رسول الله ﷺ، قلتُ لرَجُلٍ: هَلُمَّ فلنتعلّم من أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كثير. فقال: العَجَبُ والله لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من ترى من أصحاب رسول الله ﷺ، فتركت ذلك، وأقبلت على المسألة، والتعلم من أصحاب رسول الله ﷺ فإنْ كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله ﷺ فأجدُهُ قائِلاً، فأتوسّد ردَائي على باب داره، تسفي الرياحُ على وجهي، حتى يخرجَ إليَّ. فإذا رآني قال: يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ ما لك؟ قلتُ: حديثٌ بلغني أنّك تُحَدِّثُهُ عن رسول الله فأحببت أن أسمعه منك. فيقول: هلاّ أرسلتَ إليَّ فآتيك. فأقول: أنا كنْتُ أحقّ أن آتيك. وكان ذلك الرجل يراني قد ذهب أصحاب رسول الله ﷺ وقد احتاج الناس إليّ فيقول: أنتَ كنتَ أعلم منّي»(3).

---

(1) المجموع للنووي 1/ 65.

(2) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 105، جامع بيان العلم وفضله1/ 474،507، نشر طي التعريف 72، كشف الخفا 1/ 419 قال: قال النجم: هذا لفظ مشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الدينوري بلفظ ذلك طالبا للعلم فعززت مطلوبا.

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي 1/ 158- 159 جامع بيان العلم لابن عبد البر1/ 365- 366، المعجم الكبير 10592، سير أعلام النبلاء3/ 342، تاريخ الإسلام 5/ 153.

وأن يكرمه، ويوسع عليه بماله، ويخدمه في حوائجه، فقد قيل: [الكامل]

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لن يُكرمَا/ [90]

فاصبر لدائك إن أهنت طَبيبه واصبرْ لجهلك إن جفوتَ معلّمَا[1]

وقال الآخر: [الطويل]

عليك بإكرام وبرٍّ لستةٍ من الناس واحذر شرهم وتَوَقَّهُ

طبيبٌ وحجَّامٌ وشيخٌ وشاعرٌ وصَاحِب ديوانٍ ومن يَتَفَقَّهُ[2]

وقال آخر: [البسيط]

إذا أفادك إنسان بفائدةٍ من العلوم فَأَدْمِنْ شكره أبدا

وقل فلان جزاه الله صالحةً أفادنيها وَ أَلْقِ الكِبْر والحسَدَا[3]

«وقد رجح كثير من العلماء حق المعلم على حق الوالد.

ولبعضهم: [المنسرح]

يا فاخراً بالعظام والسلف وتاركا للعلاء والشرف

آباء أجسادنا هُمْ سَبَبٌ لأن جُعِلْنا عوارض التَّلف

من علّم الناس كان خيرَ أبٍ ذاك أبو الروح لا أبو النّطف»[4]

---

(1) ورد البيتان في أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 106 غير منسوبين.

(2) نفح الطيب 7/ 135.

(3) الابتهاج للبلغيثي 2/ 123 غير منسوبين.

(4) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: 108. ووردت الأبيات أيضا في الابتهاج 2/ 122 غير منسوبة.

قال إخوان الصفا في هذا المعنى: «اعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك، وسبب لنشوئها، وعلة حياتها، كما أن والدك أب لجسدك وكان سببا لوجوده، وذلك أن والدك أعطاك صورة جسدانية، ومعلمك أعطاك صورة=

وفي سراج المريدين للإمام أبي بكر بن العربي رضي الله عنه ما نصّه:

«وكما يلزم برّ الوالدين يلزم بر المعلمين على المتعلمين بأن يقبلوا يده ويعينوه في شغله، ويمشوا إن ركب حوله ويعظموا قدره، ويعينوه في شغله، ويجعلوه قبلتهم، وينظروا إليه وينصتوا، ويوقروا ويستأذنوه في السؤال، وليحفظوا زلته، ولا يتطلبوا غرّتَهُ، وليستروا عورته. وهم في الحقيقة آكد من الآباء في المبرة. وقال القرطبي في تفسيره[1]: رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الناس وخير من يمشي على الأرض المعلمون، كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم. فإن المعلم إذا قال للصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله براءة للصبي، وبراءة للمعلم، وبراءة لأبويه من النار»[2]»[3].

ومنها: ما قاله ابن رشد: إن أفضل ما يستعان به على طلب العلم تقوى الله عزّ وجل، فإنه تعالى يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾[4].

= روحانية، وذلك أن المعلم يغذي نفسك بالعلوم، ويربيها بالمعارف، ويهديها طريق النعيم واللذة والسرور والأبدية والراحة والسرمدية، كما أن أباك كان سببا لكون جسدك في دار الدنيا، ومربيك ومرشدك إلى طلب المعاش فيها التي هي دار الفناء والتغير والسيلان، ساعة بساعة، فسل يا أخي ربك أن يوفق لك معلما رشيدا هاديا سديدا واشكر الله على نعمائه السابغة».

ينظر رسائل إخوان الصفا، 4/ 50.

(1) تفسير القرطبي 1/ 336.

(2) رواه الثعلبي في تفسيره بسنده من حديث ابن عباس 1/ 91، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن1/ 336، وفي الفردوس 6597 عن ابن عباس: «المعلمون خير الناس». وذكره صاحب نشر طي التعريف ص:72 وقال: رواه الثعالبي بإسناده وتبعه الطبري عليه رحمة الله. ونقله ابن الحاج عن القرطبي في المدخل 2/ 308. قال ابن الجوزي الموضوعات 1/ 158 هذا الحديث من عمل الهروي وهو الجويباري وقد سبق القدح فيه وأنه كذاب وضاع.

(3) الابتهاج 2/ 127.

(4) تتمة الآية: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ البقرة، من الآية: 281.

قال الفاكهاني[1]: وأصرح من هذه الآية في الدلالة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[2] أي فارقا بين الحق والباطل، فإنها سيقت مساق الشرط والجزاء. وأما الآية الأولى فهي وعظ وتعديد نعمة على ما قاله المفسرون، وإن كان قد قيل في معناها من اتقى الله علمه الخير وألهمَهُ. والأول أصحّ وأظهر، إذ قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ مستأنف.

وقال مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العلم نَفور، لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع. وعن الأوزاعي[3]: من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم[4].

---

(1) هو عمر بن أبي اليمن علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني يكنى أبا حفص الإسكندري. فقيه فاضل، متفنن في الحديث والفقه والأصول العربية والأدب. توفي بالسكندرية سنة 734 هـ.

من كتبه: (العمدة) في شرح الحديث ، المنهج المبين في شرح الأربعين ، (الإشارات) في العربية، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: الديباج المذهب 2/ 72 ، شذرات الذهب 5/ 96.

(2) تتمة الآية: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الأنفال، الآية:29.

(3) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي من أكابر أئمة أهل الشام في عصره في الفقه والزهد.توفي سنة157هـ.

تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 6/ 135، وفيات الأعيان 1/ 275 ، شذرات الذهب 1/ 241 – 242.

(4) ذكر ابن عساكر بسنده عن الأوزاعي قال: من عمل بما يعلم كان حقا على الله أن يعلمه ما لا يعلم، ويوفقه فيما يعمل حتى يستوجب بذلك الجنة. ومن لم يعمل بما يعلم، تاه فيما لا يعلم حتى يستوجب بذلك النار.تاريخ مدينة دمشق 49/ 127.

وقال السيوطي في الدر المنثور 2/ 123: وأخرج أبو يعقوب البغدادي في كتاب رواية الكبار عن الصغار عن سفيان قال: من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم. وأخرج الدارمي في سننه في باب فضل العلم والعالم 330 عن سفيان بن عيينة قال: أجهل الناس من ترك ما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله.

وقال الشاعر[1]: [الوافر]

[91] شكوت إلى وكيع[2] سوء حفظي فأومأ[3] لي إلى ترك المعاصي/
وقال إن حسن الحفظ فضل وفضل الله لا يوتاه عاصي

وقال غيره[4]: [البسيط]

إنارة العقل مكسوف بطوع هوىً وعقلُ عاصي الهوى يزداد تنويرا

ومنها: أن يواظب على الطاعات، ونوافل الخير. فقد قال الشيخ أبو عبد الله بن الحاج في المدخل: «ينبغي لطالب العلم أن لا يخلي نفسه من التعبدات في أول طلبه، وأن يكون له ورد منها. وقد قال ﷺ: «استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة[5] وما يستعان به لا يترك. قال مالك رحمه الله: أدركتُ الناس وهم يتعلمون العلم إلى أن يصل أحدهم إلى الأربعين فينقطع للعبادة، ويطوي الفراش. ثم قال: وليحذر الطالب من التكلف في العمل مما عليه فيه مشقة، أو يخلّ باشتغاله بالعلم، ثم يسأم بعد ذلك. وكان سيدي أبو محمّد ـ يعني ابن أبي جمرة ـ[6] يقول: ينبغي لطالب العلم أن يكون في

---

(1) البيتان للإمام الشافعي ينظر ديوانه ص: 262، وقد ورد البيت الثاني فيه هكذا:

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

وفي المستطرف 1/ 21:

وذلك أن حفظ العلم فضل وفضل الله لا يؤتى لعاصي

(2) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي الكوفي، كان محدث العراق في عصره. توفي سنة 197هـ.
تنظر ترجمته في: حلية الأولياء 8/ 368، تاريخ بغداد 13/ 466، تذكرة الحفاظ: 1/ 306.

(3) في (ب): فأرشدني.

(4) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري 1/ 665.

(5) رواه البخاري في الإيمان 38، والنسائي في الإيمان وشرائعه 4948.

(6) تقدمت ترجمته، ص 273.

عمله مثل الملح في العجين، إن عدُم بـه لم يُنتفـع بـه، والقليـل منـه يـصلحه. وإذا كـان كذلك، فينبغي أن يشدّ يده على مداومة فعل السنن والرواتـب، ومـا كـان منهـا تبعـا للفرض قبله أو بعده، وإظهارها في المساجد أفضل من فعلها في بيتـه، وكـذلك لا يخـلي نفسه من ركوع الضحى، وكذلك يحافظ على قيام الليل، ولا يُـــخلي نفسه منـه وهـو خمس تسليمات غير الوتر، ويقرأ فيها بما خف من القرآن من حزبين إلى ثلاثة»[1]. انتهى كلام ابن الحاج.

ومنها: الاعتناء بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها وفي الجماعة. فقد أخـرج أبو/ يعلى عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال سألت رسول الله ﷺ عـن الـذين هـم عن صلاتهم ساهون[2]، قال: «الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»[3]. وكان عمر يكتب لعمّاله: إن أهمّ أموركم عندي الصلاة، فمن حـافظ عليهـا حـافظ عـلى غيرهـا، ومـن ضيعها كان لما سواها أضيع. وهي بمثابة الوجه من الإنسان، وأول ما يُرى من الإنسان وجهه، ولا يهملها ويؤكد الاشتغال بطلب العلـم عنهـا كـما يظهـر في كثير مـن طلبـة الوقت، فإن ذلك من دواعي الخسران والمقت. والعلم يهتف بالعمـل فـإن وجـده وإلا ارتحل. ولا يترك الجماعة ولا يضيعها[4] إلا خاسر. وقد قال الشيخ زروق: «وإن فاتتك تكبيرة الإحرام فلا كلام معك، أي لأن ذلك من التقصير والتفريط»[5].

[92]

---

(1) المدخل 2/ 132 - 135 بتصرف.

(2) يقصد الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. الماعون، الآية: 5.

(3) مسند أبي يعلي 822، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 325: رواه البزار وأبو يعلي مرفوعا بنحو هذا وموقوفا، فيه عكرمة بن إبراهيم ضعفه ابن حبان وغيره. وقال البزار: رواه الحفاظ موقوفا ولم يرفعه غيره.

(4) عبارة: «ولا يترك الجماعة ولا يضيعها» سقطت من: ب.

(5) عدة المريد ص: 350 بتصرف.

ومنها: أن يتجنب بطانة السّوء، لأن الطبع قد يسرق. وقد قال ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1]؛ لأن من خالط العلماء حسب منهم، ومن خالط السفهاء حسب منهم.

وقال يوسف بن أسباط[2]: «كان أعمامي قدرية وأخوالي رافضية، فأنقذني الله بسفيان الثوري حين صحبته»[3].

[الطويل]

إذا كنتَ في قوم فصاحب خيارهم	ولا تصحب الأردَى فتُردي مع الرّديّ
عن المرء لا تسأل واسْأَلْ عن قرينه	فكل قرين بالمقارن يقتدي[4]

ومن كلامهم: الصّاحب كالرقعة في الثوب إن لم تكن مثله شانَتْه.

---

(1) رواه أبو داود في الأدب 4193 والترمذي في الزهد 2300 وقال: حسن غريب.

(2) هو أبو يعقوب يوسف بن أسباط الشيباني أصله من العراق، من متقشفي العباد والمتجردين من الزهاد. ثقة صاحب سنة وخير. وكان من خيار أهل زمانه من عباد أهل الشام وقرائهم. توفي سنة 195 هـ.
تنظر ترجمته في: صفة الصفوة 4/ 261، 266 ، الطبقات الكبرى للمناوي 1/ 324، 326 ، الطبقات الكبرى للشعراني 1/ 145

(3) آداب الصحبة لابن عرضون ص: 51.

(4) ذكر البيت الأخير ابن عطيه في المحرر الوجيز 5/ 163، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق 25/ 389 ونسباه إلى عدي بن زيد العبادي، ونسبها له ابن مفلح المقدسي في كتابه الآداب الشرعية 3/ 538 وذكر الأول ثانيا بلفظ «وصاحب أولي التقوى تنل من تقاهم..». و اليوسي في زهر الأكم 2/ 261.
وبعده:

إذا ما رأيت الشر يبعث أهله	وقام جناه الشر للشر فاقعد !

والأبيات من داليته التي مطلعها:

أتعرف رسم الدار من أم معبد	نعم ورماك الشوق قبل التجلد

وهي إحدى القصائد الموجودة في «جمهرة أشعار العرب» للقرشي ص: 174 - 180.

وللحلواني[1]: [الكامل]

إذا أردت ترى فضيلة صاحبٍ فانظر بعين البحث من ندماؤُهُ/ [93]

فالمرء مطويّ على علاتهِ طي الكتاب، وصَحْبُهُ عُنْوانُهُ[2]

وقال الآخر وهو [البَلَّفِيقِي][3] يوصي ابنه: [الطويل]

إذا شئت أن تَحْظَى بوصلي وقُربتي فجانب قرين السوء واصرف[4] حِبَالَهُ

وسابق إلى الخيرات واسلك سبيلها وَحَصِّلْ علوم الدين واعرف رِجالَهُ[5]

وقال أبو بكر الخوارزمي[6]: [الكامل]

لا تصحب الكسلان في[7] حاجةٍ كم صالح بفساد آخر يفسُدُ

---

(1) لعله أبو عبد الله سليمان بن عبد الله بن الفتى الحلواني. فإنه كان وافر العلم باللغة والعربية، وكان جميل الطريقة، فاضلا أديبا، حسن الأخلاق. توفي سنة 493 هـ.

تنظر ترجمته في: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص: 318، معجم الأدباء 11/ 251، بغية الوعاة 1/ 595.

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 7/ 294، فيض القدير 1/ 553.

(3) في الأصل: البلقيني. والصواب ما أثبتناه.

(4) في نفح الطيب 7/ 21، وكذا أزهار الرياض 4/ 120: اصرم.

(5) نفح الطيب 7/ 21 وقال المقري في أزهار الرياض 4/ 120: وقوله، صدر به رسالة وجه بها إلى ابنه محمد أيام قراءته بإشبيلية. وأضاف قائلا: وكان رحمه الله ـ أي أبو إسحاق البلفيقي ـ كثيرا ما يتمثل ببيتي مهيار الديلمي وهما:

ومن عجب أني أحنّ إليهم وأسأل شوقا عنهم وهم معي

وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين

(6) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، أصله من طبرستان. يعرف بالخوارزمي. أديب شاعر وناثر. كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب. توفي سنة 383 هـ. من آثاره: ديوان شعر، ديوان رسائل، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان 4/ 400، شذرات الذهب 3/ 105.

(7) في (ج): في كل.

عدوى البليد إلى الجليد سريعـــةٌ   والجمر يوضع في الرمّاد فيخمُــدُ[1]

وقال الآخر[2]: [مجزوء الرمل]

وحـــــدةُ الإنـــــسان خَيـــرٌ   مـن جلــيس الــسوء[3] عنــدهْ

وجلـــيسُ الخيـــرِ خيْـــرٌ   مـــن جلــوس المـــرءِ وَحْـــدَهْ

وقال الآخر[4]: [البسيط]

لا يدركُ العلـمَ بطّـالٌ ولا كَسِـلٌ   ولا مَلولٌ ولا مـن يـألفُ البَـشَرَا[5]

وقال الآخر[6]: [الطويل]

عليك بأهل العلم فارغبْ إليهم   يُفيدوك علما كي تكـونَ عليمــا

ويحْسب كل النـاس أنـك منهم   إذا كنت في أهـل الرشـاد مُقيمــا

وكــل قــرين بالمقــارن يقتـــدي   فقد قال هذا القـائلــون قديمــا

---

(1) ورد البيتان في أدب الدنيا والدين ص: 173 منسوبين إلى أبي بكر الخوارزمي.

(2) نسبها البلغيثي 1/ 116 إلى أبي العتاهية. ينظر ديوان أبي العتاهية ص: 154.

وقد ورد البيتان في(جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري 2/ 330.

(3) في (ج): الإنسان.

(4) في (د): غيره.

(5) وقبله: قالت مسائل سحنون لقارئها *** بالدرس يدرك مني كل ما استترا

والبيتان أنشدهما بعض الفقهاء في شأن المدونة.

ينظر القانون لليوسي ص: 376 وكذا ورد البيت في الابتهاج للبلغيثي 1/ 115.

(6) الأبيات في جامع بيان العلم لابن عبد لابن البر 1/ 387، غير منسوبة، وكذا في القانون لليوسي 4/ 4.

وقال الآخر[1]: [الرمل]

طالب العلم حزينٌ أبدا … وعن الإخوانِ والأهلِ نفورْ
يألف الكتب ويرجو الله … وعلى الهجران والبين صبورْ
ليس يلهو مع من يلهو إذا … ما لهى اللاهون في ظل القصورْ
فإذا استشكل شيئا خلته … مغضبا فيه على الكتب يدورْ
وإذا حل الذي استشكله … خلته نشوان من فرط السرورْ

وقالوا: من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زلّ، ومن تكبّر على الناس ذل، ومن خالط الأرذال حُقر، ومن خالط العلماء وقر.

وفي **النصيحة الكافية**[2] للشيخ زروق: قال بعض العلماء: «من له قرناء سوء، وعسر عليه مفارقتهم، وأراد أن لا يرجع إليهم، فليشخصهم وليصل عليهم صلاة الجنازة»[3]. واستدل على ذلك بأن النبي صلى/ [94] الله عليه وسلم كبّر أربعا على قوم لم يغزوا معه[4].

(1) الأبيات في الابتهاج 1/ 153، 154 غير منسوبة.

(2) عنوانه الكامل: «النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية». الكتاب مطبوع بعناية عبد المجيد خيالي.

(3) النصيحة ص: 88.

(4) لعله يقصد ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق 8/ 194 من حديث جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم إذا أتي بامرئ قد شهد بدرا والشجرة كبر عليه تسعا، وإذا أتي به قد شهد بدرا ولم يشهد الشجرة، أو شهد الشجرة ولم يشهد بدرا كبر عليه سبعا، و إذا أتي به لم يشهد بدرا و لا الشجرة كبر عليه أربعا. قال الشيخ أحمد بن الصديق: فيه إسحاق بن ثعلبة، قال أبو حاتم: مجهول منكر الحديث. انظر الإجازة للتكبيرات السبع على الجنازة 14.

ومنها: أن لا يضيع نفسه في المزاحمة على الدنيا والتنافس فيها وفي رياستها، فإن ذلك مذهبٌ بنور العلم مفسد للدين، مكدر صفو اليقين، فلقد قيل[1]:

[البسيط]

يا من يرى العلم جمع المال والكتب ... خدعت والله ليس الجد كاللعب

العلم ويحك ما في الصدر تجمعه ... حفظا وفهما و إتقانا فِداك أبي

قال الحكيم مقالا ليس يدفعه ... ذو العقل من كان من عجم ومن عرب

ما أن ينال الفتى علما و لا أدبا ... براحة النفس واللذات والطرب

نعم، ولا باكتساب المال تجمعه ... شتان ما بين كسب العلم والذهب

أليس في الأنبيا والرسل قدوتنا ... عليهم صلوات الرب ذي الحجب

حازوا العلوم وعنهم جملة ورثت ... وعاش أكثرهم جهدا بلا نشب[2]

وقال الآخر: [الطويل]

ألا إن حبّ المال والجاه مفسد ... قبيح بأهل العلم ذلك أقبح

وأي شيء رياسة الدنيا حتى يتنافس فيها ويبذل فيها أنفس شيء وهو عمر الإنسان الذي هو رأس ماله، مع أنها كثيرة العناء، سريعة الانقضاء، عرضة للفناء، فلا يشتغل العاقل بما يفنى عما يبقى. ولقد قال الناصح الأكبر ﷺ لأبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إني أراك ضعيفا، وأحبّ لك ما أحبّ لنفسي، فلا تتأمرنّ على اثنين، ولا تتولينّ مال يتيم»[3].

---

(1) الأبيات في جامع بيان العلم 1/ 386. غير منسوبة، وكذا ورد البيتان الأولان في الفوائد الجميلة للشوشاوي ص: 210.

(2) في جامع بيان العلم 1/ 386: نسب.

والنشب والمنشبة في اللغة: المال الأصيل من الناطق والصامت. يقال: فلان ذو نشب، وفلان ما له نشب، والنشب المال والعقار. لسان العرب مادة (نشب).

(3) رواه مسلم في الإمارة 1826.

ومنها: ألا يقتصر على علم واحد، بل يشتغل بجميع العلوم، فإن ساعده القدر باستيفاء جميعها فهو أولى من جهل بعضها، فإن من جهل شيئا عاداه، ومن عادى العلم عادى أهله، ومن عادى أهله وقع في محذور عظيم.

قال يحيى بن خالد لابنه: خذ من كل نوع من العلم، فإن المرء عدوّ ما جهل، وأنا أكره أن تكون عدوا لشيء من العلم، وأنشده: [الطويل]

تفنن وخذ من كل علم فإنما ... يفوق امرؤ في كل فنّ له علمُ
وأنت عدو الذي أنت جاهل ... به ولعلم أنت تُتْقِنُه سلمُ[1]

وقال آخر[2]:/ [البسيط] [95]

فلا تَلُمْهُمْ على إنكار ما نَكَرُوا ... فإنما خلقوا أعداء ما جَهِلوا

وقال الآخر[3]: [البسيط]

تعلم من كل علم تبلُغ الأمَلاَ ... ولا يكن لك علم واحد شغلا
فالنحل لّما رعت من كل نابتةٍ ... أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا
فالشمع نور مبين يستضاء به ... والعسل يبري بإذن ربه العللا

وعن علي بن عبد العزيز[4] قال: «سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام قال: ما ناظرني رجلٌ قط، وكان متفننا في العلوم إلا غلبتُه، ولا ناظرني ذو فنّ واحد إلا غلبني في علمه

---

(1) البيتان أوردهما الماوردي في أدب الدنيا والدين ص:57 من إنشاد يحي بن خالد البرمكي وزير المهدي لابنه الفضل.

(2) البيت في جامع بيان العلم 1/ 523 أنشده عبد الله بن محمد بن يوسف لابن عبد البر.

(3) الأبيات في الابتهاج للبلغيثي 1/ 181.

(4) تقدمت ترجمته، ص358.

ذلك. وقيل: من أراد أن يكون حافظا نظر في فن واحد، ومن أراد أن يكون عالما أخذ من كل علم بنصيب»[1].

ومنها: الاتصاف بالسكينة والأناءة، وتجنب العجلة والضّجر، والاتباع لأثر من مضى. قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا تخلط العلم بلعب ولا بضحك فتمجّك القلوب. وقال ابن شهاب: ما رأيت لطالب العلم أحسن من الخشية والوقار. وقال القرافي في ذخيرته: «ومما ينبغي لطالب العلم أن ينوي ألا يتعلم مسألة إلا على من هو لها أهل، وكذلك إذا علّمها أن ينوي بها التوسل إلى تعليم كل من تعلم منه، فيكون المنوي في الحالين عددا لا يحاط به ولا يحصر، ولكل واحد من ذلك العدد حسنة، فإن وقع المنوي كان له عشر، لقوله عليه السلام: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها فله عشر»[2] وهذا متجر لا غاية لربحه»[3].

ومما يؤيد هذا ما ذكره ابن عبد البر، أنه إذا كان يوم القيامة ووزن عمل العبد فخفّت كفة حسناته فيؤتى بشيء مثل السحاب حتى يوضع مع حسناته فتخف كفّة سيئاته فيقال/ له: أتعرف هذا من عملك؟ فيقول: لا أعرفه. فيقال: هذا ما علمتَ الناس من الخير فَعَمِلُوا به بعدك[4]. [96]

وعن أبي مسعود الأنصاري أنه قال: «أتى رجلٌ النبي ﷺ فسأله، فقال: ما عندي ما أعطيك، ولكن إيتِ فلانًا. فأتى إلى الرجل فأعطاه، فقال ﷺ: «الدال على الخير

---

(1) جامع بيان العلم 1/ 522 - 523.

(2) رواه البخاري في الرقاق 6010 ومسلم في الإيمان 130 واللفظ لمسلم.

(3) الذخيرة 1/ 38.

(4) ينظر جامع بيان العلم 1/ 209، 211.

كفاعله»، رواه ابن حبّان، ورواه البزار مختصرا: «الدال على الخير كفاعله»[1]. وكذا الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية.

ومنها: أن يتجنب مطالعة شيء من الأوراق والكتب المحتوية على شيء من علم الحروز والطلاسم والعزائم العجمية وغير ذلك من كتب الباطل، مثل: قرعة الطيور، وقرعة الأنبياء، والجزم الكبير والصغير والخط، فإن كله علم محظور يحرُم تعاطيه حسبما نصّ العلماء على ذلك. وكذلك ما يتعلق بعلم الكيمياء، والكاغيدية، وكل ما يتعلق بالمطالب والكنوز. وقد قيل: عِلْمُ الحُرُوزْ، وعلم الكُنُوزْ، وعلم الرّابُوزْ، اتْرُكْهُمْ تَفزْ. وهذه الأمور من أعظم الآفات على طالب العلم، فإنها كثيرا ما تصْرفه عن طلب العلم، ويؤول به الحال إلى الوزر والإثم، ويُحرم شرف العلم بسبب البطالة. ولقد أجاد الشيخ الولي الصالح سيدي أحمد زروق في قوله: [البسيط]

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معـا ... لا يوجدان فدع عن نفسك الطّمعا

وقد تحدث أقوام بذكرهما ... ولا أظنهما كانا ولا وقعا[2]

وقال غيره[3]: [البسيط]

---

(1) مسند البزار 1742، المعجم الكبير 5945، شعب الإيمان 7656، حلية الأولياء 6/ 266، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 166.

(2) قال الشيخ زروق في هذا الأمر: «فقد أولع به ـ أي الكيمياء ـ طائفة من الفقراء وادعوا الاشتغال به مهم لتحصيل الفوائد المالية وإقامة الزوايا وإطعام الطعام و نحو ذلك. وربما يزيد بعضهم أنه من شروط الإيمان». ينظر (عدة المريد) ص: 489 له. وورد البيتان أيضا في الابتهاج للبلغيثي 1/ 182.

(3) البيتان في الغيث المسجم في شرح لامية العجم لابن أيبك الصفدي 1/ 44.

وبعدهما:

فقل لطالبها من غير معدنها ... أضعت نفسك بالتنكيد والتعب

وكذا ورد البيتان في الابتهاج للبلغيثي 1/ 182.

أعيا الفلاسفة الماضون في الحقب ... أن يصنعوا ذَهَبًا إلا من الذّهب
أو يصنعوا فضّةً بيضاء خالصةً ... إلا من الفضة المعروفة النسب

وقال غيره[1]: [مخلع البسيط]

شغلت بالكيمياء عمري ... فلم أفِد غير كل خسر
[97] أتعاب فكر خداع عقل ... فساد حال ضياع عمر[2] /

وقد حذر العلماء من هذه الأمور جملة في وصاياهم، وممن بالغ في ذلك الإمام ابن الحاج[3] في **المدخل** وذكر ما في ذلك كله من المحذورات[4].

ومما يعين على طالب العلم، الاعتناء بصالح الأقوات بعد كونها من الحلال، بحيث لا يتناول شيئا مما فيه داؤه كالأشياء التي تضرّ بالذهن وتذهب بالحفظ أو تورث النسيان. قال الإمام الرازي: «مما يذهب الحفظ ويفسد العقل أكل البصل والفول والزيتون والباذنجان والخيار وكثرة الجماع، والوحدة، ودوام النظر إلى المرأة والاستغراق في الضحك. ويورث النسيان أكل الطين والآكل على الشّبع كما قال النبيﷺ: «لولا أولاد الفقراء لذهب العلم»[5] أراد أن معدتهم خالية من الطعام لقلة

---

(1) في (د): آخر.

(2) البيتان في نفح الطيب 4/ 348 منسوبان إلى القاسم بن الأمير محمد بن عبد الله.
وكذا وردا في الابتهاج 1/ 182.

(3) تقدمت ترجمته في ص: 238.

(4) قال ابن الحاج: «و أما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدي ضرره لأهل زمانه ومن بعدهم. وذلك أن من فعلها فقد خلط على الناس أموالهم بخسها عليهم إذ أنهم مختلفون في فعلها... فليحذر - أي المريد - من خلطة من يتعانى ذلك أو يشار إليه بشيء ما...».
ينظر: المدخل 3/ 144 - 145.

(5) لم أقف عليه.

وجوده عندهم، ولم تكن فيها أطعمة يصعد بخارها إلى الدماغ فيبطل الذهن والحفظ. وفضيلة الجوع خير عظيم. وعلى هذا اتفق سبعون صدّيقا»[1]. انظر تأليف ابن عرضون[2] في آداب النكاح.

وقال القاضي عياض[3]: في الحديث اختيار طيّب الطعام على رديئه. قال الأبي[4]: «ذكر عياض في غير هذا الموضع الخلاف في أي ما أفضل، هل التمتع بالمباحات أو تركُها؟واحتج من رجح التمتع، بأنه عليه السلام أكل لحم الدجاج، ولبس البرد اليماني. وهذا الخلاف والله أعلم ما لم يكن لإيثار أكل الطيب مرجح، وأما إن كان له مرجح فلا يتنازع في راجحيته لمن يقصد به التقوي على العلم، كما يحكى عن النسائي وغيره أنه كان يقول: لو أمكنني أن أصنع الخبز من الجوهر فعلت. إن مالكا كان يأكل الرّقاق، وإن ابن عبد الحكم وغيره وُجِدَ تحت سريره شيء/ كثير من قشر ما كان يأكل [98] من الفاكهة المقوية على العلم والنظر فيه.

---

(1) مقنع المحتاج في آداب الأزواج للإمام ابن عرضون. مخطوط مصور بخزانة الفقيه محمد بوخبزة ينظر خاتمته في رياضة الصبيان ص: 505 وما بعدها.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن يوسف بن عرضون الزجلي قاض فقيه محقق ومشارك. توفي سنة 1012 هـ.
من تآليفه: مقنع المحتاج في آداب الأزواج، اللائق لمعلم الوثائق، رسالة التودد والتحابب أو آداب الصحبة، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: نشر المثاني 1/ 69، درة الحجال 2/ 217، سلوة الأنفاس 2/ 267.
وللتوسع في مصادر ترجمته وأخباره وأعماله ينظر كتاب: ابن عرضون الكبير: حياته وآثاره آراؤه وفقهه، للدكتور عمر الجيدي.

(3) تقدمت ترجمته في هذا الباب، ص433.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن خلفة بن عمر التونسي الوشتاني المالكي المشهور بالأبي، الإمام العلامة المحقق، أخذ عن أكابر علماء عصره. كان مقدما في عدة فنون ووصفه ابن حجر بالأصولي عالم المغرب المعقول. توفي سنة827هـ.
من تآليفه: إكمال الأكمال في شرح صحيح مسلم، وشرح المدونة، وغير ذلك.
تنظر ترجمته في: الضوء اللامع 11/ 182، شذرات الذهب 7/ 181، نيل الابتهاج ص: 488، شجرة النور الزكية ص: 240.

وعن أيوب السختياني[1] أنه بعث من يشتري له تمرًا فاشتراه رديًّا رغبةً منه في الكثرة، فقال له أيوب: كنتُ أظنّ أن الله نَفَعَك بِصُحْبَتِي أما علمتَ أن الله نزع البركة من كل ردي» انتهى من اختصار ابن الشاط[2] لإكمال الإكمال[3] للأبي رحمهما الله.

وقال: الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي لما تكلم على تابغة قال ما نصه: «وما ذكر من الأطعمة المقوية لا تؤثر في العقل فتورا ولا نقصاً، بل تزيده قوة وذكاء، كما قد علم في اللحم وكذا في الأبازير، ولذلك كان يعتني بها إمامنا مالك حرصاً على تحصيل العلم بتعاطي أسبابه. ويقال: إن من جملة أركان العلم قدر فوّاح. ويذكر عن سعد الدين أنه كان يشم رائحة القدر الزكية بالأبازير لتقوية الذهن وإجادته بذلك».

وقال الحافظ الذهبي: «من أراد أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب»[4]. أخرجه السلفي في الطّيورات.

---

(1) هو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني. قال الحسن: أيوب سيد شباب أهل البصرة. وقال شعبة: أيوب سيد الفقهاء، وأخذ عنه مالك، وسفيان الثوري وغيرهما. توفي سنة 131 هـ.

تنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء 1/ 95 ، طبقات الحفاظ 1/ 59.

(2) هو أبو مهدي عيسى بن أحمد الهَنْدِيسِي، البجائي، يعرف بابن الشاط. فقيه مالكي.من آثاره: تعليق على صحيح مسلم، اقتطفه من شرح الأبي، فتاوى في المازونيةوالمعيار. (كان حيا سنة (890هـ-1485م).

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج 1/ 334 ، كفاية المحتاج 224 ، الأعلام 8/ 19 .

وبخزانة الزاوية الناصرية نسخة من «اختصار شرح صحيح مسلم المسمى إكمال الإكمال» منسوبة لأحمد بن سعيد ابن الشاط رقم: 1553. فلا ندري أي علاقة بين الرجلين !؟

(3) الكتاب عنوانه: «اكمال أكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم» وهو شرح على صحيح الإمام مسلم، جمع فيه المؤلف بين المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات مفيدة من كلام شيخه ابن عرفة وغيره. طبع في سبعة أجزاء من مطبعة السعادة 1327. ينظر معجم المطبوعات العربية1/ 363.

(4) ينظر «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي 2/ 262 .

ومنها: الكتابة، بأن يقيد ما يسمع[1] خوف شروده، فإن الطالب إذا رأى شيئا أعجبه لابدّ له أن يكتبه. وفي البخاري في باب كتابة العلم، وقال عليه السلام: «اكتبوا لأبي شاه»[2].

وروي عن عمر وابن عباس أنهما قالا: «قيدوا العلم بالكتابة»[3] .

وقال الشاعر وينسب لسحنون[4]: [الكامل]

العلم صيد والكتابة قيده ... قيد صيودك بالحبال الموثقهْ
ومن الحماقة أن تصيد حمامة ... فتتركها بين الأوانس مطلقهْ

(1) في (د): من خوف.

(2) رواه البخاري في العلم 109.

وأبو شاه رجل من اليمن، قال للرسول الله ﷺ: اكتبوا لي. فقال عليه الصلاة والسلام: «اكتبوا لأبي شاه»، يعني الخطبة.

(3) جامع بيان العلم 1/ 309، 310 والكلام مأخوذ من الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك أن النبيﷺ قال: «قيدوا العلم بالكتاب». رواه ابن عبد البر في باب ذكر الرخصة في كتاب العلم 1/ 306.

(4) البيتان وردا في الفوائد الجميلة للشوشاوي ص: 212 وكذا في الروضة المقصودة 1/ 212 منسوبين لسحنون.

وفي (القانون) أورد اليوسي البيت الثاني دون أن ينسبه.

وقال البلغيثي في تعلقيه على هذين البيتين:

«هكذا ذكر البيتين الحطاب في حواشيه على الرسالة، ونسبهما لسحنون، وكذا رويتهما عن جماعة من الأشياخ والأدباء، وكذلك وجدتهما بمخطوط قديم جدا، ولا يخفى أن الشطر الأخير غير متزن، وكل من رويتهما عنه يذكر أنه سمعه كذلك...» الابتهاج 2/ 52.

ووجدتها أيضا في ديوان الشافعي ص: 294 من الكامل هكذا:

العلم صيد والكتابة قيده ... قيد صيودك بالحبال الواثقه
فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتتركها بين الخلائق طالقه

وقال الآخر: [الرمل]

كل سرّ جاوز الإثنين شاعْ ... كل علم ليس في الأوراق ضاعْ

وقال الآخر: [السريع]

إن الذي يروي ولكنه ... يحفظ ما يروي ولا يكتب

كصخرة تنبع أمواهها ... تسقي الأراضي وهي لا تشرب[1]

وقال الآخر: [مجزوء الرجز]

ارقم برأس القلم ... ما تلتقي من حكم

فالعلم صيد فاعلم ... والخط قيد فارقم[2]

ولأبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [الوافر]

عباد الله أوصيكم ونفسي ... بتعليق وتكرار ودرس

فإن الأمر كل الأمر هذا ... وما يسوى سواه نصف فلس[3]

وقال الآخر: [البسيط]

أقبل على الدرس إن أحببت منزلة ... تحظى بها الدهر واستكثر من الكتب

---

(1) البيتان في نفح الطيب 3/ 141 منسوبان إلى أبي الحسن التيجاني. وفيه «أمواجها» بدل «أمواهها».

(2) ورد البيتان في الابتهاج للبلغيثي 2/ 52 غير منسوبين.

قال الشوشاوي في هذا المعنى:

«وأما فائدة الكتابة فهي أربعة أشياء: إثبات الحفظ، وتقريب الفهم، وإذهاب النسيان، وإيصال العلم».

ينظر: الفوائد الجميلة، ص: 214.

(3) المصدر السابق 2/ 53.

وذاكر الناس كي تزداد معرفة   فإنما العلم بالتذكار والكتب/ [99]

وقال الآخر: [البسيط]

لا يدرك العلم إلا كل مشتغل   بالعلم همته القرطاس والقلم[1]

وقيل: ما كتب قرّ، وما حفظ فرّ.

وأن يحفظ ما يكتب أيضا ولا يتركه هملا، فقد قالت العرب: حرف في قلبك خير من ألف في كتبك[2]. وقالوا: لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر[3] بك النادي[4].

وقال الشاعر[5]: [الرمل]

تكتب العلم وتلقي في سَفَطْ[6]   ثم لا تحفظ لا تفلح قَطْ

إنما يفلح من يحفظ من   بعد فهم وتوقّ من غلطْ

---

(1) ينظر جامع بيان العلم لابن عبد البر 1/ 430 والقانون لليوسي ص: 402 .

(2) أدب الدنيا والدين ص: 88.

(3) في (ب): يعرفك.

(4) المصدر السابق ص: 88.

(5) البيتان منسوبان إلى أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم الغرناطي المتوفى سنة 565هـ. ومن شعره:

العلم في القلب ليس العلم في الكتب   فلا تكن مغرما باللهو واللعب

فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به   فالعلم لا يجتنى إلا مع التعب

ينظر: نفح الطيب 2/ 366.

(6) السفط الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. لسان العرب 7/ 315.

وقيل: حفظ سطرين خير من سماع وقرين، وفهم حرفين خير من حفظ وقرين. وقيل[1]: «ليس لك من العلم إلا ما حفظته لا ما كتبته. وأحسن من محفوظك ما سمع من ملفوظك». وقال الخليل ابن أحمد[2]: اجعل ما في كتبك رأس مال، وما في قلبك للنفقة. وفي مثل هذا ينشد: [المتقارب]

إذا لم تكن حافظا واعيا ... فجمعك للكتب لا ينفع

أتحضر في مجلس جامع ... وعلمك في الدار مستودع»[3]؟

قال أبو الحجاج البلوي: «كنت أقرأ بإشبيلية على رجل فاضل فيسألني عن المسألة، فربما أتوقّف، فيقول: عجّل بالجواب، الرفقة سائرة. فأقول: ما معنى هذا؟ فيقول: ربّما تسأل وأنت في الطريق.

وكما يقال في الكلام: العلم ما تدخل به الحمّام. [السريع]

لا تودعن علمك يا حاذق ... في كتب يسرقها السارق

بل صدرك اجعله وعاء له ... مفتاحه مقولك الناطق

حينئذ إن قال عنك امرؤ ... إنك تدري فهو الصادق

بالله قل لي يا فتى إن تسل ... عن فضة صاحبها طارق

---

(1) ألف باء للبلوي 1/ 60.

(2) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، وأستاذ سيبويه النحوي. توفي سنة 170هـ. من تآليفه: (العين) في اللغة، معاني الحروف، كتاب «العروض» وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: نزهة الألبا ص: 49، 51، وفيات الأعيان 2/ 244، بغية الوعاة 1/ 557، 560، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة 1/ 99.

(3) ألف باء 1/ 60 بتصرف.

وقال عجل قل لنا شرحها ... الركب عني ذاهب زاهق
والعلم في بيتك مستودع ... في الكتب منظرها رائق
كيف ترى حالك هل فوق ذا ... من خجل يرمقه الرامق
فادرس ولا تغفل وكن حافظا ... وربك اسأل فهو الرازق»

انتهى كلام البلوي[1].

ويحكى عن بعض العلماء أنه ركب مع تجار في المركب، فانكسرت بهم السفينة فأصبحوا بعد عزة الغنا في ذل الفقر، ووصل العالم إلى البلد، فأكرمه أهلها، وأتحفوه بأنواع التحف والكرامات، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم، قالوا: هل لك إلى قومك كتاب أو حاجة ؟ قال: نعم، تقولون[2] لهم: إذا اتخذتم مالا فاتخذوا مالا لا يغرق في السفينة يعني العلم.

وأن يكثر من المطالعة والتفكر والتأمل في المسائل. فقد حكى الشيخ أبو العباس سيدي أحمد المنجور[3] عن الشيخ بن غازي[4] أنه كان كثيرا ما ينشد هذين البيتين:

(1) ألف باء 1/ 60- 61.

(2) في (د): تقول.

(3) هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور الفاسي. كان مقدما في الفقه والحديث، وكانت له معرفة بالرجال والبيان والمنطق والحساب والفرائض. توفي سنة 995 هـ.

من تآليفه: نظم الفرائد ومبدأ الفوائد، مراقي المجد لآيات السعد، شرح المنهج المنتخب، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: درة الحجال 1/ 156، نيل الابتهاج ص: 143- 144، سلوة الأنفاس 3/ 60.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي نزيل فاس الفقيه، المؤرخ الحاسب والراوية. توفي سنة 919 هـ. من تآليفه: إرشاد الحبيب إلى مقاصد الحبيب، تحرير المقالة في نظائر الرسالة، الروض المتون، وغير ذلك.

تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج ص: 581، 583، سلوة الأنفاس 2/ 73، فهرس الفهارس 1/ 210.

[المتقارب]

إذا المشكلات تصدين لي ... كشفت حقائقها بالنظرْ

ولست بإمعة للرجالْ ... أسائل هذا وذا ما الخبر[1]

هذان البيتان نسبهما ابن عبد البر لسيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جملة أبيات، وقال غيره: [الكامل]

وتدبر العلم الذي تُعْنى به ... لا خير في علم بغير تدبّر

وقيل: القراءة بلا نظر لا تبقي أثر. قال ابن عبد البر في كتاب فضل العلم: ومن أحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النّظم ما ينسب إلى اللؤلؤي[2]، وبعضهم ينسبه إلى المامون وهو: [الرجز]

اعلم بأن العلم بالتعلم ... والحفظ و الإتقان والتّفهم

والعلم قد يرزقه الصّغير ... من سنّه ويحرم الكبير

فإنما المرء بأصغريه ... ليس برجليه ولا يديه

لسانه وقلبه المركّب ... في صدره و ذاك خلق عجب/ [100]

والعلم بالفهم والمذاكرة ... والدرس والفكرة والمناظرة

---

(1) جامع بيان العلم 2/ 985- 986.

وبعدهما فيه:

ولكنّني مِذْرَبُ الأَصْغَرَيْـ *** ـنِ أُبَيِّنُ مَعْ ما مضى ما غبرْ

وكذا ورد البيتان في ديوان الإمام علي. ص: 56، و في ديوان الشافعي ص: 243.

(2) هو أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو البصري اللؤلؤي. لازم أبا داود مدة طويلة، روى عنه سنته. وكان يدعى وراق أبي داود. والوراق في لغة أهل البصرة القارئ للناس. توفي سنة 333 هـ.

تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 15/ 307- 308.

فـــرب إنـــسان ينـــال الحفظـــا — ويـــورد الـــنص ويحكـــى اللفظـــا

ومالـــــه في غيـــــره نـــــصيـــب — ممّـــا حـــواه العـالـــم الأديـــب

ورب ذي حـــرص شـــديد الحـــبّ — للعلـــم والذكـــر بليـــد القلـــب

معجّـــز في الحفـــظ والروايـــه — ليـــست لـــه عمّـــن روى حكايـــه

وآخـــر يعطـــى بالاجتهـــاد — حفظـــا لمـــا قـــد جـــاء في الإسنـــاد

يـــهده بـــالقلب لا بناظـــره — لـــيس بمـــضطر إلى قماطـــره[1]

فـالتمس العلـم وأجمـل في الطلـب — والعلـــم لا يحـــصل إلا بـــالأدبْ

الأدب النـــافع حـــسن الـــصمت — ففـــي كـــثير القـــول بعـــض المقـــت

فكـــن لحـسن الـصمت مـا حييتـا — [مقارنـــا][2] تحمـــد مـــا بقيتـــا

وإن بـــدت بيـــن أنـــاس مـــسألـــهْ — معروفـــة في العلـــم أو مفتعلـــهْ

فـــلا تكـــن إلى الجـــواب سابقـــا — حـــتى تـــرى غـــيرك فيهـــا[3] ناطقـــا

فـــكم رأيـــت مـــن عجـــول سابـــقْ — مـــن غـــير فهـــم بالخطـــايا ناطـــقْ

أزرى بـــه ذلـــك في المجالـــسْ — بـــين ذوي الألبـــاب و التنافـــسْ

والـصمت فـاعلم بـك حقـا أزيـــنُ — إن لم يكـــن عنـــدك علـــم متقـــنُ

وقـــل إذا أعيـــاك ذاك الأمـــر — مـــا لـــي بمـــا تـــسأل عنـــه خبـــر

فـــذاك شـــطر العلـم عنـد العلمـا — كـــذاك مـــا زالـــت تقـــول الحكمـــا

إيـــّاك والعجـــب بفـــضل رأيكـــا — واحـذر جـواب القـول مـن خطايكـا

---

(1) القمطر والقمطرة ما تصان فيه الكتب. قال ابن السكيت: لا يقال بالتشديد، وينشد:

ليس بالعلم ما يعي القمطر — ما العلم إلا ما وعاه الصدر

والجمع قماطر. لسان العرب باب الراء، فصل القاف.

(2) في الأصل: مقاربا، والتصحيح من جامع بيان العلم وفضله.

(3) في (د): فيه.

كم من جواب أعقب الندامهْ فاغتنم الصمت مع السلامهْ

العلم بحر منتهاه يبعد ليس له حد إليه يقصد

[101] وليس كل العلم قد حويتهْ أجل، ولا العشر ولو أحصيتهْ/

وما بقي عليك منه أكثر مما علمت والجواد يعثر

فكن لما سمعته مستفهما إن كنت لا تفهم منه الكلما

القول قولان: فقول تعلمه و آخر تسمعه فتجهله

وكل قول فله جواب يجمعه الباطل والصّواب

وللكلام أول وآخر فافهمهما والذهن منك حاضر

لا تدفع القول ولا تردهْ حتى يؤديك إلى ما بعدهْ

فربما أعيا ذوو الفضائلْ جواب ما يلقى من المسائلْ

فيمسكوا بالصمت عن جوابهْ عند اعتراض الشك في جوابهْ

ولو يكون القول عند الناس من فضة بيضا بلا التباس[1]

إذاً لكان الصمت من عين الذهبْ فافهم هداك الله آداب[2] الطلبْ.[3]

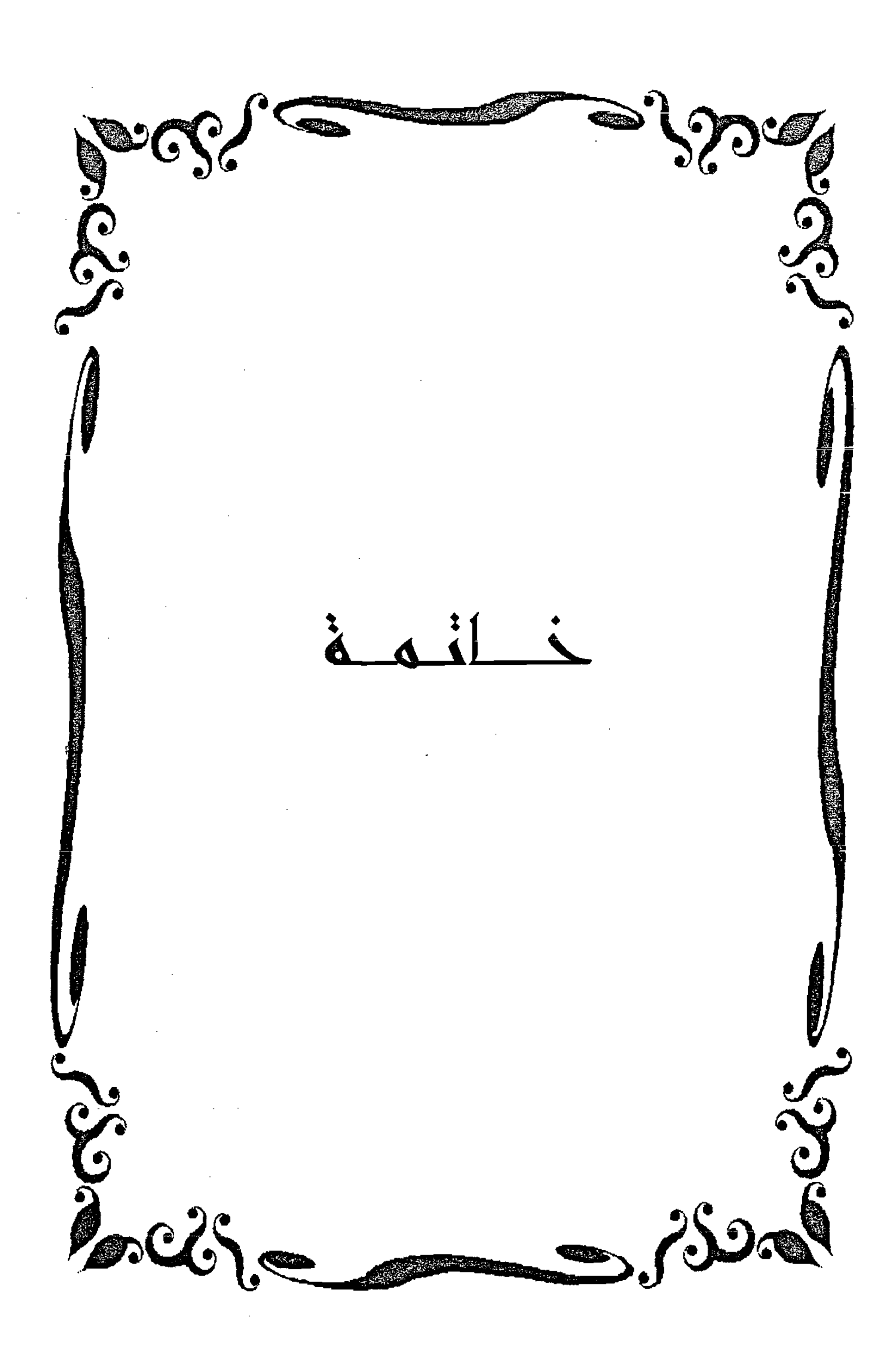
---

(1) ورد هذا البيت في جامع بيان العلم هكذا:

ولو يكون القول في القياس *** من فضة بيضاء عند الناس

(2) في (ج): أدب.

(3) ينظر جامع بيان العلم 1/ 582 - 583.



خـــاتمـــة

وردت آثار صحاح في رفع العلم في آخر الزمان، منها ما أخرجه الإمام أحمد والطبراني والدارمي عن أبي أمامة، قال: لما كان في حجة الوداع قام رسول الله ﷺ على جبل آدم فقال: «يا أيها الناس خذوا العلم قبل أن يقبض وقبل أن يرفع من الأرض» الحديث، إلى أن قال: «إن ذهاب العلم ذهاب حملته»[(1)]. ثلاث مرّات وعن حذيفة: «قبض العلم قبض العلماء»[(2)] وعن أحمد عن ابن مسعود قال: تدرون ما ذهاب العلم؟ ذهاب العلم رفع أهله. قال ابن حجر: وأفاد في حديث أبي أمامة، أن بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا تغني من ليس بعالم شيئا، فإن في بقية الحديث: فسأله أعرابي فقال: يا نبي الله، كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف، وقد تعلمنا ما فيها، وعلمناها نساءنا وأبناءنا وخدمنا ؟ فرفع إليه/ رأسه وهو مغضب فقال: «وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يتعلّقوا منها[(3)] بشيء ممّا جاءهم به أنبياؤهم»[(4)]. [102]

ولهذه الزيادة شواهد من حديث عوف بن مالك وابن عمر وصفوان بن عسال وغيرهم. وهي عند أحمد والترمذي والطبراني والدارمي والبزار بألفاظ محتملة، وفي جميعها هذا المعنى. واستدل بهذا الحديث على جواز خلوّ الزمان عن مجتهد، وهو قول الجمهور خلافا لأكثر الحنابلة وبعض من غيرهم، لأنه صريح في رفع العلم بقبض العلماء، ومن لازمه الحكم بالجهل، وإذا انتفى العلم، ومن يحكم به، استلزم انتفاء الاجتهاد والمجتهد. وعورض هذا بحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله»[(5)]. وفي رواية: «حتى تقوم الساعة»[(6)]. وأجيب بأجوبة أحسنها أن

---

(1) رواه أحمد 21259 ، الدرامي في المقدمة 242 ، الطبراني في الكبير 7906 .

(2) رواه الدرامي في المقدمة 246.

(3) في (ج): بها.

(4) رواه الترمذي في العلم 2577 وأحمد 21259 والدارمي في المقدمة 290 والطبراني في الكبير 7867 .

(5) رواه مسلم في الإمارة 1920 بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

(6) رواه الترمذي في الفتن 2118.

الاجتهاد فرض كفاية وهو مشروط ببقاء العلماء، فأما إذا أقام الدليل على انقراض العلماء فلا؛ لأن بفقدهم تنتفي القدرة والتمكن من الاجتهاد، وإذا انتفى أن يكون مقدورا لم يقع التكليف به. هكذا اقتصر عليه جماعة» انته كلام ابن حجر في فتح الباري[1].

وروي عن أبي الدرداء أنه قال: «مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلّمون؟ تعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم بذهاب العلماء»[2].

وروي عنه ﷺ أنه قال:«إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا، ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلوا»[3].

وروى البخاري عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، وتشرب الخمر، ويظهر الزّنى»[4]./ [103] وقوله: يرفع العلم ؛ أي: بموت حملته لا بنزعه من الصدور كما تقدم.

وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج من أمتي ثلاثون دجالا كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يفيض المال، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج. قالوا: وما الهرج؟ قال:القتل القتل»[5].

---

(1) فتح الباري 13/ 286.

(2) رواه الدرامي في المقدمة 247.

(3) رواه مسلم في العلم 2673.

(4) رواه البخاري في العلم 78 ومسلم في العلم 2671.

(5) رواه أبو داود في الملاحم 3772 دون قوله: «وحتى يفيض المال...» وروى ابن ماجه في الفتن 4037: «لا تقوم الساعة حتى يفيض المال، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج. قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، القتل، القتل» ثلاثا.

وأخرج الحاكم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«إن بين يدي الساعة لأياما يكثر فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل»(1).

وروي عن ابن عباس أنه قال: «لا يزال عالم يموت، وأثر الحق يدرس، حتى يكثر أهل الجهل، وقد ذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلّون عن سواء السبيل»(2).

وروى ابن ماجه عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يرفع»(3).

وقال عبد الله بن مسعود: «عليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه موت رواته، فو الذي نفسي بيده ليودّن رجال قوتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم»(4).

اللهم اجعلنا من العلماء العاملين واحشرنا في زمرتهم آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) المستدرك 8412 لكن عن أبي هريرة بلفظ:«سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء، ويقل الفقهاء، ويقبض العلم، ويكثر الهرج. قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل بينكم، ثم يأتي بعد ذلك زمان، يقرأ القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي من بعد ذلك زمان، يجادل المنافق المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1/ 603.

(3) رواه ابن ماجه في المقدمة 224.

(4) أورده الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه 1/ 167 بلفظ: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب بأصحابه. عليكم بالعلم، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه، أو يفتقر إلى ما عنده، وإنكم ستجدون أقواما يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم. عليكم بالعلم، وإياكم والتبدّع، وإياكم والتنطّع، وإياكم والتعمّق، وعليكم بالعتيق».

ختم الله أعمالنا بالخيرات، ووفقنا لفعل الحسنات، واجتناب السيئات، ومنحنا في الدارين مراتب السعادة، وبلغنا من فضله الحسنى وزيادة.

اللهم صلّ على روح العالم وسيد بني آدم محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

ووافق الفراغ منه صبيحة يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة أربع وثمانين ومائة وألف على يد مؤلفه وكاتبه بيده الفانية، العبد الفقير إلى مولاه الغني محمد بن مسعود ابن أحمد بن محمد الطرنباطي الأموي العثماني الفاسي دارا ومنشأ. كان الله له ولوالديه ولأشياخه ولجميع المسلمين/ . [104]



الفهارس العامة

- ☑ فهرس الآيات القرآنية
- ☑ فهرس الأحاديث النبوية
- ☑ فهرس الكتب والمصنفات
- ☑ فهرس الأعلام
- ☑ فهرس القوافي
- ☑ فهرس البلدان والأماكن
- ☑ فهرس المصادر والمراجع
- ☑ فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا	30	البقرة	246
لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا	31	البقرة	381، 413
أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ	32	البقرة	413
وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ	41	البقرة	393
أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ	43	البقرة	343، 359
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ..	158	البقرة	343، 391
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ	268	البقرة	247
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ	281	البقرة	436
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ..	7	آل عمران	311
ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا	7	آل عمران	382
كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ	78	آل عمران	293
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ	159	آل عمران	380
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ..	187	آل عمران	331، 380
وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ	5	النساء	391، 392
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ...	58	النساء	249
أُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم	68	النساء	257
وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ..	112	النساء	249
وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ	5	المائدة	249
لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...	80	المائدة	394
قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ	102	المائدة	255
نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ	84	الأنعام	250

أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ	11	الأعـراف	397
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا...	25	الأعـراف	250
وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ...	145	الأعـراف	420
فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ...	169	الأعـراف	331
وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا...	175	الأعـراف	331
أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ...	179	الأعـراف	343
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ	29	الأنفـال	437
فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ...	123	التوبـة	237
وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ	21	يوسـف	257
نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ	76	يوسـف	250
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ	21	الرعـد	255
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ...	42	الرعـد	322،321
قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا	44	الرعـد	250
يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...	29	إبراهيـم	250
فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ...	43	النحل	413،251
ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ...	125	النحل	250
مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ...	18	الإسراء	331
وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ	55	الإسراء	251
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا	85	الإسراء	432
وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا	65	الكهـف	256
هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ...	65	الكهـف	256،250
يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ	11	مريم	420
وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا	111	طـه	251،270

فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ...	7	الأنبياء	413
وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ...	214	الشعراء	380
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا...	15	النمل	251
وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ...	16	النمل	298
لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا	21	النمل	252
إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ...	78	القصص	397
وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ	43	العنكبوت	252
بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ	49	العنكبوت	256
وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	69	العنكبوت	340
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ...	21-19	فاطر	254
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ	22	فاطر	254
إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ	28	فاطر	343،254،253
سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ	57	يس	256
قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ	84	ص	385
هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ	10	الزمر	254
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ	10	الزمر	255
ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ	60	غافر	357
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ	32	فصلت	255،293
مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ	18	الشورى	331
وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا	49	الشورى	245
وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً	32	الزخرف	269
ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ	3	الأحقاف	255
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ...	2	الحجرات	407
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ	13	الحجرات	372

فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ...	31	النجـم	372
يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ	11	المجادلـة	255
لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ	20	الحشر	254
قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا	6	التحريم	276
لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا	2	الملـك	229
نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ	1	القلم	256
أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ	24	النازعات	397
فِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ	26	المطففين	267
بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ...	21، 22	البروج	256
سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ	10	الأعلـى	253
إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ	14	الفجـر	331
ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ...	3، 4، 5	العلق	256
وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ	5	البينـة	331
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ	7	البينـة	253
ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ	8	البينـة	253

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
(أ)	
آفة العلم النسيان...	377
اتبعوا العلماء...	309
أجرؤكم على الفتوى...	381
أجوع الناس طالب العلم...	423
احذروا الشهوة الخفية..	348
أدبوا أولادكم...	315
إذا أتى علي يوم ولم أزدد فيه علما فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم...	275
إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط..	302
إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خصال...	261
إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا...	289
إذا ظهرت البدع ولعن آخر هذه الأمة أوّلها...	395
إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين...	302
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث.	265
إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا..	307
أربع لا يشبعن من أربع..	423
استعينوا بالغدوة والروحة...	438
استنصت الناس...	377
أشد الناس عذابا يوم القيامة...	337
اطلبوا العلم ولو بالصين..	287
أعلمكم بالله أشدكم له خشية...	253
أعلم الناس من يجمع علم الناس...	374
أفضل الصدقة أن يتعلم...	259

أفضل العبادة الفقه...	261-260
أفضل الفوائد حديث حسن...	259
أفضل الناس العالم الذي إذا احتيج إليه نفع	315
الاقتصاد في النفقة...	408
أكثر منافقي أمتي قراؤها...	352
أكرموا حملة القرآن...	308
أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء.	308
ألا أخبركم بأجود الأجواد...	304
ألا أدلكم على الخلفاء ..	306
ألا هل بلغت؟	376
ألا وقول الزور...	376
ألجمه الله بلجام...	393
اللهم ارحم خلفائي...	306
اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع...	349
اللهم عفوا ، اسأل عن الخير ولا تسأل عن الشر...	338
أمرت أن أخاطب الناس...	377
إن أخوف ما أخاف عليكم...	340
إن أشد الناس عذابا يوم القيامة...	339
إن أناسا من أمتي يتفقهون...	354
إن أناسا من أهل الجنة...	336
إن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء...	313
إن بين يدي الساعة...	463
إن ذهاب العلم...	461
إن العلماء ورثة الأنبياء...	297
إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا...	310
إن الله تعالى وأهل السماوات والأرض...	293
إن الله تعالى يجمع العلماء...	303

إن الله لا ينتزع العلم...	462
إن الله ليرفع البلاء	308
إن لقمان قال لابنه...	316
إن لله مدينة تحت العرش...	305
إن لله ملائكة سيارة...	317
إنما الأعمال بالنيات...	346
إن مثل العلماء...	309
إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم...	294
إن مما يلحق المؤمن...	265
إن من إجلال الله...	316
إن من أشراط الساعة...	462
إن من الشجر شجرة	379
إن من شر الناس عند الله منزلة...	338
أنهاكم عن قيل وقال...	410
إني لا أتخوف على أمتي مؤمنا...	339
أوحى الله إلى إبراهيم	315
أوصي الخليفة من بعدي	316
أولئك منكم وأولئك...	396
أول من يشفع يوم القيامة...	301
أيما ناشئ نشأ في طلب العلم	304
أي يوم هذا ؟	377
(ب)	
باب من العلم	273
(ت)	
تعس عبد الدينار والدرهم...	418
تعلموا العلم...	317
تناصحوا في العلم ولا يكتم...	395

(ث)	
ثلاثة لا يستخف بهم...	311
(ج)	
جالسوا العلماء وزاحموهم...	307
(خ)	
خصلتان لا تجتمعان في منافق...	262
خيار أمتي علماؤها...	313
خير دينكم أيسره...	260
خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال	268
خيركم بعد المائتين...	422
خير الناس وخير من يمشي على الأرض المعلمون...	436
(د)	
الدال على الخير كفاعله...	446
الدنيا ملعونة...	305
(ذ)	
ذنب العالم ذنب واحد..	367
الذين يؤخرون الصلاة...	439
(ر)	
رأس الحكمة مخافة الله	253
رأيت ليلة أسري...	335
ركعتان من عالم أفضل...	324
ركعة من عالم بالله...	324
(ز)	
الزبانية أسرع من حملة القرآن...	342
(س)	
ساعة من عالم متكئ...	323

(ص)	
الصلاة لأول ميقاتها...	263
صنفان إذا صلحا صلح الخلق..	343
(ط)	
طالب العلم أفضل...	323
طالب العلم وطالب الرحمة...	324
طوبى لمن بعثه الله يوم القيامة...	324
طوبى لمن عمل بعلمه...	340
(ع)	
العالم إذا أفسد...	351
العالم أمين الله في الأرض...	312
العالم سلطان الله في الأرض...	312
العالم من عقل عن الله...	252
العالم والعلم والعمل في الجنة...	338
العالم والمتعلم شريكان	318
العالم يعذب على ارتكابه الذنب...	367
عالم ينتفع بعلمه...	324
العلماء أمناء الرسل...	312
العلماء أمناء الله على خلقه...	312
علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل...	300
علماء هذه الأمة رجلان...	336
العلم بالله...	268
العلم علمان...	338
علم لا يقال به ككنز...	395
العلم والمال يستران كل عيب...	277
العلم يزيد الشريف شرفا...	279
عليكم بهذا العلم...	463

(ف)	
فضل العالم على العابد سبعون...	300
فضل العالم على العبد كفضل القمر...	296
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم...	293
فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي...	296
فضل العلم خير...	258
فيرجح مداد العلماء...	307
(ق)	
قبض العلم قبض...	461
(ك)	
كلا المجلسين على خير...	300
كن عالما أو متعلما.......	318
(ل)	
لأن تغدو فتتعلم بابا من...	273
لا أخاف على أمتي...	311
لا تتعلموا العلم لتباهوا...	336
لا حسد إلا في اثنين...	267
لا ترجعوا بعدي كفارا...	377
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين...	461
لا تزول قدما عبدي...	343
لا تقوم الساعة حتى يخرج...	462
لا ينال العلم مستحي ولا مستكبر...	413
لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه...	412
لفقيه واحد أشد على الشيطان...	320
لكل شيء عماد...	260
لو كان بينك وبين العلم بحار...	289
لولا أولاد الفقراء...	448

ليس التملق من أخلاق المؤمن...	426
ليستغفر لطالب العلم...	293
ليس منا...	316
ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا...	316
ليس منكم من من أحد إلا على بابه ملكان..	319
(م)	
ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم...	394
ما ترون في الشارب والسارق...	380
ما تصدق الناس بصدقة...	265
ما عبد الله بشيء أفضل...	260
ما من قوم يجتمعون...	295
ما من رجل يترك ورقة من العلم	271
ما من رجل يتعلم كلمة...	259
ما من رجل يحفظ..	393
مثل الذي يتعلم العلم...	394
مثل الذي يعلم الناس...	350
المرء على دين خليله...	440
مرحبا بطالب العلم...	301-300
معلم الخير يستغفر له...	293
من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله...	405
من أراد أن ينصب نفسه للناس...	359
من أكرم عالما فقد أكرم سبعين نبيا...	308
من أوتي ربع القرآن...	304
من برت يمينه...	352
من تعلم بابا من العلم...	304
من تعلم صرف الكلام...	336
من تعلم العلم لغير الله...	334

من تعلم علما مما يبتغي...	337
من تعلم علما ولم يزدد هدى...	336
من تعلم علما ينتفع به...	337
من خدم عالما سبعة أيام..	307
من خرج في طلب العلم...	288
من سئل عن علم فكتمه...	393
من سلك طريقا يبتغي فيه علما...	257
من صافح عالما صادقا...	305
من طلب العلم ليجاري به العلماء...	335-334
من ظن للعلم غاية فقد بخسه حظه...	432
من عظم عالما...	305
من عمل بما علم...	341
من غدا إلى المسجد...	266
من غدا أو راح...	405
من قال إني عالم فهو جاهل...	397
من قرأ القرآن وعمل به...	301
من كتم علما ألجمه الله...	394-393
من كتم علما نافعا...	392
من نفس عن مسلم...	258-257
من هم بحسنة...	446
منهومان لا يشبعان...	423
من يرد الله به خير...	259
(ن)	
الناس معادن...	315
النظر في وجوه الوالدين عبادة...	306
نعم العطية كلمة...	266
نومة على علم خير من صلاة...	274

(هـ)	
هو الرجل يتعلم العلم...	348
(و)	
ولا يكتم بعضكم...	395
وما تقرب إلي عبدي...	310
وهذه اليهود والنصارى...	461
ويل للأعقاب...	376
ويل لمن علم ولم يعمل...	339
(ي)	
يا أبا ذر لأن تغدو فتتعلم...	266
يأمر الله بطائفة من العلماء...	342
يا أيها الناس خذوا العلم...	461
يا قبيصة ما جاء بك...؟	288
يبعث الله تعالى العباد...	302
يجاء بالرجل يوم القيامة...	335
يحشر الله تعالى أصحاب الحديث...	308
يقال يوم القيامة للعبد...	301
يوزن يوم القيامة مداد العلماء...	307

فهرس الكتب والمصنفات

الاسم	الصفحة
الأبدال للسيوطي	310
الإتقان للسيوطي	400
الإحياء للغزالي	237، 264، 308، 318، 349، 350، 387، 401
اختصارالبرزلي للشيخ حلولو	401
اختصار النهاية والتمام لابن هارون	274
اختصار إكمال كمال الأكمال لابن الشاط	450
آداب النكاح لابن عرضون	449
الإعانة للشيخ زروق	356
الألقاب للشيرازي	324
(ب)	
البحر الزاخر لأحمد إقبال	303
بزوغ الهلال للسيوطي	315
البستان للنووي	305
بشرى الكئيب للسيوطي	314
بغية الرائد للقاضي عياض	433
البيان والتبيين للجاحظ	399
(ت)	
تاريخ ابن النجار	265
تاريخ بغداد للبغدادي	315،301، 338
التبيان للنووي	310
تحفة المريد للشيخ زروق	347-424
التذكرة للقرطبي	267
تفسير ابن مردويه	412
تفسير القرطبي	436

تفسير الواحدي	331
(ث)	
الثواب لأبي الشيخ	412
(ج)	
الجامع الصغير للسيوطي	352
(ح)	
حاشية شرح الصغرى لعبد الرحمن الفاسي	228
حاشية على البخاري للأنصاري	286
الحلية لأبي نعيم	447-412-405-342-338-299
(د)	
الدر المنثور للسيوطي	352
(ذ)	
الذخيرة للقرافي	446-385-296
(ر)	
الرسالة للشافعي	237
(ز)	
الزاهي في الفقه لابن فرحون	274
الزهد للإمام أحمد	348-339-314
(س)	
سراج المريدين لابن العربي	436
سنن البيهقي	423
سنن المهتدين لابن المواق	366
(ش)	
شرح البردة للإليري	365
شرح الجامع الصغير للنووي	342
شرح الحكم العطائية لابن عباد	391
شرح الرسالة للجزولي	398

شرح الرسالة لداود المصري	418 - 371 -347
شرح الرسالة للشيخ زروق	347
شرح الرسالة للقلشاني	345
شرح الصغرى للسنوسي	321-228
شرح القرطبية للشيخ زروق	424 - 353
شرح الكبرى للسنوسي	367-250
شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي	306
شعب الإيمان للبيهقي	447-344-337-287
(ص)	
صحيح البخاري	451-379-376-374-287-285-267
صحيح ابن حيان	393-336-300-297
صحيح مسلم	267
(غ)	
العتبية	343
غنية السالك لمحمد السبتي	238
(ف)	
فتح الباري لابن حجر	462-258-251
فضل العلم لابن عبد البر	456-321-289-272
الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي	412
(ق)	
القواعد للقرافي	237
قوت القلوب لأبي طالب المكي	384
(ك)	
الكامل لابن عدي	423-394-337-287-275
(م)	
مختصر أبي زيد القيرواني	295
المدخل لابن الحاج	264-238

مسالك الحنفاء للقسطلاني	308
المقدمات، لابن رشد	346
مسند الشهاب للقضاعي	313
مسند الطيالسي	261
مسند الفردوس للديلمي	348-338-318-314-312-304-277-271
مسند أبي يعلى	374
المعجم الأوسط = الأوسط للطبراني	-317-306-298-288-275-266-260-258 396-394-339-336
المعجم الصغير= الصغير للطبراني	339-337-261
المعجم الكبير= الكبير للطبراني	-316-311-307-303-276-271-266- 265 447-423-397-344-340-318
مكارم الأخلاق للطبراني	408
ميزان العمل للغزالي	346
(ن)	
النصيحة الكافية للشيخ زروق	443
نوازل البرزلي	340

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
(أ)	
الآجري = محمد بن الحسين	289-260
الآمدي = الحسن بن بشر	419
ابن أبزى = عبد الرحمن	394
أبي	400
أحمد زروق	447-443-439-424-410-397-356-353-347
أحمد = أبو القاسم	278
الأحنف بن قيس	324
ابن الأزرق = محمد بن علي	417
الأزدي = محمد بن واسع	360
الأزدي = يزيد بن أبي حبيب	348
ابن الأسقع = واثلة	271
الأسلمي = أبو برزة	359-343
الأسلمي = عبد الله بن بريدة	415
الأسلمي = محجن بن الأدرع	261
ابن أسلم = زيد	251-250
الأشعري = الحارث بن مالك	351
الأشعري = أبو موسى	316

الأصبهاني = إسماعيل بن محمد	301-300
الأصمعي = أبو سيعد عبد الملك	378
الإليري = محمد بن عبد الملك	365
الإمام مسلم	349-337-335-265-257
أبو أمامة	463-461-316-311-304-301-293-266
ابن أنس = مالك	-346-343-354-289-281-278-263-274-259-247 -420-417-416-408-401-399-396-395-382-354 450-449-438-437-432
الأنصاري = أبو أيوب خالد	267
الأنصاري = زكرياء بن محمد	286
الأنصاري = عبد الله بن أنيس	287
الأنصاري = أبو مسعود	446
الأنصاري = ابن هشام	425
الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو	437
ابن أبي أويس = إسماعيل	432
ابن أبي أويس = أبو بكر عبد الحميد	432
(ب)	
البخاري	462-418-337-335
ابن البختكان = بزرجهمر	270
البرزلي	401-340
ابن برد = بشار	414
البزار	447-396-383-359-338-318-288-293-266-258

البستي	361-275
البصري = حسن	384
البصري = قتادة بن دعامة	415-247
ابن البطحاء	409
البطرني = أبو الحسن محمد	401
البغدداي = أبو الحسن الجنيد	352-366
البغوي = الحسين بن مسعود	344
أبو بكر الصديق	386
البكري = الربيع بن أنس	253
البلخي = إبراهيم بن أدهم	387-357
البلوي = أبو الحجاج يوسف	454-319
البلفيقي = أبو إسحاق	441
البوصيري	299
البيهقي	-337-336-334-316-305-304-302-287-265-260 447-426-421-408-393-344-340-339
(ت)	
الترمذي	-320-305-297-296-294-293-288-271-262-258 433-349-344-343-338-336-334
التستري = سهل بن عبد الله	351-307
التيمي = سليمان	332
التيمي = الفضيل بن عياض	366-357-354
(ث)	
ابن ثابت =زيد	416
الثوري = سفيان بن سعد	440-392-352-348

(ج)	
جابر بن عبد الله	-377-374-338-336-323-313-308-302-287-252 463
ابن جبل = معاذ	426-395-379-338-296-272
ابن جبير = سعيد	372
الجرجاني = علي بن عبد العزيز	358
الجرجاني = سليمان الغازي	412
الجزولي = عبد الرحمن	398
ابن أبي الجعد	277
ابن جماعة = أبو يحيى	239
ابن أبي جمرة = عبد الله	438-272
ابن جندب = سمرة	265
الجهني = عقبة بن عامر	417
(ح)	
ابن أبي حاتم	352-322
ابن الحاج = محمد بن محمد	439-438-238
الحاكم = محمد بن عبد الله	463-434-423-393-383-337-300-276-261-257
ابن حبان	447-383-347-336-300-243-297-296-257
الحجاج	379
ابن حجر= العسقلاني	462-374-286-267-258-255
الحسن بن علي	407-278
الحسن بن يسار	276
الحسين بن علي	407
الحضرمي = هارون بن علي	274
ابن الحكم = ثعلبة	303
الحميري = عبد الرزاق بن همام	322
أبو حميد	423

ابن حنبل = أحمد	-348-341-339-335-316-314-310-309-300-288 461-383
أبو حنيفة	350-283-250-203
الحلواني	369
حلولو = أحمد بن عبد الرحمن	401
ابن أبي الحواري = أحمد	341
(خ)	
ابن خالد إسماعيل	421
الخدري = أبو سعيد	405
الجزاعي = عمران بن حصين	340
الخطابي	295
ابن الخطاب = عمر	-439-416-397-396-379-374-321-306-276-232 461
الخطيب = أحمد البغدادي	412-338-306-301
الخضر	256
الخوارزمي = محمد بن عباس	441
الخولاني = أبو مسلم عبد الله	309
(د)	
الداراني = أبو سليمان عبد الرحمن	366-341
الدارقطني	260
الدارمي	461
الدؤلي = أبو الأسود	275
داوود عليه السلام	251
أبو داود	393-337-336-338-297-296-295-288-261-257
أبو الدرداء	-385-350-345-338-321-238-318-296-294-257 462
الدمشقي = يزيد بن ميسرة	352

ابن أبي الدنيا = عبد الله	334
الديلمي = أبو منصور	-318-315-314-313-312-304-302-277-271-268 408-382-367-348-338-323
ابن دينار = أبو حازم سلمة	364
ابن دينار = مالك	432-313-290
(ذ)	
الذهبي = الحافظ	450
(ر)	
الرازي = فخر الدين محمد	448-272-245-227
ابن رشد	436-364
الرفاعي = عبد الرحمن	398
(ز)	
ابن زادان = منصور	339
الزمخشري = محمد بن عمر	254
الزهري = حميد بن عبد الرحمن	259
الزهري = محمد بن مسلم	431
الزهري = مصعب بن سعد	348
أبو زيد = أسامة	335
ابن زيد = جابر	384
أبو زيد	420
(س)	
الساعدي = أبو حميد	423
السبتي = محمد بن معلى	238
سيبويه	410
سحنون = عبد السلام بن سعيد	451-421-384-290-262
ابن سخبرة = عبد الله	271
السختياني = أيوب	450

السدوسي = قتادة بن دعامة	247
السدي = إسماعيل بن عبد الرحمن	247
ابن أبي سفيان = معاوية	415
السقطي = أبو الحسن السري	366
السكندري = ابن عطاء الله	347-344-240
السلفي	350
ابن سلام = عبد الله	354
سليمان بن عبد الرحمن	314
ابن سليمان = مقاتل	375
سليمان عليه السلام	268-252-251
السمرقندي = أبو الليث نصر	405-306-272
السمهودي	310-294
ابن سنان = صهيب	344
السنوسي = محمد بن يوسف	367
ابن السني = أحمد بن محمد	412
ابن سهل	401
ابن سيرين	422-417
السيوطي	400-352-314-310
(ش)	
ابن الشاط = قاسم بن عبد الله	450
الشافعي	424-420-416-405-391-310-279-264-237
ابن الشخير = مطرف بن عبد الله	265
ابن شراحيل = عامر	317
الشعبي	398-386-381-379
الشعراني = عبد الوهاب بن أحمد	410
ابن شهاب = محمد بن مسلم	430-264
الشيباني = الحسن بن سفيان	312

الشيباني = دغفل بن حنظلة	415
الشيباني = يوسف بن أسباط	440
ابن أبي شيبة	321
الشيرازي = أحمد بن عبدان	324
أبو الشيخ = عبد الله بن محمد	302
الشيخ داود المصري	372-371-347
(ص)	
ابن الصامت = عبادة	316
(ط)	
ابن أبي طالب = علي	456-446-433-412-408-347-339-325-288-268
الطبراني	-298-288-276-275-271-266-265-261-260-258 -337-336-318-317-316-311-307-306-304-303 -408-397-396-395-394-383-352-344-342-339 461-447-423
الطبري = ابن جرير	382-352-332-322-321
الطرنباطي = محمد بن مسعود	464
الطويل = حميد	277
الطيالسي = سليمان بن داود	261
أبو الطيب	303
(ع)	
عائشة رضي الله عنها	413-293-275
أبو عاتكة	287
ابن العاص = علقمة بن سعيد	394
ابن عباد = محمد بن إبراهيم	391
ابن عباس = عبد الله	-306-302-293-285-269-268-266-252-249-247 -377-367-354-325-322-320-317-315-314-307 463-451-434-416-397-395-384-383

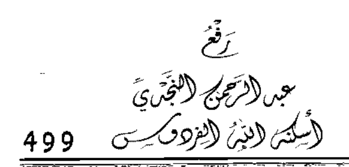
ابن عبد البر = أبو عمر يوسف	260-266-272-275-287-297-315-317-321-338- 409-430-446-456
ابن عبد الحكم = محمد بن عبد الله	264-449
ابن عبد العزيز = علي	445
ابن عبد العزيز = عمر	254-382-421
أبو العتاهية	362
ابن عدي = أبو أحمد عبد الله	275-287-337-394-423
العراقي = عبد الرحيم بن الحسين	315
ابن العربي = محيي الدين	376
ابن العربي المعافري	344-436
ابن عرضون = محمد بن الحسين	449
ابن عساكر = أبو القاسم علي	268-308-309-312-313-314-383-395.
ابن عسال المرادي = صفوان	300-461
ابن عصفور = أبو القاسم أحمد	280
عطاء	274
ابن عفان = عثمان	301
العقيلي = محمد بن عمرو	312
ابن علية = إسماعيل بن إبراهيم	355
ابن عمر = عبد الله	261-272-289-302-334-336-379-382-384-393- 395-397-408-461
ابن العوام = عبد الله بن الزبير	250
ابن العوام = مصعب بن الزبير	277
ابن عوف = عبد الرحمن	296
ابن عون = عبد الله	385
عيسى عليه السلام	349
ابن عيينة = إبراهيم	349
ابن عيينة = سفيان	255-374

(غ)	
غازي العثماني = محمد بن أحمد	455
الغزالي = أبو حامد	389-351-349-346-318-237-227
الغفاري = أبو ذر	338-266
(ف)	
الفاسي = عبد الرحمن بن عبد القادر	228
الفاسي = عبد الرحمن بن محمد	450
الفاسي أبو عمران موسى	264
الفاسي= محمد بن طاهر	410
الفاكهاني	437
الفراء	406
الفراهيدي = الخليل بن أحمد	454
(ق)	
القاسم بن سلام	445
ابن القاسم = عبد الرحمن	420-416-396-289-278
القاسم بن محمد	385
ابن قداح = أبو علي عمر	401
القرشي = الوليد بن عقبة	272
القرافي = أحمد بن إدريس	446-392-390-388-385-296-237
القرطبي = ابن شعبان	274
القرطبي = محمد بن أحمد	436-267-247
القسطلاني = أحمد بن محمد	308
القصار = حمدون بن أحمد	360
القضاعي = محمد بن سلامة	313-312
القلشاني = أحمد بن محمد	346-345
القيرواني = عبد الله بن أبي زيد	295
القيسي = أشهب بن عبد العزيز	416-263

ابن القيم = محمد بن أبي بكر	248
(ك)	
الكاظم = علي بن موسى	412
ابن كثير = قيس	257
الكرخي = أبو محفوظ معروف	366
(ل)	
اللؤلؤي = محمد بن أحمد	456
الليث بن سعد	323
ابن أبي ليلى = أبو عيسى عبد الرحمن	387-381
(م)	
المأمون	456-406
ابن ماجه	463-337-336-320-319-308-305-301-259-257
ابن مالك = أنس	462-405-384-342-271
ابن مالك = عوف	461
ابن مالك = كعب	354-334
الماوردي	398
ابن المبارك = عبد الله	274
المتيطي	239
المحاسبي = الحارث بن أسد	389
ابن المخارق = أبو بشر قبيصة	288
المخزومي = عبد الرحمن بن الحارث	263
المرادي = صفوان بن عسال	300
ابن مردويه	412
المرسي = أبو العباس	353
ابن مرة = النعمان	380
المرهبي = أبو العباس أحمد بن علي بن	302
ابن مروان = عبد الملك	364-360

ابن مروان = مصعب	277
المري = صالح بن بشير	278
مسروق	385-253
ابن مسعود = عبد الله	463-461-432-400-385-356-304-267-255
ابن المسيب = أبو محمد سعيد	384-289
ابن مطعم = جبير	383
ابن معاوية = يزيد	354
ابن معين = أحمد	341
المكي = مجاهد بن جبير	397-278-247
المكي = أبو طالب محمد	384
المناوي = عبد الرؤوف	352-342
ابن منبه = وهب	273
المنجور = أحمد بن علي	455
ابن المنذر	322
المنذري = عبد العظيم	304-298-271
المهدي = محمد بن عبد الله	406
ابن مهران خالد	278
ابن مهران = ميمون	278
المواق = محمد بن يوسف	366
موسى عليه السلام	423-333-332-285-256
الموصلي = ابن معبد	276
(ن)	
الناشئ = أبو العباس	389
ابن النجار = محمد بن يحيى	265
النسائي	449-296-257
النسفي = عمر بن محمد	320
النووي = يحيى بن شرف	411-310-238

أبو نعيم	258-259-260-275-296-299-304-338-342-395- 405-412-423-447
(هـ)	
هارون الرشيد	378
ابن هارون = محمد	263-264-295
أم هانئ	277
الهذلي = مكحول بن مسلم	278-344
ابن هرمز = أبو داوود عبد الرحمن	289
أبو هريرة	257-259-260-262-265-266-288-289-295-298- 305-317-322-324-336-337-348-383-393-394- 420-462
(و)	
الواحدي	331
ابن وضاح = أبو عبد الله محمد	384
ابن وهب = عبد الله ؟	263-264-278-423-431
(ي)	
اليحصبي = عياض	433-449
يحيى بن يحيى	420
أبو يعلى = أحمد الموصلي	304-296-374-396-383-439
ابن اليمان = حذيفة	258
أبو يوسف	421
يوسف بن أسباط	440
ابن يونس	421



فهرس القوافي

القافيــة	البحــر	عـدد الأبيات	الصفحــة
المواكب	الطويل	4	284
حسيب	الطويل	2	280
حياته	الطويل	2	426
الحوادث	الطويل	3	327
تدري	الطويل	3	419
أمري	الطويل	2	275
المزح	الطويل	2	430
الردي	الطويل	2	440
الكد	الطويل	2	425
المحامد	الطويل	2	320
قبور	الطويل	2	328
تقدسوا	الطويل	6	327
تعرف	الطويل	2	337
منصف	الطويل	1	393
توقه	الطويل	2	435
تبال	السريع	2	415
حباله	الطويل	2	441
البذل	الطويل	2	425
طفلا	الطويل	3	418
عقلا	الطويل	3	433
جاهل	الطويل	3	282
جاهله	الطويل	2	364
جاهله	الطويل	2	386

الجهل	الطويل	2	414
عظما	الطويل	2	358
ظلم	الطويل	1	390
علم	الطويل	2	445
تعلما	الطويل	2	388
التعلم	الطويل	2	284
التعلم	الطويل	2	424
حلما	الطويل	6	326
الغنم	الطويل	1	391
فهم	الطويل	8	281-280
أفهم	الطويل	1	388
رميم	الطويل	2	328
عليما	الطويل	3	442
بيان	الطويل	2	424
حسنا	الطويل	2	361
فنون	الطويل	2	426
الداء	البسيط	1	414
حواء	البسيط	5	325
أحياء	البسيط	1	325
الكتب	البسيط	3	280-279
الكتب	البسيط	2	453-452
صحبا	البسيط	4	282
الغضب	البسيط	1	349
العطب	البسيط	2	421
تعب	البسيط	1	428
الطلب	البسيط	1	413
اللعب	البسيط	7	444

الذهب	البسيط	2	448
يلجا	البسيط	1	290
أبدا	البسيط	2	435
مفاخره	البسيط	2	283
البشرا	البسيط	1	442
ظفر	البسيط	1	290
تنويرا	البسيط	1	438
ينتجع	البسيط	4	280
طمعا	البسيط	2	447
بك	البسيط	2	374
للملك	البسيط	2	281
عجل	البسيط	3	427
كسل	البسيط	2	346
شغلا	البسيط	3	445
جهلوا	البسيط	1	445
جهلا	البسيط	2	285
تعطيلا	البسيط	2	416
السراويلا	البسيط	1	424
الكرم	البسيط	1	279
خسران	البسيط	2	231
كسلان	البسيط	1	428
البدن	البسيط	3	231
تأتيها	البسيط	4	362
مستبان	مخلع البسيط	2	285
خسر	مخلع البسيط	2	448
رفعتا	الوافر	3	269
عرفتا	الوافر	3	373

عدلتا	الوافر	2	270
بعير	الوافر	2	323
المعاصي	الوافر	2	438
قابل	الوافر	3	279
ثلمه	الوافر	6	323
القلم	الوافر	1	453
رماني	الوافر	2	409
العالمين	الوافر	2	326
العلماء	الكامل	1	275
ندماؤه	الكامل	2	441
المنسوب	الكامل	1	283
صوابا	الكامل	2	389
رابح	الكامل	1	270
يفسد	الكامل	2	442-441
الشرد	الكامل	2	388
تدبر	الكامل	1	456
مرها	الكامل	1	428
يظفر	الكامل	1	415
درس	الوافر	2	452
الموثقه	الكامل	2	451
تنفق	الكامل	1	378
يكرما	الكامل	2	435
يفهم	الكامل	2	378
أصحابه	السريع	1	411
السيادة	الرجز	1	389
جاهد	الرجز	1	425
صدقه	الرجز	2	266

القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
قدمك	الرجز	1	428
الباطل	السريع	3	285-284
أولا	السريع	3	362
التعلم	الرجز	1	426
التعليم	الكامل	5	361
للتعليم	الرجز	2	353
المتحن	الرجز	1	381
سنه	الرجز	2	361
المساكين	السريع	6	356-355
قافية مختلفة	الرجز	2	281
قافية مختلفة	الرجز	4	386
قافية مختلفة	الرجز	35	457-456
طلب	مجزوء الرجز	6	281
خلف	مجزوء الرجز	1	285
درقه	مجزوء الرجز	4	319
حكم	مجزوء الرجز	2	452
الصبر	الرمل	1	427
نفور	الرمل	5	443
قط	الرمل	2	453
ضاع	الرمل	1	452
يألفك	الرمل	2	373
عنده	مجزوء الرمل	2	442
تحلى	مجزوء الرمل	3	282
البهيمه	مجزوء الرمل	2	424
يكتب	السريع	2	452
يزهد	السريع	4	363
العبيد	السريع	2	357

غيرة	السريع	5	429
يجمعه	السريع	2	431
السارق	السريع	8	455-454
الكمال	السريع	2	375
مثله	السريع	1	364
زلل	السريع	2	230
الشرف	المنسرح	3	435
الدعاء	الخفيف	2	396
العلماء	الخفيف	1	299
الهيوب	الخفيف	1	419
بيت	الخفيف	3	283
رشاده	الخفيف	2	237-236
النبوة	المجتث	2	426
تفتت	المجتث	2	422
يعيب	المتقارب	1	363
الشتا	المتقارب	3	427
علمت	المتقارب	2	386
التجارة	المتقارب	1	378
النظر	المتقارب	2	416
النظر	المتقارب	2	456
ينفع	المتقارب	2	454
اسأل	المتدارك	2	414

فهرس البلدان والأماكن

الاسم	الصفحة
إشبيلية..	454
البصرة..	278-269
دار الهجرة..	380-289
دمشق	257
عسقلان..	387
غرناطة	417
قرطبة..	240
المدينة (المنورة)	355-257
المسجد الحرام..	278
المسجد النبوي	355
مكة	239
اليمن..	278

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المخطوطة

1. اختصار النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام. بخزانة الفقيه محمد بوخبزة. مصورة عن نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بتطوان.

2. الأقنوم في مبادئ العلوم. لعبد الرحمن الفاسي. مخطوط الخزانة العامة بتطوان. رقم 79.

3. البستان الظريف في دولة مولاي الشريف. مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم 1537 د.

4. تأليف في صور الفعل المؤكد بنون التوكيد. لأبي عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي. مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم 2817 د.

5. تحرير المقالة في شرح الرسالة. لأبي العباس أحمد القلشاني. مخطوط الخزانة العامة بتطوان رقم 15-16.

6. تحفة المريد وروضة الفريد وفوائد أهل الفهم السديد. للشيخ زروق. مخطوط الخزانة العامة بتطوان. رقم 452 ضمن مجموع.

7. الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية. لمحمد بن مصطفى المشرفي. مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم 1463.

8. سراج طلاب العلوم. للعربي بن عبد الله المساري. مخطوط مكتبة عبد الله كنون الخاصة. رقم 10376 ضمن مجموع.

9. شرح البردة لأبي عبد الله الأليري الأندلسي. نسخة مصورة بخزانة الفقيه محمد بوخبزة.

10. شرح صغرى السنوسي. لمحمد السنوسي مخطوط الخزانة العامة بتطوان رقم 643 ضمن مجموع.

11. شرح القرطبية للشيخ أحمد زروق. نسخة محفوظة بالخزانة الداودية بتطوان رقم 12.

12. شرح المقدمات في علم التوحيد. لمحمد بن يوسف السنوسي. مخطوط الخزانة العامة بتطوان. رقم 49 ضمن مجموع.

13 . عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد المعروفة ب: «شرح كبرى السنوسي». لمحمد السنوسي. مخطوط الخزانة العامة بتطوان رقم 643 ضمن مجموع.

14 . فهرسة أبي علي الحسن اليوسي. مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم 2810 د.

15 . فهرسة التاودي بن سودة. مخطوط الخزانة العامة بالرباط. 2018 د.

16 . فهرسة السلطان مولاي سليمان العلوي. جمع واختصار الفقيه محمد بن رحمون الحسني. نسخة مصورة عن المخطوطة في ملك الدكتور عبد السلام شقور.

17 . كناشة الطرنباطي. مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 3303 ك.

18 . مقنع المحتاج في آداب الأزواج، لأحمد بن الحسن بن عرضون. نسخة مصورة بخزانة الفقيه محمد بوخبزة.

ثانيا: المطبوعة

19 . الآداب الشرعية والمنح المرعية. للإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام. مؤسسة الرسالة – بيروت – ط2/ 1417هـ – 1996م.

20 . آداب الصحبة: شروطها، حقوقها، فوائدها.لأبي العباس بن عرضون.تحقيق الدكتور عمر الجيدي. منشورات عكاظ. ط 1/ 1408 هـ – 1987 م.

21 . آداب المتعلمين. لنصير الدين محمد بن محمد الطوسي. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط1/2003.

22 . الابتهاج بنور السراج.لأحمد المأمون البلغيتي.طبعة محمد أفندي مصطفى. مصر. 1309هـ.

23 . ابن عرضون الكبير: حياته، وآثاره، وآراءه، وفقهه. للدكتور عمر الجيدي. منشورات عكاظ. ط 1/ 1407 هـ – 1987م.

24 . أبو العتاهية: أشعاره، وأخباره، تحقيق الدكتور شكري فيصل. مطبعة جامعة دمشق. 1965م.

25 . إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس.لعبد الرحمن بن زيدان. المطبعة الوطنية.ط1/ 1929.

26 . إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر. لعبد السلام بن سودة. تحقيق محمد حجي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط.1/1417 هـ.1997م.

27 . الإتقان في علوم القرآن .لعبد الرحمن السيوطي. المكتبة الثقافية. بيروت. ط /1973م.

28 . **الأحاديث الضعيفة والموضوعة**. للألباني. مكتبة المعارف. الرياض. ط 1/ 1412هـ.

29 . **الأحاديث التي لا أصل لها في كتاب الإحياء**. للسبكي. تحقيق محمود محمد الطناحي. عبد الفتاح محمد الحلو. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.

30 . **الأحاديث المختارة**. لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي. تحقيق عبد المالك بن عبد الله بن دهيش. مكتبة النهضة الحديثة. مكة المكرمة. ط1410/1هـ.

31 . **الإحاطة في أخبار غرناطة**. للسان الدين بن الخطيب. تحقيق عبد الله عنان.القاهرة 1973 – 1977.

32 . **أحمد زروق والزروقية**.دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة. للدكتور علي فهمي خشيم. ط1395/1هـ – 1975م.

33 . **إحياء علوم الدين**. لأبي حامد الغزالي. دار الفكر. بيروت. ط 1418/3هـ – 1997م.

34 . **أخبار النحويين**. لعبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم. تحقيق مجدي فتحي السيد. دار الصحابة للتراث. طنطا. ط 1410/1هـ.

35 . **أخلاق حملة القرآن**. لمحمد الحسين الآجري. تحقيق الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ. مكتبة الدار بالمدينة المنورة. ط.1408/1 هـ–1987م.

36 . **أخلاق العلماء لمحمد بن الحسين الآجري**، قدم له وعلق عليه ممدوح حسن محمد. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة.

37 . **أدب الاختلاف في الإسلام**. للدكتور طه جابر فياض العلواني. كتاب مجلة «الأمة» قطر. ط 1405/1هـ.

38 . **أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين**.لمحمد عوامة.دار البشائر الإسلامية.بيروت.ط 1418/2 هـ– 1997م.

39 . **أدب الدنيا والدين**. لعلي بن محمد الماوردي. تحقيق ياسين محمد السواس. دار ابن كثير. دمشق بيروت. ط.1423/3 هـ –2002م.

40 . **أدب الفقهاء لعبد الله كنون**. دار الثقافة. الدار البيضاء 1998م.

41 . **إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك**. للطرنباطي. طبع على الحجر بفاس 1305م.

42 . **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**. للخليل بن عبد الله الخليلي القزويني. تحقيق الدكتور محمد سعيد عمر إدريس. مكتبة الرشد. الرياض. ط 1409/1هـ.

43 . **أزهار الرياض في أخبار عياض**. لأحمد بن محمد المقري. طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

44 . **الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**. لأحمد بن خالد الناصري. تحقيق جعفر الناصري. دار الكتاب. الدار البيضاء. 1956م.

45 . **الاستيعاب**. ليوسف بن عبد البر. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل. بيروت. ط 1412/1هـ.

46 . **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**. لعلي القاري. تحقيق محمد لطفي الصباغ. المكتب الإسلامي. بيروت. ط. 1406/2 هـ.

47 . **الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني**. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل. بيروت. ط 1412/1هـ/1992م.

48 . **الإعانة للشيط أحمد زروق**. تحقيق الدكتور علي فهمي خشيم. الدار العربية للكتاب. ليبيا– تونس. 1399هـ – 1979م.

49 . **الأعلام**. لخير الدين الزركلي. بيروت. ط 10/ 1996م.

50 . **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**. للعباس بن إبراهيم التعاريجي. الرباط. 1974 .

51 . **الأغاني**. لأبي الفرج الأصبهاني. تحقيق سمير جابر. دار الفكر. بيروت. ط 2.

52 . **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر**... لمحمد بن الطيب القادري. تحقيق هاشم العلوي القاسمي. دار الآفاق الجديدة. بيروت ط 1983/1م.

53 . **ألف سنة من الوفيات**. تحقيق الدكتور محمد حجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط. 1396هـ– 1976م.

54 . **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17م**. لمحمد رزوق. إفريقيا الشرق. الدار البيضاء. 1991م.

55 . **الأنيس المطرب بروض القرطاس بأخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**. لعلي بن أبي زرع الفاسي. راجعه عبد الوهاب بن منصور. المطبعة الملكية. الرباط. ط 1420/2هـ- 1999م.

56 . **الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب**. لابن الطيب العلمي. طبع على الحجر بفاس 1305 و 1315هـ.

57 . **إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة**. لمحمد بن سعيد الصديقي.مطبعة دار الكتاب. الدار البيضاء.

58 . **البداية والنهاية**. لأبي الفداء الحافظ ابن كثير. تحقيق وتوثيق صدقي جميل العطار. دار الفكر بيروت.

59 . **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. لمحمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة . بيروت.

60 . **بردة البوصيري بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين: آثارها العلمية، وشروحها الأدبية**. للدكتور سعيد بن الأحرش. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط 1419هـ - 1998م.

61 . **بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال**. للسيوطي. بذيل كتاب: «سبعة في ظل عرش الرحمن» لعبد الحميد كشك. مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة. ط/ 1417هـ - 1997م.

62 . **بستان العارفين** .للنووي .عناية بسام الجابي.دار ابن حزم . ط1415/1هـ - 1994م.

63 . **بستان الواعظين ورياض السامعين**. لجمال الدين بن الجوزي. بعناية أيمن البحيري. مؤسسة الكتب الثقافية. ط2.

64 . **بشرى الكئيب بلقاء الحبيب**. لعبد الرحمن السيوطي.المطبعة اليمنية. مصر. إدارة أحمد الحلبي. 1309هـ.

65 . **بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد**. للقاضي عياض بن موسى اليحصبي. تحقيق صلاح الدين بن أحمد الإدلبي. محمد الحسن أجانف. محمد عبد السلام الشرقاوي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1395هـ- 1975م.

66 . **بغية السالك في أشرف المسالك**. لأبي عبد الله الساحلي المالقي الأندلسي. تحقيق الدكتور عبد الرحيم العلمي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1424هـ- 2003م.

67 . **بغية الوعاة في طبقات النحاة**. للسيوطي. طبعة عيسى الحلبي. 1964م.

68. **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**. لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي. تحقيق محمد المصري. جمعية إحياء التراث الإسلامي. الكويت. ط 1/1407هـ.

69. **البيان والتبيين**. للجاحظ. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط 2/1960. بغداد.

70. تاج مفرق في تحلية علماء المشرق. لخالد بن عيسى البلوي. تحقيق الحسن السائح. اللجنة المشتركة بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

71. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمرى. دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت – ط1/ 1407هـ – 1987م.

72. **تاريخ بغداد**. لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية. بيروت.

73. **تاريخ تطوان**. لمحمد داود مطبعة المهدية.

74. **تاريخ مدينة دمشق**. لابن عساكر. دار الفكر. بيروت.

75. **تاريخ الدولة السعيدة**. لمحمد الضعيف. تحقيق أحمد العماري. دار المأثورات. ط1/1986م.

76. **تاريخ الشعر والشعراء بفاس**. لأحمد بن محمد النميشي. طبع بفاس 1343هـ – 1924م.

77. **تاريخ الطبري**. لمحمد بن جرير الطبري. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1/1407هـ.

78. **تاريخ الفكر الأندلسي**. لآنخل بالنثيا. نقله عن الإسبانية حسين مؤنس. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.

79. **تاريخ قضاة الأندلس**. لابن الحسن النباهي الأندلسي. ضبط وشرح وتعليق وتقديم د.مريم قاسم طويل. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1/1415هـ – 1995م.

80. **التاريخ الكبير**. لمحمد بن إسماعيل البخاري. **تحقيق السيد هاشم الندوي. دار الفكر**.

81. **تاريخ اللغة العربية**. لجرجي زيدان. دار الهلال.

82. **التبيان في آداب حملة القرآن**. لأبي زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي. **دار الكتب العلمية. بيروت 1993م**.

83. **تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء**. لأحمد بابا التنبكتي. **تحقيق سعيد سامي. منشورات معهد** الدراسات الإفريقية بالرباط. 1992م.

84. **التدوين في أخبار قزوين**. لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني. تحقيق عزيز الله العطاردي. دار الكتب العلمية بيروت. 1987م.

85. **تذكرة الحفاظ**. للذهبي. مطبوعات دائرة المعارف العثمانية. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1958م.

86. **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**. لبدر الدين محمد بن جماعة. تحقيق عبد السلام عمر علي. دار الضياء طنطا. مصر. ط1/ 1423 هـ- 2002م.

87. **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**. للقرطبي. تحقيق يوسف علي بديوي. دار ابن كثير. دمشق. بيروت. ط 1/1419هـ – 1999م.

88. **التراتيب الإدارية**. لعبد الحي الكتاني. دار الكتاب العربي. بيروت.

89. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**. للقاضي عياض. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط.

90. **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا**. تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي. لجنة إحياء التراث القومي. طبعة هوداس. 1387 هـ- 1967م.

91. **الترغيب والترهيب**. لعبد العظيم المنذري. تحقيق إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1/1417هـ.

92. **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**. تحقيق محمد بن تاويت الطنجي. لجنة التأليف والترجمة. القاهرة. ط1/1951م.

93. **التعريف بالقاضي عياض**. لمحمد بنشريفة. منشورات وزارة الأوقاف. الرباط. 1979م.

94. **تعليم المتعلم طريق التعلم**. للنعمان بن إبراهيم الزرنوجي. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط 1/2003.

95. **تفسير الثعالبي المسمى: الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

96. **تفسير بن أبي حاتم الرازي.** تحقيق أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار مصطفى الباز. السعودية. ط1419/2 هـ-1999م.

97. **تقريب التهذيب.** لابن حجر العسقلاني. تحقيق محمد عوامة. دار الرشيد. سورية. ط1406/1هـ 1986م.

98. **التقييد لمعرفة رواة الأسانيد.** لمحمد بن عبد الغني البغدادي بن النقطة. تحقيق كمال يوسف الحوت. دار الكتب العلمية بيروت. ط1/ 1408هـ.

99. **التكملة.** لكتاب الصلة. لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي. تحقيق. د. عبد السلام الهراس. دار الفكر. بيروت. 1995م.

100. **تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش.** ويليه بزوغ الهلال للسيوطي. بعناية مشهور حسن. مكتبة المنار. ط 1./1407هـ.

101. **تنزيه الشريعة.** لابن عراق الكناني. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد ابن الصديق الغماري. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1399/1هـ.

102. **تهذيب الأسماء.** لأبي زكرياء يحيى بن شرف النووي. دار الفكر. بيروت. ط 1/ 1996م.

103. **تهذيب التهذيب.** لابن حجر العسقلاني. دار الفكر . بيروت . ط1404/1 هـ – 1984م .

104. **تهذيب الكمال.** ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 1/1400هـ-1980م.

105. **الثقات.** لمحمد بن حبان أبي حاتم التميمي البستي. تحقيق السيد شرف الدين أحمد. دار الفكر. ط1/1395هـ – 1975م.

106. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (تفسير). لابن جرير الطبري. دار الفكر. بيروت. 1405هـ.

107. **جامع بيان العلم وفضله.** لابن عبد البر. تحقيق أبي الأشبال الزهيري. دار بن الجوزي. السعودية. ط1422/5 هـ.

108. **جامع الترمذي.** دار الفكر. بيروت. 1983م.

109 . **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان**. لمحمد بن أحمد المغرواي. تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي. بيروت. ط1/1986م.

110 . الجامع لشعب الإيمان. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد.مكتبة الرشد ط2/ 1425هـ.

111 . **الجامع الصغير**. لعبد الرحمن السيوطي. دار طالب العلم. جدة.

112 . **جامع العلوم والحكم**. لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي. دار المعرفة. بيروت. ط1/1408هـ.

113 . **جامع القرويين**. المسجد والجامعة بمدينة فاس. للدكتور عبد الهادي التازي. بيروت. ط1/1972م.

114 . **جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية**. للحسن بن محمد الكوهن القاسي. وضع حواشيه مرسي محمد علي. بيروت. ط1/1422هـ - 2001م.

115 . الجامع لأحكام القرآن (تفسير). للقرطبي. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني. دار الشعب. القاهرة. ط2/1372هـ.

116 . **الجامع لأخلاق الراوي**. للخطيب البغدادي. تحقيق الدكتور محمود الطحان. مكتبة المعارف. الرياض. ط 1/1983م.

117 . **جامع معمر بن راشد**. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج: 10). المكتب الإسلامي بيروت. ط 1403/2 هـ.

118 . **جذوة الاقتباس**.لأحمد بن القاضي المكناسي. دار المنصور للطباعة والوراقة. الرباط. 1974م.

119 . **جمهرة أشعار العرب**.لأبي زيد بن أبي الخطاب. المطبعة الرحمنية. مصر. 1345هـ. 1926م.

120 . **جمهرة الأمثال**. لأبي هلال العسكري. تحقيق أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش. دار الفكر. ط2/ 1988م.

121 . **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان**... لأبي القاسم الزياني. تحقيق عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية. بيروت. 2003/16م.

122 . **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**. لمحمد بن عاصم الغرناطي. تحقيق الدكتور صلاح جرار. دار البشير. عمان 1410هـ - 1989م.

123 . **جواهر العقدين في فضل الشرفين**: شرف العلم الجلي، والنسب النبوي. للسمهودي. دار الكتب العلمية. بيروت.

124 . **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي الشريف السجلماسي**. لمحمد بن أحمد أكنسوس. طبعة حجرية 1336هـ - 1918م .

125 . **حاشية العلامة بن الحاج على شرح متن الأجرومية**، وبهامشه ترجمة الإمام الشهيد خالد الأزهري. إشراف مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر. بيروت. 1421هـ - 2000م.

126 . **الحاوي للفتاوى**. للسيوطي. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت.

127 . **الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ**. لابن الجوزي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1986/2.

128 . **الحركة الوهابية وردود الفعل المغربية عند بداية القرن التاسع عشر**. لمحمد المنصور. منشورات كلية الرباط. 1986م.

129 . **الحكم العطائية**. لابن عطاء الله السكندري. تحقيق عز الدين عبد الله خلف. المكتبة الأزهرية للتراث.

130 . **حلية الأولياء**. لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 1405/4هـ.

131 . **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**. للدكتور محمد الأخضر. دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. ط 1977/1م.

132 . **خزانة الأدب وغاية الأرب**. لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي. تحقيق عصام شعيتو. مكتبة الهلال. بيروت. ط 1987/1م.

133 . **الخطاب التربوي بالمغرب**. لأحمد احدوثن. السلسلة الشهرية: المعرفة للجميع. عدد28.

134 . **درة الغواص في أوهام الخواص**. للقاسم بن علي الحريري . تحقيق أبي الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. 1997م .

135. **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس**. لعبد الرحمن بن زيدان. المطبعة الاقتصادية بالرباط. 1356 هـ/1937 م.

136. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. لأحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان. مطبعة دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد. الهند. ط1972/2م.

137. **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**. للسيوطي. تحقيق خليل محيي الدين الميس. دار العربية. بيروت. ط 1404/1هـ.

138. **الدر المنثور في التفسير المأثور**. للسيوطي . دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1421/1هـ - 2000م.

139. **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايط القرن العاشر**. لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني. تحقيق الدكتور محمد حجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. سلسلة التراجم(1).

140. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. لابن فرحون إبراهيم بن علي. تحقيق الدكتور علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط1 /1423 هـ - 2003م.

141. **ديوان أبي إسحاق الإلبيري**. تحقيق د. محمد رضوان الداية. دار قتيبة. ط1981/2.

142. **ديوان أبي العتاهية**. دار صادر. بيروت. 1964م.

143. **ديوان البستي**. تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق. 1410هـ 1989م.

144. **ديوان بشار بن برد**. تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. 1376هـ-1957م.

145. **ديوان البوصيري**. شرحه وقدم له أحمد حسن بسبع. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1995/1م.

146. **ديوان الإمام الشافعي**. جمعه وشرحه ورتبه محمد عبد الرحيم. دار الفكر. بيروت. 1415هـ-1995م.

147. **ديوان الإمام علي**. جمع وترتيب عبد العزيز كرم. دار كرم. دمشق.

148. **الذخيرة في فروع المالكية**. لأحمد بن إدريس القرافي. تحقيق أبي إسحاق أحمد عبد الرحمن. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1422/1هـ - 2001م.

149 . **الذريعة إلى مكارم الشريعة**. للراغب الأصبهاني. تحقيق الدكتور أبي اليزيد العجمي. دار الصحوة. القاهرة. ط 2/ 1987م.

150 . **الرحلة في طلب الحديث**. لأحمد بن علي بن ثابت البغدادي. تحقيق نور الدين عتر. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1/ 1395هـ.

151 . **رجال مسلم**. لأبي بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني. تحقيق عبد الله الليثي. دار المعرفة. بيروت. ط1/1407هـ.

152 . **رسائل إخوان الصفا**. دار صادر. بيروت. ط1/1957م.

153 . **الرسالة**. للإمام الشافعي. تحقيق وشرح أحمد شاكر. دار الفكر. بيروت.

154 . **الرسالة المفصلة**. لعلي القابسي. تحقيق أحمد خالد. جانفي. ط1/1986م.

155 . **الرسالة القشيرية في علم التصوف**. لعبد الكريم القشيري. تحقيق وإعداد معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي. دار الجيل. بيروت. ط 1410/2هـ-1990م.

156 . **الروض المعطار**.لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحميري. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت.

157 . **روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام**. لمحمد بن علي بن الأزرق الحميري الغرناطي. تحقيق سعيدة العلمي. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ط1/1429هـ - 1999م.

158 . **روضة العقلاء وتحفة الفضلاء**. لمحمد بن حبان البستي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية بيروت. 1397هـ - 1977م.

159 . **الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة**. لسليمان الحوات. تحقيق عبد العزيز تيلاني. ط. 1/1994م.

160 . **زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**. لعبد الكبير بن هاشم الكتاني. تحقيق الدكتور علي ابن المنتصر الكتاني. الدار البيضاء. ط 2/2002 م.

161 . **زهرة الأكم في الأمثال والحكم**. للحسن اليوسي. تحقيق د. محمد حجي ود. محمد الأخضر. دار الثقافة. الدار البيضاء. ط 1/1401 هـ-1981م.

162 . **الزهد**. لأحمد بن حنبل الشيباني. دار الكتب العلمية. بيروت. 1398هـ.

163 . **الزهد**. لعبد الله بن المبارك. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية. بيروت.

164 . **سلسلة رسائل العلماء**. دار الاعتصام. 1983م.

165 . **سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء بفاس**. لمحمد بن جعفر الكتاني. طبع على الحجر بفاس 1316هـ.

166 . **سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني**. المكتبة العصرية بيروت.

167 . **سنن ابن ماجة**. دار إحياء التراث العربي. 1975م.

168 . **سنن الدارقطني**. تحقيق عبد الله هاشم المدني. دار المعرفة. بيروت. 1386 هـ-1966م.

169 . **سنن الدارمي**. دار الكتاب العربي. بيروت. 1987م.

170 . **السنن الكبرى للبيهقي**. تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز. مكة المكرمة. 1414هـ-1994م.

171 . **السنن الكبرى للنسائي**. تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1/1411هـ - 1991م.

172 . **سوس العالمة**. لمحمد المختار السوسي. بنْشرة للطباعة والنشر (بنميد) الدار البيضاء.

173 . **سيدي محمد بن عبد الله 1957 - 1790 . استحالة النهوض بالملاحة**، مذكرات من التراث المغربي.الرباط 1985م.

174 . **سير أعلام النبلاء**. لمحمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي. تحقيق شعيب الأرناؤوط محمد نعيم. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 1413/9 هـ.

175 . **السيرة الحلبية**. لعلي بن برهان الدين الحلبي. دار المعرفة. بيروت. 1400هـ.

176 . **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**. لمحمد مخلوف. طبعة بيروت.

177 . **شذارت الذهب في أخبار من ذهب**. لعبد الحي بن عماد الحنبلي. دار الفكر. بيروت.1414هـ- 1994م.

178 . **شرح الحكم العطائية**. للشيخ أحمد زروق. تحقيق رمضان محمد بن علي البدري. دار الكتب العلمية. بيروت. ط2003/1م.

179 . **شرح خطبة الفية ابن مالك للطرنباطي**. طبع على الحجر بفاس. 1305 هـ.

180. **شرح الرسالة**. للشيخ أحمد زروق. دار الفكر. بيروت. ط1402/2 هـ-1982م.

181. **شرح المقاصد**. لسعود بن عمر التفتازاني. تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة. عالم الكتب. بيروت ط1409/1 هـ-1989م.

182. **شرف أصحاب الحديث**. للخطيب البغدادي. تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي. دار إحياء السنة النبوية. أنقرة.

183. **شعب الإيمان**. للبيهقي. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. دار الكتب. بيروت. ط1410/1هـ.

184. **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. لأحمد بن علي القلقشندي. تحقيق الدكتور يوسف علي طويل. دار الفكر. دمشق. ط1987/1م.

185. **صحيح البخاري**. تحقيق مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير اليمامة. بيروت.ط 3/ 1407. 1987م.

186. **صحيح مسلم**. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1972م.

187. **صفة الصفوة**. لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج. تحقيق محمود فاخوري الدكتور محمد رواس. قلعة جي. دار المعرفة. بيروت. ط 1399/2هـ-1979م.

188. **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**. لمحمد الصغير الافراني. طبع على الحجر بفاس. دون تاريخ.

189. **صيد الخاطر**. لابن الجوزي. تحقيق الغزالي. ط 1/ 1988م.

190. **ضعفاء العقيلي**. لأبي جعفر محمد بن عمر العقيلي. تحقيق عبد المعطي أمين أفعلي. دار المكتبة العلمية. بيروت. ط 1.

191. **الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع**. لشمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي. دار مكتبة الحياة. بيروت.

192. **ضعيف الجامع للألباني**. المكتب الإسلامي. بيروت. ط 1408/2 هـ.

193. **طبقات الشافعية**. لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة. تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان. عالم الكتب. بيروت. ط 1401/1هـ.

194 . طبقات الشافعية الكبرى. لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي. تحقيق د.عبد الفتاح الحلو. د. محمد محمد الطناحي. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الجزية. ط 1992/2م.

195 . طبقات الصوفية. لمحمد بن الحسين الأزدي. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1/ 1998م.

196 . طبقات الفقهاء. لإبراهيم بن علي الشيرازي. تحقيق خليل الميس. دار القلم بيروت.

197 . طبقات المفسرين. لأحمد بن محمد الأدنروي. تحقيق سليمان بن صالح الخزي. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. ط ١/١٩٩٧م.

198 . طبقات المفسرين. لعبد الرحمن السيوطي. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة وهبة. القاهرة. ط 1396/1هـ.

199 . الطبقات الكبرى. لمحمد بن سعد أبي عبد الله البصري الزهري. دار صادر. بيروت.

200 . طبقات المحدثين. للذهبي. تحقيق الدكتور همام عبد الرحيم سعيد. دار الفرقان. عمان، الأردن. ط 1.

201 . عجائب الآثار في التراجم والأخبار. لعبد الرحمن بن الحسن الجبرتي. طبع بمصر 1323هـ.

202 . عدة المريد الصادق. للشيخ زروق. تحقيق إدريس عزوزي. مطبعة فضالة المحمدية 1419هـ – 1998م.

203 . العقد الفريد. لابن عبد ربه الأندلسي. شرحه وضبطه ورتب فهارسه أحمد أمين، إبراهيم الأنباري، عبد السلام هارون. دار الكتاب العربي. بيروت.

204 . علم النفس في حياتنا. للدكتور محمد عثمان نجاتي. دار القلم. الكويت. ط 7/ 1977م.

205 . علم النفس الفسيولوجي: دراسة في تفسير السلوك الإنساني. لعبد الرحمن عيسوي. دار النهضة العربية. بيروت. 1974م.

206 . عون المعبود شرح سنن أبي داود. لمحمد شمس الحق العظيم أبادي أبي الطيب. دار الكتب العلمية. بيروت. ط.2 /1415هـ.

207 . عيون الأخبار. لعبد الله بن قتيبة الدينوري. دار الكتب العلمية. بيروت.

208 . عيون الأنباء في طبقات الأطباء. لابن أبي أصيبعة. دار الثقافة. بيروت. ط.1408/4هـ/ 1987م.

209. **الغنية** (فهرسة شيوخ القاضي عياض). للقاضي عياض بن موسى اليحصبي. تحقيق د. علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط1/1423هـ- 2003م.

210. **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**. لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 2/1401هـ - 1990م.

211. **غيث المواهب العلمية في شرح الحكم العطائية**. لمحمد بن إبراهيم بن عباد الرندي. تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود . الدكتور محمود بن شريف. مطبعة السعادة . مصر. ط1/ 1370هـ-1970م.

212. **فاس عاصمة الأدارسة** . لمحمد المنتصر الكتاني. الدار البيضاء. ط1/2002م.

213. **فتح الباري**. لأحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب. دار المعرفة. بيروت. 1379هـ.

214. **الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية**. للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. المطبعة الملكية.الرباط 1980م.

215. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. لعلي بن سعيد بن حزم الظاهري. مكتبة الخانجي. القاهرة.

216. **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**. لأبي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق د. إحسان عباس. د. عبد المجيد عابدين. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 3/1983م.

217. **الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي**. للدكتور عبد الأمير شمس الدين بيروت. ط. 1/1985.

218. **الفكر التربوي عند العلموي**. للدكتور عبد الأمير شمس الدين. دار اقرأ. بيروت. ط 1/ 1985م.

219. **الفهرست**. لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم. دار المعرفة. بيروت. 1398هـ - 1978م.

220. **فهرس الفهارس**. لعبد الحي الكتاني. بعناية الدكتور إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. ط.2/1402هـ -1982م.

221. **فهرس المطبوعات الحجرية المغربية**. منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود. الدار البيضاء.

222. **الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي**. لعبد الرحمن بن العربي الحريشي.مطبعة الرسالة. الرباط 1997م.

223. الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة. للحسين بن علي الشوشاوي. تحقيق إدريس عزوزي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1989م.

224. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. للشوكاني. تعليق عبد الرحمن يحيى العلمي. المكتب الإسلامي. بيروت. ط 1407/3هـ.

225. فيض القدير. للمناوي. المكتبة التجارية الكبرى. مصر. ط1356/1هـ.

226. قرى الضيف لعبد الله بن قيس. تحقيق عبد الله بن محمد المنصور. أضواء السلف. الرياض. ط 1997/1م.

227. القاضي عياض الأديب. للدكتور عبد السلام شقور.رسائل جامعية (7) .دار الفكر المغربي. ط 1983/1م.

228. القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم. لأبي علي الحسن اليوسي. تحقيق حميد حماني. الرباط. ط 1998/1م.

229. الكامل في ضعفاء الرجال. لعبد الله بن عدي الجرجاني. تحقيق يحيى مختار غزاوي. دار الفكر بيروت. ط 1409/3هـ - 1988م.

230. كتاب ألف باء. لأبي الحجاج يوسف البلوي. عالم الكتب ط1985/2م.

231. كتاب الرعاية لحقوق الله. للحارث بن أسد المحاسبي. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الكتب الحديثة. 1390هـ - 1970م.

232. كتاب الزهد. لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. دار الريان للتراث. القاهرة ط 1408/2هـ.

233. كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم. لابن الجزار القيرواني. تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة. دار الغرب الإسلامي. ط 2/ 1404هـ - 1984م.

234. كتاب صلة الصلة. لأحمد بن أحمد الغرناطي. تحقيق د. عبد السلام الهراس. والشيخ سيعد أعراب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1413هـ-1993م.

235. **كتاب الصمت وحفظ اللسان**. لابن أبي الدنيا. دار الاعتصام. القاهرة. ط 1986/1م.

236. **كتاب الفقيه والمتفقه**. للخطيب البغدادي. تحقيق عادل بن يوسف العزازي. دار ابن الجوزي. السعودية. ط. 1421/2هـ.

237. **كتاب الوفيات** لابن قنفذ. تحقيق عادل نويهض. بيروت. 1403هـ/1983م.

238. **كشف الظنون**. لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني. دار الكتب العلمية. بيروت. 1413هـ / 1992م.

239. **كشف الخفا ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**. لإسماعيل بن محمد العجلوني. تحقيق أحمد القلاش. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 1405/4هـ.

240. **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**. لأحمد بابا التنبكتي. تحقيق محمد مطيع. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1421 هـ -2000م.

241. **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**. لنجم الدين الغزوي. تحقيق جبرائيل سليمان جبور. بيروت. 1945م.

242. **لسان العرب**. لمحمد بن منظور. دار صادر. بيروت. ط 1.

243. **لسان الميزان**. لابن حجر العسقلاني. تحقيق دائرة المعارف النظامية. الهند. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. 1406 هـ/ 1986م.

244. **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**. للسيوطي. دار المعرفة. بيروت. ط 1401/3هـ.

245. **اللمع في أصول الفقه**. لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1/ 1405 هـ- 1985م.

246. **لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية**. لعبد الوهاب الشعراني. بعناية محمد عبد السلام إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1/1419هـ/ 1998م.

247. **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المشهور بـ (الطبقات الكبرى)**. لعبد الوهاب الشعراني. تحقيق عبد الرحمن حسن محمود. ط1/1414هـ/ 1993م.

248. **مؤرخو الشرفاء**. لبروفنصال. تعريب عبد القادر الخلادي. الرباط 1977م.

249. **المجالس السلطانية**. لآسية الهاشمي البلغيتي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1416هـ/1995م.

250. **مجمع الأمثال**. لأحمد بن محمد الميداني. تقديم وتعليق حسن زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت.

251. **مجمع الزوائد**. للهيثمي. دار الريحان للتراث. دار الكتاب العربي. القاهرة. بيروت. 1407هـ.

252. **المجموع شرح المهذب**. لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي. تحقيق محمود مطرحي. دار الفكر. بيروت. ط 1/1417هـ – 1986م.

253. **المحاضرات في اللغة والأدب**. لأبي علي حسن اليوسي. تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي. بيروت. 1982م.

254. **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**. الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي. تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب. دار الفكر – بيروت – ط3/ 1404.

255. **المحصول في علم أصول الفقه**. للفخر الرازي. تحقيق طه جابر فياض العلواني. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض. ط1/ 1400هـ.

256. **مختصر الأفاريد**. لمؤلف مجهول الاسم من تازة. طبعة حجرية بفاس. نسخة مصورة في ملك الدكتور عبد السلام شقور.

257. **مداخلات**. لعلي حرب. دار الحداثة. 1985م.

258. **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات**. لمحمد بن الحاج الفاسي. دار الفكر بيروت.

259. **المسائل المختصرة من كتاب البرزلي**. لأحمد بن عبد الرحمن حلولو. تحقيق الدكتور أحمد محمد الخليفي. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ط 1/1995م.

260. **المستدرك على الصحيحين**. للحاكم النيسابوري. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1/1411هـ – 1990م.

261. **المستصفى في علم الأصول**. لأبي حامد الغزالي. تحقيق عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1/1413هـ.

262. **المستطرف في كل فن مستظرف**. لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي. إشراف المكتب العالمي للبحوث. دار الحياة. بيروت.

263. **مسند أبي داود الطيالسي**. دار المعرفة. بيروت.

264. **مسند أبي يعلى الموصلي**. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث. دمشق. ط1/ 1404هـ - 1984م.

265. **مسند أحمد بن حنبل**. المكتب الإسلامي. بيروت. 1985م.

266. **مسند البزار**. تحقيق محفوظ الرحمن زين الله. مؤسسة علوم القرآن. مكتبة العلوم والحكم. بيروت. المدنية. ط 1/ 1409هـ.

267. **مسند الشهاب للقضاعي**.تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. مؤسسة الرسالة. بيروت.ط. 1407/2هـ - 1986م.

268. **مسند الفردوس بمأثور الخطاب**. لأبي شجاع الديلمي الهمذاني. تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1/ 1986م.

269. **المصادر العربية لتاريخ المغرب**. لمحمد المنوني. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. 1983م.

270. **مصباح الزجاجة**. للحافظ البوصيري. تحقيق محمد المنتقي الكشناوي. دار العربية. بيروت. ط.1403/2هـ.

271. **مظاهر يقظة المغرب الحديث**. لمحمد المنوني. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. المدارس. بيروت. ط 2/ 1985م.

272. **معالم التنزيل** (تفسير). للحسين بن مسعود البغوي. تحقيق خالد العك ومروان سوار. دار المعرفة. بيروت. ط. 1407/2هـ - 1987م.

273. **المعتزلة**. لزهدي جار الله. الأهلية للنشر والتوزيع. بيروت. 1974م.

274. **معجم الأدباء** لياقوت الحموي. مطبعة عيسى الحلبي. 1353هـ.

275. المعجم الأوسط للطبراني. تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسني. دار الحرمين. القاهرة. ط1415/1هـ.

276. معجم السفر. للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت572هـ). دار الفكر1414هـ/ 1993.

277. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية. لعمر رضا كحالة. مطبعة الترقي. دمشق. 1380هـ /1960م.

278. المعجم الصغير للطبراني. تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير. المكتب الإسلامي. دار عمار. بيروت. عمان. ط 1405/1 هـ- 1985م.

279. المعجم الفلسفي. لجميل صليبا. دار الكتاب اللبناني. بيروت.

280. معجم مصطلحات الصوفية. للدكتور عبد المنعم الحنفي. دار المسيرة. بيروت. 1400هـ.

281. معجم المطبوعات العربية والمعربة. ليوسف إليان سركيس. مكتبة الثقافة الدينية. بيروت.

282. معجم المطبوعات المغربية. لإدريس بن الماحي القيطوني الحسني. تقديم عبد الله كنون. مطابع سلا. 1988م.

283. المعجم المفرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد شكور المياديني، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1/ 1418هـ-1998م.

284. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف. وضعه المستشرق فنسنك مع لفيف من المستشرقين. طبعة مكتبة بريل. لندن. 1936م.

285. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. لمحمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر. ط 4/ 1418هـ /1997م.

286. المعجم الكبير للطبراني. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم. الموصل. ط 2/ 1404 هـ - 1983م.

287. معرفة الثقات. لأحمد بن عبد الله بن صالح أبي الحسن العجلي الكوفي. تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي. الجامعة الإسلامية. مكتبة الدار. المدينة المنورة. ط 1/ 1405 هـ/ 1985م.

288. معيار العلم في فن المنطق. لأبي حامد الغزالي. المطبعة العربية مصر. ط 2/ 1346هـ/1927م.

289. **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل الأندلس والمغرب**. لأحمد بن يحيى الونشريسي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1401هـ /1981م.

290. **المعين في طبقات المحدثين**. للذهبي. تحقيق الدكتور همام عبد الرحيم سعيد. دار الفرقان. عمان – الأردن. ط 1/ 1404هـ.

291. **المغرب عبر التاريط**. لإبراهيم حركات.دار الرشاد الحديثة. ط1405/1 هـ/ 1985م.

292. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. لعبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري. تحقيق الدكتور المازن المبارك ومحمد حمد الله. دار الفكر. بيروت. ط 1985/6م.

293. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**. لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن القيم الجوزية). دار الكتب العلمية بيروت.

294. **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**. لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1/ 1399هـ.

295. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**.لأبي الحسن الأشعري.تحقيق هلموت ريتر. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط 3.

296. **مقدمة ابن خلدون**. دار الجيل. بيروت.

297. **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**. لبرهان الدين إبراهيم بن مفلح. تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. الرياض. ط 1/ 1990م.

298. **مقنع المحتاج فيما يتعلق بآداب النكاح ومعاشرة الأزواج ورياضة الولدان** .لابن عرضون. طبعة حجرية 1319هـ.

299. **الملل والنحل**. للشهرستاني. تحقيق محمد سيد كيلاني. دار المعرفة. بيروت. 1404هـ.

300. **المنخول**. لأبي حامد الغزالي. تحقيق الدكتور محمد حسين هيتو. دار الفكر. دمشق. ط 1400/2هـ.

301. **المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956م**. للطيفة الكندوز. منشورات وزارة الثقافة. 2004م.

302. **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**. ليوسف بن تغزى بردي الأتابكي. دار الكتب المصرية. القاهرة. ط 1/1375هـ / 1956م.

303. **مواهب المنان**. فيما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان. للسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي. مقابلة وتصحيح أحمد العلوي عبد اللوي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. 1417هـ/ 1996م.

304. **موسوعة أعلام المغرب**. تحقيق الدكتور محمد حجي. دار الغرب الإسلامي. ط1/1417هـ/ 1996م.

305. **الموضوعات**. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي. تحقيق: توفيق حمدان. دار الكتب العلمية - بيروت - ط1/ 1415 هـ-1995م.

306. **الموطأ**. لمالك بن أنس الأصبحي. دار إحياء العلوم. بيروت. 1988م.

307. **ميزان الاعتدال**. للذهبي. تحقيق علي محمد معوض وعامل أحمد بن عبد الموجود. دار الكتب العلمية بيروت. ط1/ 1995م.

308. **ميزان العمل لأبي حامد الغزالي**. دار إحياء التراث. مصر. ط 2/ 1342هـ.

309. **النبوغ المغرب في الأدب العربي**. لعبد الله كنون الحسني. ط 2.

310. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ليوسف تغزى بردى الأتابكي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. مصر.

311. **نزهة الألبا في طبقات الأدباء**. لعبد الرحمن بن محمد الأنباري. تحقيق محمد أبي إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة. 1418هـ - 1998م.

312. **نشر طي التعريف في فضل جملة العلم الشريف والرد على ما قتلهم السخيف**. للإمام جمال الدين محمد ابن عبد الرحمن بن عمر الجيشي. دار المنهاج - جدة - 1417هـ/ 1997م، الطبعة: الأولى.

313. **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**. لمحمد بن الطيب القادري تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة. سلسلة التراجم(3). 1977 - 1986م.

314. **نشر المحاسن الغالية في فضل المشايط الصوفية أصحاب المقامات العالية**. لعبد الله بن أسعد اليافعي. وضع هوامشه خليل عمران المنصور .دار الكتب العلمية .بيروت.ط1/1421 هـ/ 2000م.

315. النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية. للشيخ أحمد زروق بعناية عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية. ط1/1422هـ/ 2001م.

316. نوادر الأصول في أحاديث الرسول. لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي. تحقيق عبد الرحمن عميرة. دار الجيل. بيروت. ط 1/1992م.

317. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. لأحمد بابا التنبكتي. إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة. طرابلس. ط 1/ 1985م.

318. الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى. لمحمد بن تاويت. دار الثقافة الدار البيضاء. 1984م.

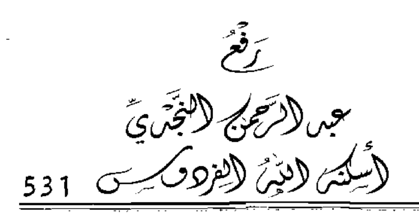
319. الورقات. لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني. تحقيق عبد اللطيف محمد العبد.

320. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الفكر. دار صادر. بيروت.

321. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي. دار الكتب العلمية. ط 1/ 1399 هـ- 1979م.

ثالثا: المجلات والدوريات

- تطوان. عدد 5. سنة 1960.
- دعوة الحق. الأعداد التالية:
  - 273- سنة 1989.
  - 347- سنة 1999.
  - 355/ 356 — سنة 2000.
  - 362 — سنة 2001.
  - 367- سنة 2002.
- المناهل. الأعداد التالية:
  - 15- سنة 1979 - 69/ 70 سنة 2004.

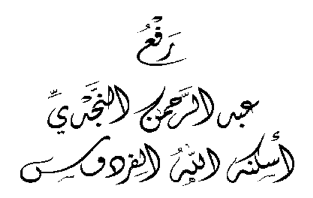


فهرس المحتويات

تقديم السيد الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء........	5
مُقدِّمة	9
القسم الأول: الـدراسـة........	13
الفصل الأول: جهود المغاربة في التأليف التربوي........	15
الفصل الثاني: عصر المؤلف وحياته........	51
المبحث الأول: عصر المؤلف	53
عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 1757م/1790م........	53
- المحور الأول: إعادة بناء سلطة الدولة........	54
- المحور الثاني: الإصلاحات الاقتصادية........	56
- المحو الثالث: العلاقات الخارجية........	60
- المحور الرابع: مبادرات إصلاحية في قطاع التعليم والقضاء........	61
عهد السلطان المولى يزيد 1790م/1792م........	73
عهد السلطان مولاي سليمان: 1792م/1822م........	73
- أعماله الإصلاحية	74
المبحث الثاني: حياته........	79
1- مصادر ترجمته........	79
2- اسمه ونسبه........	84
3- ولادته........	86
4- نشأته........	86
5- بيته........	88

6- شيوخه..	91
7- تلاميذه	97
8- ثقافته ورأي العلماء فيه	102
9- وفاته..	108
10- آثاره..	109
الفصل الثالث: دراسة تحليلية للكتاب	123
1 - توثيق الكتاب................................	125
2-- عنوان الكتاب................................	125
3- دواعي التأليف................................	126
4- مصادر المؤلف في كتابه	126
5- عرض مفصل لمحتويات الكتاب....................	131
6- منهجية الطرنباطي في التأليف....................	172
7- قيمة الكتاب....................................	174
8- خصائص الكتاب الفكرية........................	179
9- خصائص الكتاب الأسلوبية........................	180
10- وصف نسخ الكتاب..............................	183
11- عملي في التحقيق..............................	198
نماذج من المخطوطات المعتمدة في التحقيق............	201
القسم الثاني: نص كتاب "بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام" محققا.	221
مقدمة :..	223
الباب الأول: فضل العلم	243

الباب الثاني : فضل العلماء وما يجب لهم من التعظيم، وذم من يعظمهم........................	291
الباب الثالث : التحذير من قراءة العلم لغير وجه الله، وما جاء في ذلك من الوعيد..............	329
الباب الرابع :آداب المعلمين.	369
الباب الخامس:آداب المتعلمين..	403
خاتمة :	459
الفهارس العامة...	465
فهرس الآيات القرآنية..	467
فهرس الأحاديث النبوية	471
فهرس الكتب والمصنفات..	481
فهرس الأعلام...	489
فهرس القوافي...	499
فهرس البلدان والأماكن...	505
فهرس المصادر والمراجع..	507
فهرس المحتويات..	531



Bulugh aqsa al Muram
Fi Charaf al 'Ilm wa ma Yata'alaqu bihi min al Ahkam
(The Importance of Science and its Principles)

Abi Abdallah Mohammed Ibn Mas'ud at-Tarnabati al-Fasi
(died 1214 H)

Oulemas have always shown a great interest in teaching and education and wrote numerous books on these subjects with a view to reform them.

We shall quote, as exemples, *Adab al Mou'alimine* (Teachers' deontology) by Mohammed Ibn Abdesalam, more known as Sahnoune (died in 256 H) and the *Risala al Moufassala li Ahwal al Mouta'alimine wa Ahkam al Mou'alimine wal Muta'alimine* (General treatise on students' states and teachers' and students' dispositions) by Abi al Hassan Ali Ibn Mohammed al Qabissi (died in 403 H) and *Jami' Bayane al 'Ilm wa Fadlihi wa ma Yanbaghi fi Riwayatihi wa Hamlihi* (General survey on the interest of science and the rules of its transmission and its acquisition) by Abi Omar Youssef Ibn Abd al Bar an-Namri al Qortoubi (died in 463 H) and *Jami' li Akhlaq ar-Raoui wa Adab as-Sami'* (Narrator's ethic and listener's propriety) by al Khatib al Baghdadi (died in 463 H) and *Tadhkirate as-Sami' wal Moutakalim fi Adab al 'Alim wal Mouta'alim* (The orator's and listener's memento on the teacher's and student's ethic) by Badr ad-Din Ibn Jama'a (died in733 H), and many others...

This book, published in 1184 hegira, is one of the most important works on the subject and was very popular. At the author's time there was stagnation of Fouqaha and of the reformist thinking. With a few exceptions, the Fouqaha were restricted to short guides, verses poems, explanatory essays... They didn't go thoroughly into the founding texts of Muslim culture. They also attached more importance to the study of law (Fiqh) and linguistics than the study of Quran exegesis and Hadith.

In these circumstances there were deviations in the teaching way. At the request of his friends, the author wanted to correct these deviations by encouraging to learning and to science and its ethic.

Bulugh aqsa al Muram
Fi Charaf al 'Ilm wa ma Yata'alaqu bihi min al Ahkam
(De l'Importance de la Science et de ses Principes)

Abi Abdallah Mohammed Ibn Mas'ud at-Tarnabati al-Fasi
(m. 1214 H)

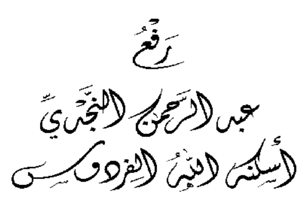
L'éducation et l'enseignement ont, de tous temps, été le sujet d'un grand intérêt de la part des Oulémas qui ont composé de nombreux ouvrages à ce sujet, en vue de les réformer.

Nous citerons, à titre d'exemple, *Adab al Mou'alimine* (Déontologie des Enseignants) de Mohammed Ibn Abdesalam, plus connu sous le nom de Sahnoune (m. 256 H) et la *Risala al Moufassala li Ahwal al Mouta'alimine wa Ahkam al Mou'alimine wal Muta'alimine* (Traité général sur les états des élèves et les dispositions des enseignants et des élèves) de Abi al Hassan Ali Ibn Mohammed al Qabissi (m. 403 H) et *Jami' Bayane al 'Ilm wa Fadlihi wa ma Yanbaghi fi Riwayatihi wa Hamlihi* (Somme explicative de l'intérêt de la science et les règles de sa transmission et de son acquisition) de Abi Omar Youssef Ibn Abd al Bar an-Namri al Qortoubi (m. 463 H) et *Jami' li Akhlaq ar-Raoui wa Adab as-Sami'* (Ethique du narrateur et Bienséance de l'auditeur) de al Khatib al Baghdadi (m. 463 H) et *Tadhkirate as-Sami' wal Moutakalim fi Adab al 'Alim wal Mouta'alim* (Mémento de l'Orateur et de l'Auditeur concernant l'Ethique du Maître et de l'Elève) de Badr ad-Din Ibn Jama'a (m.733 H), et de nombreux autres...

Le présent ouvrage, paru en 1184 de l'hégire, est l'un des plus importants dans le domaine et a connu un grand succès au Maroc. A l'époque de l'auteur il y avait une stagnation de la pensée rénovatrice et des Fouqaha. Ces derniers, à l'exception de quelques uns, se sont limités à des abrégés, des poèmes en vers, des essais explicatifs... sans approfondir la recherche dans les textes fondateurs de la culture musulmane. Ils ont aussi donné plus d'importance à l'étude de la jurisprudence (Fiqh) et à la linguistique qu'à d'autres disciplines, telles que l'exégèse coranique et le Hadith (traditions prophétiques).

Dans ces circonstances, il y a eu des déviations dans la conduite de l'enseignement que l'auteur, à la demande de ses amis – comme il l'indique dans son introduction – a voulu redresser en incitant à l'apprentissage et à la science et son éthique.

En situant l'ouvrage dans son contexte cognitif et historique nous constatons que la question de l'enseignement et la réforme de ses méthodes est un impératif dans notre tradition islamique qu'il faut constamment développer aux fins de combattre l'analphabétisme et de développer la Oumma.



Rabita Mohammadia des Oulémas
Publications du Centre des Etudes, de Recherche
et de Revivification du Patrimoine

Série des Trésors du Patrimoine (4)

Bulugh aqsa al Muram Fi Charaf al 'Ilm wa ma Yata'alaqu bihi min al Ahkam

(De l'Importance de la Science et de ses Principes)

Abi Abdallah Mohammed Ibn Mas'ud at-Tarnabati al-Fasi
(m. 1214 H)

Etabli et annoté par
Dr ABDELLAH RAMDANI